

الانحرافات الفكرية وأثرها على الربيع العربي: دراسة تحليلية نقدية

الحالة اليمنية والسورية أمودجا

إبراهيم محمد عبده موسى

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كولالمبور

2018

الانحرافات الفكرية وأثرها على الربيع العربي: دراسة تحليلية نقدية،

الحالة اليمنية والسورية أنموذجا

إبراهيم محمد عبده موسى

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

كولالمبور

2017



Universiti Islam Malaysia

## الانحرافات الفكرية وأثرها على الربيع العربي: دراسة تحليلية نقدية،

### الحالة اليمنية والسورية أمودجا

#### الملخص

في حين أن الأمة تمر بأزمة اعوجاج حاد في مسارها السياسي والاجتماعي، زاد من تلك الأزمة قيام الثورات العربية التي باتت تعرف بالربيع العربي، والتي كان من المتوقع أن تجد فيه الشعوب العربية متنفساً من الاستبداد التي عانت منه لعقود من الزمن، غير أن ذلكم الربيع العربي تسبب بفتح الباب أمام بعض التيارات المنحرفة فكرياً، وغيّرت مساره وحطمت معها آمال الشعوب، ولذا جاءت الحاجة لمثل الموضوع الذي يوضح أثر هذه الانحرافات على ظاهرة الربيع العربي، وقلب معادلته. فكان من أهداف الدراسة الكشف عن بعض التيارات المنحرفة فكرياً؛ والتي تنتسب لأهل السنة، وهما تنظيم داعش والتنظيم الحوثي. وتناول البحث نماذج لثورات الربيع العربي، وهي الثورة السورية واليمنية، كما هدفت الدراسة إلى بيان حالة الربيع العربي، وإلى بيان أثر تلك التيارات على الثورات العربية، والعالم الإسلامي. وكان المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، هو الذي انتهجته الدراسة. وخلصت الدراسة إلى بعض النتائج؛ منها بيان الأسباب المؤدية إلى الانحراف الفكري، والأسباب التي أدت لاندلاع الربيع العربي. والحيادية في الحكم على الثورات وعلى التيارات، وأنه لا ينبغي النظر إليها من جهة واحدة، بحيث نأخذ أقوال العلماء من جهة، ونهمل أدلة وإجماع علماء من جهة أخرى. كما استنتجت الدراسة أهم التيارات المؤثرة على الربيع العربي؛ وكان من أبرزها وأخطرها على الأمة هي من وافقت الشيعة والخوارج في العصر الحديث، ومدى الأثر البالغ الذي خلفته في تغيير مسار الربيع العربي، وأشارت إلى النقيض الحاصل بين الفكر التكفيري والفكر التوفيقي، وإلى ظاهرة الإرهاب والغلو، والذي كثر الحديث عنه بين إفراط وتفريط، كما كان من نتائجها ضرورة التسليم لحقيقة الصراع القائم بين الحضارات، ولا يتم تكامل هذا الصراع إلا بالتأكيد على سنة التدافع، كما سلّطت الدراسة الضوء على قضية الخروج على الحاكم، وشرعية التغيير.

الكلمات الدلالية: الإيمان، الانحراف، الفكر، العقيدة، الربيع العربي، داعش، الحوثية، التدافع، الغلو.

# الانحرافات الفكرية وأثرها على الربيع العربي: دراسة تحليلية نقدية،

## الحالة اليمنية والسورية أنموذجا

### Abstrak:

Dalam pada era umat Islam melewati krisis pergolakan politik, agama, dan sosial yang meruncing, ia diparahkan lagi dengan kewujudan revolusi Arab yang dikenali dengan Revolusi Arab Musim Bunga yang dijangkakan bangsa Arab akan terlepas bebas daripada kezaliman yang ditanggung beberapa dekad. Malangnya, Revolusi Arab Musim Bunga ini menyebabkan terbukanya pintu kepada aliran ideologi pemikiran menyeleweng, juga mengubah corak perjalanannya dan menghancurkan harapan bangsa Arab. Oleh itu, pengkaji berasa terpacu untuk menjelaskan kesan penyelewengan ini terhadap fenomena Revolusi Arab Musim Bunga dan perubahan percaturannya. Objektif kajian ini pula untuk mendedahkan beberapa aliran yang menyimpang daripada Ahli Sunnah wal Jamaah seperti Daesh, Jamiyya dan Houthi, di samping membawakan contoh-contoh revolusi Arab Musim Bunga iaitu revolusi Yaman dan Syria. Kajian ini turut menjelaskan kesan aliran tersebut terhadap Revolusi Arab Musim Bunga dan dunia Islam. Pendekatan yang digunakan oleh pengkaji ialah kaedah induktif dan analisis kritis yang mana kemudiannya dapatan kajian disimpulkan kepada beberapa hasil, antaranya ialah; menjelaskan faktor yang membawa kepada penyelewengan akidah, punca terletusnya Revolusi Arab Musim Bunga, keneutralan atau tidak berat sebelah dalam menilai revolusi dan aliran-aliran tersebut dengan tidak melihat pada satu sudut pandang sahaja seperti mengambil pandangan sebahagian ulama dan menolak dalil serta ijmak ulama. Pengkaji juga turut menerangkan beberapa aliran paling menonjol dan berbahaya yang memberi kesan kepada Revolusi Arab Musim Bunga iaitu Syiah, Khawarij dan Murjiah masa kini. Seterusnya pengkaji menjelaskan tahap kesan yang diakibatkan oleh aliran ini kepada corak perjalanan Revolusi Arab Musim Bunga. Kajian menunjukkan kepada percanggahan yang timbul akibat pemikiran *takfiri* dan *taufiqi*, juga kepada fenomena keganasan dan ekstremis yang menjadi polemik. Dapatan juga menjelaskan perlunya menerima hakikat kewujudan pertembungan peradaban dan ia tidak akan sempurna kecuali dengan adanya *sunnah al-tadafu`*. Selain itu kajian juga membincangkan isu pemberontakan terhadap penguasa juga pensyariatian mengubah sistem.

**Kata kunci:** iman, penyimpangan, pemikiran, Akidah, musim bunga Arab, terburu-buru, Huthia, Sunnis, keramaian. pertembungan peradaban.

# الانحرافات الفكرية وأثرها على الربيع العربي: دراسة تحليلية نقدية، الحالة اليمنية والسورية أنموذجا

## **Abstract:**

While the nation is undergoing a sever crisis in its political and social course, Arabic revolutions, which have been known as Arab Spring, have worsened this crisis. It was expected that Arab people would find an outlet to the despicable tyranny from which they had suffered for decades. However, it is found that that Arab Spring has got the door opened to some intellectually deviant trends, resulting in changing its course and shattering the hopes of peoples. Therefore, this study is needed to highlight the effect of these deviations on the Arab Spring Phenomenon and on turning its equation. One of the study's objectives was to identify some of the doctrinally deviants trends that belong to the Sunni, which are the organizations of ISIS, and Houthi. The study aimed at showing the state of the Arab Spring and the effect of such doctrines on it and on the Islamic World as well as highlighting the issues of the ruler's disobedience and the legitimacy of change. This study made use of the Yemeni and Syrian revolutions as models of the Arab Spring revolutions. The study adopted the inductive, critical and analytical approach. The findings showed several results one of which is identifying the reasons behind doctrinal deviation and the reasons for the Arab Spring. The study proposed that neutrality should be foregrounded in judging these trends and Arab revolutions, so they should not be judged on the basis of one view rather than the other, as some of the scholars' sayings are taken into considerations while other evidences and sayings of other scholars are not. The study also revealed the most influential and dangerous groups on the Arab Spring, which were recognized as those groups that have recently followed Shia, Kharijite, and Murjia, revealing the profound impact that these groups had on changing the Arab Spring course. The study pointed out the contrast between Takfiri ideology and reconciling ideology and the phenomenon of excessiveness and terrorism, which has been sometimes overstated and sometimes understated. It was found out that the conflict among civilizations has to be taken for granted, which cannot be achieved unless we emphasize the law of contest.

**Tags:** faith, deviation, thought, creed, Arab spring ISIS, Houthi, scramble, exaggeration.

## الإهداء

إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة؛ صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلام الدهر على سراج الأمل، بلا فتور أو كلال، إلى من علّمتني كيف يكون العطاء، وغرست في نفسي بوفائها كيف يكون الوفاء، إليك يا زهرة الحياة ونورها، إليك أماه... قطرة في بحرك العظيم... حباً وطاعة وبراً... أهدي هذه الرسالة؛ وشتان بين رسالة ورسالة.

إلى من كلّل العرق جبينه، وشققت الأيام يديه وقدميه.

إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار.

إليك والدي أطل الله بقائك، وألبسك ثوب الصحة والعافية، وامتني ببرك ورد جميلك.

بكل الحب والوفاء... إلى رفيقة دربي... إلى من سارت معي نحو الحلم، خطوة بخطوة، وقضت الليالي والأيام في خدمتي وراحتي، لنحقق ما نتمناه، فهناك حلمنا؛ بذرناه معاً، وحصدناه معاً، وسنبقى معاً بإذن الله؛ إليك ربحانة قلبي... وروحه... زوجتي الغالية.

إلى أولادي وأخواتي وجميع أهلي... إلى أمتنا الإسلامية، إليكم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع.

## شكر وعرfan

تتراحم الكلمات وتتسابق العبارات، وتتقاطر العبرات، لتنظم عقداً مرصعاً بالشكر والعرfan، فأول  
الشكر لله العلي القدير؛ الذي أنعم عليّ بإتمام هذا البحث، وجعلني أحصد ما زرعت له لسنواتٍ قضيتها  
في طلب العلم، وها أنا بفضلته ومنه أجني ثمار ذلك الطلب.

ثم إنني أثني الشكر والتقدير لجامعة ملايا التي أتاحت لي فرصة اللحاق بركب الدراسات العليا؛  
وأخص بالشكر أكاديمية الدراسات الإسلامية، متمثلة في عميدها داتو ذو الكفل؛ لما قدمه لي من  
تسهيلات، وتذليل للعقبات، للوصول إلى نهاية المضمرة، والتي أرجوا أني قد حققت السبق فيه.

كما أن هناك نجوم براقه، تزين سماء جامعتنا العظيمة، لا يخفت بريقها عنا لحظة، نستضيء بضوئها  
تحمّل قلوباً كريمة، تسعد بلمعائها كل طالب علم، فاستحقت وبكل فخر أن يُرفع اسمها عالياً، ومهما  
نالت من الثناء فلن يوفيها حقها، وهم جميع الأساتذة في الأكاديمية الإسلامية المباركة.

ومن استحق ثناء حسناً لا مبلغ لمنتهاه؛ أستاذي القدير الدكتور سيد محمد حلمي، وأستاذي  
القدير الدكتور علي بن علي ساجد، فقد كانا خير عون لي في دراستي، ولم يبخل عليّ بوقتها ومشورتها،  
فأكرم بهما من موجه ومرشد.

وكذا لا يفوتني أن أتقدم بالوفاء والعرfan، تقديراً مني بالجميل للدكتور المخلص، عبد الناصر سلام  
الذي لم يتوان في مساعدتي لحظة لإيصال البحث لما وصل إليه، فهو صاحب الفضل في توجيهي  
وإرشادي.

وأخيراً: أتقدم بجزيل شكري إلى كل من مدوا لي يد العون والمساعدة في إخراج هذا البحث علي  
أكمل وجه.

## فهرس المحتويات:

i	الملخص.....
ii	Abstrak:
iii	Abstract:
v	شكر وعرفان
vi	فهرس المحتويات:
1	مقدمة الدراسة والإطار المنهجي لها
2	التعريف بعنوان الرسالة
3	المقدمة:
7	أسباب اختيار الموضوع:
8	مشكلة الدراسة:
10	التساؤلات البحثية:
10	أهداف الدراسة:
10	أهمية دراسة الانحراف الفكري:
12	منهجية الدراسة:
12	منهج جمع البيانات
12	منهج تحليل البيانات:
13	المنهج النقدي:
14	الدراسات السابقة:
21	حدود الدراسة:
22	هيكل الدراسة:
24	التمهيد: مفهوم الإيمان والانحراف
25	تمهيد: مفهوم الإيمان والانحراف
27	المطلب الأول: مفهوم الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام:
27	الأول: (الأمن):
28	الثاني: (التصديق):
41	المطلب الثاني: مفهوم الانحراف،
42	تعريف الانحراف لغة واصطلاحا.
46	المطلب الثالث: الانحراف الفكري، والعوامل المؤدية إليه.

56	الفصل الأول: ثورات الربيع العربي، الأسباب والتحديات
60	المبحث الأول: الثورات العربية بين الربيع والخريف
61	المطلب الأول: حالة الربيع العربي
75	المطلب الثاني: الربيع العربي بين الانحياز والحيادية:
91	المبحث الثاني: الأسباب المؤدية للربيع العربي، وأثر التدخلات الخارجية والداخلية عليه.
93	المطلب الأول: الأسباب المؤدية للربيع العربي:
118	المطلب الثاني: التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الربيع العربي
128	الفصل الثاني: التيارات الفكرية وأثرها على الربيع العربي
129	المبحث الأول: اختلاف الأمة وافتراقها
129	المطلب الأول: مفهوم الاختلاف والافتراق:
137	المطلب الثاني: اختلاف الأمة والأسباب المؤدية إليه، ومفهوم أهل السنة
179	المبحث الثاني: أثر التيارات المنحرفة على الربيع العربي:
181	المطلب الأول: التيار الموافق للخوارج في العصر الحديث؛ (داعش)
184	أولاً: النشأة والتعريف:
186	ثانياً: مخالفة (داعش) لمعتقدات أهل السنة، وأقوال العلماء فيهم:
195	ثالثاً: الانحرافات وأسبابها لدى تنظيم (داعش)
205	رابعاً: أثر تنظيم الدولة (داعش) على الربيع العربي:
212	المطلب الثاني: التيار الموافق للشيعة في العصر الحديث: (الحوثية).
213	أولاً: النشأة والتعريف:
217	ثانياً: أقوال علماء الزيدية في الحوثية:
219	ثالثاً: التوجه الفكري لدى الطائفة الحوثية:
231	رابعاً: أثر حركة الشباب المؤمن (الحوثية) والتغلغل الرافضي على الربيع العربي:
238	الفصل الثالث: قضايا فكرية، وأثرها على الربيع العربي
246	المبحث الأول: بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع الدولي
248	المطلب الأول: الصراع العقدي، وسنة التدافع.
272	المطلب الثاني: نظرية المؤامرة، بين الوهم والحقيقة.
289	المبحث الثاني: بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع والفرد المسلم.
303	المطلب الثاني: ظاهرة الغلو الفكري، والفكر التوفيقي.
303	أولاً: ظاهرة الغلو الفكري.

314	ثانيا: ظاهرة الفكر التوفيقي:
<b>320</b>	<b>الخاتمة:</b>
324	النتائج:
327	التوصيات:
328	المراجع والمصادر:

University of Malaya

## مقدمة الدراسة والإطار المنهجي لها

University of Malaya

## التعريف بعنوان الرسالة

عنوان الرسالة يسبح بدفتيه في أربعة أفلاك:

### الفلك الأول: يسبح في سماء العقيدة.

فهذا العنوان يشير إلى دلالة العقيدة، وكل ما يتعلق بذلك في موضوعنا.

### الفلك الثاني: يسبح في الفضاء الفكري.

يشير إلى الانحرافات الفكرية لبعض التيارات المنتسبة للإسلام والتي كانت لها آثار سلبية على الأمة على مدى التاريخ الإسلامي، والتي خصصت لها هذه الدراسة وهي: تنظيم الدولة الإسلامية أو ما بات يعرف بـ (داعش)، وتنظيم الشباب المسلم، أو ما بات يعرف بـ (الحوثية).

### الفلك الثالث: يسبح في الهواء السياسي

حيث يلقي بظلاله على الربيع العربي، وما هي الدوافع من قيامه، وما هي نتائج تلك الثورات.

### الفلك الرابع: وهو ما يتعلق بتزكية النفس وتربيتها.

فناه قد جمع جميع تلك المعاني فيما يتعلق بتزكية النفس وتربيتها على العقيدة الصحيحة؛ والتي تعلق بها الآمال.

## المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير. له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم الرسل والأنبياء، وإمام المجاهدين والعلماء، اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحابه الأجلاء، وعلى السائرين على دربه إلى يوم اللقاء، ما تعاقب الصبح والمساء.

أما بعد: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: 70، 71]، وبعد: فان أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فإن الله تعالى قد خلق الإنسان على الحنيفية السمحة، وفطره على التوحيد الخالص، وأخذ عليه العهد في الوجدانية له وحده وهو في صلب أبي البشر عليه السلام، وجعله يشهد على هذه الحقيقة من لدن خلقه في صلب أبيه آدم، قال الله تعالى مبينا ذلك الميثاق: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: 172-174]، ثم أمره سبحانه باتباع الصراط المستقيم الذي بينه له، وجلاه له أوضحه له أيما إيضاح؛ بإرسال الرسول تلو الرسول؛ ليرشدوا الناس ويدلوهم على هذا الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 153]، ومع ذلك نجد أن البعض انتهج طرقاً مائلة ومنحرفة عن الصراط المستقيم، لسبب أو لآخر.

وكما أن الخطى قد تنحرف، فإن العقيدة والفكر كذلك قد ينحرفا عن المسار الصحيح، لذلك أرسل الله الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ لتصحيح هذا المسار، وليبين صراط الله المستقيم، ولكي تقوم عليهم الحجة البالغة التي لا تترك لهم المجال في التحجج والأعذار، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 163-164]، بدأ بنوح عليه السلام، ومروراً بأبي الموحدتين إبراهيم عليه السلام، وختماً بمحمد ﷺ، الذي بلغ التوحيد، وأبانه حق البيان، فدعا وجاهد لأجله، وأقام منارات العلم والهدى لإيضاحه، وأثبت الأحكام وأرسى الشريعة، وأقام الحدود لاستقراره، وأنشأ مجتمعاً هو خير مجتمع ظهر على وجه الأرض؛ اتبعوا الحق، واستسلموا للأمر والنهي، وحكّموا شريعته فلم يبدلوا ولم يغيروا، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، فنالوا وسام الرضى من رب الأرض والسماوات، قال الله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

فكان هناك من تناول على العقيدة وأهلها، وأجلب عليها بخيله ورجله، فباتوا يدسون سموهم وينفتوا درنهم الفكري، والفكري، على المجتمع المسلم، وقد تعدد أولئك المتطاولون؛ فالبعض منهم معلوم الضرر، واضح المنهج في الضلال والكفر، كالتيارات الإلحادية، والماسونية، والليبرالية، والحادثة، وغيرهم؛ ولوضوح ضلالهم رأيت ألا أتعرض لهم في هذه الدراسة، مع أن التصدي لهم يعد من الواجبات المحتتمات، ولكن لعلّ الله أن ييسر لي الحديث عنهم في بحث مستقل، أما الأخطر في رأيي في هذا الوقت وبالذات في زمن الربيع العربي وما بعده؛ حينما ظننا أن الأمة قد استيقظت من نوم الغفلة، ونفضت عنها غبار - بل تراب - الذل، جاء أولئك فدخلوا على المجتمع المسلم باسم الدين، والحرص على العقيدة، وتخليص المجتمع من الظلم، وأخذ الحقوق للمظلوم، والبكاء والتباكي على آل البيت.

فما رأينا من أولئك إلا أن أخرجوا الناس من نور الحق إلى ظلمات الباطل، ورميهم من منارة التوحيد إلى حفرة البدع والخرافات، وقذفهم في مستنقع الغلو والإرهاب، ومحاولة تبديل إيمانهم إلى نفاق وشبهات، والزجّ بهم في متاهات الشك والغوايات، ولا شك أن كل ذلك يعد انحرافات في المعتقدات.

فكان لزاماً أن يوضح للأمة خطورة هذه المفاصد، ويجلّي لأبناء ملته هذه الشوائب، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنعام: 55]، وقوله تعالى في بيان حاجة الناس إلى التوحيد والإيمان، وأنه سبحانه ليس بحاجة لهم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7]، وأعظم الشكر هو افراد الخالق بالتوحيد.

ولضرورة الإسهام في التصدي لتلك التيارات المنحرفة، أحببت أن أشارك بهذه الدراسة لعلها تسهم بإذن الله تعالى في الكشف عن خطر من هذه الأفكار الموبوءة، وبيان الانحرافات المشينة.

لا شك أن هناك كثير من المؤثرات قد ساعدت في انحراف مسار الربيع العربي، وبدلت الكثير من التصورات والتوقعات التي تنبأ بها الكثير من المفكرين والمحللين، كالمؤثرات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وجميع هذه المؤثرات وغيرها قد لعبت دوراً كبيراً في إيدولوجية الربيع العربي، غير أنني قد ركزت على المؤثرات المتعلقة بعقيدة المسلم، لأن المؤثرات الفكرية هي المؤثر الأهم بنظري، فلو صلحت عقائد الناس واستقامت لما حدث مع حدث في العالم كله، وفي دولنا الإسلامية على الخصوص.

ثم إني رأيت أن أتعرض فقط لبعض هذه الطوائف أو الأفكار التي تُعتبر هي أساس الفرق ومنها تحدّرت أكثر الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة منذ ظهورها، وهم من وافق: (الخوارج، والشيعية) في العصر الحديث، فسلطت الضوء على تلك الطوائف التي تحدّرت من تلك الطوائف الأم، وكيف أنهم قد وافقوا تلك التيارات في كثير من الانحرافات الفكرية، وبينت زيف ادعائهم بالتمسك بالدين، والحرص على نشر العقيدة الإسلامية، التي جعلت الكثير من المسلمين يتأثر بهم في مجتمعنا المسلم، وينخدع بهم، بل ويتبنى الترويج لأفكارهم المنحرفة، فكان لهذه التيارات أثر كبير على المجتمع المسلم بالعموم، وعلى الربيع العربي بالخصوص، وهذه التيارات هي: تنظيم الدولة الإسلامية؛ [داعش]، وتنظيم الشباب المسلم، [الحوثية].

كما أوضحت مدى التوافق والتشابه الذي بين كل تيار من التيارات الحديثة والتيارات القديمة التي ارتبطت بها فكراً، أو بعبارة أخرى: (وافقتها) على نفس المنهج والمعتقد، وحتى لا يرى البعض أو يستقل إطلاق أو مسمى الطائفة الأم على حفيدتها نفس المسمى، آثرت أن أطلق عليهم: من وافق تلك التيارات، لعلها تكون أنسب والطف في العبارة، وقد ذكرت هذه الفرق حسب التسلسل الزمني للفرقة الأم وليس حسب الظهور الزمني لنشئة التيار الحديث.

ثم أتيت على ذكر موجز للربيع العربي، وتلك التظاهرات والاحتجاجات، وماهي الأسباب الدافعة وراء تلك الثورات، وهل ما كانت الشعوب تؤمله تحقق في تلك الثورات؟ وهل كان الربيع أملاً أم أملاً؟

وأكدت على تأثير تلك التيارات على مسار الربيع العربي، وكيف كان لها دور في تحويل ذلك الربيع بنسماته العلية، إلى خريف حمل معه الرياح والعواصف، وقلبت الميزان رأساً على عقب، فبعد أن أصبح الربيع العربي في نظر الغالبية العظمى يحمل معه الخير للناس، أصبح يُنظر إليه أنه مصدر للبلاء، ورأس للفتنة، وجالب للشرور، مع أنه كان في بداية أمره بوابة أمل لكل الشعوب المظلومة والمحرومة من أبسط حقوقها.

كما إنني أوضحت بعض المفاهيم والقضايا الفكرية التي تتعلق بالفرد والمجتمع المسلم، وكذلك ما يتعلق بالمجتمع الدولي، من أثر تلك الانحرافات، والتي ينبغي على المسلم أن يهتم بها للعناية بمعتقداته ومصدر التلقي السليم، كي يسعى لمجاهدة نفسه ومخالفة هواه، للنهوض بالأمة الإسلامية من ضعفها وتأخرها، ولن يكون ذلك إلا بالرجوع إلى الوحيين (القرآن والسنة)، بطريقة الصحب الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

فالله أسأل جل في علاه، الذي من على العرش استوى، والذي وسع كرسيه الأرض والسماوات العلى، أن يوفقني للإتيان فيها بكل ما هو مفيد ونافع لأمتنا الإسلامية، ولجتمعتنا المسلم، وأن يبارك في هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم، ويكتب له القبول... إنه سميع عليم.

## أسباب اختيار الموضوع:

ظهور بعض الانحرافات الفكرية، مما ساعد على تفشي الأفكار المنحرفة في المجتمع المسلم، وتأثر بعض أبناء المجتمعات المسلمة بذلك. وكان من أبرزها وأخطرها على الأمة تلك التي غيرت مسار الربيع العربي، من التيارات الحديثة التي وافقت أسلافها من الخوارج، وهم تنظيم الدولة الإسلامية، والذي أصبح يعرف إعلامياً بتنظيم (داعش). كما عرف عنه قطع الرؤوس وحرق الناس والتنكيل بهم، زعماً منهم أن ذلك تطبيقاً لشرع الله. ولا أقل من تيار داعش تلك الجماعة التي وافقت الشيعة؛ وهم: تنظيم الشباب المسلم والذي عرف إعلامياً بالحركة (الحوثية)، والتي ظهرت فعلياً في اليمن واشتدت نجمها مع الحرب المضاربة التي تواجهت فيها مع الحكومة اليمنية عام (2004). مع أنهم يؤكدون أنهم لم ينقلبوا على المذهب الزيدي، والواقع الذي سنبينه يقول عكس ذلك. هذه التيارات قد خالفت النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يلتقون في نقطة مشتركة وهي، الحرب على المخالف، بشتى معاني الحرب.

تأثير تلك الانحرافات الفكرية على ظاهرة الربيع، بل والأمة الإسلامية، وقلب معادلته، وكونها من أشد المعوقات لتقدم المسلمين، وأنها أهم سبب الفرقة بينهم، وهي أساس الصراعات، ولذا كان لا بد أن يكون لها اهتمام بالغ من المعنيين والمتخصصين في هذا الشأن، ومن هذا المبدأ انطلقت هذه الدراسة، والتي تركز على تأثير تلك الانحرافات وما كان لها من أثر واضح مع ظاهرة الربيع العربي، كيف لا والمتأمل يرى صوراً متعددة للانحراف الفكري في المجتمعات المسلمة المعاصرة، والتي أطلت بحلل جديدة، فيها من الخداع والتضليل التي يحتج بها كل تيار من تلك التيارات المنحرفة، ومن ثم التبصير بهم، وتخص الدراسة الكلام عن معتقد الشيعة والخوارج والمرجئة، في الزمن الحاضر، وبيان حقيقتهم وخطورتهم. كما أن هناك جانب آخر من أثر تلك التيارات الفكرية المنحرفة وهو تحديد أساليب الصراعات الغربية وتنوعها على المجتمع المسلم بصور مختلفة، والذي ساعد في توسع دائرة المؤامرات؛ مما مكّن لأعداء الإسلام أن يستغلوا ظاهرة الربيع العربي، مما ساهم في تقوية تلك التيارات المنحرفة على الساحة، فساهم ذلك في النيل من الإسلام بحجة الإرهاب، والتي أصحب هو اللباس الذي ألبسه الغرب للمسلمين للهيمنة عليهم.

إن ترك الناس دون دعوة إلى التمسك بالدين الصحيح، ودون بيان لوقع السهام الموجهة على الأمة الإسلامية، والكشف عن حقيقة المؤامرات التي تحاك في جنح الظلام على أمتنا الإسلامية، وبيان أضرار الفرق المخالفة، وأن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا

بزمهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر. فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتداداً يسري في الأمة سريان الوباء. وأقرب مثال على ذلك فرقة المعتزلة، أليس أفكارهم لا زالت حية قوية يتشدق بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية أو الشرقية، فراحوا يمجّدونها ويحكمونها في كل الأمور، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء. كما أن هناك من يسقي غرسها بماء نجس، كل ذلك فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت، ما من فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على كثير من المنكرات، وهي تدعي أنها هي المحقّة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقة لترويج بدعهم، والدعوة لها. وإن دراسة الفرق برأبي هو سبيل الدعوة إلى اجتماع واتحاد كلمة المسلمين، الذي أنتم على الوجه السليم؛ فإن فيه تكثير لسواد الفرقة الناجية، بسبب انضمام أولئك المنحرفون عن الحق، بوقوفهم إلى جانب إخوانهم أهل الفرقة الناجية—أهل السنة والجماعة—، وإن تركزنا لدراسة الفرق يفوّت علينا هذا الخير العظيم.

### مشكلة الدراسة:

1) تتمثل مشكلة الدراسة في تفرق مادتها العلمية في بطون الكتب من أمهات وكتب فكرية وكتب أجنبية، لأنّ حادثة الربيع العربي تعتبر من الحوادث المعاصر بل والحديثة؛ إذا لم يمضي عليها سوى بضع سنوات، كما أن الدراسة تتعلق بقضية مهمة وهي من أهم القضايا الفكرية، وهي انحراف العقيدة، كما تطرق باب التيارات الفكرية المنحرفة وأثرها على الربيع والتي خصصنا منها تيار داعش، والتيار الحوثي، والتي ربما لا تُتقبل نتائج الدراسة إذا تباينت عن هواهم ومنهجهم، كما أن الطرف المضاد لهذه التيارات أي كان نوعه، فكراً أو سياسياً أو اجتماعياً قد لا يتوافق مع بعض النتائج التي جاءت على خلاف قناعاتهم، مما قد يجعلها لا تتواءم مع الطرح الرائج في المجتمع أو في العالم مع تلك النتائج.

2) كما إن المتابع للساحة العربية يجد أن الحدث الأهم والأكبر في تلك الدول هو الكلام عن ثورات الربيع العربي، بين مؤيد محض لهذه الثورات على ما خلفته من وبال على تلك الدول، وبين معارض لها جملة وتفصيلاً، ويتمنى أنها لم تقم البتة، وفريق ثالث بينهما وهو المؤيد بضوابط أو المعارض بضوابط، وإن الأهم في حوارات الشارع العربي هو ما خلفته تلك الثورات من تدهور اقتصادي بسبب الحروب والدمار، ونسوا أو تناسوا أن السبب الرئيس من وراء الخلاف والتفرق الذي يعيشه المسلمون اليوم، كان من دوافعه المهمة

هو الانحرافات الفكرية والتنازعات الفكرية، والسبب الرئيس في ذلك هو مخالفتهم لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 64]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، فالتنازع والتفرق والخلاف؛ لاشك أنهم من أسباب الضياع والضعف، ونبته الصراعات والانحراف في الشباب المسلم، المؤدي إلى التخلف والتأخر عن الأمم، كما أن هناك خطأ أصبح دارج لدى الكثير من المفكرين قبل عوام الناس، وهو أن المناذاة بالرجوع للاعتصام بالكتاب والسنة أنهما أساس التخلف، هما المنجى من التخلف الفكري، ونسى أولئك أن دولة الإسلام لم تكن قوية على مدى التاريخ إلا عندما تمسك أهلها بالعتيدة، وبالوحي قامت الحضارات، ولأجل العقيدة قامت الصراعات السابقة والحالية؛ لأن الكل يسعى في سبيل خدمة ملته، وأن يصبح معتقده هو السائد في الأرض.

## التساؤلات البحثية:

يمكن توظيف مشكلة الدراسة في إثارة بعض التساؤلات للوصول للحالة المراد بحثها، وهي:

- 1) ما هو الربيع العربي؟ وما هي الأسباب الدافعة لقيامه؟ وما هي تحديات التغيير للشعوب العربية؟
- 2) هل أنعشت الثورات العربية بعض التيارات المنحرفة عقائدياً؟ وما هي تلك التيارات؟
- 3) ما مدى تأثير تلك التيارات المنحرفة التي ظهرت مع الثورات العربية على الربيع العربي؟

## أهداف الدراسة:

بناء على ما تقدم من الفرضيات تهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف التالية:

- 1) بيان حالة الربيع العربي، والأسباب التي أدت لاندلاعه، ومدى التحديات القائمة على التغيير.
- 2) دراسة نقدية في الكشف عن بعض التيارات المنحرفة فكرياً والتي انتعشت مع الثورات العربية.
- 3) تحليل أثر التيارات المنحرفة على الربيع العربي.

## أهمية دراسة الانحراف الفكري:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في قيمة هذا الموضوع الذي يركز على تجلية اللبس العالق لدى نفوس البعض حول بعض التيارات المتلبّسة بالإسلام، والتي في حقيقتها تحمل في كنفها الدمار للإسلام والمسلمين، والذي يمكن أن تستفيد منه المكتبة الإسلامية والعالمية لما يوليه من بيان لأثر بعض التيارات المنحرفة فكرياً على دول الربيع العربي العالم المجتمع المسلم برمته، والتي نجملها فيما يلي:

- 1) حجج الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية في موجة غير مسبقة في تاريخنا الحديث والمعاصر، والتي امتدت من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، والتي خرج فيها الملايين من الشعوب العربية، والكل كانت تجمعهم نفس الأهداف؛ وهي التخلص من الظلم الاستبداد، رغم اختلاف الأطر العامة التي ينطلقون من خلالها. وخطورة السيناريو المعدّ الذي شهدته الدول العربية بالعموم والدول الربيعية بالخصوص، والتي تحمل في الجانب الأخطر منها مؤشر التقسيم والتفتيت، إلى جانب الاستنزاف المالي والبشري، وكون الانحرافات الفكرية من أشد المعوقات لتقدم المسلمين، وأنها أهم سبب الفرقة بينهم، أساس الصراعات.

- 2) إن أغلب الأفكار والآراء التي سبقت وكان لها أتباع ينادون بتطبيقها؛ إما أنها قامت على أساس الانتقام من المسلمين؛ وكان ذلك بالاندساس بينهم، والتدمير من الداخل، أو عن طريق الاستحسان؛ وذلك

بأخذ بعض الفلسفات والعقائد من الديانات الأخرى، وكان من أثر ذلك ظهور النزعة الخارجية، وتنطع أهلها في الدين، واستحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفيرهم الشخص بأدنى ذنب - ولا تزال قائمة الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية على أشدها، موهمين الشباب ومن قلت معرفته بالدين أن الدين هو هذا المسلك فقط. كذلك نرى أن الإرجاء وقد اقتطعت من المسلمين أعداداً كثيرة، مثقفين وغير مثقفين، جَرَفَهُم ذلك التيار اليه فراحوا ينادون بتفسيق وتجهيل من ليس على نهجهم، وتنامي لديهم الغلو في تقديس طريقتهم حتى أن من خالفهم فهو ليس من أهل السنة في شيء. كما نرى الجراحات المؤلمة التي أنكأ جراحها الرفضة، في ديار المسلمين شرقاً وغرباً، والذي وصل بهم التقديس لعلمائهم، والغلو في معممهم؛ حتى شابهوا في فعلهم هذا من سلف من الأمم ممن غلوا في الصالحين حتى أوصلوهم لمرتبة الإله في الحل والحرمة، وغير ذلك من المسالك المنحرفة لدى تلك الفرق.

(3) إن ظاهرة الربيع العربي، ظاهرة انتهت كحدث، ولكنها لم تنتهي كواقع، وستظل آثارها إلى أن يقضي الله برحمته ما يشاء لعباده في تلك الدول. ولذا كانت أهمية دراستنا، التي وإن كانت في ظاهرها دراسة للماضي، ومراجعة لتاريخ بعض الفرق المنحرفة فكرياً، والذين جَنَوْوا على ماضي المسلمين، إلا أنها دراسة حاضرة؛ لما تكشفه من الآثار التي خلفتها ولا زالت؛ والتي شتت قوى المسلمين وفرقتهم شيعاً، وجعلت بأسهم بينهم شديداً، وتأتي الأهمية لهذه الدراسة كونها نور يضيء لشبابنا طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل، الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام وشائنيه، وذلك بتوجيه الأنظار إلى تلك الفرق التي تعمل في الظلام لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام، مستغلة ظاهرة الربيع العربي أسوأ استغلال، وتتلازم تلك الأهمية في مساعدة المفكرين والباحثين فيما يتعلق ببعض التيارات المنحرفة فكرياً، والتي كان لها دور كبير في حرف بوصلة الربيع العربي عن وجهته الصحيحة.

## منهجية الدراسة:

للإجابة على التساؤلات السابقة وغيرها قمت بدراسة هذا الموضوع من خلال المنهج الاستقرائي الوصفي والمراد به (جمع المعلومات والبيانات)، والمنهج التحليلي النقدي والمراد به (تحليل البيانات) ومن ثم القيام بالنقد العلمي لها، وذلك كما يلي:

### منهج جمع البيانات

وذلك بجمع الأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والاستشهاد بالنصوص اللازمة للدراسة، وقدمت بعض الشواهد التي تخص الموضوع، من حيث الوقوف على وصف ظاهرة الربيع العربي، كما تم من خلاله جمع لأهم الأمور والحقائق المرتبطة ببعض التيارات المنحرفة في العصر الحديث، والتي كان للحادثة الربيع العربي دور بارز في إثرائها وإنعاشها، على النحو التالي:

- 1) جمع المعلومات من المصادر المتعلقة بالموضوع.
- 2) القيام بإيضاح النصوص ومراعاة ارتباطها بالموضوع.
- 3) ذكر أقوال الصحابة والعلماء من سلف الأمة فيما يتعلق بالموضوع ومناقشة الأدلة.
- 4) عرض لأقوال المفكرين والمحللين السياسيين في يتعلق بالموضوع.

ومن خلال الوقوف على تلك الظاهرة ووصفها وصفا دقيقا، لعب هذا المنهج دورا هاما في توضيح العلاقات بين التيارات الحديثة والتيارات القديمة ومدى الترابط بينهما، والذي يقوم خلاله بشرح تلك الظواهر على اختلافها، مما قد يساعد الباحثين والمفكرين في هذا المجال على دراسة هذه الظواهر، وفتح المجال الواسع أمامهم لإكمال المشوار.

وبالرغم من أن هذا المنهج يواجه صعوبة من حيث تعميم نتائجه؛ وذلك لأن النتائج مرتبطة بزمان وهو زمن الربيع العربي، ومكانه دول الربيع العربي، وبالتالي فإن التنبؤ بالنتائج يبقى محدودا وذلك لأن العوامل المتغيرة على الساحة العربية والإسلامية قد تلعب دورا كبيرا في تغيير النتائج. بالإضافة إلى صعوبة توافر الدراسات من الرسائل العلمية كون هذه الظاهرة؛ ظاهرة الربيع العربي، تعتبر ظاهرة حديثة لم تكتمل فيها الكثير من الدراسات، خاصة المتعلقة برسائل الدراسات العليا.

### منهج تحليل البيانات:

وذلك بدراسة تحليلية؛ والتي شتمت جميع فصول الدراسة؛ من دلالة العقيدة، وبيان الانحرافات المتعلقة بالفكرية، وما يتعلق بظاهرة الربيع العربي، وما يخص بعض التيارات التي انتعشت على إثر الربيع

العربي، وأثرها على مساره، وأهم القضايا الفكرية التي ختمت بها الدراسة. كما أن هذا المنهج يعتمد منهج الارتباط والذي يقوم على بيان علاقات وتربط، وإبراز أسباب وعوامل، في جوانب عدة من الدراسة، والمتعلقة ببعض قضايا، كالعلاقة بين الإيمان والإسلام، والفرق بين العقيدة،

### المنهج النقدي:

جاء المنهج النقدي في الفصل الثالث والرابع لما تطلبته الدراسة من خلال الكشف عن بعض التيارات المنحرفة فكريا، وإبداء النقد العلمي الهادف لتلك التيارات التي لعبت دورا مهما على الساحة الإسلامية والعالمية في الفترة التي باتت تعرف بالربيع العربي، والتي وصلت من خلاله إلى عدد من النتائج في الكشف عن بعض التيارات الفكرية المنحرفة عن منهج أهل السنة وإن كان البعض منهم يدعي أنه من أهل السنة كـ (تنظيم داعش)، وكذلك الكشف عن حقيقة الحركة الحوثية وأنها بعيدة أشد البعد عن الزيدية ابتداء، كما أنهم من أشد الناقمين على آل البيت؛ لا كما يزعمون!

من خلال البحث في بعض المكتبات العلمية، والاطلاع على شبكة الانترنت، حول ما قد تم طرحه بخصوص هذا الموضوع، فهناك الكثير من هذه البحوث والرسائل تطرقت للموضوع من خلال بعض الجوانب، فالبعض منها ركزت على الجانب الفكري فقط، والبعض الآخر تطرقت إلى الانحرافات بمفاهيم مختلفة، وكل دراسة من هذه الدراسات مستقلة بذاتها، ولم تتناول هذه الجوانب مجتمعة في دراسة واحدة. كما أن جميع هذه الدراسات لم تخصص الكلام على (الربيع العربي) ومدى تأثيره بتلك الانحرافات وهذا هو الأهم في رسالتي، وسوف أتناول بعض هذه الدراسات كما يلي:

أما يتعلق بالانحرافات الفكرية: فهناك بحث لعلي الزهراني؛ بعنوان: (الانحرافات الفكرية والعلمية في القرنين الثالث والرابع عشر الهجري)؛ وهي رسالة لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة، جامعة أم القرى (1415هـ). تعرض فيها المؤلف إلى حال الأمة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، وما طرأ عليها من الانحرافات فكرية كانت أو علمية، والتي أدت إلى تفريط الأمة في دينها، وقد توصل فيها الكاتب إلى نتائج كثيرة من أهمها: أن الأمة كانت قوية ومتقدمة ومتصدرة للعالم حين كانت محافظة على عقيدتها، وإن انحصار الإسلام في العبادة بمفهومها الضيق يعد انحرافاً خطيراً حدث في الأمة وأنها لم تضعف إلا حين فرطت في دينها، وانحرفت في عقيدتها. وأن الفكر الإرجائي من أخطر الانحرافات التي وقعت في الأمة، وإن عقيدة أهل السنة والجماعة قد أصبحت في تلك الفترة غريبة ومحاربة كما إن الفرق المعادية لأهل السنة؛ كالشيعة على اختلاف فرقها، قد ازداد نشاطها في تلك الفترة. كذلك أتى الكاتب على أهمية عقيدة الولاء والبراء في حياة الأمة، وأن الأمة لم تسقط فريسة للغزو الفكري، وتصبح تابعة لقوى الشر والكفر، إلا بعد أن حطمت تلك العقيدة في نفوس المسلمين على أيدي العملاء من المنتسبين إليها. وبين موقف العلماء في تلك الفترة لم يكن على المستوى المطلوب، بالإضافة إلى عزوف كثير منهم عن المشاركة في الأحداث التي عصفت بالأمة، ومع مشاركة البعض إلا أنها مشاركة غير فعالة. وبالرغم من أهمية هذه الدراسة وغزارة مادتها العلمية، إلا أنها اقتصر على موضوع الانحراف في العقيدة وركز على موضوع الإرجاء بنسبة عالية، ولم تتطرق للخوارج والشيعة في العصر الحديث، كما خصصت بالقرنين الثالث والرابع عشر، أما رسالتي سوف تتناول زمن الربيع العربي، والكشف عن التيارات التي أثرت على الربيع العربي، والتركيز على ثلاثة من تلك التيارات والتي لعب دوراً كبيراً في مضمار الثورات العربية.

كما أن هناك بحث معدّ من عبد العزيز البداح وهو بعنوان: (الانحراف في الأمة: أسبابه، آثاره، سبل مواجهته): والذي أراد مؤلفه أن يعالج واقعاً قائماً، رصدته رصداً دقيقاً، وتتبعه واستقراه من أحوال المنحرفين والمتساقطين، رابطاً ما ذكره من أسباب ومظاهر للانحراف بمنهج السلف أقوالاً وأفعالاً. وقد بدأ المؤلف كتابه بتمهيد تحدث فيه عن وجوب الاستقامة والتحذير من الانحراف، مستنداً على ذلك بنصوص الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، وأقوال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، ثم شرع في الكتاب والذي تألف من ثلاثة فصول: خصّص في الأول منها: المؤلف هذا الفصل للحديث عن أسباب الانحراف في هذه الأمة، فعددها في ثمانية عشر سبباً، وتحدث في الفصل الثاني عن الآثار المترتبة على الانحراف؛ سواء كانت هذه الآثار على الفرد أو المجتمع أو الأمة جمعاء، فذكر من آثارها على الفرد أنها سبباً في تحبطه وقلقه، بل ربما يكون من آثاره الإلحاد والعياذ بالله. وأما آثار الانحرافات على المجتمع فذكر منها التفرق الذي يصيب الأمة واختلافها، وسقوط الدول، وتسليط الأعداء على الأمة، وفي الفصل الثالث ختم المؤلف كتابه، بتناول السبل المتبعة في مواجهة الانحراف، فعدد منها مجموعة سبل أهمها: الرجوع إلى الكتاب والسنة، قيام العلماء بواجبهم ومحاربة أهل البدع، ومما يميز الكتاب أنه جمع بين أقوال السلف فيما له صلة بالعنوان، ويذكر شواهد من مخالفة المعاصرين لمنهج السلف بذكر الأسماء تارة وبالتلميح تارة أخرى، غير أن المؤلف لم يأتي على ذكر التيارات المنحرفة عقائدياً في العصر الحديث وإنما تناول موضوع الانحراف بالمجمل، ولذا كان موضوع التيارات المنحرفة في عصرنا يحتاج إلى إيضاح بصورة أكثر. وهذا ما سوف أتناوله في بحثي بعون الله.

ومن كتب أيضاً عن قضية الانحراف في العقيدة أيضاً سعيد الغامدي، تحت عنوان: (الانحراف الفكري في أدب الحداثة وفكرها): هو عبارة عن رسالة دكتوراه تقدم بها الكاتب إلى كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعتبر هذا البحث من أهم البحوث وأعظمها فائدة، إذ تعمق فيه مؤلفه حول قضية الحداثة، وفي عنوان الكتاب ذكر رموزاً كثيرة من رموز العلمنة والزندقة في هذا العصر. وبدأ المؤلف الرسالة بمقدمة ثم تمهيد للرسالة بحديث موجز عن شمول الإسلام لكل أعمال الإنسان ومناشطه، وعن علاقة الأدب بالاعتقاد، ونبذة عن الانحرافات الفكرية المعاصرة في مجال الثقافة والفن والأدب، ثم تكلم في صلب الموضوع من خلال أبواب البحث الآتية: الباب الأول: خصصه للانحرافات المتعلقة بالله تعالى. والباب الثاني تعرض فيه للانحرافات المتعلقة بالملائكة والكتب المنزلة والأنبياء. والباب الثالث تحدث فيه عن الانحرافات المتعلقة باليوم الآخر والقدر. والباب

الرابع خصصه للانحرافات المتعلقة بالأحكام والسلوك ونظام الحياة. فالبحث ركز على موضوع الانحراف فيما يتعلق بالحدائث، ولم يتطرق للانحرافات الفكرية عموا وللتيارات المنحرفة المعاصرة؛ كالحوثيين وداعش ومرجئة العصر. كما لم يكن عند كتابة رسالته ثم ربيع عربي، ولذا فإن هذه الدراسة سوف تضيف بإذن الله تعالى على الدراسة السابقة كل ما يتعلق بتيار داعش والتيار الحوثي، والتي ظهرت حديثاً بهذا المسميات، ومدى الترابط بينها وبين الفرق الأم من الخوارج والشيعة المرجئة، بعون الله تعالى.

كما كتب الباحث زاهر الشرايفي بحثاً بعنوان: (دور العقيدة في علاج الانحرافات الفكرية

والسلوكية)؛ وهو بحث مقدم لكلية أصول الدين قسم العقيدة والمذهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية غزة، أراد الباحث في هذه الرسالة التحدث على بعض الأمراض التي أصابت الأمة، والوقوف على أهمية العقيدة في حياة المسلم، وذلك في حديثه عن الولاء والبراء، وتطرقة لباب النفاق، والتعريف بمفهوم الشهادتين، ثم إظهار دور العقيدة في علاج الأمراض التي أصابت الأمة سواء في الانحراف الفكري والمتمثل الولاء والبراء، البدع، والتوسل المذموم، والنفاق، والتكفير، وعالج ذلك بالتصور الإسلامي؛ من خلال فهم النصوص الشرعية. كما عالج الانحراف السلوكي المتمثل في التطرف والغلو، والانحراف عن القيم والأخلاق، ونشر الفواحش، والتقليد للكافرين. غير أن الباحث اقتصر في بحثه على الأسباب والعلاج من خلال ما يتعلق بالجانب العقدي فقط، ولم يخصص أحداً من التيارات العصرية التي سوف تخصصها دراستي، وبالأخص ما يتعلق بخوارج العصر (داعش)، وما يتعلق بشيعة العصر (الحوثية)، كما أنها ستضيف ارتباط تلك التيارات بالربيع العربي، وعند كتابة الدراسة المذكورة لم قد حدثت ظاهرة الربيع العربي.

أما يتعلق بالتيارات الفكرية: فقد استفدت استفادة عظيمة من بحث بعنوان: (ظاهرة الإرجاء)

للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي؛ وهو عبارة عن رسالة تقدم بها الكاتب لنيل درجة الدكتوراه، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية فرع العقيدة، من جامعة أم القرى، وقد جاءت فكرة الدراسة حول بيان ما أصاب عقيدة معظم المسلمين اليوم من خلل بسبب تأثيرهم منحرف يقوم على عقيدة الإرجاء، والتي بُنيت على فصل العمل عن الإيمان، وأن هذا الفهم السقيم أنتجت أسباب تاريخية، كان من أبرزها التصدي لفكر الخوارج الذي أوجد مناخاً للفتن والشور بسبب ما وقع فيه من جريمة تكفير أعيان المسلمين، وما تبعه من استحلال دماهم، وما جرّه على الأمة من مصائب ونكبات، فجاء أصحاب الفكر الإرجائي ووقعوا في فتنة أشد، وسلكوا طريقاً أكثر انحرافاً وشرّاً، وأن الأمة تلقفت هذا

الفهم المنحرف وتمثلته اعتقاداً وواقعاً، فحين ذهبت تفرط، وتنفلت من واجب الامتثال للأوامر الشرعية، وتستسلم للشهوات والدعة والكسل والإهمال، وترك ما يشق على النفوس الضعيفة، وجدت في الإرجاء متنفساً لها من أي لوم، وتفسيراً مريحاً يبرر لها تراخيها وتفريطها.

فالكتاب بحق عظيم القيمة، كبير الفائدة، ذلك بأنه يأتي في وقت يحصد فيه أعداء الإسلام ثمار الضعف والانهيار الحاصل في جنبات الأمة، والذي من أهم أسبابه حينما تركوا العمل. فإذا الأمة كانت عاملة مجاهدة قائمة بأمر الله ستكون عزيزة القدر بين الأمم، مهابة الجانب من عدوها، ماضية باسم الله تنشر العدل والهداية للعالمين، أما إن كانت تعصي الله، وتجاهر بالعصيان، وتترك شرعه، فتذهب خيريتها التي كانت صفتها الأصيلة بنص القرآن. فالكتاب يمثل دراسة علمية عميقة موفقة من عالم موفق، يتحسس به مواطن الداء في الأمة، فيشخصه أحسن تشخيص، وهذا الكتاب يمثل توأمه مع كتاب " العلمانية " لبرنامج العودة الواعية القوية للأمة. يشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب: تكلم فيه عن مسمى الإيمان وارتباط العمل به. كما بحث في التاريخ الفكري للإرجاء. كما فصل الكلام عن الإرجاء بنوعيه: الإرجاء المتعلق بالمتكلمين، والمتعلق بإرجاء الفقهاء. وتكلم عن حقيقة الإيمان وعلاقة الإيمان بالعمل.

الدراسة قد كتبت قبل ظاهرة الربيع العربي، وكذلك لم يكن عندها ثمّ ظهور لمسميات الفرق الحديثة التي سأتكلم عنها، ولهذا جاءت هذه الدراسة مضبفة إلى الدراسة المذكورة دراسة عن تنظيم داعش والتنظيم الحوثي، والتي ظهرت مع الربيع العربي، ما ستكون متممه لما كتب في الدراسة السابقة فيما يتعلق بمواقف مرجئة العصر من ظاهرة الربيع العربي.

أما يتعلق بالربيع العربي. تحدث عن قضية الربيع العربي بعض الكتاب من العرب والعجم، وكون ظاهرة الربيع العربي ظاهرة حديثة فإن الرسائل العلمية لم تكن حاضرة بالشكل المطلوب؛ لقرب العهد بالربيع العربي، ولكن لو تخلوا الرسالة من الاستفادة بعض البحوث والمقالات والتي كان منها كتاب: (أسئلة الثورة) لسلمان العودة، والذي ناقش فيه كثير من تساؤلات الثورة وأهم القضايا الحساسة بها، فقد قسم الكتاب إلى خمسة فصول عبارة عن تساؤلات منها ما قبل الثورة، تحدث فيه عن مفهوم الثورة، وأسبابها، ومتى تحدث الثورات، وتحدث عن مشروعية الثورات، وتكلم في عن تساؤلات ملتبسة حول بعض القضايا المتعلقة بالثورة، مثل: السيادة وشرعية التجديد، وهوية الثورات، وعلاقة الحاكم والمحكوم، وتساؤلات ما بعد الثورة والعلاقة مع الآخر، وذكر قضية الإسلاميين وتعايشهم مع غير الإسلاميين،

وقضية الإسلاميين مع الغرب، أخيراً تحدث الكاتب عن قلق ما بعد الثورات، وهل سرقت الثورات؟ وعن التدخل الخارجي في شأن الثورات، وختم الدراسة بسؤال هام وهو: مستقبل الثورات إلى أين؟ والكتاب عظيم الفائدة، غزير الطرح وقد خدم دراستي في جوانب مهمة، غير أن الدراسة لم تتناول تأثير التيارات المنحرفة على مسار الربيع العربي.

كما طالعت دراسة بعنوان: (السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية) وهي عبارة عن رسالة ماجستير تقدم بها الباحث: عطاء عبدالغني الجزار، وقد تناولت الدراسة السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية من عام 2011 - 2013، وقد جاءت في خمسة فصول ركزت على السياسة الإيرانية، وأطماعها في المنطقة العربية، ومواقفها المعاكسة تجاه الثورات العربية، وأبعادها الدينية والمذهبية في المنطقة، ومن هم صناع تلك السياسة في إيران، كما قدمت الدراسة لمحة عن حالة الربيع العربي، وناقشت أسبابه، كما أشارت إلى السيناريوهات المحتملة للحالة السياسية المستقبلية للدول العربية، وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة؛ أن إيران تحاول وضع خارطة لنفوذها الإقليمي في المنطقة، وأن سياسة القوى العالمية ستسعى إلى تفتيت المنطقة، على أساس مذهبي وطائفي، وهذه الدراسة تعد مهمة في بابها، وقد أتت على جزئية من جزئيات الدراسة القائمة فيما يتعلق بإيران والربيع العربي، غير أن الدراسة المذكورة ركزت على الجانب السياسي بشكل كبير، ودراستي تركزت على الجانب الفكري والفكري.

كما طالعت دراسة بعنوان: (الربيع العربي؛ ثورات الخلاص من الاستبداد) من إصدارات الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة أوراق عمل، ودراسات، يحاول كتابها دراسة الثورات العربية، وبعض التحولات التي رافقتها بين العامين: (2010 - 2013)، في سياق ما عرف بتسميته: (الربيع العربي)، وهو يستند إلى مقاربات أولئك الكتاب من البلدان التي شهدت الثورات الربيعية، أو الحراك الشعبي، لغرض الإصلاحات السياسية بالدرجة الأولى، وما تبع ذلك من الإصلاحات الأخرى. ويعتبر هذا الكتاب وثيقة أولية عن ظاهرة وأحداث اثورات الربيع العربي، وعلى ما بذل في هذا الكتاب من جهد كبير شارك فيه العديد من الباحثين والناشطين؛ غير أن الكتاب لم يشمل جميع عناصر دراستي التي أتقدم بها، وإنما نراه اقتصر على جزء من الدراسة وهو ما يتعلق بالربيع العربي، ولم يتطرق لأي من الجوانب الفكرية أو التيارات المؤثرة على مجريات ساحات الربيع العربي.

وهناك كتاب لجون آر برادلي، بعنوان: (ما بعد الربيع العربي: كيف اختطف الإسلاميون ثورات الشرق الأوسط) تحدث كاتبه عن حالة دول الربيع العربي، وعن التحولات التي عكبت الثورات العربية، يحث ابتداء الكلام عن الثورة التونسية، وكيف أن تحولت تونس العلمانية إلى تونس الإسلامية بعد تولي الإسلاميون زمام الحكم، ووصفه ذلك بالارثة، وتشبيه الثورة التونسية بعد تولي الإسلاميون زمام الحكم بأنه حيث أشار إلى أن الثورة التونسية أشبه بثورة فرنسا التي أسفرت عن عهد الإرهاب، وثورة روسيا التي أسفرت عن كابوس ستالين، وثورة إيران التي تمخض عنها حكم الملاي. ثم تطرق الكاتب إلى مستقبل مصر الإسلامي، وتحدث بشكل مقزز عن حال المصريين قبل الثورة، ولا يستغرب من كاتب غربي عند الكلام عن العرب والمسلمين بهذه الصورة، ثم تتطرق إلى بعض الأسباب التي دعت إلى قيام الثورة المصرية؛ ثم تتوجه الكاتب الحراك البحريني الذي قام به الشيعة وعرض كثيرا بالدور السعودي والذي برأى الكاتب أنه يدعم السنة في البحرين، وكأنه يتوقع على شيعة البحرين، وعرج على الدور السعودي والإيراني الذي تقوم به كل منهما في محاربة أنصار الآخر، وأخيرا ختم الكاتب دراسته بعرض دروس من جنوب شرق آسيا، متحدثا عن أحداث يوليو (2011)، والتي تحدى فيها حسب قوله عشرات الآلاف من الملاييزيين الأمطار الغزيرة، وتجمعوا في عاصمة البلاد كوالالمبور؛ من أجل المناذاة بإجراء انتخابات أكثر حرية ونزاهة. أن مثل هذه الكتب للكتاب الغربيين وخاصة المتعلقة منها بالعالم الإسلامي تجد رواجاً واسعاً، وما ذلك إلا بسبب ما خلفته الحضارة الغربية في نفوس المسلمين من تعظيم الشأن الغربي والتقليل من الشأن العربي والإسلامي، مع أننا لو فتشنا في المكتبة العالمية لوجدنا كم هي الإسهامات التي أسهم بها المفكرون والعلماء والباحثون من المسلمين في شتى المجالات غير أن القلم الغربي يظل في نظر الغالبية هو القلم المميز؛ والله المستعان، أما بخصوص الرسالة فإن الرسالة التي بين أيدينا تناقش ثورات الربيع العربي من حيث الفكر والعقيدة، من المنظور الإسلامي بخلاف المنظور الذي انطلق منه جون آر برادلي.

كما أن هناك كتاب بعنوان: (تجربة الإسلام السياسي)، لأوليفيه روا، وقد جاء البحث في إحدى عشر فصلاً، تطرق فيه الكاتب عن الحركات الإسلامية الناشطة في المجال السياسي، ولا سيما خلال العقد الأخير، وي طرح سؤالاً هاماً هو: هل يقدم الإسلام السياسي خياراً بديلاً للمجتمعات الإسلامية، ثم يبدأ في مناقشة هذا السؤال من خلال دراسة لفكر الحركات الإسلامية التي انخرطت في اللعبة السياسية المعاصرة، من خلال عرض لحركة الإخوان المسلمين وحركة (جماعت إسلامي) التي تأسست على يد أب الأعلى المودودي، مشيراً إلى أن الحركات الإسلامية لم تغير شيئاً في الساحة السياسية باستثناء الثورة

الإيرانية، وأن هذه الحركات قد أخفقت طيلة عشرات السنين، بل يصفها بعدم الصمود أما الإواء السلطوي، مشير إلى الهيمنة الأمريكية وكيف أن الحرب حرب على المسلمين، مع أن ما الضرر الإرهابي الذي لحقته مجموعة (بارد - ما ينهوف) الألمانية أو (الألوية الحمراء) الإيطالية، أو (جيش التحرير) الإيرلندي، أو منظمة (الباسك) الإسبانية كان أعظم، ومع ذلك شكلت جزءا من المشهد السياسي، كما يرى الكاتب أن هناك خليطا ثقافيا مرتبط بين التيارات الإسلامية السياسية والتيار السلفي، كون الرابط برأي الكاتب هو دعوة الجميع إلى الرجوع إلى التمسك بالإسلام وتحكيمه في الحياة السياسية الاجتماعية. والكتاب بعمومه مفيد في بابه غير أنه تناول جزئية واحدة من جزئيات الدراسة، ودراستي تنحو منحاً مغايراً في طرحها عن هذه الدراسة.

وأخيراً من الدراسات التي سبقت هذه الدراسة فيما يتعلق بظاهرة الإرهاب، هو بحث لتشارلز تاونزند، بعنوان: (الإرهاب)، تكلم فيه كاتبه عن مشكلة الإرهاب، وأنها قد أخذت حجماً أكبر في الحياة المعاصرة، بين طائفة ترى أن هناك تضاعف أمام غيره من الكثر من المخاطر اليومية الشائعة، وطائفة السياسيين مدعومين بوسائل الإعلام والذين يضحون من خطر الإرهاب لغرض الاستجابة إلى المطالبات الضمنية أو الصريحة باتخاذ إجراءات وقائية، كما تعرض الكاتب لبعض المراحل التي مرّ بها الإرهاب، ووسائل الترويج له، وبعض المنظمات الإرهابية في العصر الحديث، حيث أتى الكاتب على الكثير من الحالات الإرهابية التي شهدتها العالم منذ منتصف القرن الماضي، وتحليل لشخصية الإرهابي كما يراه المفكرون الغربيون، والفرق بين التنظيم الإرهابي والحصار الإرهابي، وإرهاب الدولة وإرهاب الجماعات الصغيرة، والكلام عن الإرهاب الثوري، والإرهاب الديني، محتتما الدراسة التي جاءت في سبعة فصول بالكلام عن مكافحة الإرهاب، مشيراً إلى الاصطلاح القانوني؛ بدءاً من سن التشريعات الخاصة بفرض القوانين العرفية، والاصطلاح الذي تتبناه القوات التابعة للدولة للأساليب الإرهابية؛ مثل الاغتيالات وعمليات الانتقام العشوائية، موضحاً التمييز بين الاصطلاحيين، والكتاب مهم في هذا الجانب من الدراسة، حيث تعرضت الدراسة لقضية الإرهاب ومدى محاولة إصاقه بالإسلام والمسلمين.

وإذ لا أدعي الإحاطة بجميع الجوانب ذات الصلة بهذه التحولات وتحدياتها الجسام، إلا أنه بتعدد المشاركين في مضماره، وتنوع خلفياتهم الثقافية والسياسية؛ يتيح تقديم القراءة المتوازنة والغنية؛ لأحداث لا زالت مستمرة، وستظل آثارها ماثلة ومتفاعلة لسنوات عدة. ويأبى الله إلا أن تكون العصمة لكتابه.

## حدود الدراسة:

خصّصت هذه الدراسة للحديث عن بعض التيارات المنحرفة والتي كان لها أثر على مسار الربيع العربي، لذلك يمكن إنزال حدودها المكانية على دول الربيع العربي. كما يكمن أن نلتزم بالفترة الزمنية للربيع العربي وهي كالتالي:

**الحدود الموضوعية:** أما فيما يتعلق بموضوعية الدراسة، فإن الدراسة لا تخرج سطورها عن المواضيع التي تم ذكرها سابقاً، فهي سوف تركز وبشكل كبير على بعض التيارات التي ظهرت وانتعشت وأصبح لها أثر واضح مع الثورات العربية، ومدى ترابط كل تيار من تلك التيارات بالفرقة الأم من (الخوارج، والشيعية، والمرجئة)، فالدراسة لا تتعرض لنماذج تاريخية لتجارب التغيير، أو لدراسة سياسية أو اقتصادية لما بعد الثورات، أو تناقش أوجه الاختلاف والتداخل بين الثورة وبعض المفاهيم الأخرى ك( التغيير Change، الانقلاب، التحول Transition) أو أي موضوع آخر مرتبط بعملية التغيير وله أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي جاءت متضمنة في الكثير الدراسات حول المفاهيم الشائعة للثورات الانقلابات العسكرية والسياسية أو التنمية السياسية، Development، أو التحديث Modernization، أو التغيير السياسي، Political Change، وغير ذلك، وإنما ركزت الدراسة وبشكل كبير على الانحرافات الفكرية المؤثرة على الربيع العربي، مع إلماحات عابر عن أسباب الربيع العربي، والتحديات التي واجهها ولا يزال.

**الحدود المكانية:** أما ما يتعلق بالمكان التي وجهت الدراسة النظر إليه فهو كما أشار عليه عنوان الدراسة، وهو ما تعلق بظاهرة الثورات العربية، والتي باتت تعرف بالربيع العربي، والتي قامت في بعض الدول العربية، وبالتحديد في كل من: (تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا)، بالعموم، غير أنها سلطت الضوء على (الحالة اليمنية والحالة السورية على وجه الخصوص).

**الحدود الزمانية:** يتمحور نطاق الدراسة الزمني بين عامين (2010-2017)؛ حيث يعتبر عام 2010م بداية الحقبة الزمنية لظاهرة الربيع العربي وذلك باعتباره هو تاريخ انفجار الاحتجاجات الشعبية لدول الربيع العربي وتحديدًا بيوم الجمعة (17 ديسمبر من عام 2010)، أما نهاية الحقبة الزمنية للدراسة فتكون في العام (2017)؛ كون هذا العام هو العام الذي تمت فيه هذه الدراسة.

## هيكل الدراسة:

لأجل الدخول في الموضوع والكلام عن الانحراف في العقيدة سوف أتكلم عن مفهوم الإيمان، عند العلماء من أهل السنة، وما يتعلق به من المعاني، والأركان، والشروط، وما يضاؤه ويبطله. وشبهة المخالفين في ذلك، لأنه هو أساس الخلاف والصراع الدائر في المجتمعات المسلمة. لذا قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول يسبقها فصل تمهيدي.

**الفصل التمهيدي:** ويشتمل على المقدمة والتمهيد، تكلمت في المقدمة عن خطة الدراسة، من حيث الأسباب والأهمية والمشكلة والتساؤلات والأهداف وما يتعلق بالدراسات السابقة، والحدود الموضوعية المكانية والزمانية للدراسة، ثم الهيكلية الإطار الذي قامت عليه الدراسة.

**التمهيد:** تحدثت فيه على مفهوم العقيدة، والإيمان، والانحراف، وقد جاء في مبحثين يحتوي كل مبحث على مطلبين: المبحث الأول: تكلمت عن مفهوم الإيمان عند أهل السنة، وفيه مطلبان؛ الأول: في المطلب الأول عن مفهوم الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإيمان، والثاني تكلمت فيه عن الأصول المنهجية لدي أهل السنة، والمبحث الثاني: تكلمت عن مفهوم الانحراف، جاء في المطلب الأول: التعريف بالانحراف، والثاني عن الانحراف الفكري العوامل المؤدية له. ويعتبر هذا التمهيد مدخلا لفصول الدراسة.

**الفصل الأول:** تناولت فيه ظاهرة الربيع العربي في العصر الحديث، وحالة تلك الاحتجاجات، وماهي الأسباب التي أدت لقيامها، ومن هي التيارات التي ساعدت على إفشالها ووأدها؟ وقسمت هذا الفصل إلى مبحثين، المبحث الأول: خصصت الحديث فيه عن حالة الربيع العربي، والثاني: عن الأسباب المؤدية للربيع والتحديات التي واجهتها تلك الثورات ولا زالت تواجهها.

**الفصل الثاني:** تناولت فيه ظهور بعض التيارات المنحرفة فكريا والتي ظهرت وانتعشت مع ظاهرة الربيع العربي، وهي التي ارتكزت عليها الدراسة بشكل كبير، وبيان الأصل التي انحدرت منه تلك التيارات، وإلحاق هذه التيارات بالفرق الأم التي أرى أنها تحدّرت منها، وقد قسمت هذا الفصل إلى تمهيد ومبحثين تحت كل مبحث عدد من المطالب. تكلمت في المبحث الأول: عن الاختلاف وما هي الأسباب المؤدية إليه؟ مبينا الأسباب السياسية والعقدية لظهور الفرق في العهد الإسلامي، والمبحث الثاني: تكلمت فيه عن أثر التيارات المنحرفة على الربيع، وتطرقت في المطلب الأول: عن التيار الموافق للخوارج في عصرنا

الحاضر هو (داعش)، وأثره على الربيع الربيع العربي. والمطلب الثاني: عن التيار الموافق للشيعة في العصر الحديث، وهو (الحوثية)، وأثرهم على الربيع العربي.

### الفصل الثالث: جاء مكملاً للفصلين السابقين: وقد جاء الحديث فيه عن بعض القضايا الفكرية

المرتبطة بالتيارات المذكورة، وفيه مبحثان: الأول: تكملت فيه عن بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع الدولي، وجاء كذلك في مطلبين، الأول: الصراع العقدي، وسنة التدافع، والثاني؛ تكلمت فيه عن نظرية المؤامرة، بين الوهم والحقيقة. والمبحث الثاني: جاء على بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع والفرد المسلم، وتكلمت فيه في المطلب الأول؛ تكملت فيه عن ظاهرة الفكري التكفيري، والثاني: والثالث؛ عن ظاهرة الفكر التوفيقي.

### الخاتمة: ثم اختتمت الدراسة بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها في الدراسة، وأدليت ببعض

التوصيات، وعرض للمراجع والمصادر التي استعنت بها بعد عون الله. والحمد لله رب العالمين.

## التمهيد: مفهوم الإيمان والانحراف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام.

المطلب الثاني: مفهوم الانحراف.

المطلب الثاني: الانحراف الفكري، والعوامل المؤدية إليه.

## تمهيد: مفهوم الإيمان والانحراف.

في ظل التحديات المحدقة بالأمة، من الخارج والداخل، وفي زمن كثرت فيه الدعوة إلى بعض بعض الأفكار المنحرفة والتي زخرف أهلها والداعون بها القول في التمسك بما كان عليه الأئمة من أهل السنة والجماعة، مما أكثل على الكثير ممن ضعفت عقيدتهم وقلَّ علمهم فجعل العض في حيرة وتخبُّط، وجعل البعض يندفع نحوهم مؤيدا ومناضلا. ولكي ندخل في صلب الموضوع؛ والذي سنتناول فيه الكلام عن بعض التيارات المنحرفة والتي كان لها ظهورا واضحا عقب مجريات الثورات العربية التي وقعت في العالم العربي، وبالتحديد في كل من (تونس، ومصر وليبيا واليمن وسوريا). والتحذير مما سار عليه أولئك والذي قد أضحى مصدرا للفتنة وإشاعة للبدعة وتحاملا على المخالفين. ومن باب الحرص على أن تظل الأمة متماسكة كما أراد منها ربها عز وجل، تدين بالإسلام اعتقاداً، وقولاً، وعملاً. وتحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [لأنعام: 153]. لذا كان هذا المبحث والذي سوف يكون الكلام فيه بعون الله تعالى عن مفهوم العقيدة، وبيان المراد بأهل السنة والجماعة، مع الوقوف على دلالة الإيمان، والمفاهيم المتعلقة به؛ حيث تعدُّ مسألة الإيمان من أكبر المسائل التي حصل فيها النزاع بين أهل السنة والمخالفين لهم، ولولا الفهم الخاطئ لمسمى الإيمان لما وجدت هذه الخلافات، والصراعات، ولما أريقت الدماء.

ولا يخفى ما أحدثه الاختلاف في مفهوم ودلالة الإيمان من أثر بالغ في انحراف الاعتقاد منذ نشأته ابتداءً، إلى يومنا هذا، ولا يزال أثر هذه الانحرافات واضحا على الكثير من الكتاب والمفكرين، وليتضح أن أهل السنة والجماعة هم الوسط بين المغالين مثل الوعيدية، وبين الجفاة مثل المرجئة.

وقد جاء التركيز في تلك على ثلاثة طوائف انتشرت أفكارها ومعتقداتها في العالم الإسلامي عموماً وفي دول (الربيع العربي) خصوصاً؛ لما وقع منهم من فتنة عظيمة، سقط فيها كثير من أبناء المسلمين اغتراراً بهم. وتنبهها لأبناء الأمة بخطورة الفرق المنحرفة الذين: ﴿ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، فحرصت قدر الاستطاعة أن أفنِّد الخلل الذي وقعت فيه تلك الفرق، في مخالفتها للكتاب والسنة اللذان هما مصدرا التلقي، ومبيناً لما عليه أهل السنة في حقيقة الإيمان.

وحيث أن الإيمان هو الأصل، وإنما جاء الانحراف حادث وطارئ على هذا الأصل، فأردت قبل الكلام على الانحرافات، إدراك ما هو هذا الشيء الذي تم الانحراف فيه؛ وبلا شك أنه (الإيمان)؛ حيث أن الحاجة إليه في بيان الفرق بين ما سار عليه أئمة أهل السنة، وما الذي عليه بعض المتأخرين مما خرج على الأمة باسم أهل السنة، وهو مخالف لهم شكلاً ومضموناً، كحال بعض ممن يطلقون على أنفسهم: (السلفيون)، وحالهم يخالف ما عليه السلف، بل أهم أقرب للإرجاء منهم من السلف، وكحال تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) مع ادعائهم بأنهم يسيرون على ما سار عليه أئمة أهل السنة؛ إلا أنهم قد حادوا عن منهج أهل السنة بالمجمل، وأتوا بما لم يأت به الأوائل.

كما أن الكلام على الإيمان يهمننا في بيان حقيقة ادعاء الزيدية؛ الذين خرجوا على الناس بلباس الزيدية وزيد برئ منهم؛ بل هم على منهج الرافضة حقيقة، ولا يعني ذلك أن ما عليه الزيدية موافق لأهل السنة إجمالاً، إلا أن المراد هو تعرية الطائفة الحوثية من الزيدية، وخرجهم عن المذهب الزيدي عموماً.

كما أن المراد من إيراد مبحث عن الإيمان؛ لكي يتضح المعتقد الصحيح من السقيم، ويعرف من هم الذين تمسكوا بمنهج أهل السنة من الذين ليس لهم في دعواهم سوى الكلام، ولتُعرف حقيقة الانحرافات الفكرية التي وقعت فيها بعض الجماعات المنحرفة، والتي لبست على الناس الحق بالباطل، ومدى تأثير بعض الجهلة من المسلمين بهذه التيارات المنحرفة، وكيف استطاعت هذه التيارات أن تتركب الموجة؛ أقصد موجة (الربيع العربي)، وحرفت المسار الذي كاد أن يكون أملاً وإيجابياً على الشعوب العربية، إلى مردودات عكسية أثرت سلباً على شعوب المنطقة، ولا زالوا يتجرعون غصصها إلى يومنا الحاضر؛ إلا أن الأمل لا يزال قائماً بإذن الله وسوف تحقق تلك الثورات الربيعية أهدافها، وتجنّي ثمارها. كما أن هذه الانحرافات قد عكست صورة سلبية عن الإسلام خلّفت ذلك التحامل من قبل أعداء الإسلام عليه.

## المطلب الأول: مفهوم الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام:

غالباً ما ترتبط كلمة الإيمان مباشرة مع الغيبيات، فأركانها دالة على الإيمان الغيبي، ولكن عندما جاءت الشُّعب فإنها جمعت بين الغيبيات وأعمال الظاهر، ولذا نتج عن ذلك نزاع حاد بين أهل السنة<sup>1</sup>، وبين الفرق والطوائف<sup>2</sup> الأخرى، وهذا ما جعل الكلام على مسمى الإيمان يعد مهماً؛ فهو يعدُّ مهماً عند أهل السنة، كما يعدُّ مهماً للمخالفين لهم. ولبداية الكلام عن الإيمان والعقيدة سيتم التعريف بهما.

### أولاً: مفهوم الإيمان في اللغة الاصطلاح:

الإيمان في اللغة له معنيان: (الأمن - التصديق).

الأول: (الأمن):

- والأمنُ: ضدُّ الخوف. والأمنَةُ بالتحريك: الأمنُ. ومنه قوله عز وجل: ﴿أَمَنَةً نُّعَاساً﴾. والأمنَةُ أيضاً: الذي يثق بكلِّ أحد، وكذلك الأمنَةُ مثال الهمزة. وأمنُته على كذا وأئتمنتُهُ بمعنى<sup>3</sup> واحد. وأمنته ضد أخفته. يقال: آمن فلاناً: أعطاه أماناً قال تعالى: ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4]. وآمن: داخل في الأمن. واستأمن إليه، أي: دخل في أمانه<sup>4</sup>. ويقال: الأمانة والأمانة: نقيض الخيانة<sup>5</sup>.
- يقال آمن به وآمن له، والهمزة فيه إمّا للضرورة كأنَّ من آمن صارَ ذا أمن من أن يكون مكذوباً، وإمّا للتعديدية كأنَّه صيرَ محدثه آمناً من التكذيب<sup>6</sup>.

1 عندما أورد أهل السنة، أو علماء أهل السنة، فإنني أريد بهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، والذين كانوا على ما كان عليه الصحابة الذين ساروا على خطى النبي ﷺ، ومن تبع أولئك الصحب الكرام كالحسن البصري وسفيان الثوري وسفيان ابن عيينة والزهري والأعمش ومالك وإبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم وأصحاب السنن والمسانيد، والأشعري وابن تيمية وابن كثير والنوي وابن حجر وغيرهم من الأئمة المتأخرين الذين هم من تلاميذ أولئك السلف الذين اشتهروا بأنهم من أهل السنة.

2 أقصد بهم من خالفوا أهل السنة في أصول الاعتقاد كمسائل الإيمان والأسماء والصفات والوعد والوعيد، والغيبيات، وغيرها مما هو محط إجماع عند أهل السنة. مثل الرافضة والجهمية والمعتزلة والخوارج، وغلاة المرجئة.

<sup>3</sup> ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت، الناشر: دار صادر، ط3، 1414 هـ)، باب: (أمن)، ج5، ص 2071.

<sup>4</sup> ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (مرجع سابق)، فصل الألف، ج13، ص22.

<sup>5</sup> الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005)، فصل الهمزة، ص 1176.

<sup>6</sup> اليوسي، الإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود، مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، تحقيق: د. حميد حماني، (الدار البيضاء، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، ط1، 2000)، ج1، ص: 467.

- ومؤمن؛ مفرد: اسم فاعل من آمنَ به، وآمنَ له. والمؤمن: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي منح الأمن والأمان لعباده في الدنيا والآخرة، وآمن عباده أن يظلمهم<sup>1</sup>: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: 23].

### الثاني: (التصديق):

- أي الذي يصدق قوله بالعمل<sup>2</sup>. و"الإيمان" مصدر: آمن إيماناً، كأكرم إكراماً، أفعل لا فاعل، وإلاً كان مصدره الفعال، نحو قاتل قتيلاً، وضارب ضراباً، وهو قياس في مصدر: فاعل، والمفاعلة كالمقاتلة والمضارة. وهو لغة: التصديق<sup>3</sup>.

- والتصديق: ضد التكذيب<sup>4</sup>. وقول: آمنت بالله رباً؛ أي: صدقت به. والمؤمن مُبطن من التصديق مثل ما يظهر، قال الله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 136]، وهذا ما يؤكد القرآن في حوار إخوة يوسف مع أبيهم عليهم السلام: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: 17]؛ أي: لا تفر بخبرنا، ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين.

- يقال: تصديق ويقين بالقلب وإقراراً باللسان وعملٌ بالجوارح، وما قر في القلب وصدقه العمل. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: 2].

- ويقال: إيمانيات، بالجمع وهي: مبادئ يعتنقها الشخص ويتعامل مع الآخرين من خلالها.

- ويقال: آمن الشخص: اعتقد وصدق، ويؤمن بالنصر إيماناً لا يتزعزع، وفي الحديث (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)<sup>5</sup>، وقال الله: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: 13]. وآمن بالله: أسلم له وانقاد، قال الله: ﴿كُلُّ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]<sup>6</sup>.

إذاً: مما سبق من التعريفات المتعلقة بالإيمان عند علماء اللغة، نجد أن الإيمان لغة له معنيان، وذلك

حسب الاستعمال؛ الوارد عندهم في جميع حالات التعريف بالإيمان، وهما (الأمن - التصديق)، وبه قال

<sup>1</sup> ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، الناشر: دار صادر، ط3، 1414 هـ)، باب: (أمن)، ج5، ص 2071.

<sup>2</sup> الفارابي، أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1987)، باب: صدق، ج4، ص1506.

<sup>3</sup> ابن الملقن، سرج الدين عمر الشافعي، المعين على تفهم الأربعين، ت: د. دغش العجمي، (الكويت، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، ط1، 2012)، ص105.

<sup>4</sup> رضا، أحمد، معجم متن اللغة، "موسوعة لغوية حديثة"، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1958)، باب: 1، ج1، ص208.

<sup>5</sup> أخرجه البخاري برقم: (13) باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأخرجه مسلم في الإيمان، رقم: (45).

<sup>6</sup> مختار، عمر أحمد، معجم اللغة العربية المعاصر (القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2008 م) (أم ن). الأزهرى، تهذيب اللغة، ت: مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث، 2001م)، ج 15، ص 513. والجوهري، الصحاح، (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1987م) ج5، ص2071.

الكثير من علماء الأصول من أهل السنن، وقد أكد على ذلك القول إمام الحرمين أبي المعالي الجويني رحمه الله فقال: " حقيقة الإيمان عندنا التصديق، وهو معناه في اللغة واللسان، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [يوسف: 17]؛ معناه: وما أنت بمصدق لنا. والمؤمن على التحقيق من انطوى عقدا على المعرفة بمصدق من أخبر عن صانع العالم وصفاته وأنبيائه، فإن اعترف بلسانه ما عرف بجنانه؛ فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً؛ لم ينعه علم قلبه، وكان في حكم الله تبارك وتعالى من الكافرين به؛ كفر جحود وعناد"<sup>1</sup>

ومن المتأخرين من له رأي مختلف في معنى الإيمان، وهو أن الإيمان هو (الإقرار)؛ لأنه أدق في المعنى، يقول الشيخ بن عثيمين: " أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر! لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدقته، ولا تقول آمنت! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له. فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازماً لا يتعدى إلا بحرف الجر، بفعل متعدٍ ينصب المفعول به بنفسه. ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت). ولهذا؛ لو فسر (الإيمان) بـ (الإقرار) لكان أجود؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق"<sup>2</sup>.

نلاحظ من كلامه رحمه الله إدخال معنى التصديق أيضاً وملازمته للإقرار، فيكون الإيمان على هذا التعريف أنه يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف، وعند المقارنة بين ذلك وبين كلام الجويني رحمه الله نجد أن كلامه كذلك يستلزم الإقرار ضمناً للتصديق، المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام، وهذا هو الإيمان، أما مجرد أن تؤمن بأن الله موجود؛ فهذا ليس بإيمان كافٍ، حتى يكون الإيمان ظاهراً وباطناً، المستلزم للقبول في الأخبار والإذعان في الأحكام، فمن لم يعترف بلسانه؛ لم ينعه إيمان قلبه. وكلا المعنيين لهما نفس المعنى فلو قلت إقرار لزمك التصديق، ولو قلت تصديق لزمك الإقرار، فكل منهما داخل في الآخر.

1 الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ت: محمد الكوثري، (الفاخرة، المكتبة الأزهرية، 1992)، ص 84.

2 العثيمين، محمد، شرح العقيدة الواسطية، ت: سعد الصمبل، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 6، 1421 هـ)، ج 2، ص 231.

## الإيمان في الاصطلاح:

يتوافق تعريف الإيمان في اللغة مع تعريف الإيمان الشرعي، إلا أن المعنى الاصطلاحي أشمل من اللغوي، لأنه هو المراد الذي نتعبد الله تعالى به. وعند قول أشمل؛ يتضح لنا أن التصديق مثلاً هو لفظة من ألفاظ التعريف الاصطلاحي، وهو داخل كذلك في مسمى الإيمان، فعندما يأتي غير مقترن بلفظ الإسلام، يراد به في هذه الحالة الدين كله، تماماً مثل الإسلام إذا جاء غير مقترن بلفظ الإيمان فإنه يشمل أصول الدين، وفروعه، من اعتقاد وأقوال وأفعال، أما إذا جاء مقترنان فيفسر كل واحد منهما بما يخصه من أعمال، فالإسلام يفسر بالعمل الظاهر، والإيمان يفسر بالعمل الباطن، مع ثبوت أن العبد لا يكون مسلماً كامل الإسلام إلا إذا آمن، ولا يكون مؤمناً كامل الإيمان إلا إذا عمل.

ومن ذلك نستطيع القول: أن الإيمان في الاصطلاح هو المعنى الحقيقي لمفهوم العقيدة التي مدارها على: (اعتقاد القلب الجازم، ونطق اللسان الصادق، وانقياد الجوارح اللازم؛ بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإقرار بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره).

وقد عرفه الإمام سراج الدين بن الملقن بـ: " بالتصديق بالقواعد الشرعية؛ من وجوب وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته وصفاته الثابتة له، وتزنيها عن سمات الحدث والنقص"<sup>1</sup>.

وقال أبو العباس القرطبي: " الإيمان بالله هو التصديق بوجود الله تعالى، وأنه لا يجوز عليه العدم، وأن تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال؛ من العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر والحياة، وأنه تعالى منزلة عن صفات النقص التي هي أضداد تلك الصفات، وعن صفات الأجسام والمتحيزات، وأنه تعالى واحد حق صمد فرد، خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما شاء من التصرفات يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء"<sup>2</sup>.

وقال الإمام البيهقي: " وتشترط الشهادة لحقن الدماء، والمعرفة والإقرار لصحة الإيمان، والوفاء على الإيمان حتى يستحق دخول الجنان بوعده الله تعالى"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن الملقن، سراج الدين الشافعي، المعين على تفهم الأربعين، ت: د. دغش العجمي، (الكويت، مكتبة أهل الأثر، ط1، 2012)، ص105.

<sup>2</sup> القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، ت: ديب مستو وأحمد السيد وبديوي ومحمود بزال، (دمشق، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط1، 1996)، ص139.

<sup>3</sup> فودة، سعيد، الشعار في الاعتقاد، مختصر الاعتقاد للإمام البيهقي، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 2009)، ص137.

وقد فصل الإمام التفتازاني في حال الفرق في تعريف الإيمان شرعاً فقال: " إما أن يجعل لفعل القلب فقط، أو اللسان فقط، أو كليهما وحدهما، أو مع سائر الجوارح. فعلى الأول هو اسم للتصديق، عند الأكثرين؛ أعني تصديق النبي ﷺ، فيما علم مجيئه به بالضرورة، وللمعرفة عند الشيعة وجههم، والصالحى. وعلى الثاني للإقرار بشرط المعرفة عند الرقاشى، وبشرط التصديق عند القطان، ولا شرط عند الكرامية. وعلى الثالث لمجموع التصديق والإقرار، وعليه أكثر المحققين، إلا أنه كثيراً ما يقع في عباراتهم مكان التصديق المعرفة أو العلم أو الاعتقاد. وعلى الرابع للإقرار باللسان والتصديق بالجان والعمل بالأركان، إما على أن يجعل تارك العمل خارجاً عن الإيمان داخلاً في الكفر، وعليه الخوارج، أو غير داخل فيه وعليه المعنزة، مختلفين في أن الأعمال فعل الواجبات وترك المحظورات، أو مطلق فعل الطاعات. وإما على أن لا يجعل خارجاً، وعليه أكثر السلف. وهو المحكى عن مالك والشافعي؛ ذهاباً إلى أنه قد يطلق على ما هو الأساس في النجاة، وعلى الكامل المنجى بلا خلاف. وإلا فانتفاء الشيء بانتفاء جزئته ضرورياً"<sup>1</sup>.

والحق في ذلك أن المسلم لا يحقق معنى الإيمان بدون أن يؤمن بأركان الإيمان، ثم لا يمكن أن يكون مؤمناً حتى يربط إقراره الاعتقادي بعمل الواجبات وترك المحرمات، ويؤيدها بالسلوكيات والأفعال الحميدة، فلا يصح الإقرار القلبي دون الانقياد العملي. ولذلك لا يمكن أن يزعم المرء أنه أقر بقلبه، ولا يترجم ذلك بلسانه وأفعاله، فما كان في القلب حقيقة خرج على الجوارح امتثالاً، ولذا نرى الإمام الجويني قد أكد على ذلك بقوله، " والمؤمن على التحقيق من انطوى عقداً على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم وصفاته وأنبيائه، فإن اعترف بلسانه ما عرف بجنانه؛ فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً؛ لم ينفعه علم قلبه، وكان في حكم الله تبارك وتعالى من الكافرين به؛ كفر جحود وعناد"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> التفتازاني، مسعود عمر، شرح المقاصد، ت: عبد الرحمن عميرة، (بيروت، عالم الكتب، ط2، 1998)، ص 176.

<sup>2</sup> الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ت: محمد الكوثري، (الفاخرة، المكتبة الأزهرية، 1992)، ص 84.

## العلاقة بين الإسلام والإيمان، ودخول الأعمال في مسمى الإيمان:

لقد ظهرت جماعتين متناقضتين في مفهوم الإيمان؛ الأولى: أقحموا الغلو فيه فنفوه عن مرتكب الكبيرة بالكلية، وأن مآله في الآخرة إلى النار، وهؤلاء هم بالخوارج، وسنأتي على ذكرهم بعون الله في المبحث الأول من الفصل الثاني فيما يتعلق بالتعريف بهم وبمعتقدهم، والثانية: دفعوا بالإرجاء إلى الحد المذموم، ففضى هؤلاء أن مرتكب الكبيرة كامل الأيمان، ولا تضر مع إيمانه أي معصية، وأن الإيمان في القلب؛ فلا يضر الشخص أي شيء؛ ولو تلفظ بالكفر والإلحاد، فإنه يبقى إيمانه كاملاً لا يتزعزع. وهذا بلا شك غلو مذموم، وجفاء ممقوت منهما، وهؤلاء هم المرجئة، وأيضاً سنأتي على التعريف بهم وبمعتقدهم في المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذا البحث.

جاء عند الكلام على مفهوم الإيمان، أن له معنى في اللغة، ومعنى في الاصطلاح، وهناك استعمالات ترد في التعريف الشرعي للإيمان، استعملت هي كذلك في التعريفات الشرعية للإسلام؛ لأن هذه المعاني للإيمان هي التي تشيد عملية التعامل في الحياة على الأسس الإسلامية فيما بعد، والتي قال الرسول ﷺ فيها عندما جاء وفد عبد القيس: في حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: (أمركم بأربع: أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدوا الخمس من المغنم)<sup>1</sup>.

فأركان الإسلام هي التي تُربي الإنسان على الإيمان بالله، فالإنسان حين يستجيب لله سبحانه الذي لا إله إلا هو، ويذهب للقاءه كل يوم خمس مرات في صلاته ليعلم ولائه التام له، فإنه يجدد تلك الطمأنينة، وذلكم الإيمان، ولذا نرى أنه ﷺ جعل هذا هو الإيمان، فذكر فيه الشهادتين، والصلاة، والزكاة، فدل ذلك على أنه قد يفسر الإسلام بما يفسر به الإيمان، فإن اقتصر على الإسلام؛ فإنه يستلزم دخول أعمال القلب فيه، وإن اقتصر على الإيمان دخلت فيه الأعمال الظاهرة؛ فإن كلاً منهما يدخل في الآخر. أما إذا ذكراً جميعاً فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو أعمال القلب، كما في حديث (جبريل المشهور)<sup>2</sup>؛ فقد فرّق بينهما، فذكر الإسلام مغايراً عن الإيمان، حينما سأله جبريل قال: (أخبرني

1 أخرجه البخاري رقم: (53)، باب أداء الخمس من الإيمان وهذا لفظه، وقد أخرجه في أحد عشر موضعاً من صحيحه، وأخرجه مسلم رقم:

(17) في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين.

2 أخرجه البخاري رقم: (50)، باب سؤال جبريل رسول الله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ورقم: (4777). ومسلم رقم: (8) ورقم: (9)-

(10)، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، من طريق أبي هريرة.

عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت، فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره). ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة؛ التي عندما يقوم العبد بها فهو يؤدي أعمالاً ظاهرة، وإن كان في الأصل مردها إلى إيمان ذلك العبد في حقيقة القيام بهذه الأعمال، الذي فسر في الحديث بعمل الباطن، وعلى ذلك نرى أن التقرير في الإيمان أنه: تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل الجوارح هي تصديق لدعوى الإيمان.

قال الإمام السبكي: " ولا خلاف عند الأشعري وأصحابه بل وسائر المسلمين أن من تلفظ بالكفر أو أفعال الكفر أنه كافر بالله العظيم مخلد في النار، وإن عرف بقلبه، وأنه لا تنفعة المعرفة مع العناد، ولن تغني عنه شيئاً، ولا يختلف مسلمان في ذلك. وقال أيضاً: "وهل الفئات عليه نفس الإيمان لكون النطق ركناً منه أو شرطه؟ قال: وأجمعوا - أي الأشاعرة - على أن الإسلام زائل عنه، وقول ابن حزم في النقل عنهم: إنه مسلم، خطأ عليهم صادر عن أمرين: عدم المعرفة بعقائدهم، وعدم التفرقة بين الإيمان والإسلام"<sup>1</sup>.

ويتبين من كلام السبكي - رحمه الله - أن هناك فرق بين الإسلام والإيمان، وأن قول الكفر وفعل الكفر لا ينفع مع المعرفة. فقد نفى الإيمان عن عمل الكفر وتلفظ به، ومعلوم أن النفي ضد الإثبات فكونه نفى عنه الإيمان بذلك فعليه يكون إثبات الإيمان بالقول والعمل بعد المعرفة.

وقد أكد أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - على ذلك بقوله: " وندين بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه ما لم يستحلّه، كالزنا والسرقه وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعمت أنهم كافرون. ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقه وما أشبهها مستحلاً لها، غير معتقد لتحرّمها كان كافراً. ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً"<sup>2</sup>.

ويتضح من قوله التفريق بين الإيمان والإسلام من جهة وترابطهما من جهة أخرى بقوله "أوسع". وقد ظهر ما يخالف هذا المفهوم المجمع عليه عند السلف من أهل السنة في منزلة العمل من الإيمان، والحكم على مرتكب الكبيرة، بين مغالٍ وجافٍ، فبينما يرى المغالون أن من ارتكب أي كبيرة يخلد في

1 السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ت: الطناحي والحلو، (السعودية، الناشر: هجر للطباعة والنشر، ط2، 1413هـ)، ص91

2 الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 26.

النار على قول الخوارج، أو هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة مصيره إلى النار؛ كما تزعم المعتزلة؛ وضيقوا بهذه النظرة على غيرهم، وبين من يرى أن الإيمان لا يزول مهما عمل صاحبه الكفر أو تلفظ به، كما تزعم المرجئة، فهما بين جاف وغال، أما منهج أهل السنة فهو المنهج الوسط بين ذلك، فلا يسلبون الإيمان بالكلية عن مرتكب الكبيرة، كما أنهم لا يقولون أن إيمانه كامل لا تضره المعصية.

يقول العواجي: " لقد احتدم النزاع بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة من جانب، وبين المرجئة من جانب آخر في دخول الأعمال في مسمى الإيمان، ويظهر أثر ذلك في مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وأمره في الآخرة إلى الله وإلى مشيئته؛ كما يقول السلف، أم هو كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة في النار؛ كما تقول الخوارج، أم هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة هو مخلد في النار - كما تقول المعتزلة-؟ أم هو مؤمن كامل الإيمان لم يتأثر إيمانه بالكبيرة مطلقاً- كما تقول المرجئة- لأنه مصدق بقلبه فلا مجال لأن يتأثر إيمانه؛ لأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص بل يبقى إيمانه كاملاً إذا كان التصديق موجوداً في قلبه"<sup>1</sup>.

ويقول الشيخ الحوالي: "ومن هنا نستطيع أن نتبين أي المذهبين في الإيمان هو الحق؛ مذهب أهل السنة والجماعة أم مذهب المرجئة؟ ومعيار الحكم في هذا يبدأ من أصل الخلاف، وهو اختلاف مصدري التلقي والاستمداد عند الفريقين؛ فمن يستقي من مصدر الوحي المعصوم فضروري أن يكون مذهبه هو الحق المتفق مع حقيقة الإنسان تبعاً لاتفاق دين الله ووحيه مع خلقه وفطرته، ومن استقى من مصدر آخر - أي كان - فلا بد أن يقع في التناقض، وأن يصادم حقيقة الإنسان تبعاً لمخالفته لصريح القرآن!"<sup>2</sup>.

ومن خلال هذه النظرة نستطيع أن نخلص إلى أن أهل السنة والجماعة في اعتقادهم الجازم أن الإيمان عمل، والعمل إيمان، إنما يستقون ذلك من معين الوحيين المعصوميين، وهما قطعاً منسجمان مع الطبيعة البشرية. أما ما تعتقده المرجئة من التفريق بين الإيمان والعمل، وإثبات الإيمان كاملاً في القلب مع وقوع عمل الجوارح على خلاف تلك الطبيعة. ولا شك أن من يعتقد ذلك أن الإيمان مجرد المعرفة تغيب عنه حقيقة بالغة الأهمية، وهي كيف يفسر العمل الإنساني -الذي لا يتوقف إلا لحظة الموت - ما مصدره؟ ما دوافعه إن لم يكن الإيمان؟ أي كان هذا الإيمان!!.

1 العواجي، غالب، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (جدة، المكتبة العصرية، ط4، 2001)، ج2، ص1079.

2 الحوالي، سفر، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، رسالة دكتوراه، (القاهرة، دار الكلمة، ط1، 1999)، ص126.

## إدخال الأعمال في مسمى الإيمان:

قال الإمام السبكي، بعد أن سرد مجموعة من الأدلة في نجاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة:  
"وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا قاصمة لظور المعتزلة القائلين بخلود أرباب الكبائر في النار"<sup>1</sup>.

وقال رحمه الله: "الذي دل عليه كلام المحققين أن الإيمان التصديق الخاص، والإسلام في اللغة الانقياد، يقال أسلم إذا دخل في السلم، وفي الشرع الانقياد الخاص هو فعل الطاعات، وهذا الانقياد الخاص نتيجة الإيمان، فمتى صدق انقاد، ثم إن الانقياد بالقلب والنطق والأعمال؛ والأعمال أعمال الجوارح، والانقياد بالقلب لازم الإيمان والنطق شرط في صحة الإيمان أو ركن، والأعمال الأخر ليست بشرط ولا ركن في صحة أصل الإيمان ولكنها من جملة الإسلام، فحاصله أن الشارع شرط في اعتبار الإيمان بعض الإسلام وشرط في اعتبار كل الإسلام الإيمان، فلا يصح شيء من الإسلام إلا مع الإيمان، ولا يعتد بالإيمان إلا إذا انقاد ونطق بالشهادتين وكف عما يوقع في الكفر من الأفعال وغيرها، فمن صدق بقلبه ولم يفعل ذلك مع القدرة عليه فهو غير مؤمن إيمانا معتبرا"<sup>2</sup>.

يقرر رحمه الله مبدأ المخالفة مع الوعيدية في قضية تخليد مرتكب الكبيرة وذلك بسرد جملة من الأدلة التي فيها كما ذكر أنها قاصمة لظهورهم، بإثبات ما عليه أهل السنة من ملازمة العمل للإيمان، كما نراه كان موقفا في الجميع بين شرط الصحة وشرط الكمال في ما يتعلق بالنطق.

أما المرجئة فجاءت بالنقيض تماما فقالوا: كل من انتسب إلى الإسلام وصدق به فهو مؤمن وإن عمل ما عمل من الكبائر، وهو مخالف لما عليه علماء أهل السنة، قال الإمام السبكي بعد ذكره لعبد العزيز الكناني: "كان يعتقد أن الإيمان هو المعرفة فقط، ولا يشترط النطق؛ وتلك بدعة شنعاء لا أقبح منها نسأل الله السلامة في الدين"<sup>3</sup>. "وعندما اتسع الخلاف؛ انتقلت الأمة من البحث في أعمال الإيمان وفرائضه ليحققوه بكماله إلى البحث في ماهيته المجردة، وحده المنطقي؛ ليتجادلوا فيها، فظهرت الحاجة

1 السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، (مرج سابق)، ج1، ص58.

2 السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، (مرجع سابق) ج1، ص127.

3 السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية، (مرجع سابق)، ج1، ص89.

إلى قول فصل وأصل جامع يعرف به الناس هذا المفهوم في كتاب ربحهم وسنة نبينهم ﷺ، فتواردت أذهان علماء الجماعة وتواطأت أقوالهم وتواترت<sup>1</sup>.

ومن الأدلة التي يستشهد بها أهل السنة على دخول العمل في مسمى الإيمان: قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>2</sup>، ثبت في سبب نزول هذه الآية كما في حديث البراء الطويل وغيره وفي آخره، (أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال، وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾<sup>3</sup>. قال الحلبي: "أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك، فكل طاعة إيمان إذ لم أعلم فارقاً في هذه التسمية بين الصلاة وسائر العبادات"<sup>4</sup>.

كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾<sup>5</sup>. ومثله جميع الآيات المشابهة كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَبْعَثَ شَأْنَهُمْ فَأَدْنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>6</sup>. فهذه الآيات فيها دلالة واضحة تفيد أن جميع الأعمال الواردة من واجبات الإيمان، ولهذا جاء النفي الصريح للإيمان لمن لم يعمل بها<sup>7</sup>.

ومن الأدلة الصريحة أيضاً حديث وفد عبد القيس المتقدم. "ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق مع العلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود"<sup>8</sup>.

1 الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، (مرجع سابق)، ص 130.

2 سورة البقرة، الآية: (143).

3 أخرجه البخاري، باب: الصلاة من الإيمان، رقم: (40)، وأخرجه مسلم في الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم: (525).

4 ينظر، الموسوعة الفكرية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية: DORAR.NET.

5 سورة الأنفال، الآية: (1-4).

6 سورة النور، الآية: (62).

7 للتوسع في هذا الموضوع ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (7/18).

8 العقل، ناصر، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET.

ومن الأدلة أيضاً قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)<sup>1</sup>، كما جاءت أحاديث عدة في نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة، أو ترك الواجبات، منها قوله ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له)<sup>2</sup>. قال الحافظ ابن رجب في تعليقه على الحديث: "فلولا أنّ ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته"<sup>3</sup>.

قال الأشعري: "وندين بأن لا تنزل أحدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا ناراً، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونحاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين، أجازنا الله منها بشفاعة سيدنا وحبينا رسول الله ﷺ. وفي هذا ردّ على الخوارج الذين يحكمون بخلود مرتكبت الكبيرة في النار. وقرر مذهب أهل السنة في الإيمان بقوله: "وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"<sup>4</sup>.

وقال ابن تيمية: "إن نفي الإيمان عند عدمها - الأعمال - دال على أنها واجبة؛ فالله ورسوله لا ينفيان اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته كقوله ﷺ: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ)<sup>5</sup>، ومنها قوله ﷺ: (من أعطى الله ومنع الله، وأحب الله وأبغض الله، وأنكح الله فقد استكمل إيمانه)<sup>6</sup>.

وقال الإمام الرازي عند الكلام على المرجئة وعدّد بعض فرقها ك: (اليونسية، والغسانية، واليومية، الثوبانية، والخالدية)، وبيان حالهم في الإيمان، مقرراً ما عليه أهل السنة، من التوسط بين الوعيدية والمرجئة: "وأما مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب فهو أنا نقطع بأن الله تعالى سيعفو عن بعض الفسّاق لكننا لان نقطع على شخص معين من الفسّاق بأن الله لا بد وأن يعفو عنه ونعلم أنه لا يُعاقب أحداً من الفسّاق دائماً"<sup>7</sup>. فنراه سمى مرتكب المعاص فاسقاً ولم يسمه مؤمناً كامل الإيمان كما تقول بذلك المرجئة، كما أنه لم يسمه كافراً أو هو خالد في النار كما قطعت بذلك الخوارج.

1 أخرجه البخاري، باب السارق حين يسرق، (6782)، ومسلم، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، (57). من حديث أبي هريرة.  
2 أخرجه أحمد، رقم: (3/135)، وابن حبان، رقم: (1/422)، من حديث أنس. قال الذهبي في المذهب: سنده قوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (7179).

3 الحنبلي، ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ت: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط7، 2001)، ج1، ص105.  
4 الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 27.  
5 أخرجه البخاري، باب، وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات (756) ومسلم، (394) باب؛ وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، كلاهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

6 (أخرجه أبو داود (4681) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، والترمذي، (2521) من حديث معاذ الجهني، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (380) وقال: والحديث بمجموع الطريقتين صحيح.

7 الرازي، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1402)، ص71.

كل ذلك يفهم منه إجمالاً على أن الأعمال جزء من مسمى الإيمان يكمل بوجودها وينقص بنقصها، ومثل ذلك جميع الآيات والأحاديث الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه؛ لأن الأعمال إذا كانت إيماناً كان بكمالها تكامل الإيمان، وبتناقضها تناقص الإيمان وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم كما هم متفاضلون في أعمالهم، ولا يصح أن يقول قائل: إيماني وإيمان الملائكة والنبيين واحد؛ لأن الطاعات كلها إذا كانت إيماناً، فمن كان أكثر طاعة كان أكثر إيماناً، ومن خلط الطاعات بالمعاصي كان ناقص الإيمان ممن أخلص الطاعات.

**والحاصل:** أن هناك تباين بين أهل السنّة من جهة وبين الوعيدية والمرجئة من جهة، فأهل السنة يدخلون العمل في مسمى الإيمان، وأن الكبائر تتفاوت فمنها ما يذهب الإيمان بالكلية حتى لو كان قولاً أو فعلاً، كون ذلك العمل من شروط الصحة، ومنها ما ينقص الإيمان، ولا ينتفي عن فاعلها الإيمان بالكلية، كون العمل في هذا الجانب شرط كمال. فأهل السنة وسط؛ خلافاً للوعيدية التي تنفي الإيمان بالكلية عن مرتكب الكبيرة؛ كالجوارح، أو تقول هو ليس بمؤمن ولا كفر في الدنيا، وفي الآخرة محلد في النار كالمعتزلة. كذلك هم خلاف المرجئة التي تقول لا يضر مع الإيمان أي معصية. فعند الوعيدية الإيمان يزول بالمعصية وعند المرجئة إيمان العاصي كإيمان الصحابي.

ولذا يمتنع أن يكون أن يكون هناك إيمان في القلب مع خلوه من جميع أعمال الجوارح، يقول ابن تيمية: "إنّ جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وإنّ إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع؛ سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزء منه"<sup>1</sup>. وقال: "فالعمل يصدّق أن في القلب إيماناً، وإذا لم يكن عملٌ كذب أن في قلبه إيماناً، لأن القلب مستلزم للعمل الظاهر، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم"<sup>2</sup>.

1 ينظر في ذلك مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (المدينة، مجمع الملك فهد، ط1، 1995)، ج7، ص14.

2 المرجع السابق، (294/7).

## الخلافا بين الفرق المخالفة لأهل السنة في معنى الإيمان:

الخلافا القائم بين أهل السنة وبين الفرق المنتسبة للإسلام يدور أغلبه في مفهوم الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام، وهذا هو أساس الخلافات التي حصلت، والتي لا تزال بين طوائف المسلمين، وبسبب اختلاف الأفهام في مفهوم الإيمان أريق دماء المسلمين، كل يسعى لإثبات فهمه بكل الوسائل، وموضع الخلاف الحاصل هم المرجئة من طرف، والوعيدية من طرف آخر، إذ الخلاف بالعموم هو بين هذين الطرفين وتأتي بقية الفرق تبع، وليعلم أن الوسطية دائماً هي من سمات أهل السنة. وحاصل الخلاف هو:

**أولاً:** أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وأن الكفر خصلة واحدة كذلك. ويعتبر ذلك من أهم أسباب الخلاف القائم بين جميع الفرق، وهو أصل واحد توافقت عليه كل الأطراف وبنوا عليه أساس النزاع وهو: (أن الإيمان كل لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله)، وقد ذكر الإمام الرازي عدداً من فرق المرجئة منهم اليونسية والغسانية، فقال: " وهم يقولون إن الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان"<sup>1</sup>.

**ثانياً:** وهو مكمل للأول وهو: أنه لا يمكن أن يجتمع في قلب واحد إيمان ونفاق. وأنه لا يمكن أن يكون في عمل العبد شعبة من إيمان وشعبة من شرك. قال الدكتور البدر: " لقد ذهبت الخوارج والمعتزلة مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان من حيث أنه شامل للأعمال والأقوال والاعتقادات، إلا أنهم فارقوا أهل السنة والجماعة بقولهم إن الإيمان كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يقبل التبعض، ومن هنا كان الإخلال بالأعمال وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الإيمان كلية، على خلاف بينهم في تسميته كافراً، فالخوارج قطعوا بكفره، ونازعهم المعتزلة في الاسم وقالوا نحن لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: بين منزلة الإيمان والكفر، وإن كانوا قد اتفقوا جميعاً أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم"<sup>2</sup>.

وسوف نورد بعون الله ما يتعلق بالتعريف بهذين الفرقتين، وهما: (الخوارج والمرجئة)، وأقوال أهل العلم وما يتعلق بأبرز القضايا الفكرية لديهما، عند الكلام عن أسباب الافتراق في الأمة في المبحث الثاني من الفصل الأول، وبيان لأهم قضايا الخلاف القائم في ذلك، والذي كان سبباً في أن تفرعت عنهما بقية الفرق في مفهوم الإيمان ومسماه.

<sup>1</sup> الرازي، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (مرجع سابق)، ص 70.

<sup>2</sup> البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، (الرياض، مكتبة دار القلم والكتاب، ط 1، 1996)، ص 348.

## الالتقاء بين الإيمان، والعقيدة.

تتوافق العقيدة مع الإيمان فيما إذا انحرف أحدهما فحتما ينحرف في الآخر، فمثلا عندما انحرف الخوارج عن العقيدة بادئ أمرهم، أدى انحرافهم إلى الانحراف في مسمى الإيمان، فجعلوا الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض إن ذهب بعضه ذهب كله، فأخرجوا صاحب الكبيرة من دائرة الإيمان غلوا، ومثلهم المرجئة بالعكس جفاء.

وعندما يطلق مسمى العقيدة فهو يعني ما يعتقد الإنسان ويؤمن به بقلبه، وهذا هو الإيمان، ولهذا فإن المعنى بالمفهوم العام للإيمان والعقيدة؛ هما شيء واحد، وكلاهما يدخل في أعمال القلوب، وهما أصل الدين وأساسه.

ولا يستقيم الدين إلا بالعقيدة الصحيحة، ولا تتم العقيدة إلا بالإيمان؛ وكل ذلك يكون على وفق فهم أهل السنة، فالإيمان واسع لاشتماله على الاعتقاد والقول والعمل، أما العقيدة فهي أشمل لدخول الإيمان والتوحيد بأنواعه من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات فيها، غير أنها تقتصر على الأعمال القلبية.

كما يدخل في لفظة الإيمان مفاهيم متنوعة فحينما يراد به الإيمان المتعلق بزيادة الطاعة ونقصانها، وحينما يدخل فيه شعب الإيمان، وحينما يراد به الغيبيات، أما لفظة العقيدة فهي ثابتة لا تتبدل. وعند إطلاق لفظة الإيمان فإنها تشمل الدين كله، أما لفظة العقيدة فتشمل قول القلب وعمله.

## المطلب الثاني: مفهوم الانحراف،

لقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين بالتوحيد، وخصهم بنور الهداية والرشاد، وحثهم سبحانه على طلب الهداية والثبات على الصراط المستقيم، بل وأجب ذلك عليهم وجعله من فرائض الدين، حيث لزم العبد أن يكرر طلب الهداية في كل صلاة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]. فالاستقامة هبة من الله تعالى يهبها لمن شاء من عباده، ونقيض هذه الاستقامة هو الانحراف والعياذ بالله، والزيغ عن الصراط المستقيم، ومن انحرف أو زاغ، فهو لما محالة هالك، إلا أن يلطف الله به، ووبال المنحرفين ليس عليهم فقط، بل يتعدى هذا الوبال إلى مجتمعه وأمته، وفي هذا المبحث سوف نتكلم عن مفهوم الانحراف بالعموم، ومفهوم الانحراف الفكري، والعوامل المؤدية للانحراف.

ومما يشغل الكثير من المفكرين، والعلماء، هي ظاهرة الانحرافات الفكرية، وقد تناولها جميع أولئك على مختلف مللهم ومذاهبهم، وخاضوا في ذلك سواء من الناحية الفكرية أو الاجتماعية أو السلوكية، ... الخ. وكان الدافع من وراء هذا الاهتمام الملحوظ حيال هذا هو؛ الكشف عن حقيقتها والسعي لمعرفة الأسباب المؤدية لها، وإيجاد الحلول للوقاية منها. ولكل دارسٍ رأيه الذي توصل به إلى تلك الأسباب والتصدي لها؛ فقد يكون البعض قد اقتصر في دراسته على الأفراد فقط، كأن تكون دراسته موجهة إلى الآباء مثلاً، وقد يكون البعض منهم قد وجه دراسته إلى المؤسسات التعليمية، والبعض إلى المؤسسات الأمنية أو المنظمات أو الجماعات، غير ذلك من الغايات والأساليب، إلا أن الجميع قد أجمع على أن ظاهرة الانحراف ظاهرة خطيرة تعصف بالأمة الإسلامية، وتعدُّ شرٌّ مُحْدَق ينخر في القيم ولأخلاق والدين.

لا يخفى أن العالم في هذه الحقبة الزمنية من أدناه إلى أقصاه قد أصبح قرية صغيرة، يُعرف ما يدور فيه في لحظات وجيزة، وكل ذلك بسبب الكم الهائل من وسائل الاتصالات الحديثة، سواء المسموع منها أو المقروء أو المرئي، وهذا هو الذي جعل العالم الحديث عبارة عن غرفة عمليات مصغرة، وعلى ما فيها من تقدم ورقي في العلم والمعرفة؛ إلا أنها تشكل الخطر الرئيس وراء كثير من الانحرافات في عصرنا الحاضر، وقد تكون سببا في زعزعة العقائد والقيم والسلوك. وقد أصبح بمقدور أي شخص أن يطرح ويناقش ويبيث ما لديه من عقائد فاسدة، بواسطة تلك الوسائل المتاحة في شبكة "الانترنت"، بالإضافة إلى سهولة التأثير بمختلف الحضارات المناقضة للقيم السليمة، لكثرة ما يبيث فيها من سموم هدامة للأفكار.

## تعريف الانحراف لغة واصطلاحاً.

من السهل أن يتحدث الخطيب أو المحاضر عن الانحرافات، كذلك يسهل على الكاتب أن يخوض في غمار الانحرافات بشتى أنواعها، وتكمن السهولة في ذلك عندما يتم الحديث عنها بالمجمل، ولكن عندما يغوص الباحث في لجج المعاني الدالة على الانحرافات، ويتعمق في بحورها، ليكتشف المعاني الدقيقة لهذا المفهوم هنا تكمن الصعوبة نوعاً ما، لأنه يسعى في إيضاح مالم يكن واضح، أو التوسع في موضوع قد عرض مجملًا، وهذا يعني أنه يحقق في مفاهيم ومعان عدة، لحالة هذا الموضوع.

### أولاً: معنى الانحراف لغة:

قد يطلق الانحراف ويراد به التخصيص في أحد المضامين العامة، كأن يخصص هذا الانحراف بـ: "الانحراف الفقهي، أو القانوني، أو السياسي، أو الاجتماعي، أو النفسي، أو السلوكي، أو الانحراف الفكري، أو الفكري، ... إلخ. وعند الكلام على أي موضوع من المواضيع، أن يقدم بالإيضاحات اللغوية لذلك الموضوع كتهيئة لمعرفة ما اشتمل عليه من البيان، كي يسهل فهمه، وما تضمنته من المعاني.

**الانحراف:** أصل كلمة انحراف هو: (ح ر ف)<sup>1</sup> الحاء - الراء - الفاء. تأتي على ثلاثة أصول:

### الأصل الأول: حُدُّ الشَّيْءِ:

- الحُدُّ: حرف كل شيء؛ كحد السيف، وحد الجبل، وحد الساحل، وحد الدولة<sup>2</sup>.
- ومنه الحرف: وهو الوجه. تقول: هو من أمره على حرف واحد؛ أي طريفة واحدة، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: 11]؛ أي: على وجه واحد. وذلك أنه يجب على العبد طاعة ربه تعالى عند السَّراء والضَّرَاء، فإذا أطاعه عند السَّراء وعصاه عند الضَّرَاء فقد عبده على حرف، كما قال الله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الحج: 11].

1 الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة (حرف)

2 رينهارت بيتر، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمَّد النعيمي وجمال الخياط، (العراق، وزارة الثقافة، من 1979-2000.

## الأصلُ الثاني: تقدير الشيء:

- ومنها، المُحَرَّفُ: وهي حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج، قال: القطامي<sup>1</sup>:

إِذَا الطَّيِّبُ بِمُحَرَّفِيهِ عَالَجَهَا ..... زَادَتْ عَلَى النَّفْرِ أَوْ تُحْرِكُهَا ضَجْمًا

- ومنها: حِرْفٌ: جمع حِرْفَةٍ، الجمع: حِرْفَاتٌ وحِرْفٌ. وحِرْفَةٌ: بالكسر: الصنعة<sup>2</sup>.

- والمُحَرِّفُ: الصانع. وحِرْفِيٌّ: صاحب الحرفة، وفلانٌ حِرْفِيٌّ، مُحَرِّفٌ، صانع<sup>3</sup>. قال أبو زيد: أَحْرَفَ الرجل

فهو مُحَرِّفٌ، إذا جاء بالمال الكثير ونما ماله وصَلَحَ. قال الأصمعي: يقال: هو يحرف لعياله، أي يكسب

من هاهنا وهاهنا. وأهل الحِرْفِ: أصحاب الصناعات<sup>4</sup>.

- وقيل: أن المحارف هو الذي قُدر عليه رزقه. ورجل مُحَارِفٌ: محدودٌ محرومٌ، وهو خلاف مبارك.

## الأصل الثالث: فراق الشيء والعدول عنه:

- انْحَرَفَ عن يَنْحَرِفُ انْحِرَافًا. وَحَرَّفَهُ: عدل به وأماله.

- منها: حَرَفٌ: (فعل). حَرَفَ يَحْرِفُ، تحريفًا، فهو مُحَرِّفٌ، والمفعول مُحَرَّفٌ. وذلك كتتحريف الكلام، وهو

عَدَلُهُ عن جهته. وزَوَّرَهُ؛ غَيَّرَهُ وصرفه عن معانيه. قال الله: ﴿يُحْرِفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]؛

أي: يميلون به عن مواضعه. وحَرَفَ النَّصَّ: صحَّفه وأخطأ في قراءته، وحَرَفَ الحَقِيقَةَ حرف القانون،

حرف الوقائع<sup>5</sup>.

- انْحَرَفَ: (فعل: خماسي لازم، متعد)، انْحَرَفْتُ، انْحَرِفُ، انْحَرِفْ، مصدر انْحِرَافٌ: إلى/عن، انحرافًا، فهو

مُنْحَرِفٌ، والمفعول مُنْحَرَفٌ إليه. والجمع: انحرافات. انْحِرَافٌ عن الطريق المستقيم: الخروج عن جادة

الصواب، وانحرف عن هدفه النبيل. وانحرفت السيارة: ابتعدت عن الطريق.

ويتضح مجملًا مما سبق ترابط هذه الأصول وأنها تشمل: (البعد والميل، والحد والتبديل)، وكل واحد من

تلك الأوصاف تفيد نفس المعنى في الانحراف، وأن من وصف بأحد تلك الصفات يقال له منحرف.

1 الحصين بن حمال بن حبيب أحد بني عبود بن القطامي. شاعر، أنظر: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء لأبي القاسم الأمدي.

2 في القاموس: بالضم والكسر.

3 رينهارت بيتر، تكلمة المعاجم العربية، مرجع سابق.

4 الجوهرى، الصحاح، مرجع سابق، مادة (حرف)

5 المرجع السابق.

## ثانياً: معنى الانحراف في الاصطلاح:

لقد حاز مفهوم الانحراف اهتمام الكثير من العلماء، والمفكرين والدارسين، لذلك نجد أن كل مختص ينظر إلى تلك الانحرافات من منظور مجاله العلمي، ويؤكد ذلك ما جاء معنا في المفاهيم اللغوية لمعنى الانحراف، فكل علم مستقل بذاته له مفهوم يناسبه ويتناسق معه، وكل في مجاله وتخصصه.

يندرج تحت الانحراف بمعناه الاصطلاحي عدة مفاهيم؛ ومفادها جميعاً يدور حول انحرافات المعتقد، والفكر، وهو ما يهمنها في دراستنا وبشكل رئيس. ولتوصيف الحالة، لزم التعريف بها. وعند البحث في المراجع ومعاجم اللغة الدراسات التي تحدثت عن الانحرافات الفكرية، لم تعريفاً كافياً شاملاً للانحراف الفكري في الاصطلاح، أما معاجم اللغة فقد اقتصر على التعريف اللغوي، وأما الدراسات التي تحدثت عن الموضوع فإن الكل لم يتطرق لمفهوم الانحراف الفكري في الاصطلاح، ومن جاء بالتعريف اصطلاحاً فإنه راح به إلى التعريف ما يتعلق بالفكر. وكون دراستنا متعلقة بالانحرافات الفكرية، وأن المراد منها بالخصوص هو التيارات الفكرية المنحرفة فكرياً، ولعل ذلك يرجح تعريفنا الاصطلاحي للانحراف الفكري.

ولقد بدل الكثير من العلماء والمفكرين جهدهم في الوصول إلى تعريف شامل للانحراف بالمعنى الاصطلاحي، وقد أتت هذه التعريفات على عدة وجوه، لكل مجال تعريفه الاصطلاحي المتعلق به. سنذكر منها ما هو المفهوم العام ثم نذكر التعريف الاصطلاحي المتعلق بالانحراف الفكري، ومن ذلك:

- الانحراف بمعناه الواسع كما يقول الدكتور غباري: هو " انتهاك للتوقعات والمعايير الاجتماعية، والفعل المنحرف ليس أكثر من أنه حالة من التصرفات السيئة"<sup>1</sup>.
- أما الدكتور العيد فيعرفه بقوله: الانحراف هو " ضد الاستقامة التي أمر الله ورسوله بها، وهو الميل عن طاعة الله ورسوله، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات، والأخلاق"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> غباري، محمد سلامة، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث؛ العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، (الإسكندرية، المكتب الجامعي، ط 2، 1989م)، ص 6.

<sup>2</sup> العيد، سليمان بن قاسم، وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، (الرياض، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 4، العدد 28، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ)، ص 246.

- أما الشيخ السدحان فيرى أن الانحراف هو: " ارتكاب أي فعل نهت الشريعة الإسلامية عن ارتكابه، أو ترك أي فعل أوجبت الشريعة الإسلامية القيام به، دون أن يكون للفعل أو للترك عذر شرعي مُعتبر" <sup>1</sup>

- ويرى الدكتور الزحيلي أن الانحراف ما هو إلا: " الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان" <sup>2</sup>.

وبالرغم من أن هذه التعريفات تعبر عن الانحراف بالمفهوم الواسع، إلا أنها جميعاً تصبّ في بوتقة واحدة وهو انحراف التدين، والحياد عن الفطرة السليمة، والاستسلام للغريزة البشرية دون قيد، والقيام بأعمال تؤدي إلى انتهاك لقواعد ومعايير متعارف عليها، ويوصف مرتكبها عموماً، بالعدول عن الصراط المستقيم.

---

<sup>1</sup> السدحان، عبد الله بن ناصر، رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية، (الرياض، مكتبة العبيكان، 1417هـ)، ص 14.

<sup>2</sup> محمد الزحيلي، الإسلام والشباب، (دمشق، دار القلم، ط1، 1414هـ)، ص 163.

## المطلب الثالث: الانحراف الفكري، والعوامل المؤدية إليه.

قضية الانحراف قضية حساسة ومهمة من جميع الزوايا التي تعنيها هذه الكلمة في شتى شئون الحياة، لذا نجد أن هناك من العلماء تخصصوا في بيان الانحراف السلوكي، ومنهم من تكلم في الانحراف الاجتماعي، ومنهم من خاض في مفهوم الانحراف الفقهي، ناهيك عن الجوانب العلمية كالانحراف الفيزيائي والفلكي وغير ذلك ذلك، وإن الأهم برأئي في ذلك كله هو الانحراف المتعلق بالعقيدة والفكر؛ لأن باستقامتها يستقيم الدين، وإن استقام الدين تستقيم الحياة، والعكس كذلك، فإن انحراف الفكر والعقيدة، يعني انحراف الدين، ولو انحراف الدين، انخرت الحياة. فما هو هذا الانحراف وما هي العوامل المؤدية له؟

### أولاً: مفهوم الانحراف الفكري:

مصطلح "الانحراف الفكري" من المصطلحات الحديثة؛ ولذلك لم تذكر معاجم اللغة تعريفاً له. ويتصف مفهوم الانحراف الفكري بأنه " مفهوم نسبي متغير، فما يُعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما لا يُعد كذلك في مجتمع آخر؛ وذلك لاختلاف القيم والمعايير الدينية والاجتماعية والسائدة"<sup>1</sup>؛ ولذلك فقد عُرِفَ الانحراف الفكري بتعاريف عدة، منها ما ذكره:

الدكتور طالب مبارك، بأنه: " نوع من الفكر يُخالف القيم الروحية والأخلاقية والحضارية؛ للمجتمع، ويُخالف الضمير المجتمعي، وأهم من ذلك كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يُخالف المنطق والتفكير السليم، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع"<sup>2</sup>.

ويعرف الدكتور الهماش الانحراف الفكري بأنه " عدم اتساق أو تطابق الفكر الشخصي بانطباعاته، وتصوراتهِ، وآرائهِ، مع مجموعة المبادئ والقيم العقيدية والثقافية، أو السياسات المستقرة في المجتمع"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المالكي، عبدالحفيظ بن عبد الله، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، أطروحة دكتوراه، الفلسفة في العلوم الأمنية، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006)، ص 70.

<sup>2</sup> طالب، حسن، الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، (الرياض، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف للعلوم الأمنية، 1426هـ)، ص 116.

<sup>3</sup> الهماش، متعب بن شديد بن محمد، استراتيجية تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، "المفاهيم والتحديات"، (الرياض، جامعة الملك سعود، 22 - 25 جماد الأول، 1430هـ)، ص 8.

وفي نفس السياق عرّف الدكتور علي الجحني الانحراف الفكري بأنه: " انتهاك للمعايير المتعارف عليها، ومحاولة الخروج على قيم وضوابط الجماعة"<sup>1</sup>.

أما الدكتور سعيد القليطي، فيعرف الانحراف الفكري بقوله: " ذلك الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والأعراف والنظم الاجتماعية، أي أنه ذلك الفكر الشاذ الذي يجيد بالمجتمع عن تقاليده الحميدة، ويُخالف تعاليم الإسلام الحنيف، والقيم السمحة"<sup>2</sup>.

وتضيف الدكتورة هيا آل الشيخ تعريفا تستنتج منه مآل الانحراف الفكري بقولها: " الانحراف الفكري مُرادف للتطرف والغلو الذي يترتب عليه العنف والإرهاب؛ لأن التطرف والغلو مُجازة حد الاعتدال وعدم التوسط، فالتقصير في التكاليف الشرعية والتفريط فيها تطرف، كما أن الغلو والتشديد فيها تطرف"<sup>3</sup>.

ويتضح مما سبق من التعريفات أنها تدور حول مخالفة العقيدة، والخروج عن مبدأ الوسطية والاعتدال، والذي تحلق بجناحين أحدهما الغلو والتشدد والآخر الجفاء والتفريط، وكلاهما في فيما يتعلق بالدين، ولا شك أن كلا الحالتين خطير على الفرد والأمة. كما يتضح من تلك التعريفات أنها تركز على قضية المخالفة للمجتمع، وما يؤمن به من قيم وأخلاق وثقافة، وما يعانيه المنحرف من العزلة الاجتماعية، تسبب بها فكره وتصوره وآراءه المعارضة لما عليه المجتمع.

وبذلك يُمكن خلاصة تعريف الانحراف الفكري بأنه: ميل الفكر وخروجه عن الوسيطة والاعتدال باتجاه التطرف والمجازة؛ سواء في الغلو أو التفريط، وعدم فهم الأمور الدينية وتطبيقاتها ومُخالفته لقيم وأخلاق وثقافة المجتمع، ومناهضة الأنظمة والقوانين للبلد التي يقطنها، وكل ذلك يُشكّل خطراً على نظام الدولة وأمنها الوطني بكل مقوماتها.

<sup>1</sup> علي بن الجحني، الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع، (أبها، جامعة الملك خالد، حولية كلية المعلمين، العدد 12، 1429هـ)، ص 63.

<sup>2</sup> القليطي، سعيد، التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة السعودية، (جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2007هـ)، ص 5.

<sup>3</sup> آل الشيخ، هيا، مكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، (الرياض، جامعة الملك خالد، المؤتمر الوطني للأمن الفكري، 1430هـ)، ص 6.

## ثانياً: مفهوم الانحراف الفكري.

لقد أثبتت أبحاث علماء الأديان، مدعومة بأبحاث علماء الأجناس، والنفوس، أثبت هؤلاء جميعهم أن عقيدة الخالق الأكبر أو (فطرية التوحيد) وربوبية الله، هي أقدم ديانة ظهرت في البشرية، مستدلين على ذلك بأنها لم تنفك عن أمة من الأمم قديماً وحديثاً، وهذا ما تقره الديانات السماوية، إذ تؤكد أن للكون خالقاً عظيماً؛ فطرت النفوس على الإقرار بوجوده، والسعي لعبادته، والتقرب إليه، وهذه هي (قضية الوجود).

ولهذا ظلت الديانات السماوية مرتبطة بالإنسان منذ وجوده على الأرض، حيث لم تخل أمة من الأمم إلا وقد بُعث إليها رسولا؛ يرشدهم إلى الخالق العظيم، ويدعوهم إلى عبادته، وبذلك تتضافر الأدلة التاريخية على وجود الله تعالى، أما ما ينتج بعد ذلك من الانحراف الفكري؛ فيكون في الغالب نابع عن استخدام العقل في غير ما خلق له، أو في مجالات فوق طاقة العقل، كالبحث فيما وراء الطبيعة، أو تأويل آيات القرآن المتشابهة تأويلاً في غير موضعه، أو تفسير آيات القرآن حسب الأهواء الشخصية، أو الميول المذهبي والطائفي، وكل ذلك افتراء على الله تعالى وآياته، وكذلك عدم التصديق بأحاديث الرسول ﷺ، بحجة عدم موافقتها للعقل المحدود، لذلك يتبين أن الانحراف لا يأتي من فراغ، وإنما يأتي نتيجة أسباب عديدة، سأذكرها بعون الله تعالى في موضعها عند الكلام على أسباب الانحراف. ولهذا قد تواتر الذم لأهل الأهواء منذ عصر النبوة، وتتابع الذم لهم عبر الأزمان والقرون.

قال الإمام الإسفراييني: " قد روى عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقا، وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة وسائرهما على الضلال في الدنيا والبوار في الآخرة، وروى عن النبي ﷺ ذم القدرية وأهم مجوس هذه الأمة، وروى عنه ذم المرجئة مع القدرية، وروى عنه أيضا ذم المارقين؛ وهم الخوارج، وروى عن أعلام الصحابة ذم القدرية والمرجئة والخوارج المارقة"<sup>1</sup>.

أما السير على جادة الطريق؛ من اتباع لكلام الله تعالى، فهو من شأن أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، ثم من اقتفى أثرهم وسار على طريقتهم، ثم كان خير هدي خصت به أمة الإسلام هو هدي النبي عليه الصلاة والسلام؛ فهو الطريق السليم الذي أمرنا الله به في قول الله تبارك: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا

<sup>1</sup> الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص5.

أُمِرَتْ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعَمُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿[هود: 112]، ومعلوم ما الذي يضاد هذا الاتباع وهذه الاستقامة؟! ما هو إلا الانحراف والانزلاق والطغيان.

قال الإسفراييني رحمه الله " وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة أن النبي ﷺ لم يرد بالفرق المذمومة التي أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على اصول الدين لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين أحدهما قول من يرى تصويب المُجتهدين كلهم في فروع الفقه وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون والثاني قول من يرى في كل فرع تصويب واحد من المتخلفين فيه وتخطئة الباقيين من غير تضليل منه للمخطيء فيه وإنما فصل النبي عليه السلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في ابواب العدل والتوحيد أو في الوعد والوعيد أو في بابي القدر والاستطاعة أو في تقدير الخير والشر أو في باب الهداية والضلالة أو في باب الإرادة والمشية أو في باب الروية والإدراك أو في باب صفات الله عز وجل وأسمائه وأوصافه أو في باب من أبواب التعديل والتجوير أو في باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الابواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقى الرأي والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والروافض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة"<sup>1</sup>.

والانحراف هو طريق الظلمات؛ الممزوج خوفا واضطرابا، والذي لا يمكن أن يرى على من سلكه سوى مظاهر النكد وآثار النصب، وعلامات الشقاء قال الله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿[طه: 124] . ولذا ترى أن من انحرف عن سبل السلام، الذي عليه جماعة الموحدين، وقع في طريقة السالكين، واستوحش دروب السالكين، رغب عنهم، وأنس لفرافهم، وتغشى فؤاده الحقد والشماتة لأي نازلة تعترض طريقهم، وتراه يتمنى نزل بالمسلمين كل مصيبة، وحلت بهم كل نكبة، والعكس بالعكس، إن جاءهم نصر من الله، وعمتهم بشائر الرحمن فإن ذلك الفرح يحزنه.

<sup>1</sup> الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص 5.

وقد ترى من أصحاب ذلك المنحرف، والذين كانوا يتولون قيادة التزيين للباطل، ويشحنون همته في الغواية، ويشدوا من عزمه على الضياع؛ ممن سقط في حبال الشيطان، وحملوا راية الطغيان إلى جواره، ممن كانوا يحدرون ذلك المسكين من الاغتراف من مناهل العلم النقي المستقى من كتاب الله وسنة نبيه، والذي بهما خلاص البشرية، بل كانوا يقطعون له وعودا مثل وعد السراب لمن أنهكه الظمأ، وسريعاً ما تتبدل كل تلك الوعود إلى مرارة توهن الفؤاد، وحسرة تفسر الكبد، قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27-29]؛ فهذه الطرق المتعرجة للانحراف، توصل إلى متاهات فاشلة النتائج، تؤدي إلى الكفر والإلحاد وتؤدي إلى الخراب والدمار، والفضيحة والإذلال<sup>1</sup>، وما هو الحال في أمتنا الإسلامية إلا نتيجة تلك الانحرافات بشتى أنواعها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

1 الحلبي، فيصل بن سعود الانحراف وأسبابه، (خطبة جمعة 1425/4/15هـ) من موقع: [HTTPS://SAAID.NET](https://saaaid.net) / (بتصرف)

### ثالثاً: العوامل المؤدية للانحراف الفكري:

الانحراف عن العقيدة من أعظم المهلكات، وهو الطريق الموصل إلى الضياع، ولا يحدث الانحراف في الدين؛ إلا بسبب الضعف في العقيدة، لأن العقيدة هي الدين، وقد جاء معنا أن من معاني العقيدة: هو ما يدين به المرء، وعند توارد الشكوك على الإنسان فهذا يعني أنه أصبح فريسة للمنحرفين، فينحرف عن الجادة، ومع الزمن يصبح من دعاة الانحراف عن المعتقد السليم، ولو أن المخلوق المميز بالعقل عن غيره من المخلوقات؛ استسلم للوحي الاستسلام الكامل، لاشك انه لن يصل بأي حال من الأحوال الى درب من دروب الانحراف؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 51-52]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، وعندما حاول الانسان القاصر اقحام العقل في أمور الغيبات، ولم يعطي لنفسه الأمن من خلال إيمانها الذي جبلت عليه، نشأت الانحرافات وظهرت الانزلاقات عن الصراط المستقيم، ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53]، فكان للشيطان ما أراد: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82-83]، فهذا ابليس يقسم، والعقل يصدق، والهوى يتأقلم، والحصيلة انحرف عن الفطرة السليمة.

لذا نجد أن الانحرافات دركات، تبدأ بالمعصية ومن ثم البدعة مروراً بالشرك وتنتهي بالإلحاد، والله يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]، فكل انحراف حصل في البشرية، إنما هي من همزات الشيطان، الذي أبي أن يكون بني آدم على توحيد وإيمان تام، فأقسم أن يغويهم ويضلهم كي يشاركوه في الجحيم، لذلك نجد أن أول عبادة للأصنام كانت في قوم نوح عندما أوحى الشيطان لهم أن يعبدوا أصناماً كانت لقوم صالحين. ففي الحديث عن ابن عباس، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَهْلَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23)﴾ [نوح: 23-24]، قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت)<sup>1</sup>.

1 حسين، حامد بن محمد، فتح الله الحميد المجيد، تحقيق: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط1، 1417هـ/1996م)، ص279.

فهذه هي وسيلة الشيطان في الانحراف، بداية الأمر يأتي من باب الاستحسان، ثم يتدرج بالعباد شيئاً فشيئاً حتى يوردهم المهالك، ثم يقول في نهاية المطاف: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16]، لذلك من تأمل مكائد الشيطان، يرى أن أول شبهة وقعت على بني آدم في عبادة الأصنام كانت لرجال صالحين، وكان من الأصول التي اتبعها في ذلك هي: مزج الحق بالباطل، حتى يختلط على المرء الأمر فيصبح لا يستطيع التمييز، فيقع والعياذ بالله في الشبهة والتي تُفضي به إلى الخروج من الإيمان؛ إلا من عصم الله بالعلم والتسليم للوحيين، ومن أبي التسليم للوحي، وانجرف وراء الكيفيات، فلا شك أن ذلك هو لطريق الموصل للانحراف، ففي بدايته شبهة، ثم يتطور إلى فكرة واستحسان، ثم يتحول إلى عقيدة واستسلام، إلى أن يصل إلى تضحية ومانحة من أجل ذلك.

وقد اقتضت حكمة الله أن: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30]، قال السمرقندي: (فَرِيقًا هَدَىٰ وهم المؤمنون فعلم الله تعالى منهم الطاعة ويكرمهم بالمعرفة، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: وجب عليهم الضلالة، فخذلهم ولم يكرمهم بالتوحيد حيث علم منهم المعصية والكفر ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ﴾ يعني: لأنهم اتخذوا الشياطين أولياءً مِنْ دُونِ اللَّهِ يعني: اتخذوهم أولياء وأطاعوهم بالمعصية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أي: يظنون أنهم على الهدى)<sup>1</sup>. وكل ذلك لا يتم الا بإرادة الله السابقة والمعلومة بحال كلا الفريقين، وقد سبق في علمه أن هؤلاء سوف يتخذون الشياطين أولياء، وأنهم سوف يصدونهم عن ذكر الله، وعن السبيل المستقيم، وسبق في علمه أن هؤلاء سوف يوحدونه، ويعبدونه حق العبادة، وليس للشيطان عليهم سيلاً. وعن ابن عباس، وسعيد بن جبير وجابر: وروي معناه عن النبي ﷺ: أن المراد بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]؛ الإعلام بأن أهل الشقاء والكفر في الدنيا؛ الذين كُتِبَ عليهم: الشقاء في الآخرة، وأهل السعادة والإيمان هم: من كتب لهم في الدنيا هم أهلها في الآخرة، لا يتبدل من الأمور التي أحكمها ودبرها شيء<sup>2</sup>.

1 السمرقندي، بحر العلوم، (لا يوجد أي معلومات نشر) ج1، ص511، الآية (30) من سورة الأعراف.

2 ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422)، ج2، ص392.

## أهم العوامل المؤدية لانحراف العقيدة:

من خلال الاستقراء في الانحرافات التي وقعت في الأمة نجد أن أعظم العوامل المؤدية إليه مايلي:

أولاً: العلماء، أو الغلو في طاعة العلماء وبالمعنى الأصح من تلبس بلباس العلم، ورفعهم فوق منزلتهم، وهؤلاء هم الذين يلبسون الحق بالباطل، وأشد ما يكون ذلك التلبس؛ عندما يكون باسم التمسك بالسنة، أو الولاء لآل البيت، أو بحجة الدب عن أعراض المسلمين، وغير ذلك من التلاعب بمشاعر المسلمين. والناس في أمر دينهم تبع لعلمائهم.

ثانياً: السلطان: وهذا سببه الطاعة المفرطة للسلطان، والذي هو بدوره يأطر الناس على اتباع ما يعتقد أنه صواب وحق، أو ما يوافق هواه وإن كان يعلم أنه باطلاً لغلبة شهوته في ذلك، أو وجود من يزين له القبيح من علماء السوء، والله المستعان، وقد جمعها الله تعالى بقوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: 67]، قال الإمام الطبري في تفسير الآية: "وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾؛ يقول: فأزلونا عن محجة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا"<sup>1</sup>. وقال الإمام الماتريدي: "قال بعضهم السادة: الملوك، والكبراء: العلماء"<sup>2</sup>.

وقال الإمام الماوردي: "في السادة هنا ثلاثة أقاويل: أحدها: أنهم الرؤساء. الثاني: أنهم الأمراء، قاله أبو أسامة. الثالث: الأشراف، قاله طاوس. وفي الكبراء هنا قولان: أحدهما: أنهم العلماء، قاله طاوس. الثاني: ذوو الأسنان"<sup>3</sup>. وقال الإمام القرطبي: "السادة الكبراء، والأظهر العموم في القادة والرؤساء في الشرك والضلال؛ أي: أطعناهم في معصيتك وما دعونا إليه: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾، أي عن السبيل وهو التوحيد"<sup>4</sup>.

وقال الإمام ابن عاشور: "وهذا شأن الدهماء، أن يُسَوِّدُوا عليهم من يُعْجَبُونَ بِأَضْعَاطِ أَحْلَامِهِ، وَيُعْرَوْنَ بِمَعْسُولِ كَلَامِهِ، وَيَسِيرُونَ عَلَى وَقَعِ أَقْدَامِهِ، حَتَّى إِذَا اجْتَنَوْا ثَمَارَ أَكْمَامِهِ، وَأَقْوَا مِرَارَةَ طَعْمِهِ وَحَرَارَةَ

<sup>1</sup> الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000)، ج20، ص331

<sup>2</sup> الماتريدي، أبو منصور، محمد، تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005)، ج8، ص417.

<sup>3</sup> الماوردي، أبو الحسن علي، النكت والعيون، ت: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007)، ج4، ص426.

<sup>4</sup> القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: البردوني وأطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964)، ج14، ص249

أوامه، عادوا عليه باللائمة، وهم الأحقاء بملامه...، لأن كبراءهم ما تأتي له إضلالهم إلا بسبب طاعتهم العمياء إياهم، وانشغالهم بطاعتهم عن النظر والاستدلال فيما يدعوهم إليه من فساد ووخامة مغبة، وتنبؤ وضعهم أقوال سادتهم وكبرائهم موضع الترجيح على ما يدعوهم إليه الرسول ﷺ<sup>1</sup>.

ثالثاً: (الانترنت والفضائيات): الانفتاح الإعلامي، الذي لا يخلو في جملته من نفع كالتعرف على حقائق الأخبار بالصوت والصورة وبعض المعارف والعلوم، لكنه في أغلبه فتح على الناس شراً عظيماً ما حسب الناس له حساباً، وخصوصاً على فئة الشباب، فالتقليد الأعمى بأخذ أقوال الناس من غير معرفة صحيحها من سقيمها؛ كما هو الواقع على تلك القنوات وشبكات التواصل الاجتماعي، حيث انبهر الشباب بما يعرضه هذا الإعلام من فساد مدروس، يحمل بين رماده النار الملتهبة، ويشيع في أجواء الأرض رائحة الخبث والمجون، ويسهل له الوصول إلى الفواحش، ويزين له صور السكر ومعاقرة الفجور، ويدله على حفره ومواقعه، ويتعلم منه الشاب ألواناً من العنف والإرهاب، ويعوده على مشاهدة مناظر الدماء وسفك الأرواح، حتى أصيب جملة من شبابنا بألوان من التفلت على مبادئ دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم، بل وحتى تقاليدهم ومروءتهم، وأصبحوا غير مبالين بأمتهم ومجتمعهم، وأصبحوا يشاهدون خلال شاشته الشبه التي تثير حماسهم ضد عقيدتهم ودينهم، فراح صاحب الشهوة يفجر شهواته في بؤر الفساد هنا وهناك، وراح الجاهل منهم يستقبل تلك الشبه المضلة بقلب خاوٍ ليترجمها إلى تفجير للممتلكات وإهدار لكرامة النفس والأرواح المستأمنة. بل أصبح بعض الناس في تقلب وشكوك وتبدل من عقيدة إلى أخرى.

رابعاً: الجهل والفهم الخاطئ عن الدين: تعتبر الأفكار الدخيلة على المجتمع المسلم من العوامل المؤثرة على العقيدة؛ لأنها تأتي غالباً على صورة الاستحسان، ولذا نجدها توقع الكثير من شباب الأمة في الانحراف؛ لرغبتهم في الخير وظنا منهم أنهم في الطريق الصحيح، ومن هذا الباب دخل الشيطان على الناس قديماً وحديثاً، ولو تفقه الإنسان في دينه، وأقبل على العقيدة علماً وتعلماً، وينشأ على ذلك، لاستطاع أن يميز بين الحق والباطل، ولعرف مداخل الشيطان، (وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِّلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ)<sup>2</sup>، وكم من مستقيم حرفة الشيطان بهذا السبب، حتى اعتقد أن التشدد في الدين مطلوب، ولذا تجد من ابتلي بذلك يسعى إلى إلزام الآخرين بأفكاره، وهو يظن أن في ذلك قرينة، قال ابن القيم: "إن الشيطان يشم

<sup>1</sup> التونسي، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984)، ص437.

<sup>2</sup> أخرجه الدارمي، في السنن، (211)، باب: كراهية أخذ الرأي، وهو أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه. ت: حسين الداراني، (السعودية، دار المغني، ط1، 2000)، ج1، 286.

قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة وإعراضاً عن كمال الانقياد للسنة أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصاً على السنة، وشدة طلب طلب، ولم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، أمره بالاجتهاد، والدور على النفس، ومجاورة حد الاقتصاد فيها، قائلًا له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرج عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها.. وهذا حال الخوارج؛ الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة، لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة وهذا إلى بدعة المجاوزة والإسراف"<sup>1</sup>.

خامساً: الدوافع الداخلية للمعرفة: هناك دافع داخلي في كل البشر هو الذي يوجهه نحو التدين، ولذلك نجد أن الناس يسعون إلى المعرفة والوصول إلى الحقيقة، لمعرفة أن تلك الحقيقة فوق مستوى العقل البشري ولا يمكن أن يحاط بها بواسطة الدليل الحسي الملموس، وإنما يحاط بها بما جاء من عند الله عن طريق الوحي إلى رسله. وعندها يحصل التيه والحيرة، فإن ذلك طريق إلى الانحرافات، قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلا تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهر الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر، زيادة أو نقصان. فكل الخير في الاقتصاد وإخلاص مقرون بالاتباع، كما قال بعض الصحابة: اقتصاد في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف السنة، فاحرصوا أن تكون أعمالكم على منهاج الأنبياء عليهم السلام وسنتهم"<sup>2</sup>.

إذا هذه بعض عوامل الانحرافات، فلولا وجود الدافع الداخلي الذي ينقب عن الخير، وفي الغالب، يحصل الخطأ لعدم الفقه في الدين، أو هناك من يبحث عن المتعة ونحوها، أو هناك من يبحث عن دنيا وصدارة كحال بعض العلماء، أو هناك من يريد الحفاظ على العرش كحال الملوك.

<sup>1</sup> الجوزية، ابن القيم شمس الدين، مدارج السالكين، ت: محمد المعتصم بالله، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1996)، ج2، ص108.

<sup>2</sup> الجوزية، ابن القيم شمس الدين، مدارج السالكين، (مرجع سابق)، ج2، ص108.

## الفصل الأول: ثورات الربيع العربي، الأسباب والتحديات

ويشتمل على ثلاثة مباحث كل مبحث كذلك يحتوي على ثلاث مطالب:

المبحث الأول: الثورات العربية بين الربيع والخريف وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حالة الربيع العربي

المطلب الثاني: الربيع العربي بين الانحياز والحيادية:

المبحث الثاني: الأسباب المؤدية للربيع العربي، وتحديات التغيير

المطلب الأول: الأسباب المؤدية لقيام ثورات الربيع العربي.

المطلب الثاني: أثر التدخلات الداخلية والخارجية على الربيع العربي

مع نهاية عام (2010 م) خرجت جموع هائلة من المتظاهرين إلى الميادين والساحات والشوارع، في موجة غضب هائلة في عدد من دول العالم<sup>1</sup>؛ لوضع حد من الاستبداد والجبروت والظلم؛ الذي يمارسه حكام تلك المناطق، في حالة من القهر الذي تعشيه تلك الشعوب في ظل حكام متسلطين، مارسوا قانون الوصاية على تلك الشعوب لعدة عقود، ظناً من أولئك الجموع أنها ستنتهي حكم الاستبداد والجبروت، أو على أقل تقدير أنها ستنتهي الظلم الذي مارسه أولئك الطغاة على مجتمعاتهم لعقود عدة، وقد استطاعت تلك الثورات أن تسقط أنظمة، وأن تمز عروشاً باتت تخشي موجة الطوفان.

من المؤكد أن نصيب تلك الاحتجاجات هو لمنطقتنا الإسلامية؛ لما تعيشه أمتنا الإسلامية والعربية من التديني في الأساسيات؛ كالمستوى المعيشي والصحي والتعليمي، ناهيك عن الكماليات والترفيهيات التي ليس لها وجود أصلاً، وكان من أهم المناطق التي غمرتها تلك الموجات الاحتجاجية للمطالبة بالإصلاح، هي اليمن، ومصر، وتونس، وليبيا، وسوريا، أما العراق فهي تعيش العراك من قبل ذلك. ولقد استمرت تلك المظاهرات في بادئ أمرها أسابيع عدة، في ظاهرها، أما حقيقة الحال هو أن تلك المظاهرات تبدلت إلى مقاومات نتجت عن تلك الاحتجاجات الطامحة في الاستقرار والعدل.

أزيل جميع حكام تلك الدول منهم من هرب؛ وهو زين العابدين بن علي حاكم تونس، ومنهم من قتل؛ وهو معمر القذافي حاكم ليبيا، ومنهم من سجن؛ وهو حسني مبارك حاكم مصر، ومنهم من أُحرق وأوشك على الهلاك ثم عاد بوحشية مقيتة؛ وهو علي صالح حاكم اليمن، ومنهم من لم يتزحزح ولا يزال مستمر في إجرامه ووحشيته وطغيانه اشد مما كان عليه؛ وهو بشار الأسد حاكم سوريا. ولا زال الاحتجاج قائم في تلك الدول لعدة سنوات متتالية، ولكن تختلف طريقة تلك الاحتجاجات من مكان لآخر. أما العراق فهو يعيش حالة الانهيار منذ حرب الخليج الأولى عقب دخول صدام حسين للكويت، لذلك لم أوردته في قائمة الربيع العربي.

1 هناك كثير من الدول خرجت فيها تلك التظاهرات والاحتجاجات غير أنه لم يكن ذلك الحضور التغيري مثل الدول الخمس التي سنذكرها في ذا المبحث؛ من هذه الدول التي قامت فيها الاحتجاجات متأثرة بموجة الربيع التونسي والمصري، غير أنها اختلفت في حينها، والبعض منها كان محدوداً هي: (الأردن، الجزائر، موريتانيا، جيبوتي، عمان، البحرين، الكويت، الامارات، السعودية، فلسطين، المغرب، لبنان، السودان)، كما قامت أيضاً تظاهرات في غير الدول العربية مثل: (إيران، الصين، روسيا). ينظر: الربيع العربي، ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط1، 2013).

أما عن حال تلك الشعوب الغاضبة فقد علّق كثير منهم آمالاً على تلك الثورات -التي باتت تعرف بثورات "الربيع العربي"- أملاً في أن يجلب لهم ذلك الربيع قادة جدد؛ من شأنهم أن يبدلوا لهم ذلك البؤس إلى بهجة، والحزن إلى فرح، وأن تحقق الإصلاح السياسي، والحرية الفكرية، والعدالة الاجتماعية، يقول جين شارب: " نجد اليوم أن العديد من البلدان تمر في مرحلة من التغيير الاقتصادي والسياسي والاجتماعي السريع، فبالرغم من أن عدد الدول الحرة قد ازداد في السنوات العشر الأخيرة؛ إلا أن هناك خطراً محققاً يتمثل في أن العديد من الأمم أثناء هذه التغيرات الأساسية السريعة، تأخذ اتجاهها معاكساً لتقع تحت نيران أنظمة دكتاتورية جديدة، حيث تسعى الزمر العسكرية وأصحاب المطامح المستوليين والمنتخبين والأحزاب السياسية والمذهبية باستمرار من أجل أن تفرض إرادتها، وتبقى الانقلابات ظاهرة مألوفة، وتستمر ظاهرة انتهاك حقوق الإنسان الأساسية والحقوق السياسية للعديد من الشعوب"<sup>1</sup>. وهذا ما نراه حقيقة في الربيع العربي، ذلك الواقع الذي حمل معه ألماً من الحروب، والدمار، وأعمال العنف، والفساد، والنهب والسرقات، أكثر مما حمل لهم تلك الأحلام الربيعية، وكان من حال أولئك المحتجين أن تضاعف عليهم القمع بأبشع صورته وألوانه، كل ذلك لأنهم تجرأوا على رفع أصواتهم من أجل أن ينعموا في ظل مجتمع أكثر راحة، يسوده العدل والطمأنينة.

كما أن ثورات الربيع برهنت على عدم قابلية الشعوب العربية في التعايش مع الأنظمة الديكتاتورية التي رأت منها أصناف الاستبداد، وذاقت منها المرّ بجميع درجاته، إذ لم يكن من المتوقع أن تهبّ تلك الجموع في غضون أيام قلائل؛ لتنفض عنها غبار الذل المتراكم لعقود عدة بتلك السرعة، وكل ذلك يدل على الحنق الجاثم على صدور تلك الشعوب منذ وقت طويل، ولكن الحكم الديكتاتوري كان حائل بينهم وبين تلك الثورات، وكان الجميع ينتظر الفارس الذي يأتي لنجدتهم، فكانت الشرارة الأولى من (البوعزيزي) الذي أضرم النار على جسده، هو بوابة العبور، وبداية اليقظة، وسبباً لنبذ الخوف.

ويمكن القول: أنه ليس من الممكن نجاح أي ثورة، وتحقيق أهدافها، دون أن يكون لتلك الثورة تخطيط، أو رؤية واضحة، أو يكون لها تنظيم محكم يتولى قيادتها، وإلا فغالب الظن في أي ثورة تقوم على العشوائية، لن تحقق مرادها، إلا أن يشاء الله؛ ويكون ذلك بإعادة هيكلتها، وتنسيق أبعادها.

1 شارب، جين، من الدكتاتورية إلى الحرية، ترجمة: خالد عمر، (بوسطن، USA، ط2، 2003)، ص11.

وإن المتابع لثورات الربيع العربي، والكيفية التي اندلعت بها الربيع العربي، ليرى أن المعايير المطلوبة لأي ثورة غير موجودة في ظاهرها البتة، بل الذي يظهر على مجريات الأحداث أنها قامت عفوية أو كما يقال: (على البركة)، فلم يشعر الجميع إلا وقامت ثورة هنا وتبعها أخرى هناك. وقد اعتمدت الثورات بشكل أساسي، على العفوية؛ كمنظومة أساسية، وعلى السرعة؛ كبرنامج ملموس، وعلى نبذ القهر والظلم والحرمان من أبسط الحقوق؛ كمطلب، وكان الغضب الكامن في النفوس هو المحرك لها. ولذلك يمكن القول بأن الثقافة التي سارت عليها هذه الثورات هي ثقافة: (الشعب يريد إسقاط النظام)، هذا الذي يمكن أن نستلهمه من هذه الثورات.

أما عن مسار تلك الثورات فكان في بداية أمرها هي ثورات مسالمة، بعيدة عن العنف بكل أشكاله، ومتحاشية للفوضى بجميع ألوانها، بل كان الثوار دائما ما يواجهون العنف الموجه نحوهم؛ بالحكمة والهدوء، خلافا لجميع الثورات السابقة في العالم.

وسميت هذه الثورات (بثورة الشباب)<sup>1</sup>، لأن الشباب؛ وبالذات شباب الجامعات، كانوا هم الذين بدأوا بالنزول إلى ساحات الاعتصامات، واكتضت بهم ميادين التحرير في كل قطر كانوا ينزلون به. وكان البوعزيزي أول من أشعل الفتيل. وقد استطاع أولئك الشباب أن يجعلوا من هذه الثورات قضايا سياسية، أجبرت العالم للالتفات إليها، وهذا بسبب حسن التدبير الذي كانوا يتمتعون به. فكان لأسلوبهم الأثر الأكبر في التغييرات التي حصلت، وتمكنت من الضغط على الأنظمة الظالمة، وأجبرت بعضهم على التنحي عن مناصبهم.

وفي هذا الفصل بإذن الله تعالى سنعرض لحالة الربيع العربي، وما هي الأسباب التي أثارت الشارع العربي وتمخضت عنها تلك الثورات، وما هي التحديات التي واجهت الثورات الربيعية، والتي لا زالت تعاني منها تلك الدول إلى يومنا الحاضر.

---

1 صيام، عصام، ٢٥ يناير الثورة السلمية لشباب الطبقة الوسطى وتحديات المستقبل بالربيع العربي، ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط1، 2013)، ص53.

## المبحث الأول: الثورات العربية بين الربيع والحريف

لا شك أن ما من ثورة قامت على مَرِّ التاريخ إنما لم تكن لتقوم عن فراغ، فلكل ثورة مقدمات أثارت وهجها، وألهبت سياطها الشعوب، كما أن لكل ثورة مقومات قامت عليها وأدت إلى استمرارها من حين تأجيجه إلى نهاية قصتها، وفي هذا المبحث سنبين لحالة الجدل التي عصفت بالشارع العربي والشارع الدولي بين مؤيد لهذه الثورات وبين معارض، وبين من يرون أن هذه الثورات كانت لا بد أن تقوم على حكام عظم بلاءهم على شعوبهم؛ غير أن التوقيت لم يكن مناسباً، أو أن الترتيب لها جاء عشوائياً مما جعل ثمارها لم تنظج النضج المطلوب إلى غير ذلك من المبررات التي جعلت ذلك الفريق غير راضٍ على وضع الثورات في حينه، وفريق آخر يرى أن هذه الثورات من صنع الغرب الذي يريد إضعاف الدول الإسلامية، ويعرقل عملية النهوض في العالم الإسلامي، فيرى أنها مؤامرة راح ضحيتها الشعوب<sup>1</sup>.

كما سنرى أيضاً الدور الفاعل للجيل الجديد؛ الذين هم ساعد الأمة، والأساس لصنع حضارتها، وكيف أنهم كانوا هم النواة الأساسية لهذه الثورات؛ ولهذا عرفت ثورات الربيع العربي بثورة الشباب محلياً وعالمياً، غير أن القدرات الإدارية للقيادة الأمة لم تكن كافية لأولئك الشباب؛ مما جعلهم يسلمون راية التغيير لمن أحسنوا بهم الظن من القيادات الوطنية؛ والذين هم كذلك لم يكونوا محل الثقة التي أنيطت بهم فكانوا سبباً في وأد تلك الثورات.

كذلك كان هناك دوراً واضحاً وملموساً للفتات الملوثة للأنظمة الساقطة في تباطؤ عجلة التغيير والتي أرى أن جميع تلك الدول الربيعية لا زالت تعاني منهم؛ إما مباشرة أو من وراء حجاب، وقبل الدخول إلى صلب الموضوع المشار إليه في هذا المبحث بادئ ذي بدء سوف نلقي نظرة عامة على حالة ثورات الربيع العربي، والتي قامت في كل من تونس، ومصر، وليبيا، وسوريا واليمن. ثم سنأتي بعون الله تعالى ببيان الانحرافات الفكرية على كل من اليمن وسوريا بالخصوص، وكيف أثرت تلك الانحرافات على الثورات العربية (الربيع العربي).

1 العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2012م)، ص97.

## المطلب الأول: حالة الربيع العربي

### أولاً: الربيع التونسي:

قبل الربيع التونسي الحديث، كاد أن يكون هناك ربيع في تونس عام، (1984م) في احتجاجات شعبية واسعة قام بها الشعب التونسي آنذاك، والتي سميت " بانتفاضة الخبز"، وكان المنطلق لها هو الدافع الاقتصادي؛ والتي جاءت بعد قرار اقتضى برفع الأسعار في المواد الزراعية، وقعت بتلك المظاهرات حوادث مؤلمة سقط خلالها الضحايا بالآلاف، وشهدت صراعات دموية حادة بين المواطنين ورجال الأمن، بسبب زيادة في سعر الخبز أقرها رئيس الوزراء حينها، واستخدام وزير الداخلية القوة ضد المتظاهرين، ولم تهدأ تلك الثورة الا بعد تراجع الحكومة عن الزيادة بعد يوم واحد فقط من إقرارها، واستدعي حينها زين العابدين بن علي ليشغل منصب مدير عام الأمن الوطني<sup>1</sup>.

وفي عام (1987م) حصل الانقلاب على بورقيبة والذي بات يعرف بالانقلاب (الطبي)، بعد أن أحضر سبعة أطباء؛ ليعلنوا عجز بورقيبة عن مواصلة الحكم بسبب تقدمه في السن. على إثره ذلك ثم إقصاء بورقيبة؛ لكنها لم تكن هذه المرة بواسطة الشعب، إذ قام به زين العابدين بن علي؛ والذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء حينها، بحجة تدهور حالة بورقيبة الصحية<sup>2</sup>. عندها ظن التونسيون أن نسومات الربيع قد هبت عليهم، غير أن تلك النسومات لم تدم طويلاً، فقد عادت بعدها القبضة الحديدية بتسلط أشد واضطهاد مرير بالذات على التيارات الإسلامية، خصوصاً حركة النهضة.

أما عن مظاهرات الاحتجاج الجماهيرية التي أزاحت زين العابدين بن علي من السلطة فقد انطلقت شرارتها، حرفياً ومأساوياً، من عمل شاب واحد ففي 17 ديسمبر 2010، وفي مدينة سيدي بوزيد الصغيرة الواقعة في وسط البلاد، أضرم محمد البوعزيزي، البالغ من العمر 24 عاماً، النار في نفسه أمام المأوى يأساً واحتجاجاً على بؤس أوضاعه. ونظراً لأنه لم يتمكن من إيجاد عمل، فقد حاول كسب عيشه عن طريق بيع الفواكه والخضروات على عربة تُدفع باليد، ولكن موظفاً محلياً منعه حتى من ذلك، وزُعم أن الموظف قام بضربه وشمته. وذهب البوعزيزي لتقديم شكوى بشأن الحادثة إلى والي سيدي بوزيد، ولكن الأخير

1 حزب العمال التونسي، انتفاضة الخبز 3 جانفي 1984: الوقائع والاستباعات، (الحوار المتمدن-العدد: 832- 2004 / 5 / 12).

2 الحامدي، بشير، الحق في السلطة والثروة والديمقراطية قراءة في مسار ثورة الحرية والكرامة. تونس سبتمبر 2011، (تونس، الحوار المتمدن، ط1).

رفض مقابلته بحسب ما ذكر. لقد شكّل ذلك التصرف اعتداءً بالغاً على كرامته وأوغل في إهانته إلى حد أنه أقدم على إضرام النار في نفسه، مطلقاً بذلك سلسلة من الأحداث التي لا تزال تتكشف فصلاً<sup>1</sup>. إن التضحية بالنفس التي اجترحها البوعزيزي بإضرام النار في نفسه - حين فاضت روحه في (4 يناير) - قد أصابت وترّاً حساساً في مجتمعه، مما أطلق العنان لمشاعر الإحباط لدى أفراد الشعب من ظروفهم المعيشية القاسية - انعدام الوظائف والمرافق وغيرها من الخدمات الأساسية - وسخطهم على تهميشهم الدائم ودفعهم إلى أتون الفقر من قبل الحكومة التي لم تكن تأبه بمعاناة الناس. وقد بدأت الاحتجاجات في وسط تونس، وركزت على المطالب الاجتماعية والاقتصادية، وسرعان ما امتدت إلى أنحاء أخرى من البلاد، وتحولت إلى مطالب من أجل الحرية والتعبير عن تطلعات أوسع ضد السلطات، التي رأى الشعب أنها فاسدة ومسؤولة عن الفقر والبطالة. وفوق ذلك كله، أدى رد الحكومة بالبطش، لاحتواء الاحتجاجات وإخمادها، إلى إشعال شرارة الغضب وارتفاع موجة المطالبة بإسقاط زين العابدين<sup>2</sup>.

هكذا جاء الربيع التونسي والتي أطلق عليها: (ثورة الأحرار التونسية)، والذي اندلع لهيها تضامنا مع لهيب النار المشتعلة على البوعزيزي، وقد خلفت ورائها الكثير من القتلى والجرحى جراء تصدي الجيش والأمن لها، ثم كان الناتج الأعظم فيها هو هروب طاغية تونس آنذاك زين العابدين بن علي بشكل مفاجئ بحماية أمنية ليبية إلى السعودية يوم الجمعة، (14 يناير 2011 م)، وتغيير الحكم جزئياً، إذا لم تجد نفعا تلك المواجهات القمعية من بن علي، كذلك لم يلتفت الشعب لبعض التغيرات التي اتخذها في حينها من إقالة وزير الداخلية وعددا من الوزراء، ولا لدغدغة مشاعرهم الثائرة ببعض الوعود الكاذبة لإصلاح الفساد - التي عادا ما يلجأ إليها الحكام عند يشتد بهم الأمر ويزيد عليهم الخناق - بداية بفتح اليوتيوب الذي دام حجبه خمس سنوات ثم تخفيض جزئي في أسعار المواد الغذائية، فقد توسعت الانتفاضة، وازدادت شدتها، وبعد هروبه بيوم قرر المجلس الدستوري اللجوء للفصل (57) من الدستور وإعلان شغور منصب الرئيس، وبناءً على ذلك أعلن في يوم السبت، (الخامس عشر من يناير 2011م) عن تولي رئيس مجلس النواب فؤاد الميزع منصب رئيس الجمهورية بشكل مؤقت إلى حين إجراء انتخابات رئاسية مبكرة<sup>3</sup>.

1 منظمة العفو الدولية، تونس في خضم الثورة، (AMNESTY INTERNATIONAL LTD LONDON UK، ط1، 2011)، ص1.

2 منظمة العفو الدولية، تونس في خضم الثورة عنف الدولة خلال الاحتجاجات المناهضة للحكومة، ص2

3 عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (المركز الديمقراطي العربي 23. مايو 2014)، ص26.

## ثانياً: الربيع المصري.

أما الكلام عن مصر فهو كحال بقية المناطق المناهضة لحكم الطواغيت، فقد كان هناك نشاط من أهل الدين والسياسة، وغيرهم من المنتقدين للحكومة، وفي المقابل هناك آخرون يقبعون في السجون قد رُج بعشرات الآلاف منهم خلف قضبان الحديد الجائر، كما ازدادت في حقهم الممارسات الوحشية بشتى ألوان التعذيب، وأبشع صور الانتهاكات، بالإضافة إلى سوء المعاملة الإنسانية التي قد لا توجد في سجون الكيان الصهيوني، كما حُكم على المئات منهم بالإعدام لا لجرم ارتكبهوه؛ غير أنهم انتقدوا أو عارضوا النظام الطاغوتي المقيت، بسبب مشاركتهم في الاحتجاجات أو بسبب صلتهم المزعومة بالمعارضات الإصلاحية أو السياسية.

استيقظت ثورة الغضب في انتفاضة شعبية اندلعت في ميدان التحرير في القاهرة، فكان يوماً مشهوداً خرج فيه حشد جماهيري من الشعب المصري وكان اليوم المحدد لانفجار البركان في مصر هو اليوم الذي يوافق عيد الشرطة، حيث بدأت الانتفاضة الشعبية غير المسبوقة يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من يناير عام (2011)، احتجاجاً على الأوضاع المعيشية، والسياسية، والاقتصادية؛ السيئة، وما اعتبر فساداً في ظل حكم الرئيس السابق محمد حسنى مبارك. وكان من أبرز الشباب الناشط في ذلك اليوم هو الشاب وائل غنيم. وخالد سعيد، وكان للثورة التونسية الشعبية التي أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي أثرٌ كبيرٌ في تأجيج مشاعر الغضب الشعبي في الشارع المصري ضد استمرار النظام، ومن خلال صفحة أو مجموعة: تحت مسمى (كلنا خالد سعيد)<sup>1</sup>، على موقع فيسبوك، تمت الدعوة لمظاهرات يوم الغضب. كان للثورة التونسية التي أسقطت زين العابدين بن علي الفضل في إشعال شرارة ذلك الغضب<sup>2</sup>.

وعلى غرار تونس حاولت المؤسسة العسكرية في مصر الاستغناء عن رأس النظام لتحافظ قدر الإمكان على النظام نفسه وتعيد إنتاجه. تسبب هذا الأمر في إطالة مدة الصراعات، لكنه في النهاية ساهم إلى حد معين في انفصال الجيش عن رأس النظام واجهزته الأمنية، وفي إطلاق دينامية انتقال أقل عنفاً مع المحافظة على مؤسسة الجيش<sup>3</sup>.

1 خالد محمد سعيد صبحي قاسم (وُلد يوم 27 يناير 1982 ومات يوم 6 يونيو 2010) شاب مصري من مدينة الإسكندرية، قتل بالضرب على يد أفراد من مخبري الشرطة المصرية. (قصة ثورة، <http://thawrastory.com>)، 3 أغسطس، 2016.

2 الجزائر، عطاء عبد الغني، السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية، (رسالة ماجستير، تخصص الدبلوماسية والعلاقات الدولية، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا بالاشتراك مع جامعة الأقصى، 2015)، ص73.

3 كريم حسن، الربيع العربي، ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط1، 2013)، ص20.

خرجت تلك الجموع كسابققتها من الحشود التي خرجت في تونس محتجة على سوء المعاملة خاصة بعد ظهور الكثير من تسجيلات الفيديو المصورة التي تظهر انتهاك أمن الدولة والشرطة لحقوق المعتقلين، والتي تعاملت فيها الشرطة والأمن بعنف، مستخدمة الأسلحة بإطلاق الرصاص الحي، على المتظاهرين، وكانت البداية في محافظة السويس، التي مات فيها أكثر من عشرين من الشباب مما أرغم أهالي السويس أن تخرج في تظاهرات حاشدة، تبتعتها بقية المدن في المحافظات المصرية، عندها تحولت تلك التظاهرات من احتجاجات على وحشية الأمن الشرطة، إلى احتجاجات على فساد الحكومة في ظل الرئيس حسني مبارك، والبطالة، وسوء الأحوال المعيشية، والاقتصاد، والتوريث المرتقب للحكم، وغير ذلك من المطالب<sup>1</sup>.

وفي عصر يوم الجمعة، (28 من يناير 2011 م) أُعلن حظر التجول بأمر من الرئيس حينها حسني مبارك، بعد ان انكسرت الشرطة أمام المتظاهرين، خاصة بعد اقتحام السجون، فظهرت قوات الجيش في ميادين القاهرة، والإسكندرية والسويس، لكن الجموع الغاضبة تحدت ذلك الحظر، كما امتنع الجيش عن استهداف المتظاهرين، واستمرت تلك الاحتجاجات والتظاهرات بميادين التحرير حتى أُعلن تنحي الرئيس حسني مبارك عن الحكم في مساء الجمعة، (الحادي عشر من فبراير 2011 م) وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة إدارة شؤون البلاد، وتولى المجلس العسكري إدارة مصر لفترة ثمانية شهور بعدها<sup>2</sup>.

لم ينتهي الأمر عند ذلك الحد فلم تزل التظاهرات مستمرة، والاضطرابات في البلاد على أشدها حتى تم انتخاب محمد مرسي رئيسا لمصر. ولم يدم حكم الرئيس محمد مرسي طويلا حيث لا زالت المظاهرات من المناوئين له مستمرة وإضرابات الموظفين والعاملين كما كانت ممن قبل، فقد استمر حكمه لمدة عام واحد فقط. وفي (3 يوليو 2013م) قام وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي بعزل الرئيس محمد مرسي، بعد مظاهرات خرجت ما بين مؤيد ومعارض للرئيس مرسي. وكان ذلك الحدث قد أحدث انقسامات داخلية وخارجية حتى على تسميتها، فالبعض يسميها ثورة استجاب لها الجيش، البعض الآخر يسميها انقلابا عسكريا، وقد أدى ذلك الحدث إلى قيام ما هو أشبه بالمعارك من الجيش ضد الإخوان المسلمين وأنصار ومؤيدوا الرئيس الشرعي لمصر محمد مرسي، والذي أودع السجن في حينها بتهم شتى نتيجة تأمر دبر له بليل<sup>3</sup>.

1 عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (المركز الديمقراطي العربي 23. مايو 2014)، ص15.

2 الجزائر، عطاء عبد الغني، السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية، (مرجع سابق)، ص73.

3 كيتشلي، نيل، كيف استخدم جنرالات مصر احتجاجات للقيام بانقلاب، واشطن بوست (القاهرة، صحيفة العربي الجديد، 4 يوليو 2017).

### ثالثاً: الربيع الليبي:

قبيل انطلاق الثورة الليبية أحياء الليبيون ذكرى احتجاجات في (17 فبراير 2006م) أمام القنصلية الإيطالية في بنغازي على خلفية الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ والتي قمتها السلطات الليبية وسقطت نتيجتها عشرة قتلى إلى جانب اعتقال (150) شخصاً، فاستبق النظام الليبي هذا الحدث يوم (15 فبراير 2011) باعتقال محامي أسر وضحايا مجزرة سجن أبو سليم؛ الذين اعتادوا على الاعتصام بين الحين والآخر، فخرجت مظاهرات عفوية في مدينة بنغازي تطالب بالإفراج عن المحامي، قابلها النظام بجمع شديد تسبب بمقتل عدد من المتظاهرين، وبذلك كانت بداية الثورة، وخلال خمسة أيام انهارت قوات النظام في بنغازي وأصبحت في قبضة الثوار، وبعدها انتقلت التظاهرات إلى طرابلس وبقية المدن الليبية<sup>1</sup>.

لقد انطلقت شرارة الغضب في اليوم (17 فبراير 2011)، وكان ذلك اليوم هو بداية قيام ثورة الشعب الليبي والذي كان على شكل انتفاضة شعبية شملت معظم المدن الليبية على الرئيس الليبي معمر القذافي في ليبيا، والتي قد يسميها البعض باسم الحرب الأهلية الليبية، لأنها تحولت بعد اندلاعها إلى نزاع مسلح، في أغلب المدن الليبية، على إثر الاحتجاجات التي سبق ذكرها وكذلك الاحتجاجات التي قامت بمدينة البيضاء الليبية على الأوضاع المعيشية، والفساد الحاصل في البلاد متأثرة بالتظاهرات التي اجتاحت تونس ومصر والتي أسقطت النظامين الحاكمين هناك.

لقد ارتفعت الأصوات مطالبة بإسقاط النظام المتمثل في القذافي شخصياً، اضطرت الشرطة إلى استخدام العنف ضد المتظاهرين، والتي استمرت إلى اليوم الثاني، لتتوالى موجات الاحتجاجات في أكثر من مدينة غرب ليبيا، وكان لسقوط أول شهيد على أرض مدينة البيضاء يوم السادس عشر من فبراير الأثر البالغ في تفاقم حدة النزاع، واستمرار التظاهرات، وكانت الطريقة التي استخدمتها الشرطة من إطلاق الرصاص الحي، التي أدت لسقوط المحتجين صرعى على الأرض هي والقود لتلك الشرارة، وتوسعت الاحتجاجات لتشمل أكثر المدن الليبية، وكلما ازدادت التظاهرات ازداد عدد القتلى والجرحى والذي وصل في بداية أمره إلى اربعمائة مابين قتيل وجريح، برصاص قوات الأمن والجماعة المرتزقة التي جلبها القذافي من بعض الدول الأفريقية، حتى جاء يوم الغضب في يوم الخميس (السابع عشر من فبراير 2011م)، كبرت فيه الانتفاضة الشعبية، التي قامت بملاحقة القذافي مع بقية رجالات النظام الظالم،

1 فريق الأزمات العربي، -مجموعة من الباحثين- الأزمة الليبية إلى أين؟ (الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، مارس / 2017)، ص7.

وحصلت المواجهات العنيفة المسلحة بين الطرفين والتي استخدمت فيها أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة على حد سواء، بل واستخدم فيها القصف الجوي لقمع التظاهرات، كما شارك حلف الناتو في صف الشعب الثائر، ولم تعد الثورة الليبية تسمى بالثورة السلمية اسوة بالثورة المصرية والتونسية، بل تحولت إلى حرب أهلية بين أقاليم مؤيدة للنظام وأخرى تسعى للإطاحة بمعمر القذافي الذي قرر القتال حتى اللحظة الأخيرة، وبعد أن أتم المعارضون سيطرتهم على الشرق الليبي أعلنوا قيام الجمهورية الليبية بقيادة المجلس الوطني الانتقالي، وفي يومي (21 - 22) من شهر أغسطس دخل الثوار إلى العاصمة طرابلس وسيطروا عليها، وفي (20 أكتوبر 2011)، ومن ثم أفلح ثوار العاصمة من إسقاطها واسقاط نظام القذافي، وقام الشباب الثوار في المناطق المحررة بالاحتفالات بعد أن سيطروا على آخر معاقل القذافي، وعندها أعلن المجلس الانتقالي مقتل العقيد معمر القذافي، متأثراً بجراحه إثر أسره من قبل الثوار في مدينة سرت مع وزير دفاعه وحراس شخصيين إثر هروبهم من غارة للناتو استهدفت القافلة التي كانوا سيهربون بها، وقتل معه ابنه المعتصم<sup>1</sup>. وقد بُثت صور حية للقذافي وهو في أيد الثوار ثم بُثت بعدها صور له وهو مقتول، وقد دفنت جثته بمكان سري، كما اعتقل ابنه سيف الإسلام القذافي بعد مقتل والده بشهر تقريبا، وقد صدر بحقه مذكرة اعتقال من المحكمة الدولية الجنائية<sup>2</sup>.

لم يوافق القذافي على التنازل عن الملك، ولم يكن للمحتجين أن يتنازلوا عن مطالبهم، ومما زاد البلاء سوء هو إصرار القذافي على مقاتلة المتظاهرين في كل مكان. وللأسف بعد أن قتل طاغية ليبيا مع عدد من أهله وأعوانه، ظن الناس أن الأمر سرعان ما سوف ينتهي بحادثة مقتل القذافي التي نشرت في جميع وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، غير أن الأمر سار على عكس ما كان متوقعا، فهناك العديد من النزاعات المسلحة التي تجتاح البلد وباتت الانقسامات العميقة تضربه، من كل شق وطرف، وكان للتدخلات الخارجية لرعاة الماسونية العالمية في المنطقة الأثر الواضح في إخفاق ذلك النجاح الذي لم يدم طويلا، وذلك لوقوف بعض الدول مع بقية شرادم النظام الذين لا زالوا يؤججون تلك الصراعات في ليبيا، والتي أحدثت انقسامات شتى أدت إلى اقتراف جميع تلك الأطراف، التي كانت ملتحمة ضد الديكتاتور معمر القذافي، الذي نتج عنها جرائم وانتهاكات جسيمة للإنسانية، جراء النزاعات الداخلية الحاصلة<sup>3</sup>.

1 الشمري، صايف، رياح التغيير في العالم العربي؛ الثورة الليبية - (الكويت، مجلس الأمة، إدارة الدراسات والبحوث، أكتوبر/2012)، ص 8.

2 المصدر السابق، 26

3 علام، مصطفى، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (لندن، مجلة البيان، تقرير (استراتيجي)، محكم يصدر سنويا، 9، 1433هـ). ص 127.

## الربيع اليمني:

في الحادي عشر من فبراير بدأت عل الساحة اليمنية بسلسلة من الإحتجاجات الطلابية، عرفت بعد بثورة الشباب السلمية، والتي تأثرت بموجات الربيع العربي، وبالذات بجمعة الغضب التي أطاحت بحسني مبارك، واشتعل شرارها في بادئ أمرها من جامعة صنعاء في (السابع والعشرين من يناير من عام 2011)، سبق ذلك اليوم وبالتحديد في (الثالث والعشرين من يناير) أن أعلن الرئيس علي صالح عدم ترشحه للرئاسة في الفترة المقبلة، كما أنه أعلن عدم توريث الملك لابنه أحمد، وإنما قلت الملك ولم أقل الحكم لان علي صالح لم يكن يعد نفسه رئيسا لليمن فقط بل ملكا لها، وكاد الحكم في اليمن أن يكون وراثيا كغيرها من المملكات، غير أن هذه الكذبة لم تنطلي هذه المرة على الشعب الذي قد انطلت عليه هذه الكذبة مرات عديدة<sup>1</sup>.

خرجت تلك الجموع الغاضبة منادية باسقاط العصابة الحاكمة التي يتزعمها الرئيس اليمني حينها على عبد الله صالح والذي مكث جاثم على الحكم أكثر من ثلاثة عقود، التي كانت تطالب في بداية أمرها فقط ببعض الإصلاحات، إلا أن الأسلوب القمعي أضطر الشباب لرفع سقف المطالب وهو رحيل حاكم مملكة اليمن على عبد الله صالح، وكان القائد والوجه للثوار هي شبكات التواصل الاجتماعي من (فيس بوك - وتويتر - وواتس آب - وغيرها من شبكات التواصل)<sup>2</sup>.

وفي (يوم الجمعة، 11 فبراير) توسعت التظاهرات بصورة ملموسة وتداعي لها الشعب من كل محافظات اليمن حيث بدأت تلك التظاهرات والاحتجاجات من العاصمة اليمنية وبالتحديد من جامعة صنعاء، بمسيرات طلابية وأخرى لنشطاء حقوقيين، جميعها تنادي برحيل علي صالح، وكانت أولى تلك المسيرات متوجهة نحو السفارة التونسية، غير أن الحال هو نفس الحال الذي واجهته التظاهرات السابقة في مصر وتونس؛ من الاعتقالات والضرب لعدد من المتظاهرين والناشطين، كما قام الأمن المركزي في تلك المرحلة بالتعاون مع الحرس الجمهوري اللذان يتزعمهما أحمد علي صالح، وابن عمه يحي محمد صالح، قاموا باستعمال العنف ضد المتظاهرين<sup>3</sup>.

1 حسن، فوزي، تطورات الأزمة اليمنية، مجلة أفاق عربية، دورية محكمة (مصر، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد الأول، مارس، 2017)، ص 130.

2 الشرحي، عادل مجاهد، الكتلة التاريخية لثورة الحرية والتغيير في اليمن من التشكل إلى التفكك، (ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط1، 2013)، ص 147.

3 حسن، محمد فوزي، تطورات الأزمة اليمنية، (مرجع سابق)، ص 131.

كان يوم الجمعة (18 مارس) يوماً مشئوماً على العصاة الحاكمة الذين أسقطوا فيها أكثر من اثنين وخمسين شهيداً، وأكثر من سبعمائة جريحاً<sup>1</sup>، برصاص القناصة التي كانت متواجدة على أسطح البنايات المجاورة والتي باتت تعرف فيما بعد بجمعة الكرامة والذي أصبح هو اليوم المفصلي في الربيع اليمني، والتي سوف يذكرها التاريخ إلى الأبد، ورغم أن الشعب اليمني من أكثر شعوب العالم تسليحاً، وبالرغم من الاستفزازات التي كان يقوم بها النظام إلا أن الثوار في جميع المحافظات حاولوا على بقاء السلمية في ثورتهم قدر المستطاع، ولم يحاول الطلاب والمتظاهرون أن يقوموا بأي مواجهة مسلحة، أو أن يشكّلوا أي تشكيلات للتصدي للعصاة الجائرة بأي نوع من السلاح<sup>2</sup>.

وبعد حادثة (جمعة الكرامة) تأثر بعض من زعماء القبائل والقيادات العسكرية، وعدد من الوزراء، والشخصيات الاجتماعية، ورجال الأعمال من تلك الوقعة مما أدى إلى انضمامهم للثورة كان على رأسهم اللواء علي محسن الأحمر قائد الجناح العسكري المضاد لجناح الأسرة الحاكمة. وبعد انضمام علي محسن بالفرقة الأولى مدرع، حدثت اشتباكات هناك وهناك غير أنها كانت متقطعة بين الحرس الجمهوري والأمن المركزي من جهة، وبين الفرقة الأولى من جهة أخرى، مما أدى إلى انقسام العاصمة صنعاء إلى قسمين: القسم الجنوبي الشرقي وكان تحت سيطرة العصاة الحاكمة، والقسم الشمالي الغربي تحت سيطرة الثوار، واستمرت تلك الاشتباكات بين عصاة الحكم وبين الثوار، ثم ازداد انضمام جماعات مسلحة من القبائل موالين للنظام فقاموا ببعض الممارسات القذرة على الثوار، ثم ازداد الأمل سوءاً بعد الانفجار الرهيب الذي حصل في مسجد دار الرئاسة، يوم الجمعة (3 يونيو) إثر سقوط قذائف عليه، مما أدى إلى احتراق علي صالح وسقوط عدد من الحراس الشخصيين لعلي صالح، وبعض المسؤولين، مما اضطر علي صالح لمغادرة البلاد للعلاج في السعودية، ليعود بعد ذلك إلى اليمن يحمل الكره المضاعف لليمنيين<sup>3</sup>.

وفي (13 نوفمبر)؛ من نفس العام تم التوقيع على المبادرة الخليجية لحل الأزمة اليمنية والتي عطل بموجبها الدستور واعتبار المبادرة الخليجية هي المرجعية المؤقتة لإدارة البلاد، وقد تم بعدها تفويض الصلاحيات إلى نائبه عبدربه منصور هادي، حين انتخاب رئيساً جديداً لليمن، ومنح الحصانة من أي ملاحقة قانونية لعصاة الحكم أجمعين - والتي كانت في رأي شر قرار اتخذ في تلك المبادرة-، ثم أعلن

1 كنت قد تشرفت بزيارة الجرحى في المستشفى الميداني في ساحة التغيير بصنعاء، ومستشفى جامعة العلوم والتكنولوجيا في نفس اليوم.

2 تايلر، ليتا، اليمن، تحقيقات "مدبحة جمعة الكرامة"، (هيومن رايتس ووتش، سبتمبر 27، 2012)، <https://www.hrw.org>

3 لقلي سمايل، الثورة اليمنية، [HTTP://WWW.LOVELY0SMILE.COM](http://www.lovely0smile.com)، تاريخ الإضافة، 2-7-1432 هـ.

عبدربة منصور هادي نفسه كمرشح توافقي للانتخابات الرئاسية لليمن، والذي كان مؤيدا بدعم واسع من كثير من اليمنيين وعلماء الدين ورجال القبائل والاحزاب وشباب الثورة<sup>1</sup>.

يمكن القول أن اليمن تحتل المرتبة الثانية بعد سوريا في الدول التي قام فيها الربيع العربي، فهي لا تقل قسوة عن سوريا، فلقد بات القتل والدمار يشوب جميع مدنها وقرائها، في بادئ الأمر كادت الثورة أن تؤدي ثمارها لولا أن الآياد الخفية لعبت دورا كبيرا أدى إلى إخفاقها تماما، ولقد أوشك على عبدالله صالح على الهلاك؛ إثر حادثة مسجد دار الرئاسة التي أودى بحياة الكثير من معاوية ومرافقيه، وكان نصيبه أن حُرق جسده بالكامل، لولا أن حكمة الله اقتضت أمرا آخر، ليعود طاغية اليمن متحالفا مع من كان عدوه بالأمس؛ ألا وهم جماعة الحوثيين، والذين بدورهم قد قبلوا هذا التحالف الإجرامي القائم في الأساس الأول على إبادة أهل السنة، ومحو معالم من الأراضي اليمنية، ظانين أن قد يحصل لهم ما أرادوا -وهيئات لهم هيئات بإذن الله- لأن الحق هو المنتصر في النهاية حتما دون شك. ثم أنه وبعد استيلاء هذه الطائفة على أغلب مناطق اليمن وخاصة الشطر الشمالي منه، وبعد طلب من الرئيس المرشح آنذاك على عبد ربه منصور هادي إلى السعودية أن تعينه على التخلص من هذا المد الرافضي، قامت السعودية بدورها بإقامة تحالف يضم إليه عددا من الدول العربية والإسلامية، لمحاربة تلك الجماعة المارقة، وبالفعل بدأ ذلك التحالف في محاربتهم وشن الغارات الجوية اليومية على المناطق التي بها تواجد لهم، وعلى المعسكرات الخاصة التابعة لهم، والتي حصلوا عليها من جراء تحالفهم مع على صالح. وقد أدت الضربات الجوية التي شنها التحالف بقيادة السعودية وعمليات القصف التي نفذتها القوات الحوثية إلى مقتل الآلاف من المدنيين<sup>2</sup>.

وبحسب التقرير الذي كشفت عنه الكثير من منظمات حقوق الإنسان الدولية والمحلية، منذ اندلاع الثورة، (أن هناك عدد كبير من القتلى الذين سقطوا في حرب اليمن المستمرة خلال سبع سنوات من قيام الثورة الشبابية، يقدر بعشرات الآلاف من القتلى ومئات الآلاف من الجرحى، بالإضافة إلى حالات كثيرة من الخطف القسري، والانتهاكات الحقوقية والاعتداءات) يصل إلى ما يقرب من مثلي التقديرات التي

1 حسن، محمد فوزي، تطورات الأزمة اليمنية، (مرجع سابق)، 131.

2 المرجع السابق، ص 131.

استخدمها مسؤولون وعمال<sup>1</sup>. وقال جيمي مكجولدريك منسق العمليات الإنسانية بالأمم المتحدة في مؤتمر صحفي بالعاصمة اليمنية: إن الرقم الجديد يستند إلى معلومات رسمية وفرتها منشآت طبية في اليمن. وتابع أن العدد ربما يرتفع لأن بعض المناطق ليست بها منشآت طبية وعادة ما يدفن الأقارب هناك ذويهم مباشرة دون تسجيل الوفاة رسمياً. وقال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية الأسبوع الماضي إن ثلاثة آلاف وثمانمائة مدنيا قتلوا في الصراع وإن الضربات الجوية التي ينفذها التحالف بقيادة السعودية مسؤولة عن نحو (60%) من الوفيات<sup>2</sup>.

والمؤسف في ذلك كله أنه قد أصبح من الوظائف المهمة للأمم المتحدة، ومنظمات حقوق الإنسان هي القيام بالعدِّ، ولا نجد تلك الأرقام العالية في عدد الوفيات والضحايا إلا عندما يتعلق الأمر بدولة من دول المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله، حتى أن الكثير من الناس أصبح وقد ألف ذكر تلك الأرقام من الوفيات، والضحايا، لكثرة ما يذكر ذلك في وسائل الإعلام، وقد غاب عن حكام المسلمين قاطبة أن الله جل وعلا قد جعل المسلمين أمة واحدة، وأن المسلمين كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم جسدا واحدا، " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى"<sup>3</sup>، وهذا هو الأصل في الأخوة الإسلامية، ليس كما هو الحال عليه، من الترابط داخل القطر الواحد، ومن هو خارج هذا القطر لا يعنينا شأن.

وقال مكجولدريك: إن الصراع أدى إلى نزوح ثلاثة ملايين يمني وأجبر مئتا ألف على اللجوء في الخارج. وأشار إلى أن الأمم المتحدة لديها معلومات تفيد بأن تسعمائة ألف من النازحين ينوون العودة إلى ديارهم. وتابع - هذا تحد كبير خاصة في المناطق التي لا تزال تشهد صراعا- وأكد على أن نحو من أربعة عشر مليوناً من سكان اليمن البالغ عددهم ستة وعشرون مليون نسمة يحتاجون لمساعدات غذائية بينما يعاني سبعة ملايين من انعدام الأمن الغذائي. ولفت مكجولدريك إلى أن الوضع الإنساني في اليمن "مأساوي" وأضاف "لا يمكن للعمل الإنساني وحده أن يحل هذه المشاكل). وقد أقيم على هامش

1 كاتالينا مارتين، الثورة اليمنية، نقل الشهداء إلى المقبرة. من تقرير (اليمن: تكريس الإفلات من العقاب وتحديد عملية انتقال السلطة/3 منظمة هود. ديسمبر 2011)؛ التقرير الذي أعدته الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان بالتعاون مع شركاؤها اليمنيين، مركز المعلومات والتأهيل، ومندى الشقائق العربي، والمنظمات الأعضاء في الشبكة اليمنية لحقوق الإنسان.

2 صحيفيو رويترز، الأمم المتحدة: عدد قتلى حرب اليمن 10 آلاف على الأقل، (رويترز، 30 آب أغسطس 2016).

3 أخرجه مسلم، رقم: (2586)، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الصراعات في اليمن عدة محادثات للسلام -زعموا- برعاية الأمم المتحدة في أوقات متفاوتة ولكن النتيجة هي عدم التوصل لاتفاق، إلا أنهم يتفقون على جولة جديدة للمفاوضات، وبعد كل انخيار للمفاوضات التي تقوم تتصاعدت حدة القتال في مختلف أنحاء اليمن. وعقب محادثات في السعودية قبل أيام قال وزير الخارجية الأمريكي جون كيري إن الولايات المتحدة ودول الخليج والأمم المتحدة اتفقوا على القيام بمساع جديدة من أجل السلام. مضيفا أن المحادثات الجديدة ستحاول الجمع بين مقترح بانسحاب الحوثيين من المدن التي سيطروا عليها منذ عام (2014م) وتشكيل حكومة شاملة<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>صحفيووا رويترز، الأمم المتحدة: عدد قتلى حرب اليمن 10 آلاف على الأقل، (مرجع سابق).

## خامسا: الربيع السوري:

أما عند الكلام عن الثورة سوريا فإنك تتكلم عن المأساة بكل ما تعنيه تلك الكلمة من المعاني والدلائل، فهي البلد الأكثر دموية في المنطقة، وكانت هذه الدماء تراق بادئ الأمر رداً على القمع الوحشي التي قام بها طاغية سوريا بشار الأسد على الاحتجاجات الجماهيرية ضده، وقد ارتكبت فيها أفظع الجرائم على أوسع النطاق الفردي والجماعي، وكانت لسوريا نصيبا من كبيرا في الأزمات الإنسانية التي تعرضت لها المنطقة أجمع، وكان حال الحرب أن نزح أكثر السكان، بسبب الحرب والدمار اللذان تسببا في مجاعة مؤلمة، وكان المعتكف الفكري حاضرا في تلك المعركة التي كانت من جهة النصيرية والروافض من طرف وبين خليط من الفصل من طرف.

الغضب السوري، أو الانتفاضة الشعبية، أو ثورة الأحرار هي تلك الثورة التي تعود إرهاصاتها إلى يوم الجمعة، (18 مارس عام 2011م)، إثر دعوة غير مواقع التواصل الاجتماعي، ترافق ذلك مع تصريح الرئيس السوري بأنه لا مجال لحدوث تظاهرات في سوريا، لأنه لا يسودها أي سخط على النظام الحاكم حسب قوله، عند ذلك بدأ بعض الناشطون بمحاولة تنظيم عدة مظاهرات تضامنية مع الثورة المصرية، واستمرت تلك المظاهرات بشكل يومي في دمشق، إلا أن الأمن السوري اعترض المتظاهرين وأنهاى حراكهم، وتم إغلاق سوق الحريقة بدمشق، وتمجهر التجار والسكان في المناطق المحيطة بعد إهانة رجل الأمن لامين أحد التجار، عندها ردد المتظاهرون ولأول مرة (الشعب السوري ما ينذل)، كما حضر وزير الداخلية في محاولة للتفاهم مع المحتشدين، وفي يوم (22 فبراير) اعتصم عشرات السوريين أمام السفارة الليبية تضامنا مع الثورة الليبية، أطلق فيها المتظاهرون ولأول مرة كذلك شعار (خاين يلي بيقتل شعبه)، فضها الأمن السوري بالقوة أيضا. ومثل هذه الأعمال الاحتجاجية البسيطة هي في حساب النظام الدكتاتوري محرمات قاطعة. وتزامن ذلك مع حالة احتقان في مدينة درعا جنوب سوريا، بعد اعتقال عدد من الأطفال المتأثرين بالربيع العربي لكتابة شعارات مناهضة للنظام على جدران المدارس<sup>1</sup>.

وفي يوم (15 مارس 2011)، خرجت عدة مظاهرة ضمت العشرات من الجامع الأموي، ففضت بالقوة. وتكرر الأمر ذاته في التالي، مقابل مبنى وزارة الداخلية في ساحة المرجة. وفي يوم الجمعة (18 مارس)، خرجت مظاهرات صغيرة في مدن دمشق ودرعا وحمص وبانياس، واجهها الأمن في درعا بإطلاق

1 فهد، معن، الثورة السورية قصة البداية، (مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 07/22، 2014)، ص13.

النار، وبالنفير والاعتقال في المناطق الأخرى. وطوال الأسبوع التالي، كانت درعا وقرها مسرحاً لمظاهرات حاشدة واشتباكات مع الأمن، أوقعت خلال أسبوع أكثر من مائة شهيد، وفي كل يوم يزداد انضمام شراسة ودموية بوجه المتظاهرين يرافقه ازدياد في الحرص والوعي الثوري على ضرورة الاستمرار، وبأدوات سلمية، مع الامتداد الأفقي للحراك الثوري كرسست امطاب والشعارات الوطنية الجامعة مبدأ التعاضد بين فئات وشرائح اجتماعية وسطى وفقيرة واسعة، أجتعت بواسطة الدم والتضحيات على لحمه خيوط النسيج الوطني الحديث، وعلى وحدة السوريين بمختلف مدتهم وبلدانهم وقراهم، وبمختلف مكوناتهم وأطيافهم الدينية والمذهبية إلى مختلف المناطق، ومع تزايد سقوط الشهداء وسيلان الدم في الشوارع والساحات تغيرت لغة الشعرات ومضامينها، وراحت تطالب بإشقاط النظام ورحيل رموزهن وإظهار التضامن والتكاتف مع مختلف المدن والبلدان التي تعرضت للقمع الشديد<sup>1</sup>.

وككل ثورات الشباب أو ثورات الربيع العربي في بداية أمرها قامت ضد القمع والفساد وكبت الحريات، وقد قامت في تحدٍ غير لعائلة الأسد الذين لم يخلو تاريخهم الأسود من المجازر والدماء فحكم بشار الأسد مسبقاً بحكم حافظ الأسد الذي له بصمة سوداء على أهل السنة من السوريين حيث ارتكبت المجازر بحق أهالي تدمر وجسر الشاغور وحماة، على إثر أحداث مدرسة المدفعية، وساهمت الأحداث الدامية التي شهدتها المدن السورية إلى وقوع عدد كبير من القتلى مما دفع الحكومة السورية إلى لتحجيم دور الإخوان المسلمين، حيث أصدر حافظ الأسد القانون (49) عام (1980م) بحظر الحركة، وقد أدى ذلك الحظر إلى قيام مجزرة دموية تعرف بمجزرة حماة والتي تعتبر هي أوسع حملة عسكرية قام بها النظام السوري، فترة حكم حافظ الأسد، ضد جماعة الإخوان المسلمين في حينه، استمرت لمدة سبعة وعشرين يوماً سقط ضحيتها عشرات الآلاف من أهالي مدينة حماة؛ حيث قام الجيش السوري بتطويق مدينة حماة وقصفها بالأسلحة الثقيلة، ثم اجتياحها عسكرياً، وارتكب بها مجزرة مروعة، وكان قائد تلك الحملة العقيد رفعت الأسد شقيق الرئيس حافظ الأسد، وتشير تقارير الصحف الأجنبية عن تلك المجزرة إلى أن حافظ الأسد منح الجيش الصلاحيات الكاملة لضرب المعارضة وتأييد المتعاطفين معها، كما شهدت تعتيماً أخبارياً لتفادي، الإدانات الحقوقية، والاحتجاجات الشعبية. ثم داء الابن متجاوز لأبيه عليه نقمة الله<sup>2</sup>.

1 المصدر السابق، ص 14.

2 سليمان، سهام، الأزمة السورية في ظل تحولات التوازنات الإقليمية والدولية، (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر - غزة، عام 2015)، ص 33.

لقد مارست الحكومة السورية أعمال القمع ضد المعارضة؛ فتحوّلت انتفاضتها السلمية إلى مواجهة عسكرية بينهما، خلفت خسائر فادحة بالمدنيين، وقد بلغت المواجهات مداها في 21 أغسطس 2013 م؛ عندما تمّ استخدام السلاح الكيميائي على منطقة الغوطة شرق دمشق، راح ضحيته المئات من سكّان المنطقة؛ بسبب استنشاقهم لغازات سامة ناتجة عن هجومٍ بغاز الأعصاب، وقد تبادل كل من النظام والمعارضة المسلّحة الاتهامات بالمسؤولية عن تلك المجزرة، وأجرت الأمم المتحدة تحقيقاً بواسطة لجنة أرسلتها إلى سوريا، وأصدرت تقريرها في (16 أيلول)، تضمّن أنّ الهجوم حدث في ساعة محدّدة بدقّة؛ لضمان إصابة أكبر عدد ممكن من الأشخاص<sup>1</sup>.

كغيرها من الاحتجاجات كان الشباب هم من تولى زمام القيادة في تلك التظاهرات والتي غالباً ما تبدأ بالمطالبة بإجراء إصلاحات معيشية واقتصادية ورفعوا شعار (حرية، حرية، حرية، لكن القوات الأمنية والجيش السوري واجهوا تلك التظاهرات السلمية في بادئ أمرها بالرصاص الحي، مما جعل تلك الثورة تقوم بتغيير مطالبها إلى مطلب رئيس وهو: (الشعب يريد اسقاط النظام)؛ والتي عمت الكثير من المدن السورية، واتحدت تحت شعار (جمعة العزة) في (25 من مارس) استمرّت بعدها بالتوسع والتمدد شيئاً فشيئاً إلى أن تم تشكيل عدة مجموعات مسلحة لمواجهة النظام الحاكم، ويلاحظ أنّ التطوّرات الإقليمية، وخاصة في كل من تونس ومصر وليبيا، كانت حافزاً للثورة السورية، إلّا أنّ التركيبة الطائفية في سوريا تختلف عن تلك الدول، لما رأينا من تطوّرات مروّعة غير مماثلة، ولا تزال مآسي تلك البلاد قائمة لليوم<sup>2</sup>.

من خلال هذا العرض لحالة الربيع العربي، فإن الحاجة تكون ملحّة للتعرف على الربيع العربي بعمق أكثر، وذلك في البحث في مكنون هذه الظاهرة – الثورات العربية – من حيث القبول والرفض، وكشف الأفتنة عن أنظمة تلك الدول؛ الذين عانى من استبدادهم وتسلطهم شعوب تلك الدول العربية، ومن هي الركائز الأولى لقيام هذه الثورات، وكذلك البحث عن الأسباب المؤدية لاندلاعها، وأهم التحديات التي واجهت ولا زالت تواجه تلك الثورات الربيعية، التي باتت عند البعض خريفاً وليست ربيعاً، ومحاولة فهمها من خلال النظريات والمداخل المفسرة للقيامها.

1 المصدر السابق.

2 الخطيب، أحمد معاذ، حالة الثورة السورية، قدمت هذه الورقة في ندوة "الإسلاميون والثورات العربية. تحديات الانتقال الديمقراطي وإعادة بناء الدولة" بالدوحة: (11 – 12) سبتمبر 2012، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2012). بتصرف

## المطلب الثاني: الربيع العربي بين الانحياز والحيادية:

قبل اللجوء إلى قضية الثورات الربيعية، أود أن أشير إلى بعض الأحكام المتعلقة بمشروعية تلك الثورات والحكم الشرعي فيها، كما يمكن التعرّض بالحكم العام على الثورات سلباً وإيجاباً، وما هي النظرية التي قامت عليها الثورات؟ إلى غير ذلك مما خاض فيه الكثير؛ لأن هذه المواضيع تطرح كثيراً، ويحصل فيها النقاشات الطويل بين مؤيد ومعارض، ومقر ومستنكر. غير أن ذلك سيكون بإشارات موجزة من باب العلم بالشيء وليس من باب تأصيل المسألة، لأن تأصيل تلك المسائل مناطها كتب الفقه وأصوله وليس هذا المقام لنقاشها.

بداية نقصد بالثورة كما يقول ماكسيموف: "الإطاحة بالنظام السياسي والاقتصادي السائد الذي يقوم على الاستغلال. - أي- إنها تعني بناء نظام جديد يرفع إلى أعلى مستوى رخاء القسم الأعظم من الجماهير، والذي ينتج أقصى قدر من حقوق الإنسان والحرية، التي تستبدل أخلاق السادة الكنسية والدولية بأخرى تقوم على الحرية والمساواة والتضامن"<sup>1</sup>.

ويرى بيتر أمان: "أن الثورة هي انكسار مؤقت أو طويل الأمد لاحتكار الدولة للسلطة يكون مصحوباً بانخفاض الطاعة"<sup>2</sup>.

ويقول برينتن: "في الواقع كادت الثورة في نهاية طيف معانيها في الاستعمال الشائع أن تكون مرافاً تأكيدياً لكلمة (تغيير)، وربما مع الإيحاء بأن التغيير مفاجئ أو لافت للنظر"<sup>3</sup>.

وهذا التعريف لكّرين، ينطبق واقعياً على ثورات الربيع العربي، التي كثير ما توسم بثورات التغيير.

وعند النظر إلى حادثة الربيع العربي بنظرة شرعية، من خلال منظور السياسة الشرعية، نجد أن كلمة السياسة الشرعية "تتكرر كثيراً دون أن تجد وعياً به أو تعريفاً واضحاً له، ومع أهمية وخطورة هذا المفهوم في البناء الحضاري يظل غير حاضر في الاهتمام المعرفي الشرعي؛ بسبب الانشغال بالفروع

<sup>1</sup> غ. ماكسيموف، الثورة المضادة والاتحاد السوفيتي، ت: مازن كم الماز، (مجلة الطليعة، المجلد 11، العدد 5، أكتوبر/ نوفمبر، 1935) نقلاً من قراءات نظرية، الثورات والسياسية - المفهوم والأبعاد، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 17 أبريل 2016).

<sup>2</sup> الطبيب، مولود زيد، علم الاجتماع السياسي، (ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2007)، ص 99.

<sup>3</sup> برينتن، كرين، تشريح الثورة، ت: سمير الجلي، (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2009)، ص 23.

الجزئيات، والخوف من مماسه أمر يتعلق بالحاكم إلا بالقدر الذي يقره رضاه، ويعبر عدد من الفهاء عن السياسة بأنها: نيابة عن صاحب الشرع، كما يقوله ابن خلدون، أو قائم مقام النبوة، كما يقول الماوردي، وفي هذا شيء من اللبس؛ لأنه يضع السياسة وكأنها ضمن المقدس<sup>1</sup>.

وفي مناظرة لابن عقيل مع فقيه شافعي، قال له: لا سياسة إلا من وافق الشرع، فردّ عليه ابن عقيل بأن السياسة ما كان من الأفعال، بحيث يكون الناي معه أقرب إلى الصلاح وأبعد من الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ﷺ، ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك: "لا سياسة إلا ما وافق الشرع؛ أنه لا يخالف ما نطق به الشرع، فصحيح، وإن أردت أنه لا سياسة، إلا ما نطق به الشرع، فغلط وتغليط للصحابة. ووفق ما قاله ابن عقيل: فأساس السياسة هو العمل الذي تعرف فائدته بالتجربة والخبرة، وإن لم يكن له ذكر في الشريعة، ما دام لا يصادم نصًا فلا نحتاج في معرفة فضل العمل المؤسسي مثلاً، أو استخدام الأنماط الإدارية أو إدارة التغيير إلى نصوص شرعية، بل يكفي ألا يوجد ما يعارضها<sup>2</sup>.

وعند النظر إلى كتاب الله تعالى نجد أن القرآن " جاء أمراً بالحكم بما أنزل الله؛ أي: فيما فيه النص، ومقرراً للقواعد العامة؛ كالسمع والطاعة بالمعروف، والحكم بالعدل، والشورى، والنهي عن الظلم والبغي والعدوان، فالخطاب القرآني في الشأن السياسي لم يكن تفصيلياً كما في مسائل العبادة والإيمان، بل كان خطاباً مقاصدياً يراعي متغيرات الزمان والمكان، ولذلك ينبغي أن نضع المعيار في تطبيق تلك القواعد العامة، ووراء تلك التفصيلات والفروع والإجراءات والأنماط المتروكة لاجتهاد الناي بحسب ظروفهم وما يصلح لهم والتي تختلف بين بيئة وأخرى، وزمان وآخر، ويتفاوت فيها الاجتهاد، ولا تجد في الكتاب والسنة تفصيلات كثيرة في طبيعة الحكم وانتقاله، وتفصيل العلاقة بين الحاكم والمحكوم، كما لا تجد فيهما تفصيل مسائل الطب أو التجارة أو الإدارة، ولكن يشمل هذه المعاني وغيرها قوله ﷺ: (إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ)<sup>3</sup>4.

ولا يعني ذلك " أن تصدنا قراءة الواقع التاريخي السياسي عن النظر الأصلي إلى القيم القرآنية، والنبوية المؤسسة للحكم العادل، وألا تنسينا الممارسات والمحاولات العلمية والشعبية للتأثير والمعالجة، ولذا

<sup>1</sup> العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للدراسات والبحوث، ط1، 2012). ص53.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص54.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي، رقم: (2361).

<sup>4</sup> العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للدراسات والبحوث، ط1، 2012). ص57.

نجد أن بعد الممثلة الدينية عن الدولة في التاريخ الإسلامي أشاع الاستبداد وأضعف الروح الأخلاقية والمؤسسية في الدولة<sup>1</sup>.

إذا خلاصة ذلك:

1- تستلزم السياسة الشرعية الأخذ بما فيها فيه نص قاطع.

2- يمكن الاجتهاد في السياسة الشرعية فيما ليس فيه نص صريح وتحقق به المصلحة.

ثم إننا نعلم أن هناك من خرج على الجموع النائرة في فترة الربيع العربي وأخذ بإنزال قضية الاحتجاجات بالمنع التام، والبعض تساهل في الأمر لدرجة أن يرى الخروج تحت أي مبرر كان، ولذلك الصحيح أن تؤخذ هذه القضية بعين الحيادية، فنحن أمة وسطاً في جميع أمورنا، فلا نجفوا ولا نغلو، ولذا فإن هذه الدراسة منذ استهلالها، إلى خاتمتها تقرر لمنهج الوسطية عند أهل السنة في جميع المسائل، وأنه الأصل القائم عليه ديننا.

وإن الناظر إلى ثورات ما بات يُعرف بثورات الربيع العربي التي اندلعت وفجرها الشباب في كل البلدان العربية خلال أواخر عام (2010م)، ومطلع (2011م)؛ والتي كانت تعبر عن الأمل لدى الشعوب العربية في مسار تغيير حياتهم، فقد تصرف الكتاب والمفكرون بل والشعوب حيالها بمفاهيم متعددة تحصر في المؤيد المطلق، والمعارض المطلق، والمؤيد بشروط، والمعارض بضوابط.

فالمؤيد يرى أنها قادرة على إخراج بلدانهم مما هي فيه من تدهور في شتى المجالات، حيث تتوق في مجملها إلى إيجاد عدالة اجتماعية وتحقيق مجتمع تسوده قيم الحرية والمساواة والمواطنة، وبالتالي هذا التيار مناهض وناقد للنظم الاجتماعية والسياسية القائمة في البلاد. وينظر أنصار هذا التفسير على أن الحدث - ثورات الربيع العربي - أثمر وأينع، والتغيير بشير خير لجميع الشعوب العربية<sup>2</sup>.

كما أن هذا التغيير عند أصحاب هذا الرأي يحمل معه حلول للمشاكل والقضايا العربية المصرية كتحرير العراق وفلسطين. وأن تترك الأنظمة العربية دورها كقاصر وتنتقل من التبعية والتخلف والفساد إلى الاستقلال والتحديث والشفافية والنهوض بالمجتمعات العربية على أساس الديمقراطية الحقيقية والعدالة

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 67.

<sup>2</sup> حرمل، جبران صالح، ثورات الربيع العربي، (الحوار المتمدن-العدد: 4068، 20 / 4 / 2013)، ص 14.

الاجتماعية والمساواة بين الجميع. والأهم أن يكون هذا التغيير - حسب هذا الاتجاه - بالتدرج، فلا يمكن أن تحقق الثورة كل شيء بين ليلة وضحاها، فالتغيير المفاجئ في المجتمعات العربية غير مناسب، ولا يخدم مصالح الشعوب العربية، لأن أي بلد عاش أهله لعقود طويلة تحت الاستبداد والقمع والفساد، في ظل حكم نظام شمولي، لا يمكن أن يستوعب تغييراً مفاجئاً عنيفاً وسريعاً؛ وبالتالي هذا التيار مناهض وناقد للنظم الاجتماعية والسياسية القائمة في البلاد<sup>1</sup>.

وتوجد ثمة اتجاهات فرعية داخل أنصار هذا الاتجاه والتيار، والتي عبرنا عنها بالمؤيد بشروط، فهناك من يركز على الجوانب الايجابية للثورات العربية التي قامت والأنظمة السياسية التي حلت محل المنهار، وهناك من يقر بوجود ثورة حاصلة ونظام عربي جديد؛ إلا إنه ينتقد الأسس التي تستند إليها هذه الأنظمة؛ باعتبارها تسعى لتحقيق مصالح قوى معينة وهنا - التيارات الإسلامية بمختلف مسمياتها وأنواعها- واستبعادها مفجريها ومحركيها الأصل وهم الشباب من رسم سياسات بلدانهم الداخلية والخارجية<sup>2</sup>.

أما ما يتعلق بالثورات؛ فإنه ينبغي عدم النظر إليها من جهة واحدة، بحيث نسلط الضوء على أدلة وأقوال من جانب، ونهمل أدلة وإجماع من جانب آخر. فأهل السنة وسط في الخروج على الحكام بين حجة الإفراط، والتفريط. يقول الدكتور العودة: "الحيادية في مثل هذا المبحث لا تتحقق لمن يقول أو يكتب وهو يريد أن يشرعن وضعاً معيناً، أو يدافع من دون التزام بالمعايير الموضوعية، هذا ليس حكراً على أتباع السلطان، بل في الجانب الآخر تجد من يجعل الثورة بحد ذاتها معياراً للحق والصواب، والفرز والتصنيف، أو يرفض كل ما هو قائم مما ينتهي غالباً إلى نمط من الاستبداد الفردي والجماعي،... إلى أن يقول: لكي نصل إلى رؤية ناضجة في قضايا السياسة الشرعية والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، والثورة والديمقراطية، نحتاج إلى قدر من الهدوء النفسي والفكري، وقدر آخر من الحياد والتعالى على مصالح الفرد أو العائلة أو القبيلة، مع عدم الوقوع في تعميمية نمط خاص على مجتمعات متفاوتة في ثقافتها وتكوينها وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص14.

<sup>2</sup> حرمل، جبران صالح، ثورات الربيع العربي، (الحوار المتمدن-العدد: 4068، 2013 / 4 / 20)، ص15.

<sup>3</sup> العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2012م) ص16.

والواضح على الثورات بادئ أمرها، أنه لم يكن خلفها أحزاب تتلاعب بها، وتقوم بتحريكها كيف تشاء، كما أنه لا يوجد قيادات -ظاهراً- توجهها كما تريد، ولذا لا يصح الحكم عليها بأنها كانت دمية في يد بعض الأحزاب، أو أن هناك أيادٍ غريبة تقوم بتسييرها، كل ذلك في نظري يُعدُّ إجحافاً لحقيقة قيام الثورات، فإن هيجان الشارع في دول الربيع لم يكن يظهر عليه أي ترتيب مسبق لهذا الحدث، والذي يظهر عليه من الوهلة الأولى أنه مجرد تفاعل شعبي أدى لانفجاره الضغوطات المتراكمة عليه، وهذه هي الحيادية الحقة بشأنها.

كما أن هذه الثورات لم تكن لها فلسفتها التي استلهمت منها الحراك الربيعي المناسب للتغيير، وإنما كان هناك عامل مشترك هو الذي يحرك الجميع، وصنع لهم القادة والمنظرين عبر ساحات الاعتصام؛ هو التخلص من الاستبداد وديكتاتورية القرن.

ولقد استنتج المهتمون بالثورات: أن القيادات، والتخطيط، وعمليات التوجيه، لم تكن مفقودة، ولكن تم العثور عليها في مخيمات الاعتصامات؛ إذ ولدت الساحات وشبكات التواصل الاجتماعي كل ما لم يكن حاضراً مع بداية الإعصار، فأصبح ما كان غائباً بالأمس متعدد الصور اليوم، في نماذج متميزة وسهلة<sup>1</sup>.

وتعتبر تونس هي المنطلق، وكان ذلك وتعدّ كذلك افضل المناطق بعض الشيء التي شهدت نسبة نجاح ضئيلة ملموسة، من خلال إيماته دستور القمع السابق؛ والسعي لوضع قانون يختلف على ما كان عليه الحال في حكم زين العابدين، وتحقيق قدر جزئي من العدالة على جرائم الماضي. غير أن الوضع الإنساني والاقتصادي لا زال لم يتعافى للحد المنتظر، ولا يزال الوضع بحاجة إلى تحسن أكثر، وثمة حاجة ماسة إلى الإصلاحات.

ويرى الباحث في علم الاجتماع؛ محمد الشيوخ: فيما يتعلق بفلسفة الثورة، أنه يقصد بها أمران:

(1) مجموع التصورات والأفكار والأطروحات التي تتبناها الثورة، والتي تشكل في مجموعها (الرؤية).

<sup>1</sup> الشيوخ، محمد، فلسفة ثورات الربيع العربي وأهدافها، مركز أفاق للدراسات والبحوث، 02/01/2013: AAFAQCENTER.COM

(2) النهج الذي تسلكه الثورة للوصول إلى أهدافها، والذي يتمثل في الأعمال الثورية التي تعكس أفكار وتوجهات الثورة غالباً<sup>1</sup>.

وعند النظر إلى تاريخ الفلسفة القديم نجدّه يخبّرنا: "أن أفلاطون كان يؤكد على أهمية توثيق الروابط بين الفيلسوف والسياسي، ينادي بأهمية أن يكون قائد الدولة ملكاً فيلسوفاً، وهذا أرسطو يقيم علاقة مع الاسكندر الأكبر من خلال مدخل تربوي كونه أستاذه ليصبح الاسكندر فيما بعد أعظم رجل في العالم القديم، وهذا جان جاك رسو يصبح مستشاراً للعديد من ملوك أوروبا وخاصة فيما يتعلق بالفقه الدستوري وصناعة الدساتير، فيساهم في وضع المبادئ الأساسية لدستور كل من بولونيا وكورسيكا. ولا يغيب عن البال علاقة فولتير بفردريك الكبير، أو ديكارث والملكة كريستين. ولا ننسى الفيلسوف الألماني الكبير هيغل في إعجابه بنابليون، وماركس في تنظيراته الثاقبة، وعلاقته الفعالة والمنتجة بأحداث زمانه، كل هؤلاء وغيرهم قد لعبوا دوراً فلسفياً كبيراً في زمانهم في أمور السياسة بطريقة مباشرة من خلال علاقتهم بالحكام، أو بطريقة غير مباشرة من خلال دورهم وتأثيرهم في شئون مجتمعاتهم، ومنها الشأن السياسي والتغيرات المصاحبه له"<sup>2</sup>.

أما بالنظر إلى التاريخ المعاصر للفلسفة نجد أن الأمر يبدو مختلفاً. "ففي غمرة الربيع العربي الذي نعيش والأحداث التاريخية التي يمر بها الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، نجد أن الفلسفة وعلى الرغم من حضورها المزمّن في الثقافة العربية عموماً، إلا أنها غائبة عما يجري من أحداث سياسية تماماً، بل يمكن القول إنها لم تمهد السبيل لهذا الربيع، ولم تساهم فيه وأخذت على حين غرة. وهذا ما يفسر غياب الفلاسفة العرب عن الحراك السياسي في هذه المنطقة، وتالياً غياب البعد الفلسفي السابق والمواكب واللاحق في هذا الربيع، فنحن هنا امام ربيع دون زهور الفكر"<sup>3</sup>.

وعند النظر إلى الرؤية التي تبنتها الثورات الربيعية، كرؤية أولية، نرى أنها لم تكن معقدة، أو يشوبها شيء من الارتباب، بل هي في غاية الوضوح. وقائمة على مطلبين أساسيين لم يختلف عليهما اثنان.

**الأول:** إسقاط النظام؛ وهو ضرورة اعتناق المجتمع من هيمنة الاستبداد السياسي بصورة سلمية.

1 الشيوخ، محمد، فلسفة ثورات الربيع العربي وأهدافها، (مرجع سابق).

2 مكّي، يوسف، الربيع العربي: حضور الثورات وغياب الفلسفة، (ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة، 2012-03-23)

3 المرجع السابق.

**الثاني:** إقامة نظام سياسي يعزز شرعية القانون، ويفعل الشراكة الشعبية، ويحي سنة العدالة والمساواة، احترام الحريات<sup>1</sup>.

ومن يشاهد سلمية الحراك الثوري، ووضوح رؤيته، يرى أنها قد حققت العديد من المكاسب المهمة، والتي من أبرزها الإجماع الحقيقي والتام من جراء تبني الثوار لها، والتفافهم حولها، لما يرون من أنها أصبحت هي البديل الموضوعي، لإخراج قادة على مستوى عال من المسؤولية. إلى جانب أنها فرضت قبولا دوليا؛ شكّل الحاحا بالمطالبة بقبولها، والضغط على الأنظمة التي ثارت ضدها الشعوب، مما أجبر عصابة النظام على الاستجابة لضغط الشارع، والرضوخ التام لمطالب الثوار.

والمشاهد لمنطقة الشرق الأوسط يرى أنها قلما شهدت التقاء عدد متزايد من التدخلات الخارجية، والحروب الأهلية والدولية على النحو الذي شهدته منذ اندلاع الانتفاضات الربيع العربي، سواء في حالات سوريا، أو اليمن، أو ليبيا. ومن على إثرها، حيث شهدت المنطقة سياسات إقليمية جديدة تتنافس في إطارها الدول، والفاعلون من غير الدول، سياسيا وعسكريا.

وفي كتاب الحروب العربية الجديدة: الانتفاضات والفوضى في الشرق الأوسط، يري "مارك لينش" أن المنطقة تبدو في حالة سقوط حر، بعد أن انتهى التحول الديمقراطي في مصر، وسقطت سوريا، وليبيا، واليمن في براثن الحرب الأهلية، ولاقي ملايين اللاجئين ظروفًا قاسية، وأحكم تنظيم "داعش" قبضته على سوريا والعراق. ومن ثم، لم تكن المحصلة نشر الديمقراطية، بل التدخلات الإقليمية، والحروب الأهلية، والقمع المتصاعد. ولكن ذلك لا يعني فشل الربيع العربي، أو أن العرب غير مستعدين للديمقراطية، أو أنه من الممكن تفسير الربيع العربي على ضوء المؤامرة، أو العوامل الخارجية، أو إنكار أهمية السياق الوطني. فجميع تداعيات الانتفاضات العربية من أنظمة أوتوقراطية قمعية، وتدخلات عسكرية لم تكن متوقعة أو مأمولة، والحرب الأهلية ستنتهي في الأخير<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الشيوخ، محمد، فلسفة ثورات الربيع العربي وأهدافها، (مرجع سابق).

<sup>2</sup> مارك لينش، THE NEW ARAB WARS: UPRISINGS AND ANARCHY IN THE MIDDLE EAST، عرض رغبة البهي، (القاهرة، مؤسسة الأهرام، دورية متخصصة في الشؤون الدولية، 2016/12/18).

ولذا نرى " أن السجال النظري الدائر تاريخياً وواقعياً حول السياسة الشرعية والمصالح والمفاسد مهم، ولكنه لا يُفرز نظرية كاملة، ولا يلامس حاجات الواقع القائمة، ويتجه غالباً لإفحام الخصم وإظهار عجزه وانحرافه"<sup>1</sup>.

أما ما يتعلق بالمنهج الذي سارت عليه الثورات الربيعية، فقد كانت تنهج السلمية في جميع مناحيها، ويؤكد ذلك ما شاهدناه من الشعارات التي يرددتها المتظاهرون في مختلف تلك الدول، والتي اعتبرها المحتجون هي الوسائل الأقوى للضغط على الأنظمة المستبدة. يقول صيام بعد أن ذكر مجموعة من العوامل على تبني الشباب للثورات العربية: " هذه العوامل مجتمعة ساهمت في إبراز الوجه السلمي للثورة وساعدت على تحويل ميدان التحرير طوال أيام الاعتصام إلى منطقة آمنة تحول فيها النضال السياسي والاعتصام في مواجهة أعلى النظم قمعاً وفساداً إلى كرنفال احتفالي تشارك فيه الأسر بأطفالها، حيث الموسيقى والغناء والمسرح والحوار الحر ومعارض الكاريكاتير والبالونات والأعلام، بل وإتمام مراسم الزواج أحياناً"<sup>2</sup>.

ومع القول بأن هذه الثورات في بادئ أمرها لم تقوم على تخطيط ورؤية واضحة، كذلك لا يمكن القول بأن بهذا التشخيص على إطلاقه، أو نقول بفوضويتها مطلقاً فإن ذلك أيضاً يخلو من الموضوعية.

أما عن ذلكم الربيع العربي، فقد يتحفظ البعض على كلمة ربيع، حيث يرونه قد أضحي (خريفاً عربياً)؛ لِمَا حمل معه من الرياح العاتية على الدول الإسلامية عموماً قبل دول الربيع نفسها، لأن حقيقة الربيع هو أن يحمل معه النسيم العليل، والزهور الجميلة. وبالنظرة الحيادية لعبارة (خريف)، قد نتوافق مع قائلها بعض الشيء، ولا يفهم من ذلك هو انتقاد تظاهرات الربيع العربي وإنما القصد أن عبارة (الربيع)، لم تعد حاضرة بالمعنى الجميل للربيع، لأنه منذ انفجار الغضب الشعبي حتى اليوم لم تحب علينا النسائم الربيعية المرجوة، ولو نظرنا للربيع العربي من جانب آخر، فإننا نرى أن الأخذ على يد الظالم، وإسقاط أنظمة الطغيان والظلم، وأطرها على الحق من أعظم الواجبات في عصرنا، وهو بحمد ذاته جانب مشرق من الربيع العربي.

<sup>1</sup> العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2012م) ص55.

<sup>2</sup> صيام، عماد، 25 يناير الثورة السلمية لشباب الطبقة الوسطى وتحديات المستقبل، نقلاً من دراسة: لربيع العربي، ثورة الخلاص من الاستبداد: دراسة حالات، (مصر، شرق الكتاب، ط1، 2012)، ص57.

إن المتأمل في دراما المشهد الربيعي - وإن شئت قل الخريفي - التي اجتاحت العالم الإسلامي في كثير من الدول العربية والإسلامية؛ والتي أخذت صدى واسعاً في الدول الخمس الربيعية، ليجد أن تلك الثورات كما أشرنا في بادئ أمرها لم تقم على المقومات التي تحتاج إليها أي ثورة، غير أن الكل في تلك الثورات اتفقوا على هدف لا محيص عنه؛ وهو إسقاط الأنظمة الديكتاتورية الجائرة؛ التي تسلطت على الحكم لفترات طويلة، ولهذا يمكن أن نسمي هذا هو: (الهدف العام) لقيام هذه الثورات.

وبالمقابل فيمن يقول بأن ما عصفت بالأمة العربية من أدناها إلى أقصاها مجرد تمرد وسخط اجتماعي فوضوي، وأن هذه الثورات تفتقر إلى رؤية ونظرية، كذلك فإن هذا الإطلاق يفتقر إلى الموضوعية أيضاً.

يقول الأستاذ كريم<sup>1</sup>: "تتجه كل المنطقة العربية نحو الخروج من نظام متكامل ذي أشكال متنوعة من التسلط، أو من باراديم التسلط الذي حكم المنطقة لعقود طويلة وبدأ يسقط مع هذه الانتفاضات الشعبية، لتدخل المنطقة العربية في مرحلة انتقالية طويلة ومعقدة تسعى خلالها إلى تلمس الديمقراطية. لكنها مرحلة مليئة بالصراعات التي ستطال كل الأنظمة بأوقات ودرجات مختلفة، وستشمل كل المنطقة، رغم صعوبة الحسم في مآل الأمور نتيجة التعقيدات المعروفة والمختلفة حسب اوضاع هذه البلدان"<sup>2</sup>.

نعم يمكن القول بأن هناك بعض المؤاخذات على تلك الثورات تتمثل في عدم وضوح رؤيتها التي انطلقت منه، كما يمكن القول بأن البرامج والأهداف لم تكن شفافية في برامجها أو بعض تفاصيلها، وقد تكون في بداية أمرها تحتاج إلى النظرية التي تنطلق منها، ولكن هذا لا يلغي حقيقتها وضرورتها.

1 أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت ومدير برامج الحوكمة في برنامج الأمم المتحدة، الإنمائي في لبنان.

2 كريم حسن، مقال: الربيع العربي وعملية الانتقال الى الديمقراطية، من كتاب الربيع العربي، ثورات الخلاص من الاستبداد، (الشبكة العربية لدراسة الديمقراطية، الطبعة العربية الأولى تموز ٢٠١١)، ص 11.

## وهنا سؤال يتوارد كثيراً وهو: ما الذي حدث بعد ذلك؟

مما لا شك فيه أن الثورات الربيعية قد مثلت أهم الأحداث وأعظمها تداولاً على جميع الأصعدة سواء السياسية أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، وقد تناولها المحللون والدارسون في بحوثاتهم ودراساتهم.

كما أنه مما لا شك فيه أنها وبشكل عام قد تركت آثاراً إيجابية، مع وجود البعض ممن ينظرون إليها نظرة سلبية محضّة، ولا شك أن من ينظر إليها كذلك فقد أبعد النجعة، ووقف مضاداً للتيار.

وقد أكد الكثير من الباحثين على أهمية تفعيل دور مراكز الدراسات البحثية في تحليل ظاهرة الثورات، لتحديد الخطى الدافعة بمستقبل التنمية والرقى.

قال الدكتور جواد الحمد مدير مركز دراسات الشرق الأوسط في الأردن: "الربيع العربي يعيش مرحلة انتقالية على طريق سعيه نحو الاستقرار الذي ربما يتحقق خلال فترة ليست بالبعيدة". مؤكداً على أهمية تعاون العقول، وتضافر الخبرات، والالتزام بلعبة الديمقراطية؛ كشروط لبناء الأنظمة الجديدة<sup>1</sup>.

وفي حديث على هامش الحلقة؛ أكد الحمد على أنه "ما زال يثق في أن رياح الربيع العربي قد تظال كل الدول، رغم أن هذه الرياح تمر حالياً بمرحلة سكون؛ ترجع إلى الصراعات الدموية، فضلاً عن انشغال دول الثورات كمصر وتونس وليبيا بجهود بناء الدولة الجديدة، إضافة إلى استباق دول أخرى كالأردن والمغرب رياح التغيير بإجراءات إصلاحية. كما أقر الحمد بوجود مظاهر للتعثر في مسيرة الربيع العربي، واعتبر أن هذا أمر طبيعي بالنظر إلى حجم التحديات التي واجهتها هذه الثورات، ضارباً المثل بلبيبا التي قال إنها تحتاج إلى جهود لإعادة بناء الدولة من الصفر، فضلاً عن الصعوبات التي تعترض طريق بناء النظم الجديدة في مصر وتونس بسبب غياب شراكة كاملة بين مختلف القوى السياسية"<sup>2</sup>.

---

1 الحمد، جواد، ندوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، ودور المراكز والمؤسسات البحثية في تشكيل الشرق الأوسط الجديد، (مركز ستا التركي للدراسات والأبحاث، فرع القاهرة 2013/5/27)، ALJAZEERA.NET.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

وفيما يتعلق بدور مراكز الأبحاث في الدول العربية، قال الحمد: "إنه ليس على المستوى المأمول، لأن الكثير من الدول العربية تفتقد لوجود عدد كاف من هذه المراكز، في حين أن مراكز الأبحاث الكبرى في بعض الدول تتأثر توجهاتها بما تحصل عليه من تمويل خارجي"<sup>1</sup>.

ويرى إبراهيم الدراوي مدير مركز الدراسات الفلسطينية: أنه "من خلال تجربة المركز في التعامل مع الربيع العربي، حيث اعتبر أن مراكز الدراسات العربية بحاجة إلى مزيد من التعاون والتواصل، فضلا عن الاعتماد على الأجيال الشابة كي تؤدي دورها المفترض في المساعدة في نهضة دول المنطقة"<sup>2</sup>.

وفي الوقت ذاته، قال الدراوي: "إنه يعتقد أن القضية الفلسطينية استفادت إيجابيا من تطورات الربيع العربي، لكنه تطرق إلى ما تشهده الساحة المصرية في الوقت الحالي، وقال إن الصراع بين المعارضة والسلطة أثر سلبا على القضية حيث بدا كأن الإعلام المحسوب على بعض قوى المعارضة يريد شيطنة المقاومة الفلسطينية عبر نشر معلومات مغلوطة عنها وعن تدخلات مزعومة لها في الشأن المصري"<sup>3</sup>.

وبعد مضي ست سنوات؛ نرى أن أبسط حقوق الإنسان أصبحت تتعرض للاعتداء في سائر تلك المناطق، وكانت حصيلة القتلى تقدر بمئات الآلاف من الناس، بينهم العديد من الأطفال والنساء، ورياح تلك النزاعات المسلحة التي لا تزال تضطرم في المنطقة برمتها، بل وتصاعد الأمر إلى الهجرة الجماعية التي بات أهلها في عداد اللاجئين، وحصل أن تبدل ذلك الربيع إلى خريف مومج، اجتث الأخضر واليابس، وباتت المنطقة من المناطق الأشد تآزما في شتى الحياة، يقول: لم تكن الغالبية العظمى من المتظاهرين تعرف شيئا عن الأيديولوجيات السياسية، فلم يكن ما أخرج هؤلاء إلى الشارع هو رغبة متقدمة في انتخابات حرة ونزيهة، وإنما ظروف اقتصادية طاحنة كانوا يعيشون فيها، وكان هؤلاء يلقون باللوم عن تلك المتاعب على أنظمة الحكم الفاسدة في بلدانهم، وعلى إسرائيل وبالطبع على الغرب أيضا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الحمد، جواد، ندوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، (مرجع سابق).

<sup>2</sup> الداودي، إبراهيم، دوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، ودور المراكز والمؤسسات البحثية في تشكل الشرق الأوسط الجديد، (مركز ستا التركي للدراسات والأبحاث، فرع القاهرة 2013/5/27)، ALJAZEERA.NET.

<sup>3</sup> المرجع السابق.

<sup>4</sup> برادلي، جون آر، ما بعد الربيع العربي، ت: شيماء عبد الحكيم، (مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2013) ص149.

ويقول أيضا: " لقد كان الربيع العربي فشلا ذريعا محزنا؛ فجميع المؤشرات تدل على أن ما سيأتي بعده سيكون أسوأ بكثير مما كان قبله؛ في تونس وفي كل مكان آخر، وقد تسببت الأحداث المؤلمة التي وقعت حتى الآن بالفعل في قدر هائل من الفوضى والعنف، وجعلت حياة أنا بسطاء أبرياء أكثر بؤسا وشقاء مما كانت عليه قبل ذلك، فمن الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، أعاد الربيع العربي بلدان مثل تونس واليمن وسوريا عقودا إلى الوراء"<sup>1</sup>.

إلا أنه لا يختلف كل حر يريد التحرر من صنم الديكتاتورية أن هذه الثورات كانت مطلب، وأنها الشعوب استطاعت أن تكسر ذلكم الصنم بعزيمة وإصرار، وبمجرد أن استفاقت تلكم الشعوب تمكنت من تغير من كان يُظن أنهم لا يتغيرون ولا يتبدلون. ومن من الناس لا يحتاج إلى التغيير؟! فإن التغيير من سنن الحياة، ومن لا يتغير يتجمد ويتبلد. والمهم في الأمر هو هل نحن فعلا نجحنا في ذلكم التغيير؟

لا شك أن التغيير لا يمكن أن يحقق النجاح والديمومة في ظل غياب بعض المقومات التي تتخذ لمثل تلك الأحداث، والتي على إثرها نستطيع القول بأن الهدف قد تحقق، وأن الثورات قد نجحت. ومن أهم المقومات لنجاح أي ثورة كما حددها الدكتور خير الدين حسيب الباحث لمركز دراسات الوحدة العربية، بقوله: "العريق عوامل أربعة يؤدي توفرها إلى نجاح ثورة أي شعب على النظام في بلاده:

الأول: هو انكسار حاجز الخوف عند الشعوب من التحرك ضد أنظمتها بسبب القمع الذي تمارسه منذ تأسيسها.

الثاني هو مبادرة الشعوب إلى الانتفاض سلماً على أنظمتها. ويعني ذلك أن تبتعد عن العنف في التظاهرات الشعبية والاعتصامات. كما يعني ألا تُبادل قوات النظام الرسمية وغير الرسمية بعنف مماثل للعنف الذي قد تستعمله لانتهاء الانتفاضة. فالتوازن السلمي " سيكون مفقوداً بين الفريقين. فضلاً عن أن عنف الثوار أو المنتفضين قد يعطي المبرر للقوات الرسمية كي تُصعد عنفها إذا كانت هي البادئة في استعماله.

والثالث، هو وجود شبه إجماع شعبي على مطلب تغيير النظام أو تعديله، وشيء من التجانس أيضاً بين أبناء الشعب.

<sup>1</sup> برادلي، جون آر، ما بعد الربيع العربي، ت: شيماء عبد الحكيم، (مرجع سابق)، ص 159.

أما العامل الرابع والأخير فهو الموقف الفعلي للجيش أو القوات المسلحة بكل فروعها من الانتفاضة الشعبية أو الثورة أو الاحتجاج أو الانتفاضة. فإذا كان مؤيداً لمطالبها يصبح نجاحها حتمياً. وإذا كان موقفه محايداً بينها وبين النظام أو السلطة التي تحكم باسمه فإن نجاحها أيضاً يصبح مؤكداً وإن استغرق ذلك وقتاً أطول. أما إذا كان معارضاً لها بل معادياً فإن الأمل في نجاحها يتضاءل كثيراً<sup>1</sup>.

ويضيف الدكتور أحمد طه، عاملاً مهماً وهو من المقومات الأساسية لقيام الثورة والتي تجنبها القيام بعمل مضاد من الحكم المثار عليه بقوله: "أولى التحصينات ضد عوامل الثورة المضادة هو: الحرس الثوري، فلا توجد ثورة بلا حرس ثوري، إذ لا يمكن أن يكون رجال الثورة وقادتها تحت رحمة رجال أمن النظام القديم، فهؤلاء سيظل ولائهم للنظام القديم كامن في نفوسهم، وستكون كل حساباتهم؛ ماذا سيكسبون، وماذا سيخسرون مادياً؟"<sup>2</sup>.

إن تطور الأحداث في البلدان العربية، ومن ضمنها الربيع العربي، يرتبط بشكل قوي بمسار العولمة بأبعادها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، هذه العولمة، هي ظاهرة مثل أي ظاهرة تاريخية خرجت على السطح في كل العصور لها منظورها وأتباعها، وكلاهما وجهان متجددان لا يوجد أحدهما من دون الآخر. ولذا عند الكلام عن الجانب الإداري ينبغي مراعاة عدم التعسف في الإجراءات الانتقالية، كي لا تعطل مسار التغيير، أو تؤثر سلباً على الطابع التأسيسي، وتجعله محكوماً بمصلحة انتقالية لحظية، وكذلك ينبغي عدم التعسف في الإجراءات التأسيسية، كي لا تعطل أو تؤثر سلباً على المسار التكويني المستقبلي، الذي يتطلب اتخاذ كل ما يلزم لحماية مصالحه السياسية، وديمومة توازناته تحاشياً للإجراءات اللحظية؛ بحيث تكون الغاية النهائية لهذا التغيير هو الوصول إلى بناء الدولة المستقيمة، التي تحقق الحرية، والكرامة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، وتعيد للشرع والقانون سيادته، واحترام اختلاف الرأي فيما بين الشعب، وعدم الخلط بين الرأي والنقد البناء، وبين التعصب للفكر أو الحزب؛ التي قد تؤدي إلى تعطيل عملية التحويل الأشمل للمجتمع، أو يعيدها إلى شكلها الأسبق، مما يمنع تكوّن وجهات النظر التي من شأنها أن تحدث تحولا إيجابيا، وتخلق موازين قوى مغايرة وتحولها إلى أكثريات مقررة.

<sup>1</sup> نعم، سركيس، مقال بعنوان: عوامل أربعة تُنجح الثورات أو تُفشلها، 8 كانون الثاني 2014،

[HTTPS://NEWSPAPER.ANNAHAR.COM](https://newspaper.annahar.com)

<sup>2</sup> طه، أحمد، ألف باء ثورة: هكذا تنجح الثورات في تحقيق أهدافها، 4 صفر 1438هـ، [HTTPS://TIPYAN.COM](https://tipyan.com)

ويتمثل التحدي الأكثر أهمية في التغيير؛ هو احترام جميع الأطراف لتحقيق التوازن والتكامل بين البعد الانتقالي والبعد التأسيسي والبعد التكويني -الذي سوف تأتي عليه لاحقاً في المطلب التالي-ومن شأن هذا الإخلال بالتوازن أن يدخل التغيير في تعقيدات كبيرة تجعل من تدخل القوى المضادة ذريعة لإجهاض مشروع التغيير والإصلاح.

يقول الدكتور عبد الشافي: "كثير من الثورات يغيب عنها البعد الأيديولوجي المتكامل، العقيدة السياسية والفكرية المشتركة التي تلتف حولها مختلف الفصائل والتيارات"<sup>1</sup>.

ومقصد ذلك إذا ما توحدت القوى الحية في المجتمع فيما بينها في الرؤى وتوافقت على الأهداف؛ فإنها ستكون سفينة النجاة، وبوصلة الوصول إلى مجتمع يسود فيه الحق والعدالة، والمساواة، ولا يتم ذلك إلا بالحرص على التمسك بالوحيين والعمل بهما فهما طوق النجاة ومفتاح الفرج للأمة، والبعد كل البعد عن الجعجات التي تدغدغ العواطف؛ حيناً بالتمسك بمنهج السلف والذي في حقيقته بعيد كل البعد عن منهج السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-، وحيناً بالحب والولاء لآل البيت؛ كرم الله آل بيت رسوله من هؤلاء-، وحيناً بالتبجح بإقامة خلافة على منهج النبوة؛ ومنهاج النبوة برئ مما تنهجه تلك الجماعة، ولا يخفى على المتتبع للساحة العربية بالذات؛ ما خلفته تلك الثورات من رسالة بالغة الوضوح، تحث جميع دول المنطقة على المبادرة الفورية، لتحاشي كل ما من شأنه أن ينعش الربيع في تلك الدول، وإلا فإن الطوفان قادم، والشعوب على استعداد تام للنهوض.

<sup>1</sup> عبد الشافي، عصام، الثورات العربية، الأسباب والمسارات المآلات، نقلاً من الأمة واقع الإصلاح ومآلات التغيير، تقرير استراتيجي سنوي محكم، يصدر عن مجلة البيان، (الرياض، مجلة البيان، الإصدار التاسع، 1433هـ)، ص78.

## دور المجتمعات في تغيير الخارطة

الشعوب العربية الثائرة تريد أن تسقط الأنظمة الاستبدادية، لا سيما وأن تلك المجتمعات باتت عاطلة وخاملة، وغير قادرة على الدفع بعجلة التغيير إلى الأمام؛ لأنها كانت على مدى عقود في غياب تام عن السياسة، وأن ما يدار على الطاولة السياسية لا يجوز تداوله في الشارع، ولم يعد بمقدور أي من الناس الخوض في القضايا السياسية البتة، لأن مصير الخائض فيها: (خلف الشمس)، مما حدى بتلك الشعوب أن تُفصر مهمتها على الولاء للزعيم، وتأييد وتفويض الأجهزة الأمنية في اتخاذ أي قانون صارم حتى لو وصل لحد الإعدام لأبنائها ممن يتناول على النظام أو يطعن فيه، وحتى ينتقد بعض الجزئيات به.

كما يلعب التنوع في التكوين السكاني دوراً بارزاً في المجتمع؛ فكلما كان النسيج الاجتماعي متجانس، كان ذلك مما يساعد على توحيد القوى، ويسهم في إزالة الالتباسات السياسية، والانقسامات الجوهريّة التي تعطل التغيير المنشود، ولذا نجد أن تلك المجتمعات بعد الثورات الربيعية قد انقسمت بين باحث عن الأمن والأمان، وبين من يدعو لإسقاط النظام، يقول الدكتور حنفي: " انطلق الربيع العربي من المغرب نحو المشرق العربي، في تفاعل وانسجام يمد جوره بعيداً في أعماق التاريخ العربي، ويستمد قوته من وحدة اللغة الدين والتاريخ والمجتمع. فهذه الثورات تجد منطلقها وتفسيرها في وحدة الشعوب العربية، وهي وحدة ثقافية ودينية ولغوية، تدحض كل الدعوات التي تم ترويجها حول الأنظمة الفطرية، باعتبارها بديلاً للوحدة العربية"<sup>1</sup>.

واليوم وفي ظل التحديات التي واجهتها دول الثورات الربيعية نجد أن الشعوب باتت هي نفسها جزءاً من المشكلة فمثلاً: في سوريا واليمن انضم كثير من السوريين لتنظيم الدولة، كما أيدته كثير من العشائر السورية والعراقية؛ رداً على الطائفية المقيتة، التي زرعت بين أبناء تلك المناطق.

وهو الحال نفسه مع الحوثيين في اليمن، حيث توارد الكثير من أبناء اليمن للانضمام إليهم، بسبب الطائفية والحزبية التي تربع عرش النظام السابق على نسيجها، وقد استطاع بسياسته المشينة أن يفرق بين اليمنيين تارة بدعوى التشطير: (جنوباً وشمالاً) وتارة بدعوى التحزب: (مؤتمري واصلاحي)، وتارة بدعوى الطائفية: (سني وزيدي)، وأخيراً: بإشعال دعوى العنصرية بين اليمن وجيرانها ووصفهم بالغزاة المعتدين، والتحريض على قتالهم مما جعل الكثير من اليمنيين يلتفون حول تلك الدعاوى الباطلة، والنتيجة ما نراه

<sup>1</sup> حنفي، حسن، الوحدة الثورية، (لندن، جريدة الزمان الدولية، عدد: 3848، 17 مارس 2011).

واقعاً في اليمن اليوم. كما يمكن أن يضاف إلى ذلك؛ التركيبة القبلية المعقدة، التي سادت خصوصاً في اليمن، وما نتج عنها من انشقاقات في المجتمع، وتواطؤ الكثير من الحزب الحاكم السابق مع الحوثيين حنقا على الرئيس هادي وحزب الإصلاح يقول: "الحوثيون لم يعيروا شأننا للأحزاب السياسية الأخرى، في حين عقدت الجماعة الزيدية الشيعية تحالفاً سافراً مع الرئيس السابق علي عبدالله صالح، وبغض النظر عن تاريخهما العدائي، وخوضهما حروباً متعددة ضد بعضهما، فقد تكمن الفريقتان في هذا الصراع من وضع معظم خلافاتهما جانبا؛ على الأقل في الوقت الراهن، لتتفرغ لقتال هادي وأنصاره، ويستفيد الحوثي من حلفاء صالح الأقوياء في الجيش اليمني، وهو عامل ساهم كثيراً في صعودهم المبكر إلى السلطة، وربما ساعد في ذلك مهاراته السياسية. ومن ناحية أخرى يسعى صالح لاستعادة جزء من السلطة التي خسرها ويأمل أن يتوسع نفوذه من خلال حزبه السياسي؛ المؤتمر الشعبي العام"<sup>1</sup>.

ومن الأسباب أيضاً هو غياب خارطة الطريق بين جميع مكونات الشعب بأحزابه وشرائحه الاجتماعية، ومؤسسات المجتمع المدني والقطاع الاقتصادي وغير ذلك. يقول نعمة: "إن هذه الأنظمة؛ التي تضيّع الحدود بين الشخص والمؤسسة، وبين العام والخاص، وبين الوظائف الإدارية والسياسية، وبين الجمهور والمملكة أو الإمارة أو الجمهورية، وبين التقليد والحداثة، وتجي الرعب لزيادة ثروات الحكام، وتوزع الحصة منها على الرعايا بحسب درجة القرابة والولاء، بغرض إعادة علاقات الولاء والتبعية، وبما يخدم استقرار الحكم، واستبعاد إمكان بناء علاقات المواطنة القائمة على الحق والرقابة والمساءلة، والعناوين الفرعية لهذه الخارطة هي ذات الشعارات التي رفعتها هذه الثورات والانتفاضات والمتمثلة في الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، وهي شعارات هتفت لها كل الحناجر من المغرب حتى اليمن، مستخدمة نفس المفردات دون تعديل. ويشير نعمة: بأن خارطة الطريق التي تساعد على الانتقال السلمي والإصلاح الحقيقي في أي مجتمع تتطلب ثلاث مراحل: الانتقالية؛ ويريد بها معالجة المشكلات التي تسببت في هيجان الشارع. والتأسيسية؛ ويريد بها القيام ببعض الخطوات لتمكين من مجارة المطالب الأكثر إلحاحاً. والتكوينية؛ ويريد به بناء مركبات للمشروع الجديد"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مترسكي، ألكندر، الحرب الأهلية في اليمن: صراع معقد وآفاق متباينة، (الدوحة، م العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمبر، 2015)، ص5.

<sup>2</sup> نعمة، أديب، الدولة الغنائمية والربيع العربي، (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2014)، نقلاً عن صحيفة الوطن، ع 4807، 04 نوفمبر 2015.

## المبحث الثاني: الأسباب المؤدية للربيع العربي، وأثر التدخلات الخارجية والداخلية عليه

رغم تعدد الدعوات للتغيير والإصلاح في الكثير من الدول العربية، البعض منها يقوم على الوضع السياسي في دولة ما، لذا نجد أن سياسة المظاهرات والمسيرات المطالبة بالإصلاح يسمح بها في بلد ما خلافاً للمنع الجازم في البعض منها؛ ولذا يمكن أن نقسم الثورات إلى ثورات حية تمت وانتعشت مع تظاهرات الربيع العربي، وإن البعض من تلك المظاهرات قد أُثير قبل الربيع العربي، إلا أن تتابع الثورات في الدول العربية قد أنعش ما كان كامناً منها، والبعض الآخر ما زال كامناً ساكناً لم تحركه تيارات تلك الثورات، مع توفر عواملها التنظيمية وداعي التغيير في أماكن تواجدتها، إلا أن تسلط الأنظمة في تلك الدول وإحكام قبضتهم على الحكم جعل منها كامنة وغير محددة للوقت، وغير مالكة للتوقيت، وإن كان كذلك البعض منها قد تحرك نسيبياً ولكنه قوبل القمع الشديد، مما أدى لوأده في مهده<sup>1</sup>.

وهذا ما نراه من الربيع العربي فإنه لم يكن ليقيم فجأة دون تراكمات من الأسباب؛ التي جعلت من أديانها حجة للانطلاق، ولم يكن من المعقول أنه مجرد أن يقوم شاب في تونس بحرق نفسه تتداعى معه الجموع والحشود من مختلف بلدان المنطقة العربية بالعموم، وبلدان الربيع العربي على الخصوص، لذلك فإن حادثة البوعزيزي لا يمكن أن تكون هي الدافع للثورات، لكن يمكن القول أن المبررات لتلك الثورات كانت موجودة في الواقع السياسي، والأمني، والاقتصادي، والاجتماعي، الذي تعايشه تلك المجتمعات، والذي تعدد هي المحاور الرئيسية لقيام الربيع العربي، وإنما كان البوعزيزي بمثابة الغاز المشبّع في النفوس المرتقبة لأي شرارة تهب من أي اتجاه تشعل ذلك الغاز المحتقن، فكان أن هبّت تلك الرياح قادمة من تونس، ليتسع انتشارها في العالم العربي برمته.

إن المتتبع لحال الشعوب العربية، ودل الربيع العربي بالذات؛ يجد هناك تراكمات بلغت منتهاها في النفوس، وتكاد أن تنفجر لأدنى سبب ليكون هو الذريعة الموصلة للغاية، كما أن من الواضح أن الأسباب التي قامت لأجلها ثورات الربيع العربي جوهرياً تكاد متشابهة، ولا تختلف كل واحدة عن مثيلاتها، فهي خليط من العوامل، والأسباب تراكمت على مدار عقود، جاء الوقت الذي أتت لها أن تصرخ.

1 عبد الشافي، د. عصام، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (مرجع سابق). ص 73.

لا شك أن موجة التحرر من التسلط في المنطقة العربية قد تأخرت وكان لهذا التأخر أسبابه. ولدى البحث في سؤال لماذا انطلقت اواخر عام (2010)؟ ولا تزال تتفاعل، فإننا نقع على تفسيرات تشمل بعض أو كل العناصر التالية: التغيير الذي طرأ على دور الدولة وأدى إلى تراجع وظيفتها الرعائية في المجالات الاجتماعية، وارتفاع أسعار الغذاء، والازمة المالية العالمية، فضلاً عن أثر الثورة المعلوماتية، وتغير الثقافة السياسية لدى فئات واسعة من الشباب خصوصاً، إلى أثر التغيير في العراق، والثورة الخضراء الإيرانية<sup>1</sup>. ولكن ما هو بنيوي وأكثر اقناعاً إنما يعود إلى ظاهرة ازدياد أعداد فئة الشباب المتراوحة أعمارهم بين (15 - 35) سنة؛ الذين لعبوا الدور الرائد في هذه التحركات. وتشير الاحصاءات إلى ان عدد هذه الفئة قد قفز من حوالي (40) مليون في عام (1980) إلى أكثر من (90) مليون عام (2010)<sup>2</sup>.

ولا شك أن هناك الكثير من الأسباب التي أدت لتدفق موجة الربيع العربي، والتي أخرجت الناس من حيز الكبد النفسي، إلى حيز الغضب الجماهيري الثائر، الذي لم يعد يبالي بالأنظمة، وجبروتها، بل أدت تلك الاحتجاجات إلى سقوط أنظمة لم يكن أن يُتصور أن تسقط للحظة. لذا سأشير إلى أبرز الأسباب الرئيسية التي قد تكون كفيلاً لإقامة أي ثورة وفي أي بلد، حيث من الممكن فيما يتعلق بطبيعة وأسباب الثورات الربيعية هي اختلافها عن بعضها بعض الشيء، وذلك لاختلاف الجغرافيا الطبيعية لكل شعب من تلك الشعوب، لكن الذي من المؤكد هو أن هناك بعض الأسباب التي يمكن أن تعتبرها هي المحرك الرئيسي لجميع الاحتجاجات والتظاهرات في عالمنا العربي، بل هي التي بمثابة الوقود التي احدثت ذلكم الانفجار العظيم، ويمكن اجتماع تلك الأسباب برومتها في بلد ما، مع الاكتفاء ببعضها في بلد آخر، لكنها كفيلاً لإشعال ثورة فيه، لذا قد يتعذر رصد وتحليل كل الأسباب في كل بلد على حدة. لذا يمكن إجمالها جميعاً في محاور ثلاثة رئيسية وهي: (المحور السياسي، المحور الاقتصادي، والمحور الاجتماعي).

1 For discussion of causes, see Foreign Policy, Revolution in The Arab World, 11 February 2011.

2 روجر أوين، الشبان في مواجهة المسنين، (الحياة، 10، آب، 2012).

## المطلب الأول: الأسباب المؤدية للربيع العربي:

سطرت لنا كتب التاريخ والتراث الكثير من الحركات الداعية للتغيير والإصلاح، بآء البعض منها بالفشل كما كتب للكثير منها النجاح، بغض النظر شرعية ذلك التغيير من عدمه، أو بأهلية من قام بتلك الدعوات من عدم ذلك، غير أن واقع التغيير قد تم، وما شاهدناه في الدول العربية في فترتنا المعاصرة ما هو إلا امتداد لتلك السلسلة، فلقد شهدت معظم الدول العربية خلال الفترة محل الدراسة الكثير من دعوات التغيير وحالات من الاحتجاج على النظم العربية، إي نعم البعض منها ظهر على الساحة ووجد صدى واسعاً، فيما البعض منها واجه قمعا مباشرا وأده في مهده، بينما يمكن التوقع أن هناك دعوات كامنة قد تنهض في أي وقت؛ وهي التي تحمل العوامل الهيكلية التي أستندت عليها عمليات التغيير في المنطقة، إلا أن هناك بعض العوائق هي من حالت دون قيامها، قد يكون من أبرزها عدم وضوح الأبعاد والمعالم. ولا شك أن جميع تلك الدعوات لم تكن لتقوم من باب الترف الثوري، أو العبث الشعبي، بل جميع دعوات التغيير كان لها أسباب أستحثت أولئك التغييرين، وبررت لهم الصدع بالتغيير.

"وقد حكمت فلسفة اللا منطق الثورات والحركات الشعبية في هذه المرحلة؛ حيث لم تسقط النظم التي كان يتوقع الجميع سقوطها منطقيا (مثل اليمن، حتى كتابة هذه التقرير)، وسقطت النظم غير المتوقعة، كما حدث في تونس ثم مصر ثم ليبيا. الأمر الذي يتطلب الوقوف على العوامل الهيكلية التي تحكم عملية التغيير السياسي في النطقة العربية، والنماذج المعروضة لهذا التغيير، وأنماط الاستجابات الرسمية (الداخلية والخارجية)، والسيناريوهات المحتملة لمستقبل النظم السياسية العربية، وتداعيات ذلك الإقليمية الدولية"<sup>1</sup>.

وبالنظر إلى شمولية الأسباب والدوافع التي تقف وراء احتجاجات الشارع العربي، والانتفاضات العارمة التي شملت معظم الدول العربية ما ظهر لنا منها وما لم يظهر، جعلنا نرى أن هناك من الأسباب اشترك فيها الجميع، وهي ما نسميه بالأسباب رئيسية كبرى، وهذه الأسباب يمكن اسقاطها على جميع دول الربيع العربي، ثم إن هناك أسباب اختصت بها كل دولة من دول الربيع العربي لسبب قد يكون في دولة دون أخرى وهي ما نسميه بالأسباب الفرعية أو الصغرى، وسوف نعرض في هذا المطلب الأسباب الكبرى التي جمعت جميع دول العربية وكانت هي الدوافع من رواء قيام تلك الثورات.

<sup>1</sup> عبد الشافي، د. عصام، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (مرجع سابق). ص73.

## السبب الأول: المحور السياسي:

إن الضغوطات السياسية التي تمارسها الأنظمة في الدول العربية شكلت في مجملها جموداً في الحياة السياسية، وأكدت الاحتكار الشمولي للحكام لمعظم مجالات الحياة، ونسى الحكام وزبانتهم أن الخير كل الخير في العدل والإحسان إلى الناس، وهو مصداق لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿﴾ [الأعراف: 95-99].

قال الإمام الماتريدي رحمه الله تعليقا على هذه الآية: " قيل: آمنوا واتقوا قبل أن يهلكوا بعد ما أصابهم من الشدائد والبلايا؛ لأعطوا كل خير ينال من السماء والأرض، والبركة ما ينال من كل خير على غير - مؤنة وقيل: البركة: كل شيء ينال بلا تبعة عليه ولا شدة - ذكر هاهنا أنه يفتح عليهم بركات من السماء والأرض لو آمنوا واتقوا، وذكر إذا لم يؤمنوا ونسوا ما ذكروا به أنه يفتح عليهم أبواب كل شيء، ولم يذكر البركة، ففيما لم يذكر البركة ينقصهم ما فتح عليهم من كل شيء ويسوؤهم وفيما ذكر فيه البركة بعد الإيمان لا يلحقهم من ذلك تبعة ولا غرم، والله أعلم"<sup>1</sup>.

الملاحظ على جميع الدول ثورات الربيع العربي، يرى أن هناك تزايداً ملموساً وقويا يتمثل في كبت الحريات الشخصية والعامية، والتسلط على الملكيات الشخصية، وتقييد النشاط السياسي، وتحجيم الدور النقابي، وممارسة جميع أنواع الانتهاكات الحقوقية عموماً، والإحساس المشاهد والملموس بالتمييز العائلي لحقبة العصابات الحاكمة، وكل ذلك يمكن أن نسميه بالضغط السياسي ونلخصه في النقاط الآتية:

<sup>1</sup> الماتريدي، أبو منصور، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ت: مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005)، ج4، 510.

## أولاً: التوريث العائلي والاستحواذ والاستبداد التام على السلطة.

شهدت ثورات الربيع العربي الكثير من التشابكات في هذا الجانب وهو الاستحواذ والاستبداد التام من أفراد الحزب الحاكم على السلطة والحكم، والهيمنة على المناصب العسكرية، والسياسية والوزارات العليا في الدولة، والإدارات العامة، وعزل الشعب عن المشاركة في إدارة شؤون البلاد، والتقليص والاستبعاد المتزايد والمستمر لفئات ممن كان لهم دور ومشاركة في صناعة القرار، وبالمقابل زيادة في احتكار السلطة، وحصر القرارات الفاعلة بيد الفرد الحاكم، مع توسع بسيط لحصر دائرة القرارات العامة بيد العائلة الحاكمة، ومن هم من المقربين لهم. فنحن إذا " نتحدث عن الأنظمة العربية جمهورية كانت أو ملكية وعن الإصلاح السياسي وتوسيع قاعدة المشاركة وحماية حرية الرأي والتعبير لكن تلك الإصلاحات في أحسن الأحوال تشبه النباتات الصحراوية التي تظهر بسرعة ثم تختفي ليحل محلها رمض الصحراء وسراجهما"<sup>1</sup>.

يقول العماني: "فلا وجود لما يسمى التعددية؛ التي تعد ضابط حضاري عند الاختلاف، فغابت التعددية من الدول العربية عموماً، والدول الربيعية خصوصاً، ولم تعد تلك الدول تتمتع ببنية تعددية، أي كان نوع ذلك التعدد -تجزؤاً- سواء كانت عرقية أو ثقافية أو فكرية أو مذهبية. وكما هو معلوم، فإن للتعددية، قيمة أصيلة في المجتمعات الإنسانية، القديمة والحديثة. ونظراً لغياب التعددية كطريقة مثلى، وكأسلوب حضاري لمواجهة الخلافات والصراعات والتحديات التي قد تحدث بين بعض مكونات وفئات المجتمع، فقد يستخدم المختلفون الكثير من الأساليب والطرق، لإدارة صراعاتهم وحروبهم، ولعل الخروج للشوارع كان أحد الحلول التي وجدت لها مصبّقون ومرحبون"<sup>2</sup>.

أما عن المواطنة، فيرى أحمد بن صالح، الوزير السابق في حكومة بورقيبة، أن: "الاستبداد السياسي، وعدم تطوير نظام ديمقراطي؛ هما الدوافع التي فجرت ثورة تونس". ويقول المهامي رئيس الحزب الشيوعي للعمال التونسيين: "لقد سادت فترة حكم بن علي حالة من الإقصاء المزدوج سياسياً واقتصادياً مما انعكس سلباً على واقع الحياة السياسية مجملها، وهذا في رأيه السبب الرئيس في تفجر أحداث الثورة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (المركز الديمقراطي العربي)، 28 نوفمبر، 2016، DEMOCRATICAC.DE.

<sup>2</sup> العماني، فاضل، الأسباب العشرة للربيع العربي، 2/2/2014م، العدد 16932، HTTP://WWW.ALRIYADH.COM.

<sup>3</sup> صديقي، تونس: ثورة المواطنة "ثورة بلا رأس"، 25 يوليو 2012، HTTP://WWW.DOHA.INSTITUTE.ORG.

إن من أعظم ما ابتلي به المسلمون هو إقصاء الإسلام عن الحكم، ثم تولي حكام أمور المسلمين، وهؤلاء بلغ شرهم مشارق المسلمين ومغاريهم، وعاثوا في أرض المسلمين فساداً، وكان من فسادهم المزمع عقده هو حق أسلوب توريث الحكم تأسيساً بالأنظمة الملكية الأخرى ليكمل الشر وتضييق الحلقة على أعناق المسلمين مستخدمين الطريقة الديمقراطية (الزائفة)، -وقد سما دولهم (جمهورية)؛ زورا، وبسبب هذه الخلافة قام أهم عنصر من عناصر الثورات العربية<sup>1</sup>.

وقبل عام من قيام الثورات العربي كتب أستاذ الديمقراطية العربية في جامعة قطر العربي صديقي: "بات الحكام الأوتوقراطيون العرب ماهرين للغاية في العلاقات العامة. فهم يجيدون استخدام لغة الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والأسواق الحرة، فيما يُثابرون على الحفاظ على الأدوات القديمة والاعتباطية في عملية اتخاذ القرار. وخلال السنوات العشر الماضية، سقطت الأنظمة العربية في ما يمكن تسميته "الجمهورية السلالية"، وهو شكل من أشكال الحكومات يُترجم نفسه تقريباً بتعبير الإزداف الخُلقي: "الرئاسة الملكية". لكن، ومهما كان شكل المظاهر الخارجية التي تعرضها الحكومات الجمهورية داخل الأنظمة العربية، إلا أنها لا تتقدم في الواقع بأي ضمانات تاريخية أو قانونية. فالهيمنة العائلية على الحكومات العربية تختصر الدول إلى مجرد أدوات لتعزيز المصالح الخاصة والشخصية، بدلاً من تحقيق المصلحة العامة. هذا علاوة على أن الدول العربية التي توجد فيها مؤسسات سياسية محدودة، غالباً ما تكتنفها القبليّة. وهذه الأخيرة تُسفر بدورها عن مؤسسات سياسية لاديمقراطية ومُشوّهة"<sup>2</sup>.

وعند قيام تلك الثورات كان التحضير قد لتوريث قد بدى على تلك الدول، والواقع كان ينبئ بتمرير تلك المراسم ببساطة ويسر؛ كون مفاتيح التشريع مضمونة لأنها تدين بالولاء التام للأسر الحاكمة، والانتماء الحقيقي لمؤسسات الدولة للحزب الحاكم، والرأي العام العالمي يبدو انه لا يعارض؛ لما حققه من إنجازات على يد أولئك الحكام الذين هم جزء من مخططهم في المنطقة. فمسألة التوريث أضحت محسومة إلى حد كبير، والتي تتمثل في انتخابات شكلية دأبت عليها البلدان الربيعية في الفترة الماضية.

ويقول صديقي: "في مصر، المسرح بات مُعدّاً لاستقبال جمال كي يكون مرشح الخلافة الوحيد للحزب الوطني الديمقراطي. وفي ليبيا، حدّد معمر القذافي كلاً من الوريثين العسكري والسياسي، وبالتالي

<sup>1</sup> المحمود، محمود أحمد، توريث الحكم في بلاد المسلمين، (لبنان، مجلة الوعي، ع، 282-283، السنة الرابعة والعشرون، رجب وشعبان 1431هـ).

<sup>2</sup> صديقي، العربي، الابن سرّ أبيه: "الجمهورية السلالية" في مصر وليبيا واليمن، (بيروت، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 25 نوفمبر 2009)

ليس ثمة مفاجآت غير مُتوقَّعة في عملية الخلافة الوراثية. لكن ما يمكن أن يكون غير متوقَّع، هو أن تضع قبيلة القذافي ثقلها وراء هذا الوريث السياسي أو ذاك الوريث العسكري. في اليمن، تستند الخلافة السياسية إلى ميثاق ضمني بين قبيلة الرئيس علي صالح (حاشد) وبين الجيش. لذا، وحده العضو في القبيلة مؤهَّل لتسَمَّ رئاسة البلاد. ويبدو الآن أن صالح يُعد نجله أحمد لاستلام زمام السلطة، من خلال تسهيل صعوده الكاسح في الصفوف العسكرية وتحميله مسؤولية قيادة أكثر القوات فتكاً في البلاد<sup>1</sup>.

ومن خلال ماكتبه صديقي والذي كان قبل سنة تقريبا من قيام الثورات نرى أن قضية التوريث كانت من القضايا المسلَّم بها والتي لا يتماهى فيها رجالان، وقد بدأت تلك الأنظمة مسلسل الدراما؛ حينما تم تفويض الكثير من صلاحيات الرئيس إلى مؤسسات يقف على قممها أبناء الرئيس وأقاربه، مع ووض دكتاتوري يحول دون منافسة أحد لأبناء الرئيس في تولي الملك، وأهم ما في ذلك هو الإشراف القضائي الكامل على الانتخابات بما يمكن النظام من التحكم في الانتخابات والذي يؤدي بدوره إلى تزوير الانتخابات بشكل فاضح، وهذا الذي كوّن فقدان الثقة لدى الكثير من المواطنين في جدوى إبداء رأيهم في الانتخابات، لعلمهم المسبق بالنتيجة، وكل ذلك لم يكن ليتم لولا وجود بعض المواد في الدستور والتي مفادها منح سلطات واسعة وفضفاضة للرئيس، وبالمقابل أدت إلى ضعف سائر سلطات الدولة، وبدا ذلك الدكتاتور هو الأمر والنهي؛ الذي لا تحل المشاكل التي عجزت الحكومة عن حلها إلا تحت يده، كل ذلك يحصل ولا يمكن لأحد محاسبة تلك الأنظمة، أو يسألها<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> صديقي، العربي، الابن سرّ أبيه: "الجمهورية السُّلالية" في مصر وليبيا واليمن، (مرجع سابق).

<sup>2</sup> عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، والسياسية، 28 نوفمبر، 2016)، ص19، بتصرف.

## ثانياً: الاضطهاد، وعدم مراعاة حقوق الإنسان:

إن الأنظمة الحاكمة في الدول العربية قد أوجدت منظومة عسكرية، لا لتحقيق الغاية التي أرادها الله من إرسال الرسل، وهي إعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، والدفاع عن حمى الإسلام، بل غايتها الدفاع عن حماها، وأن تحكم الشعوب بقبضة حديدية، والويل لمن خالفهم؛ حتى وإن سعى في مصالح الشعب بإخلاص، أما ما يعرف في الغرب بحقوق الإنسان، أو الهيئات الإصلاحية، أو السلك القضائي المستقل، فهذا قد محي من قاموس تلك الأنظمة الأحادية التسلطية. ولا شك أن الاضطهاد وعدم مراعاة حقوق الإنسان واحتقار الشعوب لدرجة الاستعباد، وغياب الدور الأمني الحقيقي الذي أنشئ لأجله، وخمول الدور القضائي عن الواجبات المناطة عليه، كل هذه الضغوطات لا شك أنها ستؤثر سلباً على واقع الحياة، وتنعكس صورة عدم الرضى على كافة المجالات، والتي بطبيعة الحال ستوجد طبقات ناقمة داخل المجتمعات، التي خيّم عليها حالة من الشعور بالظلم والمهانة وضياع للكرامة الإنسانية.

يقول الدكتور كريم: "وبتلخيص بيان المنطقة العربية واجهت نظام متكامل ذي أشكال متنوعة من التسلط الذي حكم المنطقة لعقود طويلة، لتدخل المنطقة العربية في مرحلة انتقالية طويلة ومعقدة تسعى خلالها إلى تلمس الديمقراطية، لكنها مرحلة مليئة بالصراعات التي ستطال كل الأنظمة بأوقات ودرجات مختلفة، وستشمل كل المنطقة، رغم صعوبة الحسم في مآل الأمور نتيجة التعقيدات المعروفة المختلفة، حسب أوضاع تلك البلدان"<sup>1</sup>.

ويمكن أن نعد قانون الطوارئ الذي فرضته الحكومة المصرية، والذي يوصف بانتهاك جائر لحقوق الإنسان والمواطن، وهذا ما دأبت عليه الحالة الأمنية في مصر، وكثيراً ما نادى الشعب المصري حكومته برفع حالة الطوارئ، غير أنهم كانوا يُقابلون بإصرار النظام هناك وكأن ذلك الشعب لا قيمة له ولا كرامة، لذا فإن من تداعيات الثورة المصرية، هي هذا القانون الذي بدأ العمل به عام (1967)، الذي زاد من سخط الشعب المصري، لما واجهوه من انتهاكات واعتقالات، جعلت لرجال أمن الدولة الهيمنة الكاملة على البلاد والشعب، متجاهلة جميع الحقوق الشرعية، والقانونية، والسياسية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> كريم، حسن، الربيع العربي وعملية الانتقال إلى الديمقراطية، نقلاً من (ثورة الخلاص من الاستبداد: دراسة حالات، (مصر، شرق الكتاب، ط1، 2012)، ص57. بتصرف

<sup>2</sup> أنظر: وحيد عبد المجيد، ثورة 25 يناير: قراءة أولى، (القاهرة: مركز الأهرام للنشر، 2011) ص57. بتصرف

كل ذلك التعدي على حقوق الإنسان يحدث في ظل سبات مهمل أو مفتعل من المجتمع الدولي، واللجان الحقوقية المتخصصة، وإن حصل منهم يقظة في يوم ما، فإنهم يكتفون بالعد والإحصاء، ولم نرى معاقبة أو حتى مساءلة، ويمكن الإشارة هنا إلى ما يقوم به النظام السوري اليوم من تنفيذ إعدامات جماعية لنحو ثلاثة عشر ألف سجين مدني بسجن (صيدنايا) العسكري منذ (2011)، فأين اللجان المتخصصة بحقوق الإنسان من تلك الجرائم، ولو يتمكن فريق يقوم ببحث أوضاع السجون السورية والتعذيب فيها<sup>1</sup>. وفي التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية لعام (2016)، أشار فيه إلى إن تنامي شيطنة الإنسانية، والقتل السياسي، وجرائم الحرب، والاعتقالات الجماعية، والمحاکمات الظالمة، والخطب التحريضية، جعل العالم مظلماً وغير آمن. ورسم التقرير صورة قائمة لأوضاع حقوق الإنسان في (159) دولة. يقول فيه: "لقد شهد عام 2016 استخداماً بغيضاً لخطاب تقسيم البشر إلى معسكرين متضادين "نحن" و"هم"، بما ينطوي عليه من إلقاء اللوم على الآخرين، وبث الكراهية، ونشر الخوف. وساد هذا الخطاب على مستوى العالم بشكل لم يسبق له مثيل منذ ثلاثينيات القرن العشرين. وبلغاً كثير من السياسيين إلى الرد على المخاوف الاقتصادية والأمنية المشروعة باستغلال سياسات التمسك بالهوية على نحو سام وانقسامي، في محاولة لكسب أصوات الناخبين"<sup>2</sup>.

كما تحدث التقرير عن تآكل معايير حقوق الإنسان بالاتحاد الأوروبي، وأن قوانين مكافحة الإرهاب التي سنتها عدة دول أوروبية، قلصت الحريات وطبقت دون رقابة قانونية<sup>3</sup>.

لقد سجلت دول الربيع العربي تردياً كبيراً في أوضاع حقوق الإنسان، وانعدام حرية الرأي الآخر، إضافة لتزايد جرائم الإخفاء القسري، وقيام تلك الأنظمة بإغلاق العدد من المراكز التي تهتم بالجوانب الإنسانية الإصلاحية، خوفاً من مزاحمة القائمين على تلك المراكز لهم على الملك، ومنع النشاط من السفر، وتجميد أرصدهم، كل ذلك يتم بدعم من السلطة والبرلمان؛ بسنّ قوانين جديدة تركز قمع

<sup>1</sup> سجن صيدنايا "سجن عسكري سوري؛ يعد من أكبر سجون البلاد وأفظعها وأسوأها سمعة عُرف منذ تشييده عام 1987 بأنه "سجن عسكري" يضم آلاف الجنود والضباط المتهمين بمخالفة القوانين العسكرية، لكنه في الواقع كان معتقلاً لمئات من السياسيين السوريين والعرب أغلبيتهم الساحقة من الإسلاميين. (ينظر تفاصيل المجزرة في الجزيرة نت، آخر تحديث: 8/2/2017، [HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET](http://www.aljazeera.net))

<sup>2</sup> التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية 2016/2017، 22 شباط / فبراير 2017، [www.amnesty.org](http://www.amnesty.org)

<sup>3</sup> المرجع السابق.

الحقوق والحريات، بشكل يبعث الفرع والخوف من القيام بأي نشاط ديني، أو ثقافي، أو اجتماعي. وما حصل من قمع وقتل للمحتجين في ثورات الربيع العربي خير شاهد على ذلك.

إن المتأمل في واقع الأحزاب الحاكمة للدول العربية عموماً، والدول الربيعية بالخصوص، ليرى الممارسات التي مفادها لا للمعارضة وأحزابها، لا للحريات، لا للحياة الكريمة، نعم لتصفية المعارضة، نعم لقمع الحريات، نعم لتجويد وتشريد الشعوب، ولو تحقق العدل والحق لصلحت الشعوب، ولما كان هناك الحاجة إلى الممارسات الوحشية والاعتقالات والممارسات الغير إنسانية، وهذا هو الدستور السائد لدى خلفاء الأمة لاتصافهم بصفات الصلاح، فعندما كتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: سلام عليك أما بعد: فإن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فعلت، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى الجراح بن عبد الله، سلام عليك، أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، وتسألني أن آذن لك؟ فقد كذبت يا جراح، يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، والسلام<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> البغدادي، أبو بكر أحمد الخطيب، المتفق والمفترق، (دمشق، دار القادري للطباعة والنشر، ط1997، 1)، ج3، ص1731.

### ثالثاً: اقضاء النجاح، بسبب التلاعب بالانتخابات وعدم السماح بالتعددية

الممارسات القمعية، والسجن والتنكيل للجماعات الإصلاحية، أو الأحزاب والحركات المناهضة للنظام الحاكم، مهما كانت مصلحة الشعب فيها، طالما أنها جاءت لفضح تخلف النظام القائم، أو معارضته؛ هذا هو الحال السائد في عالمنا العربي للأسف -الذي بات يوصف بالعالم الثالث- نعم لقد عانت الحياة الكريمة في تلك الدول الربيعية طوال سنوات حكم الطغاة، الذين مارسوا حياة الاستبداد لعقود عدة، ومن توغل في دهاليز تلك الأحزاب الحاكمة، وما تمارسه من تصفيات للقوى المعارضة، بالتواطؤ مع المؤسسات الأمنية التي تدور في فلك الأنظمة ليرى عجباً.

يقول الدكتور العتريسي متحدثاً عن أحوال الدول العربية قبل الثورات: " في تونس ومنذ أكثر من عشرين عاماً لا تزال حركة الاتجاه الإسلامي محظورة. وقد زج أتباعها في السجون، وفر ثم آخر إلى الخارج، وأبرزهم الشيخ راشد الغنوشي الذي بقي في لندن نحو من عشرين عاماً لا يقدر على العودة إلى بلاده، وعلى الرغم من نزع الصفة الإسلامية عن (حركة الاتجاه الإسلامي) وتحويلها إلى «حركة النهضة» بقيت ممنوعة ولم يتمكن أعضاؤها من العمل علانية أو من المشاركة في الحياة السياسية في البلاد، ولم تشهد تونس أي حياة حزبية حقيقية باستثناء الحزب الدستوري الحاكم الذي حظي لوحده بحق المشاركة وبالمهيمنة مع مؤيديه وأنصاره على مقدرات البلاد الاقتصادية والسياسية." <sup>1</sup>

ونراه ينقل للصورة نفسها عن مصر فيقول: " منذ وصول الرئيس مبارك إلي السلطة قبل ثلاثين عاماً، استمر العمل بقانون الطوارئ الذي يتيح اعتقال أي كان من دون أي مبرر. ولم تعر السلطة أذناً صاغية لكل مطالب ودعوات النقابات والأحزاب والحركات بالتخلي عن هذا القانون. وحركة الإخوان المسلمين وهي من أكبر الحركات الإسلامية لا تزال محظورة وممنوعة من المشاركة السياسية المباشرة منذ عقود أيضاً. وتلجأ الحركة إلى لوائح الأحزاب الصغيرة المعترف بها لكي تتمكن من المشاركة في الانتخابات النيابية في هذه الدائرة أو تلك. وقد زج النظام بأعضاء وقادة هذه الحركة في السجون مرات ومرات. ولم تتم محاكمة معظمهم في كثير من الحالات. كما تولت المحكمة العسكرية محاكمة الآخرين" <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عتريسي، طلال، الثورات التي قد تغير وجه المنطقة، إصار التغيي، (مجلة شئون عربية، دورية تصدر عن الأمانة العامة للدول العربية، 145، أبريل

(2011)، ص.42.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

إن سياسة "إقصاء النجاح" تنامت في العالم العربي بين الحزب الحاكم والأحزاب المناهضة له، فتجد أن الحزب الحاكم يسخر جميع مؤسسات الدولة الإعلامية والعسكرية والتعليمية والقضائية؛ لمحاربة تلك الأحزاب، ورميهم بأبشع التهم، ونبزهم بأفزع الألقاب، وكون جميع أجهزة الدولة بأيديهم فإنهم لا يجدون صعوبة في ذلك، وقد لمسنا هذا جلياً في انتخابات اليمن ومصر وقبل ذلك الجزائر في بداية التسعينيات، ومع أن المجتمع العربي بات على ثقافة عالية بسبب الانفتاح الذي خلفته وسائل الإعلام، إلا أن تلك الحقبة الحاكمة لم يعد يهمها مطالب الشعوب، ولا غضب الشارع.

كما أن أي حزب معارض يشارك في الانتخابات ويكون له صدى كبيراً في أوساط الشعوب، للتفاوض بالمستقبل، سرعان ما تواجه تلك الآمال باعتماد تغييرات في الدستور تصبّ في مصلحة الحزب الحاكم المتسلطة، كما أن ذلك المرشح لن يسلم من التشويه الإعلامي؛ من الرمي إما بالتطرف أو بالعمالة.

وبطبيعة الحال لن تخلو انتخابات عربية خاصة بالرئاسة والسلطة من اتهامات حارة، وانتقادات شديدة؟ لأن الشارع العربي سئم من الكذب المتوالي عليه حيال تلك الانتخابات، لأن الطابع الواضح عليها بلا نزاع أنها انتخابات صورية صممت على مقاسات الحكام الفعليين للبلاد؛ التي تقام بها تلك الانتخابات والتي لا تخلو من الديكتاتورية المؤلمة، والذي يرى حال العالم العربي مع الانتخابات يرى أنه لا جديد فحقيقة الانتخابات في العالم العربي هي لتهدئة احتقان الشعوب، يقول الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان: "في خضم فترة تموج فيها المنطقة بعدد من الاستحقاقات الانتخابية التي تترافق مع تحولات كبرى وجذرية في العديد من بلدان المنطقة، سواء في البلدان التي شهدت اندلاع الثورات وواجهت مراحلها الانتقالية عقبات وانتكاسات، أو تلك البلدان التي جرى فيها تحريك نسبي للأوضاع لاحتواء الغضب الشعبي المحتمل"<sup>1</sup>.

يقول الدكتور العودة: " من حق الإسلاميين أن يستعيدوا وجودهم المسلوب وحرّيتهم، وهم جزء ضمير الأمة وحاضرها ومستقبلها، ولا يعني أن يتحركوا وكأنهم القوة الوحيدة في الميدان، وأن يعبروا عن أنفسهم وكأنهم وحدهم ضمير الأمة أو المعبر عن أمالها وتطلعاتها، ولن يقوم بمشروع الأمة فصيل واحد

<sup>1</sup> شلي، علاء، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، المؤتمر الدولي: الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (القاهرة، المنظمة العربية لحقوق

الإنسان، ط1، 2014)، ص7.

من فصائلها، بل بمجموع أفراد الأمة بإسلاميها وغير إسلاميها، وكافة تياراتها واتجاهاتها الفكرية والمذهبية، ومن غير المسلمين الذين هم جزء من شعوب عربية وكان لهم أدوار تاريخية<sup>1</sup>.

يقول كريم خميس: "صحيح أن معظم الأقطار العربية عرفت -منذ حصولها على الاستقلال- أشكالاً متباينة من الانتخابات، بل إن بعضاً منها التزم بدوريتها وأعطاهها درجة من التنافسية، لكن ذلك لم يكن -في الغالب- غير وسيلة لإعطاء النظم الحاكمة شرعية شكلية تتصدى بها للمعارضات الداخلية أو لتحسين صورتها أمام العالم الخارجي، بل إن إجراء الانتخابات تحول في بعض الحالات إلى حالة اعتياد موسمي لا عائد ديمقراطياً منها. وصحيح كذلك أن كثيراً من هذه الأقطار شهد منذ تسعينيات القرن الماضي تنامياً ملحوظاً في الوعي العام بأهمية الانتخابات كآلية للتطور الديمقراطي السلمي؛ وذلك بتأثير عوامل متشابكة، من بينها تحولات النظام العالمي، وثورة الاتصالات، وتطور المجتمع المدني، إلا أن هذا الوعي لم يغير في عملية صنع القرار، ليس فقط للطبيعة التسلطية للنظم الحاكمة، ولا للعزوف الشعبي عن المشاركة السياسية، وإنما أيضاً لأنه تزامن مع ظاهرة عكسية، تمثلت في الاتجاه المتزايد لمركزية الحكم، سواء كان بيد شخص أو عائلة أو حزب، وهو ما ولّد حالة إحباط أنتجت لاحقاً حركات الاحتجاج الجماهيري التي وجدت في الشارع -بكل ما تضمنه من مخاطر- طريقاً وحيداً لانتزاع الحقوق"<sup>2</sup>.

ولذا كان الطابع السياسي مفرغ من فكرة التعددية عن مضمونها، كما لا يخلو قانون الانتخابات العربية من قيود محتومة المال، وحقيقة الانتخابات إنما تقام لأجل إخراج دراما وضع لها سيناريو، بإخراج الحزب الحاكم، وما يؤكد هذا أن المنطقة العربية من أكثر مناطق العالم التي لم تشهد تغيير لرؤساء بقوا في الحكم فترات قاربت نصف القرن، ولم يثنى أولئك الحكام عن الحكم إلا الموت المحتم على بني آدم، أو تغير جبري كما شاهدناه واقعا في الثورات الربيعية، لهذا رأينا أن عدم تداول رئاسة الدولة بين الرؤساء العرب، كان له دور رئيسي في قيام الربيع العربي، ولذا "لا بد من التعددية، والاختلاف كمقدمة لا غنى عنها، بصياغة عقد اجتماعي متوازن، يوفّق بين منازعات بشر تتباين هموم ومصالحهم، ويضمن للجميع حقوقهم على قدم المساواة في المشاركة السياسية وإدارة شؤون الوطن. هذا العقد هو التعاقد بين طرفين بحفهما الرضى: ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 29]، على الإيفاء بالشروط والالتزامات: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، بين السياسي والناس؛ لأجل تأمين الحقوق والحريات والأمن. على حين أن كلمة تأمين

<sup>1</sup> العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2012م) ص162.

<sup>2</sup> خميس، كريم، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (مرجع سابق)، ص9.

الأمن يجب ألا تنصرف لأمن فئة محددة صغيرة، تملك القرار السياسي والمالي والإداري. وتحت كلمة (الأمن) قد يتم خرق وانتهاك أمن شعوب بأكملها، وأمن حريتها، وأمن حقوقها، وأمن ذواتها وأفرادها"<sup>1</sup>.

يقول الدكتور طالب عوض: "ومن أجل ضمان إجراء انتخابات حرة ونزيهة لا بد من توافر المناخ الديمقراطي والحريات الأساسية للمواطنين، ولا سيما حرية الرأي والتعبير والتجمع السلمي، وتشكيل الأحزاب السياسية والمنظمات والجمعيات المستقلة، وسيادة القانون، وأكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٩١ أن الانتخابات الدورية والنزيهة عنصر ضروري لا غنى عنه في الجهود المتواصلة المبذولة لحماية حقوق ومصالح المحكومين، وأن التجربة العملية تثبت أن حق كل فرد في الاشتراك في حكم بلده عامل حاسم في تمتع الجميع فعلياً بمجموعة واسعة من حقوق الإنسان والحريات الأساسية الأخرى، وتشمل الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية"<sup>2</sup>.

إن ما تشهده الدول العربية من توجه الحكام والسياسيين بشكل متزايد لوصف معارضتهم بأعداء الوطن، وإسكات أصواتهم بعنف واضح أو مستتر؛ بدافع التمسك بالسلطة، وبالمقابل تمهيش مجموعة ما وجعلهم "شماعة" لمشكلات اقتصادية أو اجتماعية تواجهها، ليمهد الطريق للكراهية، والجرائم، وكأن الحكام قد غاب عنهم ما في التكاليف والجماعة من خير وبركة، وهو ما قد أكد الله عليه بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران: 103]. قال السمرقندي في معنى الآية: "تمسكوا بدين الله وبالقرآن، وتمسكوا بسبيل السنة والهدى، ولا تختلفوا في الدين، كاختلاف اليهود والنصارى. ويقال: لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء. اطلبوا النصرة من الله لا من القبائل والعشيرة، وما اشتبه عليكم، فردوه إلى كتاب الله كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]. قال بعض الحكماء: إن مثل من في الدنيا، كمثل من وقع في بئر، فيها من كل نوع من الآفات، فلا يمكنه أن يخرج منها والنجاة من آفاتها إلا بحبل وثيق، فكذلك الدنيا دار محنة، وفيها كل نوع من الآفات، فلا سبيل إلى النجاة منها إلا بالتمسك بحبل وثيق، وهو كتاب الله تعالى"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (مرجع سابق)، ص26.

<sup>2</sup> عوض، طالب، الانتخابات الحرة وفقاً للمعايير الدولية، المؤتمر الدولي: الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (مرجع سابق)، ص33.

<sup>3</sup> السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، ت: معوض وعبد الموجود، النوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993)، ج1،

## السبب الثاني: المحور الاقتصادي:

هناك إفرازات تسببت بها أنظمة دول الربيع العربي، وتتمركز تلك الإفرازات بالوعود المتمثلة في الإصلاحات الاقتصادية؛ التي كانت تلتزم بها تلك الأنظمة بين الحين والآخر، ولم ترى تلك الشعوب من الإصلاح السياسي المزعوم غير الديون المتراكمة على بلدانها من البنك الدولي، الذي طبق نظامه المعلوم عليهم عبر تنفيذ شروط أدت إلى تراجع وضع الدولة اقتصاديا واجتماعيا، وبطبيعة الحال أينما حل البنك الدولي فإن الفقر والبطالة تحل معه، وهذا ما كان واضحا عيانا في الدول الربيعية خصوصا، والوطن العربي عموما. ويمكن حصر الواقع الاقتصادي المزرى لشعوب تلك الدول، التي عانت من الفقر، والتجهيل، والتهميش لفترات طويلة، مع ارتفاع في معدلات البطالة، ونسبة الفقر، في الدول الربيعية كما يلي:

### أولا: الفساد المالي والإداري:

انتشار الرشوة، وتزايد الديون على الدولة، وارتفاع الضرائب، كذا جميع ما تحدثنا عنه في جميع المحاور السابقة فإنها تصب في هذا المحور بالذات؛ الاستحواذ، والاستبداد التام من أفراد الحزب الحاكم على السلطة والحكم، والهيمنة على المناصب العسكرية، والسياسية والوزارات العليا في الدولة، والإدارات العامة، وعزل الشعب عن المشاركة في إدارة شؤون البلاد، والاضطهاد، وسلب الحقوق والحريات، والبطش الجائر من أجهزة الأمن، واختلاق التهم ضد الغير، والتزوير، المحسوبية والرشوة، وتغييب الوحدة الإسلامية، وانتهاج سياسة (فرق تسد)، وخلق التمييز العنصري والطائفي، والتوريث، كل ذلك وغيرها يمكن أن يدخل تحت هذا المحور، لأن جميع ما ذكر يندرج تحت الفساد بأصنافه.

إن "مجتمعاتنا الطامحة إلى بناء الحياة الديمقراطية التي تجسدها ثورات الشباب العارمة، والناجحة بفعل عوامل الفقر الفاقة المستديمة، إلى جانب الانفتاح على العالم المتقدم بكل ما يحمله من ثورة تقنية ومعلوماتية، وما تحمله من دوافع إنسانية؛ تسعى لبناء مجتمع واسع ومتسامح يسع للجميع، بعيدا عن الصراعات المذهبية والعرقية والدينية والقبلية، وهذه الثورات لا تقاوم على جبهة الإطاحة بالنظم والدكتاتوريات، بل أيضا على جبهة حماية الثورة من الانحراف والبناء والتأسيس لثقافة التسامح والتصدي لاختراقات بعض القوى التي تسعى لإعادة أنماط من الحروب الأهلية الداخلية والحروب الإقليمية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> عبد الشافي، عصام، الثورات العربية، الأسباب والمسارات المآلات، (مرجع سابق)، ص 86.

يتم إرهاب المواطن بالضرائب الجائرة، مقابل عدم توفير أي من الخدمات الضرورية، وفي حال وجود تلك الخدمات تكون على أدنى المستويات المعمول بها عالمياً، يقول النجار: "يتحدد توزيع الدخل الأولي في أي بلد بنظام الأجور، بينما تتم إعادة توزيع الدخل وتحسينه من خلال نظم الضرائب، والدعم، والتحويلات، والخدمات العامة المجانية أو شبه المجانية. وقد ساء توزيع الدخل في الدول الربيعية لدرجة جعلت غالبية المواطنين لا يشعرون بأية ثمار للنمو الاقتصادي الذي تشير بيانات الحكومة إلى تحقيقه، بغض النظر عن دقة هذه البيانات من عدمه، وذلك بسبب سوء نظام الأجور الذي يطلق يد أرباب العمل في تحديد أجور العاملين لديهم، في ظل حد أدنى هزلي للأجر الشهري"<sup>1</sup>.

يقول الدكتور العتريسي: " ما هو مشترك أيضاً في تجربتي تونس ومصر - وفي اليمن أيضا - أن الحكم تحول بمرور الزمن إلى حكم العائلة التي تدير البلاد وتمسك بالاقتصاد وتجنّب مليارات الدولارات من مشاركتها المباشرة في كل مشاريع الأعمار والتسلح والتجارة والاستيراد والتصدير في المجالات كافة. وقد تداولت كثير من التقارير حجم الهيمنة العائلية لأسرة مبارك إلى باقي الأقارب مع شخصيات كثيرة من رجال الحزب الوطني إضافة إلى مشروع نقل السلطة إلى ابنه. وقد تكررت التجربة نفسها في تونس عندما هيمن بن علي وزوجته وأشقاؤها على السلطة وعلى إدارة موارد البلاد، وعلى المنتجعات السياحية في بلد يعتمد بشكل أساسي على السياحة الخارجية، كما كشفت كثير من المعلومات أن زوجة بن علي كانت تخطط للانقلاب عليه وترشيح نفسها للرئاسة. لقد نتج عن ذلك كله إفقار غير محتمل بالنسبة إلى معظم قطاعات الشعب، في الوقت الذي أثرت فيه «العائلة الحاكمة» ثراء فاحشاً تبين بعد سقوط النظامين أن ثروة كل واحد منهما تقدر بعشرات مليارات الدولارات"<sup>2</sup>.

كما أدت المحسوبيات إلى عدم تكافؤ الفرص بين أفراد الشعب، بالإضافة لوضع الرجل غير المناسب في وظيفة لا يستحقها، وإهمال الأكفاء. "جاء في تقرير أعلنت عنه منظمة الشفافية الدولية؛ وهي منظمة دولية لرصد جميع أنواع الفساد بما في ذلك الفساد السياسي، مؤشر الفساد لسنة (2010): تبين أن مصر تحتل المرتبة: (98) من أصل: (178) بلد مدرج في التقرير"<sup>3</sup>. وجاء في مقال عرب في

1 السيد النجار، الاقتصاد المصري ومعضلة الفقر في عهد مبارك، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2011/10/13 [HTTP://STUDIES.ALJAZEERA.NET](http://studies.aljazeera.net) بتصرف.

<sup>2</sup> عتريسي، طلال، الثورات التي قد تغير وجه المنطقة، (مرجع سابق)، ص.43.

<sup>3</sup> عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (مرجع سابق).

المهجر يتحدثون عن ثورة الياسمين: "إن الحكم على أي سياسة اقتصادية لا يتم إلا من زاوية قدرتها على الاستجابة الفعلية لمقتضيات النهوض بالبلاد في مختلف المجالات، وإخراجها من دائرة التبعية للدول والاحتكارات الامبريالية أولاً، وعلى تلبية حاجات الشعب الأساسية المادية والمعنوية ثانياً، وليس من زاوية ما توفره من منافع لأصحاب رأس المال المحليين والأجانب. وقد تمثلت تلك الاسباب في السياسات الاقتصادية للنظام الحاكم السابق"<sup>1</sup>.

### ثانياً: البطالة، وتردى الأوضاع المعيشية:

سوء الأحوال المعيشية على عامة الشعوب يبدو واضح الأثر، مع زيادة ملموسة لنسبة الفقر، ونسبة البطالة، مقابل غلاء الأسعار، وتدني الدخل، كذلك أدى لاتساع الفجوة بين الطبقة الغنية والفقيرة، وهو مدعاة لأن تثور تلك الشعوب، ولم تكن الشعوب لتتحرك بوحى من مطالب التغيير السياسي فقط، فالأغلب على شعوبنا العربية البساطة من ناحية، والفقر من ناحية أخرى، لذا نجد أن تلك الشعوب لا يولون اهتماماً للمشهد السياسي، أو التحول الديمقراطي، ولا يعي الكثير منهم مفهوم التعددية الحزبية، بقدر اهتمام تلك الشعوب بلقمة العيش، وتوفير الحياة الآمنة المتمثلة في القوات لهم ولمن يعولون، والطموح لحياة كريمة كحال جيرانهم من الدول النفطية، لذلك كانت الشعارات التي ترددت في تلك الثورات: ( عيش، حرية، عدالة) ولهذا فقد تحركت هذه الشعوب بإلحاح من الظروف المعيشية، والوضع الاقتصادي القاسي، مع ملاحظة تنامي الفجوة التي بين الأغنياء و الفقراء، ولهذا لا يمكن إغفال أن يكون المحور الاقتصادي من أهم محاور الثورة، بل هو بمثابة شرارة تسببت في إشعال تلك الثورات، معبرة للرفض التام للانتهاكات والممارسات من تلك الأنظمة، مع تراكمات أخرى قد مررنا على البعض منها وسنأتي بعون الله على البعض الآخر<sup>2</sup>.

إن تفاقم نسبة البطالة في الدول الربيعية من الأسباب الرئيسية لقيام الثورات، والتي لا يكمن إغفالها نهائياً، إذ أن فتيلها الأول الذي أدى لاشتعالها من طرف البوعزيزي؛ كان مبدأه من أجل البطالة، ومما زاد الأمر سوءاً كون تلك البطالة انتشرت في صفوف المتعلمين من خريجي الجامعات؛ بل وحتى من ذوي

1 عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (مرجع سابق). بتصرف.

2 المرجع السابق. بتصرف

المؤهلات العالية، فارتفع نسبة البطالة، وانتشار الفقر؛ من الأسباب المؤدية لخروج الكثير من الناس، ليس من الشباب فقط، وإنما من كافة أطياف الشعب، التي تعاني من الظلم لعقود عدة

في تقرير لمنظمة العمل الدولية جاء فيه: "لا تزال بيئة استخدام التشغيل في المنطقة تستدعي اعتماد اجراءات ملحة وخاصة فيما يتعلق بالنساء والشباب. وتعاني منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أعلى مستويات البطالة في أي إقليم في العالم، حيث تبلغ: (10,9 و 12,2%) كما تعاني المنطقة من أعلى مستويات البطالة في صفوف الشباب على المستوى العالمي؛ (27,2 و 29,2%)<sup>1</sup>.

يقول غاي رايدر، المدير التنفيذي لمنظمة العمل الدولية: "في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تعاني الكثير من الاقصاديات من ضعف استحداث فرص العمل، وعمق الفروقات. ومن مواطن الضعف الكامنة التي لم تعالجها بعد التحولات السياسية في مرحلة ما بعد الربيع العربي"<sup>2</sup>.

في مقال لعدنان كريمة ذكر فيه: "أن ثورات الربيع العربي انعكست بشكل سلبي على سوق العمل، مما أدى لارتفاع معدل البطالة في الدول العربية من (14%)، (2010) إلى (17%) عام (2013)، ووصل عدد العاطلين عن العمل إلى أكثر من (20) مليوناً، وفق إحصاءات منظمة العمل العربية. وفي الوقت ذاته، أدى تراجع مؤشرات النمو إلى تزايد عجز الموازنة، وتدهور الاحتياط النقدي، وتراجع قيمة العملات الوطنية، وارتفاع معدل التضخم، وكلفة المعيشة، وكلها عوامل سلبية ساهمت في تفاقم عدد الفقراء، حتى إن دولاً عربية انتقلت من وضعية الفائض المالي، إلى وضعية العجز في الموازنة؛ بسبب جهود الإنفاق لضمان الاستقرار الاجتماعي وما تلاه من تعثر اقتصادي وصعوبات في المناخ السياسي والأمني. وتختلف المؤشرات السلبية بين دول الربيع العربي باختلاف أرقامها: ففي تونس بلغت نسبة البطالة (16%)، ونسبة الفقر أكثر من (24%)، وفي ليبيا تسجل البطالة (15%)، مع ارتفاع عدد العاطلين من العمل في القطاع الحكومي، أما اليمن فنسبة البطالة بين الشباب تصل إلى نحو (60%)، ويعيش (54%) من اليمنيين تحت خط الفقر، وفي مصر يصل معدل البطالة إلى (14.3%)، وتتجاوز النسبة بين الشباب إلى ثلاثين في المئة، بينما يعيش أكثر من سبعة وعشرين في المئة من المصريين في فقر مدقع، -ففي أواخر (2010) كان (40%) من سكان مصر يعيشون تحت خط الفقر أي يعتمدون على دخل قومي يعادل

<sup>1</sup> اللجنة الدولية النقدية والمالية واللجنة الدولية المعنية بالتنمية، (واشنطن، أبريل، 2013). ص 17.

<sup>2</sup> رايدر، غاي، تكريس وتفعيل الحقوق في مرحلة التحولات: النتائج الإنمائية، (منظمة العفو الدولية، 2013/2/12)، ص 17

حوالي (2) دولار في اليوم لكل فرد، أما سوريا فقد انضم إلى صفوف البطالة أكثر من مليونين وستمائة وسبعين ألف سوري، ما يعني أن (11 مليون) شخص من المعالين فقدوا سبل الدعم المالي الأساسية<sup>1</sup>. وكننتيجة طبيعية لهذه التطورات، تبرز خطورة تحديات الفقر، إذ أفاد تقرير للأمم المتحدة بأن نصف سكان سورية البالغ عددهم (23 مليون) باتوا تحت خط الفقر، ويتوقع ان يصل معدل الخط الأدنى إلى (60%)، والأعلى إلى نحو (90%)، فيصبح أكثر من (20 مليون) من السوريين فقراء<sup>2</sup>.

زيادة إفقار الطبقة الفقيرة، وغناء الطبقة الغنية، مع ملاحظة في ارتفاع كبير في معدل البطالة، كل هذا الأوضاع مع تراكمات سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية؛ والتي تسببت في الانعكاسات السلبية لدى الشعوب؛ ولدت حالة من اليأس التام من الأنظمة؛ حتى وإن أعطوا وعوداً، فهذا لم يعد ليجدي نفعا في ظل سوء الأحوال المعيشية التي تعاني منها الشعوب، والتي وصلت لدى البعض تحت خط الفقر لعدد منهم؛ بسبب التفاوت الحاد في التوزيع الجائر للنتاج الوطني في صرف تلك العائدات بين الطبقتين -الغنية-والفقيرة-، بالمقابل لوحظ غلاء في أسعار السلع الأساسية على المستوى الدولي والمحلي، وبالتالي خلقت فجوة هائلة بين طبقة الأغنياء القادرة على الإنفاق، وطبقة الفقراء التي لا تستطيع التعايش مع هذا الغلاء، وكانت هذه السياسات المؤدية إلى إفقار غالبية تلك الشعوب، وتكديس الثروة في يد فئة ممن تعرف برجال الأعمال؛ الذين أصبحت لهم امتيازات منحت لهم من قبل تلك الأنظمة؛ التي تسابقت في نهب ثروات وبنوك تلك الشعوب، وقاموا بتهرب تلك الأموال إلى الخارج.

ولا ريب أن ذلك يتم بمشاركة العصابة التي تسمى حكاما -زورا- وبذلك انقسمت تلك المجتمعات إلى فئتين؛ فئة تمثل (20%) من الشعب تملك كل شيء، وفئة تمثل (80%) لا تملك أي شيء، ولا يوجد بينهما وسط؛ فئة أقلية غنية مسيطرة تستأثر بالسلطة والثروة، وفئة اغلبية فقيرة؛ مستلبة الحقوق، عرضة للقمع والاضطهاد من قبل الفئة المسيطرة، هذا هو الواقع الذي تعايشه دول الربيع بالخصوص، وتعتبر البطالة أشد المخاطر التي تهدد استقرار الأمة الإسلامية والعربية<sup>3</sup>.

ويمكن أن نرجع السبب الرئيس في تنامي ظاهرة البطالة في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية لسبب هام كنا قد أشرنا إليه؛ وهو ما تحدثنا عنه الأستاذان الطيب وبهلول: "بالإمعان في تطور النمو الاقتصادي في

1 كريمة، عدنان، صحيفة الحياة: (لندن، تاريخ النشر: الإثنين، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٤م)، بتصرف.

2 حسب تقرير أعلنت عنه منظمة الشفافية الدولية؛ وهي منظمة دولية لرصد جميع أنواع الفساد. بتصرف.

3 زايد، احمد، اركيولوجيا الثورة واعادة البعث للطبقة الوسطى الديمقراطية، السياسة الدولية، (مصر، مؤسسة الاهرام، ع 42، ابريل 2011)، ص 21

الدول العربية، نجدها محيية للآمال، فلم ترفع نصيب دخل الفرد بدرجة محسوسة، وأشد من هذا أن الفجوة بين الدول العربية والدول الصناعية في تزايد مستمر؛ لتباين معدلات النمو في كل منها؛ حيث يوعز ذلك إلى جمود الهيكل الاقتصادي للدول العربية، إضافة إلى تأخر الجهود الإنمائية والصناعية، حيث نرى أن صناعاتها ناشئة لا تستطيع منافسة منتجات الدول الصناعية. ومما يزيد العقبات؛ تباطؤ النمو الاقتصادي، وفشل السياسة الاقتصادية، والتي كان المنظر حل لأزمة البطالة<sup>1</sup>.

### ثالثاً: استئثار النخبة الحاكمة بالثروة، ونهب ثروات الوطن والمواطن،

حالة الفقر والتفاوت الطبقي الكبير بين الفقراء والأغنياء، وبين المدينة والريف، حتى أن الطبقة الوسطى تكاد تنعدم إن لم تكن عدمت، وفشو البطالة في أوساط الشباب، وبالمقابل الثراء الفاحش، الذي تتمتع به الأسر الحاكمة، كل ذلك وغيره من الدوافع الرئيسية لنهوض الثورات الربيعية.

وبالنظر إلى "التشابه في عوامل التغيير؛ والدوافع المحفزة على الانفجار السياسي والهيمنة الكلية على مقاليد الأمور في البلاد، وتحول الحكم إلى حكم العائلة التي تدير البلاد، وتمسك بالاقتصاد، وتحتج المليارات الدولارات من مشاركتها المباشرة في كل مشاريع الإعمار، وصفقات التسليح، والتجارة، والاستيراد والتصدير في كافة المجالات، وسياسة التبعية للولايات المتحدة دون إي اعتراض على ما تقوم به من ممارسات أو ما تتبناه من سياسات"، فنرى أن الأنظمة قد مارست برنامجاً شمولياً يقضي بعدم الاكتراث بالمدينين، وجميع طبقات الشعب الذي يمكن أن نعده في طبقة المهمشين<sup>2</sup>.

ثم ليتهم اكتفوا بذلك! بل كان نصيب الشعب هو الحرمان من إيراداتها المستحقة، ولم تستثمر كذلك في تحسين بعض المنشآت الخدمية لتلك الشعوب، تقول الباحثة آية عبد السلام في مقال أسباب قيام ثورات الربيع العربي: "لقد تم تبيد الممتلكات العمومية بعنوان (الخصخصة)؛ التي شملت كافة القطاعات بما فيها الاستراتيجية كالإسمنت والكهرباء والغاز والاتصال والنقل، وقد استأثر الرأسمال الأجنبي إلى حد الآن بـ(75%) من عائدات الخصخصة، وهي حصة قابلة للارتفاع، وهو ما سيمكّن أصحاب رأسمال المال الأجنبي من السيطرة على مصادر البلاد، وتجريد الشعب من كل إمكانية للتحكم في خيارات بلاده وثرواتها، بالإضافة لظهور طبقة اجتماعية مصالحها تتعارض مع وجود صناعات وطنية، وأصبحت

1 الوافي، ولطيفة بملول، البطالة في الوطن العربي، (المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، 15 يناير 2012 [HRDISCUSSION.COM](http://HRDISCUSSION.COM)، بتصرف.

2 عبد الشافي، د. عصام، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (مرجع سابق). ص 73.

كل الخدمات التي يجب أن تتوفر للمواطن بالمجان غير موجودة، ولكي يحصل عليها لابد من ان يدفع مقابل ذلك، لأن القطاع الخاص هو المسئول عنها. ويمكن القول في موضوع الخصصة المفروضة من قبل أجنده خارجية أنها هي: الاستعمار الاقتصادي الذي أودى بمستقبل الدول العربية فأصبحت تعتمد أكثر فأكثر على الاستيراد، وهو ما يعمق تبعيتها للدول والمؤسسات والشركات الاستعمارية، ويبرهن مستقبلها ومستقبل أبنائها وبناتها بمراكز القرار الأجنبية<sup>1</sup>.

فالوالي المسلم هو الذس ينبغي عليه أن يفكر بالتفكير الإيجابي الذي اتخذه عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجعله مسلكا في طريق خلافته، ولا يفكر بالنظرة السلبية التي كان ينظر بها الجراح وأن يجعلوا شعارهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]. قال الصابوني في التعليق على الآية: " أي وإن كان العمل الذي عملته زنة حبة من خردل جثا بها وأحضرناها. قال أبو السعود: أي؛ وإن كان في غاية القلة والحقارة، فإن حبة الخردل مثل" في الصغر ﴿وكفىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ أي: كفى بربك أن يكون محصياً لأعمال العباد مجازياً عليها. قال الخازن: والغرض منه التحذير فإن الحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتهه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون على أشد الخوف منه؛ أي الله تبارك وتعالى<sup>2</sup>.

1 ينظر: عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، مرجع سابق، بتصرف.

2 الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997)، ص336.

## السبب الثالث: المحور الاجتماعي:

أمام تفاقم الأزمات السياسية والاقتصادية، لم تكن الأزمة الاجتماعية بأقل شأن منهم حيث بات الوعي الشعبي لدى الشعوب في تنامي تجاه الأنظمة الحاكمة، وتجاوزت لديهم مرحلة الشكوك في تلك الأنظمة إلى مرحلة اليقين الجازم، لما رأوا من تجاوزات طغت على تراث الأمم، وتطلعات الغد، فأصبحت الشعوب ترى من تلك الأنظمة هدماً لمبادئ المجد التي ورثوها عن أسلافهم والتي تمثلت في مقاومة الاستعمار، بإدخال الاستعمار بحلله الجديدة على البلاد، تارة بحجة الإصلاح الاقتصادي، وتارة بحجة الاتفاقيات الأمنية، وأخرى بحجة تبادل المعلومات، فليست هناك شعوب غبية وأخرى ذكية. الشعوب هي الشعوب في كل مكان، الفارق ربما يكون في درجة الوعي أو الخبرة التاريخية التي مرت بها. فهناك شعب اكتوى بنار حاكم فكون مضادات للحكم الاستبدادي، وهناك شعب طال عليهم أمد الظلم فقسفت قلوبهم، لكن مسألة بقاءه في المستقبل السياسي مسألة وقت. وليست هناك حصانة لهذا أو لذلك من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بل إن فكرة الإيمان بتفوق شعب معين على بقية الشعوب، أو أن هناك شعباً متخلفاً بطبعه، هي أفكار عنصرية غير صحيحة. في كافة قوانين الحقوق.

"في عام 1970، كتب رئيس الوزراء الماليزي الحالي، مهاتير محمد، كتاباً بعنوان "معضلة الملايو"، وذلك حينما كان سياسياً شاباً، داعياً إلى ثورة صناعية. كان الكتاب صادماً في حينه وتم حظره، وبعدها بنحو عشر سنوات، كانت ماليزيا على موعد من وضع هذا الكتاب الممنوع موضع التطبيق، بعد أن وصل مؤلفه إلى منصب رئاسة الوزراء. وكلنا يعرف نهاية القصة وما أصبحت عليه ماليزيا. ما الفرق بين الشعب الماليزي وأي شعب آخر، سواء أكان عربياً أم غير عربي؟ هي فقط درجة من الوعي، وهذا الوعي لا يستحدث من العدم، ولكنه ينشأ عبر مبادرات فردية ونخبوية تستقبلها الشعوب بترحاب إذا أحسن زارعوها، وبالتالي، فإن نكبة أي شعب هي نكبة وفشل نخبته في الأساس، قبل أن تكون فشلاً شعبياً"<sup>1</sup>.

لقد أصبحنا نرى إلى جانب الاحساس بالظلم السائد، صاحبه حالة من الشجاعة والتحدي لدى الشعوب الذين واجهوا الرصاص بقماش نقش عليه (الشعب يريد إسقاط النظام). أعطت مؤشراً أن النصر حليف الثورات. ويمكن حصر المحور الاجتماعي في الفروع التالية:

<sup>1</sup> بشر، هاني، وعي الشعوب ووعي الأنظمة، مجلة عربي 21، [HTTPS://ARABI21.COM](https://arabi21.com)، الأحد، 10 يونيو 2018

## أولاً: العزوف عن التعليم الشرعي، وتدني المنظومة التعليمية، وارتفاع نسبة الأمية.

التأثر بالحياة المادية، والتهوين من المورثات الثقافية لامتنا، من أعظم البلايا التي ابتليت بها الأمة، فلقد بدأنا نلاحظ في الآونة الأخيرة عزوفاً عن تعلم العلم الشرعي من شباب الأمة، حتى أضحت حلق العلم خاوية على عروشها؛ فلا تكاد ترى بها إلا القليل من طلاب العلم، وهذا القليل لا ترى فيه مجتهداً إلا أقل من ذلك القليل، وهذا الأمر ينذر بخطر عظيم على أمتنا الإسلامية يفوق كل خطر؛ خشية أن يسري علينا حديث النبي الكريم عليه أركى الصلاة والتسليم: (إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيفتون برأيهم، فيضلُّون ويضلُّون)<sup>1</sup>؛ قال الإمام ابن حجر عند كلامه على الحديث: " وفي الحديث الزجر عن تريس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة وقد يتمسك به من لا يجوز تولية الجاهل بالحكم، ولو كان غاقلاً عفيفاً، لكن دار إذا دار الأمر بين العالم الفاسق والجاهل العفيف أولى لأن ورعه يمنعه عن الحكم بغير علم فيحمله على البحث والسؤال وفي الحديث أيضاً حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض"<sup>2</sup>.

حتى ترتقي هذه الأمة التي فقدت مكانتها المناسبة لها بين الأمم. يجب الاجتهاد في طلب العلم؛ خاصة في زمن أضحي الترويج الإعلامي ضد العلماء تارة باللمز، وتارة السب، والتجروء على طلبة العلم، وحلقات تحفيظ القرآن والمراكز الشرعية، ورميهم بألقاب شنيعة، والتعدي عليهم، بل واتهامهم زوراً بتفريخ الإرهاب؛ وما ذلك إلا لتعمد التضيق عليهم وإغلاق تلك المحاضن التربوية النيرة، مع زيادة الضغط على أهل العلم، مما أدى لإهمال العلم الشرعي، والإقبال على العلوم الأخرى. كما أدى الخلاف السياسي إلى عرقلة طلاب العلم، والحيلولة بينهم وبين العلماء بحجج واهية، مما جعل الشباب يلجأ إلى تلقي العلم من مصادر مجهولة عبر (الانترنت) فتارة تحوي بهم للبدعة، وتارة للغلو.

ثم إن وسائل التقنية الحديثة قضت على البقية الباقية من أسباب العزوف عن العلم الشرعي، فقلصت من تعظيم العلم، وإهمال منزلته الرفيعة في الدارين، فانشغل شباب الأمة بتلك الوسائل التي شوشت عليهم دينهم وعقولهم. كما أن لغياب الجانب الروحاني الذي كان يطفوا على حلقات العلم، والجلوس بين يدي العلماء دور كبير في تهديد الشباب في طلب العلم.

1 أخرجه البخاري رقم: (7307)، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

2 العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، باب ما يذكر من ذم الرأي، (بيروت، دار المعرفة، 1379)، ج 13، ص 287.

ولو استشعر المسلم مسؤوليته تجاه أمته لما أهمل هذا الجانب العظيم وزهد فيه، يقول نصار: "إذا كانت كل أمة تحرص على أن تكون ثقافتها وفكرها ونظمها التربوية والتعليمية نابعة من عقائدها وفلسفتها التي توارثتها عبر الأجيال، فأولى بأمة الإسلام أن تكون سياستها التعليمية والتربوية نابعة من عقيدتها، تلك العقيدة التي ترفع العلم إلى أسمى مكان، شريطة أن يدور العلم في فلك الإيمان. وبنظرة إلى واقع التعليم في بلداننا نلاحظ أنه لا ينطلق من الأهداف التي تمثل حياة الأمة، ولا يعمق العقيدة التي تقوم حياتهم عليها، ولا يؤدي وظيفته في إيجاد جيل راسخ الإيمان، مثقف القلب، قابل للتضحية والفداء في سبيل الأهداف والغايات الكبيرة في الحياة، بل إن أهداف التعليم في أي بلد عربي لا تختلف عن الأهداف المرسومة في مناهج أية دولة غربية؛ لأننا لا نستمد أهدافنا من قيمنا وتراثنا وما يميزنا بقدر ما نستمدها مما نترجم من العالم من حولنا"<sup>1</sup>.

تحت عنوان السيطرة الاستعمارية الغربية في التعليم، جاء فيه: "كان التعليم الإسلامي التقليدي، والذي أنقص إلى الحد الأدنى، يقدم تحت إشراف صارم من السلطات الاستعمارية، بيد أنه بفضل هذه الجهود ذاتها أمكن الحفاظ على الدين والهوية الإسلامية لأبناء الشعب في البلدان المستعمرة، كما حاولت بلدان الاستعمار من القضاء على الهوية الوطنية للبلدان المستعمرة وثقافتها ولغاتها، واعتبر استخدام لغة أجنبية في الحياة اليومية بدلا عن اللغة الأصلية للبلد دليل على الحضارة والثقافة"<sup>2</sup>.

كما لم يقف الأمر بالعلوم الشرعية بل تجاوز إلى انخفاض مستوى التعليم العام؛ مع تفاوت في الدول العربية في ضعف المنظومة التعليمية، مما أدى بالتأكيد إلى زيادة سخط الناس وقيامهم بتلك الثورات، ولقد رأينا تدنيا ملموسا لمستويات التعليم في الدول الربيعية، رغم الزيادة العددية في نسبة المتعلمين، إلا أنهم لم يصلوا لمستوى التأهيل الذي وصل إليه التعليم في مختلف دول العالم، فلو قارناه مثلا بالتعليم في دولة كماليزيا لوجدنا أن هناك فرق بائن بين الدول الربيعية - بل وكل الدول العربية-، وبين تقدم المنظومة التعليمية في ماليزيا، التي سعت ولا تزال إلى أن تنافس الدول الكبرى في التعليم على قلة في مواردها الوطنية، إلا أن التعليم كان من أولى الاهتمامات في الحكومات المتعاقبة عليها.

1 نصار، أحمد محي الدين، أسباب ضعف الوازع الديني، SAIDACITY.NET، الإثنين 15 تشرين أول 2012م. بتصرف.

2 نخبة من الباحثين، بإشراف عبد الوهاب بو حديبة، مختلف جوانب الثقافة العربية، الفرد والمجتمع في الإسلام، (لبنان، درغام وأولاده، ط2، 2000)، مطبوعات اليونسكو، ج2، ص175.

ولذا نرى أن ما يريده أعداء الإسلام هو استمرار الفوضى التعليمية؛ لأنها تخدم أغراضهم، ولهذا نجدهم بسطوا نفوذهم على مؤسسات التعليم، كل ذلك بغية تغذية فرض النظريات والأفكار الفاسدة؛ سياسية كانت أو فلسفية أو نفسية، وجميعها كفيلة بتقويض العقيدة وأركان الدين، من النفوس. "فقد سعت الدول الاستعمارية بوجه عام إلى استخدام التعليم لإحكام سيطرتها واستغلالها ونثر لغاتها وأيدلوجياتها وثقافتها. ولقد عانت الشعوب المستعمرة من عدم وجود تعليم عام، وخاصة في المجالات العلمية والتقنية وكان النزر القليل من التعليم الحديث يقدم لمن سيدعون في المستقبل لخدمة النظام الاستعماري؛ من إداريين ومعلمين وموظفين، كما كانت بعض المستعمرات تقوم بتأهيل أعداد قليلة من رجال القانون الأطباء ومن إليهم"<sup>1</sup>.

وتحت عنوان الدفاع عن الاستقلال الوطني والسلم العالمي من كتاب اليونسكو مختلف جوانب الثقافة العربية: " تعاني الأمم الإسلامية بوجه عام من تأخر شديد في المجال التغيي ومن سوء استعدادها عسكريا ومن التمزق السياسي، فهل يمكن للتربية الإسلامية أن تعزز الكفاءات التقنية والتكامل السياسي، وأن تعد الرجال والنساء للدفاع عن بلدانهم كي يستطيع العالم الإسلامي أن يواصل حياته في حرية وسلام مع سائر البشر؟ إن مستقبل العالم الإسلامي يتوقف إلى حد بعيد على نجاح التربية الإسلامية، أو بعبارة أدق على الإجابات التي يمكن لهذه التربية أن تقدمها لتلك القضايا الحاسمة بغية بناء مجتمع يجد فيه الإسلام أصدق تعبير عن مبادئه، ويمكن للمسلمين أن يسهموا في تحقيق أخوة إنسانية بهدي من إله واحد هو رب الكون وخالقه، تلك هي نهاية المطاف والغاية المثلى للتربية الإسلامية"<sup>2</sup>.

وعن الأمية في الوطن العربي، قالت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو): " تذكر المنظمة أنّ الدول العربية ماتزال تعاني من ارتفاع في نسبة الأمية مقارنة بدول العالم النامي، حيث تشير البيانات إلى أن معدّل الأمية في الدول العربية 27.1% مقارنة بـ 16% في العالم، وقدّر المرصد العربي للتربية بالألكسو أنّ عدد الأميين في الوطن العربي عام 2015 بلغ قرابة 54 مليون أمّي، وهذا

<sup>1</sup> نخبة من الباحثين، بإشراف عبد الوهاب بو حديبة، مختلف جوانب الثقافة العربية، الفرد والمجتمع في الإسلام، (مرجع سابق)، ج2، ص175.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص80.

العدد مرشح للزيادة في ظلّ الأوضاع التعليميّة التي تعانيها الدول العربية التي تمرّ بأزمات ونزاعات مسلّحة والتي نتج عنها حتى الآن عدم التحاق قرابة 13.5 مليون طفل عربي بالتعليم النظامي.<sup>1</sup>

وبالرغم من بدل الكثير من المنظمات مجهودا ملحوظا في نحو الأمية، إلا أننا نجد هناك سياسة ممنهجة في المحاولة لتجهيل الشعوب الإسلامية من بعض الأنظمة، فما رأينا في اليمن من التجهيل المتعمد على الشعب، يجعل المرء يجزم أن النظام هناك كان يسعى لسياسة التجهيل بكل ألوأها.

### ثانيا: ارتفاع معدلات الجريمة:

الرسالات السماوية جميعها تخاطب في الإنسان النزعة الدينية الأصيلة، وتوقظ في أعماقه هذا الشعور الديني المتأصل في النفوس، فالوحي الإلهي جاء رحمة من عند الله، يهدي النفوس الضالة، ويساعد العقل الإنساني على الوصول إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها، والوازع الديني هو المحرك النفسي الفعال الذي يدفع الإنسان إلى ترجمة أحكام الدين إلى واقع ملموس، وغياب الوعي الديني، وتجاهل القيم العليا للوجود الإنساني، المتمثلة في العبودية المحضة لله عز وجل، والتي هي منبع الحرية الحقيقية، لا بد أن تؤثر سلبا على السلوك الجماعي للمجتمع، فإن كل سلوك فردي له بالضرورة انعكاس اجتماعي؛ قلّ أو كثر ومن حيث الأصل، فكل من الأخلاق، وإعمال الضمير، والالتزام بالسلوك الحميدة، كل ذلك نشأ ابتداء عن الحاجة الاجتماعية لضبط نزعات الفرد داخل دائرة المجتمع، وليس لضبط نزوات الفرد في دائرته.

كما أنه ليس البدائي النبيل المفطور على الطيبة (طبيعا)، قبل أن تفسده الحضارة؛ كما عند جان رسو. وهو أيضاً ليس منقاداً بالضرورة إلى القانون الأخلاقي الداخلي الفطري (السياسي / القانوني) الذي قال به كانط<sup>2</sup>. ليس لأن النوازع الذاتية قادرة على اختراق هذا القانون بتفوقها عليه فسحب؛ وهذا هو الأهم، لأن مبادئ هذا القانون الذاتي ليست محل اتفاق بين جميع الأفراد؛ وبالتالي، فتعارضها عند أكثر من فرد يخرق مبادئها؛ فيوهن من الثقة بها. كما أنه إضافة إلى كونه تعارضاً يفتح المجال لحالة صراع المبادئ، ومن ثم، صراع الكل ضد الكل؛ لنعود إلى حالة (ذئبية) في نهاية المطاف<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أليسكو، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيان (الألكسو) بمناسبة اليوم العربي لمحو الأمية 8 يناير 2017.

[HTTP://ALECSO.ORG/NEWSITE](http://ALECSO.ORG/NEWSITE)

<sup>2</sup> المحمود، محمد، الفساد وضعف الوازع الديني، صحيفة الرياض السعودية، 17 نوفمبر 2016، WWW.ALRIYADH.COM. بتصرف.

<sup>3</sup> المرجع السابق.

المجتمعات البدائية؛ ما قبل السياسية، حاولت ترسيخ القانون الأخلاقي كضابط لمصالح الأفراد؛ لكنها أدركت أن الأخلاق المجردة غير كافية لتحقيق الضبط، ومن ثمَّ، شرعت في سن القوانين، وإنزال العقاب على الخارج عن القانون. ولا شك أن الخارج على القانون خارج على الأخلاق. ومع هذا، تبقى القوانين والأنظمة في المجتمعات البدائية أو شبه البدائية قليلة، أو هي كثيرة ولكنها ضعيفة، حتى إن قويت؛ فإن تطبيقها المتخاذل يجعلها في حكم الضعيفة، وفي المقابل يكون تعويض ذلك بتعزيز الوازع والرداع الأخلاقي و الديني -مع القوانين الرادعة- مع أن هذا الرادع الواسع كثيراً ما يُعوّل عليه المجتمع التقليدي؛ الذي ينفر بطبعه من النظام، ...، إن الرادع الأخلاقي، والديني يبقى -في كل أحواله- ليس أكثر من موانع فردية ذاتية، غير ثابتة، وليس محل اتفاق المجتمع<sup>1</sup>.

**وخلاصة القول في جميع المحاور:** أن العوامل المشتركة بين جميع دول الربيع هي في الأغلب نفس المبررات، بل قد تكون هي نفسها المبررات لدى اغلب الدول العربية، لا اختلاف في ذلك، وإنما الخلاف قد يكون شكلياً في نسبة تأثير أي من تلك العوامل في دولة ما عن مثيلتها، وحجم ذلك التأثير. ويمكن القول بأن جميع الدول العربية مرشحة لثورات ربيعية أخرى، لأن وجود الاختلافات في نسبة التأثير ربما يتنامى في وقت ما لأي مبرر كان؛ حيث أن بالنظر إلى مبرر البوعزيزي؛ فإنه ليس بالمؤثر القوي الذي هاجت له تلك الجموع، ومع ذلك نجد أنه أشعل فتيل الثورات على الجميع؛ للأسباب السابقة. بل ربما أن شباب تلك الدول التي لم تقم بها ثورات يتدع أسلوباً جديداً، يتم من خلاله إشعال نمط جديد تكون نتيجته واحدة وهي؛ الثورة. فالقوى التي تبنت التغيير ونفذته هم شباب الجامعات، ويمكن القول بأنه في حينها كان شباب عشوائي غير منظم؛ وربما هذا الذي أعطاها قوة كبيرة عند انفجارها؛ لعدم وضوحها ولعدم تمكن أي نظام من تحديدها للسيطرة عليها، كما أنها استطاعت أن تتغلغل في كل قطاعات المجتمع، بغض النظر عن الانتماء القومي أو الديني، أو أي انتماء طبقي أو سياسي، لذلك البيت.

---

1 المحمود، محمد، الفساد وضعف الوازع الديني، (مرجع ابق)، بتصرف.

## المطلب الثاني: التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الربيع العربي

المحاولات التي استخدمت لؤاد الثورات كثيرة منها ما هو داخلي يقوم به غالباً الأنظمة الساقطة، ومنها ما هو خارجي تتلاعب به أيد خبيثة ممن كانت تجمعها مع الأنظمة الساقطة مصالح شخصية؛ لأن الأصل في الأنظمة الساقطة أنها لم ترعى المصالح العامة لشعوبها، إذ لو كانت كذلك لما أطيح بها.

### الربيع العربي وتحديات التغيير

لقد شهدت منطقتنا العربية في أواخر 2010م منعطفاً سياسياً خطيراً، تمثل في ميلاد الحديد والتي بدأ مخاضه مع لتظاهرات الشعبية والتي باتت تعرف بالربيع العربي، هو مصطلح أطلق على تلك الثورات التي أطاحت بحاكم تونس زين العابدين بن علي، وحاكم مصر حسني مبارك، وحاكم ليبيا معمر القذافي، وحاكم اليمن علي عبد الله صالح.

وقد أدى هذا الحدث أدى إلى "تغييرات مؤثرة على الساحة العربية لها تداعيات طويلة الأمد، كما تركت نتائجه حراكاً ولغطاً حول مكاسبه وخسائره، ليس على الصعيد السياسي فحسب، بل الاقتصادي والاجتماعي والفكري والعقدي والعسكري والأمني، فالبعض يراه أثمر وأينع، والبعض الآخر يراه حرك المياه في البحيرة العربية التي بدأت بمد وانتهدت بجزر، وفريق ثالث يضع خسائر الثوار والأنظمة السابقة إضافة إلى مخاوف تيارات وطوائف بعينها في كفة واحدة، ومكاسب تيارات الإسلام السياسي التي صعدت وتولت السلطة في الكفة الأخرى، وما زالت المحصلة النهائية للمكاسب والخسائر لم تظهر بعد تحت وطأة الضجيج، الحشد السياسي، وتغليب أيديولوجية الشارع على منطق الدولة، إضافة إلى قصر المدة الزمنية التي مرت على نشوب هذه الثورات والتي لم تعد كافية لرصد النتائج النهائية كما قال الزعيم الصيني ماوتسي تونغ عام 1975 م، عندما سئل عن الثورة الفرنسية التي نشبت عام 1799م: إنه من السابق لأوانه الحكم على هذه الثورة"<sup>1</sup>.

1 حرم، جبران صالح، ثورات الربيع العربي، رؤية تحليلية في ضوء فروض نظرية الثورات؛ الواقع وسيناريوهات المستقبل (الحوار المتمدن-العدد:

## المؤثرات الداخلية - الأساس الوهمي للأنظمة الساقطة:

الأنظمة التي سقطت تحت تأثير الثورات، لا زالت تحاول الظهور بشتى الوسائل، سعياً في استعادة العرش البائد التي تربعت عليه لعدة عقود، فتارة تخرج بوجه تهدف من خلاله إلى إفشال تلك الثورات، بصناعة تحالفات ظاهرها فيه البراءة وباطنها فيه الإجرام والدمار، فنرى أن تلك الأنظمة قد صنعت تحالفاً مع جزء من ركائز الثورة، ممن يرفع شعار التسامح، والوطن للجميع وبالجميع يُبنى، متناسياً ما فعلته تلك الأنظمة؛ للقضاء على الجزء الآخر منها، والذي يُعدّ في نظرها راديكاليا يرفض عودتها نهائياً.

كما الأنظمة لا زالت ترى في نفسها الأحقية بالسلطة، وترى فيمن قام بالثورة وأسهم فيها رموزاً للعمالمة، كما ترى أنّها هي الوطن، وما عداها هو عميل وخائن ولا يستحق الحياة، لذا نراها لا زالت تستمر بالطريقة الاستبدادية وترفض التنوع والتداول السلمي للسلطة، ونرى أنّها تسعى لإعادة إنتاج نفسها من جديد أو تعرقل أي عملية نقل للسلطة، ولا زالت محاولات الأحزاب الحاكمة مستمرة في وأد الثورات، وهي المسبب الرئيس وراء كل ما تشهده تلك الدول من الفوضى وعدم الاستقرار ففي اليمن مثلاً؛ " صادفت المرحلة الانتقالية عراقيل باستمرار الإضرابات بين الأطراف الرئيسية في الأزمة علي عبدالله صالح وأنصاره من جهة على محسن الأحمر وعائلة الأحمر من جهة أخرى، واستهدف صالح ضمان استمرارية نفوذ عائلته في السلطة، ودعمها منافسيه؛ طالما ضمنت لهم حرية الوصول إلى موارد الدولة، وذلك عبر تنظيماتهم السياسية من حزب المؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للإصلاح، ووسائلهم الإعلامية، وشبكاتهم في الفرق أولى مدرع والحرس الجمهوري، بالإضافة إلى ميليشيات مسلحة غير نظامية منها تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، كما وجد صالح نفسه في تحالف مع جماعة الحوثيين بحكم اشتراكهم في الأعداء، وظل الصراع والخلاف سمة المرحلة الانتقالية"<sup>1</sup>.

لذا نجد أن الطرفين الداخلي منها والخارجي يستخدم الكثير من المحاولات لعرقلة العملية السياسية الجديدة؛ كمحاولة إطالة أمد الصراع قدر المستطاع، ومحاولة إظهار عدم الارتباك أو الانهيار السريع لأقصى فترة ممكنة، مع الاعتماد على الدعم الخارجي من أجل مصلحة النظام، وزيادة الإرباك في صفوف الخصوم الداخليين والخارجيين.

<sup>1</sup> حسن، محمد فوزي، تطورات الأزمة اليمنية، مجلة آفاق عربية، (مرجع سابق)، ص 131

وفي حال لم يستطع ذلك تراه يلجأ إلى استفزاز الراي العام العالمي بعبارات أو شعارات توحى بأن هذه الثورات تدار بأيادٍ متطرفة، وضمن مخططات تنظيمية؛ لإقامة حكم إسلامي في المنطقة، ومنع الإعلام المحايد من التواجد في الميادين، واتفاقهم على رواية واحدة: (إرهابيون؛ انقلابيون، معتدون على الوطن والمواطنين، والنظام)، والاستمرار على تعزيز هذه الرواية منذ اللحظة الأولى، إلى غير ذلك من الفقاعات التي يراد بها استدعاء ردود فعل الأطراف الدولية من جانب، ومحاولة الحفاظ على مستوى العنف المستمر القائم من تلك الأنظمة تجاه تلك الثورات، ففي مصر مثلاً؛ " ومع إندلاع الموجة الثورية أرادت المؤسسات القمعية إيهام الشعب بالإنحياز إلى ثورته؛ كنوع من أنواع (التصالح مع الشعب)، وكأن تلك المؤسسات تحولت في يوم وليلة من مؤسسات قمعية إلى مؤسسات وطنية تنحاز إلى إرادة الجماهير! بالإضافة طبعاً لتقديم المؤسسة العسكرية والداخلية كمنقذ للشعب. ومع انتشار الحملات الإعلامية المكثفة التي تضخم فكرة وجود تنظيمات إرهابية (فاشية) تسعى لتدمير البلاد، وتصوير أي تحركات سياسية ذات مضمون اجتماعي بأنها من فعل تنظيمات سرية تسعى لنشر الفوضى والتخريب، فضلاً عن كونها تحمل أجنداث خارجية، لم يكن الأمر بحاجة إلى أكثر من مجرد الرقص على إيقاع (الوطنية) والحرب على الإرهاب لوأد الحركة الجماهيرية. إن تصدير الرعب للجماهير سهّل ظهور تلك المؤسسات كالبطل المنقذ من كل هذه الأهوال التي تم تصويرها في الإعلام، وساهم في جعل رجوع الدولة البوليسية مرحباً به من الكثيرين أحزاب وحركات وأشخاص كانت محسوبة على قوى الثورة<sup>1</sup>.

في حين أن تلك النظم تتوانى عن تقديم أي من التنازلات التي من شأنها أن تجنب البلاد ويلات الحرب والدمار؛ كما هو الحال في ليبيا وسوريا. أو تقديم تنازلات بهدف المراوغة والالتفاف على الثورة بطريقة يراد منها كسب الراي العام؛ كما هو الحال مع النظام اليمني، " فبالترزامن مع القمع العنيف لقوات الأمن، أعلن رئيس الجمهورية عن بعض التنازلات. ففي 2 فبراير، أعلن الرئيس علي عبد الله صالح أنه سيتنحى عن السلطة في عام 2013، عند انتهاء ولايته، كما عبر عن استعداده لإرساء حوار مع تكتل اللقاء المشترك. ثم أعلن بعدها عن تأجيل الانتخابات التشريعية المقررة في 27 أبريل والتي لم توافق المعارضة على تنظيمها ما لم تجر إصلاحات سياسية هامة. وفي 20 مارس/آذار، بعيد مجزرة صنعاء، أقال رئيس الجمهورية حكومته وأمر بفتح تحقيق، وفي 23 مارس/آذار، اقترح تنظيم استفتاء دستوري وانتخابات

<sup>1</sup> علي، عبد الرحمن، حرب على الإرهاب أم قمع للحريات، (الإشتركي، إعلام من أجل الثورة، 20 سبتمبر 2013).

تشريعية ورئاسية ثم أعلن عن مغادرته الحكم قبل نهاية 2011. استمرت الاحتجاجات رغم كل الوعود المقدمة. ففي شهري مارس/ وأبريل، توحدت المطالب في كل أرجاء البلد. إذ اتفق كل المناضلين سواء أكانوا في الشمال أو الجنوب أو أعضاء في المعارضة أو من شباب الثورة أو كانوا اشتراكيين أو لبراليين أو إسلاميين، على المطالبة باستقالة الرئيس وإقالة نجله أحمد علي عبد الله صالح من منصب قائد الحرس الجمهوري والقوات الخاصة، وبتشكيل حكومة وحدة وطنية. نظم أنصار الرئيس تجمعات كبيرة لتأييد الحكومة كل يوم جمعة في صنعاء، ولكنها لم تأت بثمارها بفعل المظاهرات الحاشدة واليومية التي كان ينظمها المعارضون في سائر التراب الوطني. رفض الرئيس الاستجابة لمطالب المتظاهرين في حين واصلت قوات الأمن قمعها الدموي للمظاهرات<sup>1</sup>.

نرى أن المجتمع الدولي بدلا من أن يطلب تنازلات من النظام، أصبح النظام هو من يرى الأولوية في تقديم التنازلات له من الأطراف الدولية والإقليمية، والتمسك حتى الرمق الأخير بعدم تقديم أي تنازلات للمعارضة الداخلية ففي سوريا نجد أن النظام " يدرك النظام أنه لا بد من تبني استراتيجية لها غايات سياسية وأيديولوجية وشم عسكرية ألا وهي سياسة (صنع العدو) نظرية - غوبلز - القيام بعمليات تمثيلية على أساس أنهم من جبهة النصر، أو من الجيش الحر، وأنهم طائفون وهمجيون وإرهابيون فقد عمل النظام الأسدي على فبركة مشاهد « فيديو » مروعة لإعدامات ميدانية أتم بها الجيش الحر، وبعض المقاتلين المنضوين تحت أعلام أخرى وإن كانوا قلة، بحسب بعض المراقبين المطلعين على يوميات الحدث السوري ، وكانت غاية النظام من ذلك هو تخويف دول العالم من أن مستقبل سوريا -فيما لو سقط الأسد - سيكون بأيدي غير أمينة ولن تحقق مصالح العالم الحر، مدركا بأن هذا الخطاب يحقق له انسجاما مصلحيا مع الكثير من الدول الإقليمية والدولية بالمعنى الاستراتيجي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> كوزموس، كاتالينا مارتين، الثورة اليمنية، تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة (الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان / مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، ط1، 2012)، ص8.

<sup>2</sup> فهد، معن، الثورة السورية، قصة البداية، (مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 2014/7/22)، ص19.

## المؤثرات الخارجية: القوى العظمى؛ وموقفها من التغييرات العربية:

أما ما يسمى بالقوى العظمى أوروبا وأمريكا وروسيا، بداية لم تصدق قيام الثورات بهذه السرعة والكيفية، كما لم تقتنع بما تشاهده يفعل بحلفائها وعسكرها في تلك المناطق، غير أنها سرعان ما سلمت للأمر، وأخذت بالواقع، فكان منهم من عارض تلك الثورات، ووقف بجانب حلفاءه كما هو الحال مع روسيا، في الوقوف مع القذافي علانية، وعارضت القرارات الدولية في التدخل في ليبيا، وفعلت العكس تماما الشعب السوري بوقوفها إلى جانب الأسد، ومنهم من رحب بها؛ لا حبا في ذلك الصنيع وإنما لاحتواء الشارع العربي، ثم يتم العمل في الخفاء على إجهاضها والتأمر عليها.

وهكذا أصبح التلاعب منهم بالثورات واضح جدا، خاصة في ظل أحقية كل منهم في استخدام حق (الفيتو)، ففي حين تمتنع روسيا والصين عن استعمال القوة ضد النظام الليبي، نراها بالمقابل تصر على استخدام القوة ضد المعارضة السورية، وتقف بجانب النظام السوري، وتبرر الصين ذلك استخدام حق (الفيتو)؛ لمنع تدخل غربي في سوريا؛ لأنها ترى أن استخدام القوة في أفغانستان والعراق أسفر عن مصائب، وحقيقة الأمر أن الصين لديها حساسية إزاء التدخل والعقوبات لمعاناتها من التدخل الأجنبي في أواخر القرن الماضي، فضلا عن منعها من إشغال مقعدها الدائم في مجلس الأمن لربع قرن<sup>1</sup>.

ومن هنا نجد مثلا أن " الأزمة السورية شكلت نقطة اشتباك بين نظم إقليمية ونظم دولية، وامتزج التنافس الدبلوماسي بين أطراف دولية وإقليمية بعراك عضوي على الساحة السورية، ولهذا السبب أصبحت الدول تتنافس سواء تنافس صراعي أو تنافس تعاوني؛ من أجل الحصول على المكاسب الاستراتيجية التي أصبحت أكثر أهمية في منطقتنا في ظل الثورات والفوضات الخلاقة، ومن هنا يمكن ازدواجية موقف كل من الولايات المتحدة وفرنسا في التعامل مع الأزمات، ففي الوقت الذي تكون لها مواقف متشددة في ليبيا وتصر على إنهاء النظام الليبي، نجد أنها تتهاون في اتخاذ موقف حازم حول ما يحدث في سورية. أما موقف روسيا والصين تجاه الأزمة السورية فهو مفاجأة للكثير من المراقبين، حيث أنهما لهما الدور الفاعل في بقاء الأزمات تتأرجح دون أن تحسم لصالح جهة معينة، وخلق فوضى خلاقة وهو ما أرادته القوى الكبرى<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الخرجي، موفق، نظرة في الأزمة السورية وموقف الدول الكبرى منها، (مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الثامن، 2016)، ص 40.

<sup>2</sup> الجبوري، معتز، التفاعلات الدولية إزاء الأزمة السورية، (مجلة الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 5، مارس 2016)، ص 47.

الربيع العربي لم يكن مريحاً لأمريكا، فهي في مستهل الأمر كانت تظن أنها أمام شرق أوسط خامل، لذا تمتعت فيه بتحالفات كانت تعتمد عليها مثل: النظام المصري -القائم على حماية إسرائيل- كما لم تستطع أن تجاري الأحداث المتتابة في مصر والتي على إثرها تم انتخاب محمد مرسي؛ وهو رئيس ينتمي لأحد الأحزاب الإسلامية، والذي تم عزله من قبل الجيش بعد عام، وسط تأمرات دولية.

في مقال لكيفن كونوللي يقول فيه: "لا يمكن لأحد أن يلوم إدارة أوباما لفشلها في مواكبة الأمور في الشرق الأوسط، فهي إدارة تحب الانتخابات، ولكن لا تحب نتائجها؛ عندما يفوز الإخوان المسلمين فوزاً كاسحاً، في مصر، وهي أيضاً لا تحب الانقلابات العسكرية (في القرن الواحد والعشرين على الأقل)، لكنها مرتاحة لوجود نظام مدعوم من الجيش يحافظ على فكرة السلام مع إسرائيل، ولا تزال أمريكا بالطبع قوة عظمى، ولكنها لم تعد تفرض الأمور في الشرق الأوسط، وهي لا تعاني وحدها من هذا الفشل، فتركيا أيضاً لم تختز الجانب الفائز في مصر، وتتعثر في علاقات إشكالية مع الثوار في سوريا"<sup>1</sup>.

وكحال الأنظمة في قناعاتهم بأحقية بالحكم، كذا هو حال القوى، -التي تتسابق في التنافس فيما بينها- ترى لنفسها الأحقية، وأنها الأجدر في تسيير المنطقة، معتمدة على مبدأ القوة تارة، وعلى ادعاء الحضارة تارة، لذلك ترى أن نشوء أنظمة جديدة حرة في اتخاذ قراراتها، وتعطي الحق لشعوبها أن تعبر عن رغباتها، ليس في مصلحتها، بل هو مؤشر على بداية انتهاء نفوذها وتقليص دورها.

إن تحول الدول الربيعية إلى نظام جديد يتم فيه مراعاة الحقوق، وإقامة العدل والقانون، يعني تطوراً لتلك الدول، وتطوير اقتصادها، والانتقال من دور التابع إلى دور المنافس -كما هو الواقع في دول أمريكا اللاتينية؛ التي تشهد نهضة اقتصادية كبرى، وصارت من الدول المنافسة، وباتت تقترب من الدول العظمى - لذا نرى أن القائمين على السياسة الخارجية للدول الموسومة بالعظمى - خاصة أمريكا - يدركون أن نجاح الثورات العربية يعني نهاية السيطرة، وأقول نجم النفوذ على تلك الدول، ويمكن تحويلها إلى أقطاب منافسة،" لذلك ترسخت لديهم قناعات بضرورة تغيير الاستراتيجية الأمريكية تجاه سورية وهذا كان متوافق مع رغبة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، لذلك بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الأمريكية السورية"<sup>2</sup>.

1 كيفن كونوللي، الربيع العربي: عشر نتائج غير متوقعة، (مراسل بي بي سي في الشرق الأوسط، القدس، 14 ديسمبر 2013 م)، بتصرف.

2 الجبوري، معتز، التفاعلات الدولية إزاء الأزمة السورية، (مجلة الدراسات السياسية العلاقات الدولية، العدد 5، مارس 2016)، ص 47.

يقول ولد أباه: " لم تكن الولايات المتحدة الأميركية بأكثر حفا من مقارباتها الاستراتيجية للأوضاع العربية الجديدة، صحيح أنها واكبت عملية التغيير في تونس ومصر بيد أنها أظهرت عجزا فادحا عن التأثير في المعادلة الجديدة في البلدين، على الرغم من تحركات وتصريحات وزيرة الخارجية (هيلاري كلنتون) التي زارت مؤخرا المنطقة والتقت بالحكومتين المؤقتتين في مصر وتونس. فإدارة أوباما حرصت بقوة على تغيير صورة أمريكا الباهتة في الرأي العام العربي، ووجدت الثورات العربية الأخيرة فرصة سانحة لاستعادة خطاب تصدير الديمقراطية للعالم العربي الذي بلوره المحافظون الجدد، وتبناه الرئيس السابق بوش في مقارنته لمواجهة الإرهاب بصفته رديف الاستبداد القمع"<sup>1</sup>.

وكذا الحال في اليمن؛ نجد أمريكا والدول الغربية لم تقم بأي تحرك تجاه الحوثيين، بل ولم ترعي أي اهتمام للانقلاب الذي قام به، وكأن ذلك الانقلاب وجد قبولا لديهم؛ إن لم يكونوا هم وراءه أصلا، وفي ظل الأعمال الإجرامية التي يقوم بها الحوثيون نجد أن الطائرات من غير طيار تقيس الأمور بمكيال بخس، فنسمع بين الحين والآخر أن تلك الطائرات الأمريكية من غير طيار تصب جام غضبها على القاعدة، بينما الحوثيون يسرحون ويمرحون بحماية تلك الطائرات؛ فأين منهم شعارات (الموت لأمريكا)! يقول الدكتور عادل الشجاع الكاتب اليمني المعروف: " لو كانت صرخة الحوثيين (الموت لأمريكا) حقيقية لحركت أمريكا اساطيلها، وقدمت إلى اليمن، ولاحقت الحوثيين بالطائرات بدون طيار، والصواريخ الذكية، وبما أن الموت لأمريكا مجرد شعار الهدف منه قتل اليمنيين، فإن أمريكا تحمي الحوثيين، وتمنع إجثاثهم، ووصول المبعوث الاممي إلى صنعاء، واستقباله من قبل عصاة الحوثيين الإرهابية، يكشف الوجه الإرهابي لأمريكا الداعم الرئيسي لهذه العصاة"<sup>2</sup>.

ومما ساعد في المراوغة واستمرار الفوضى؛ لعبة الأمم المتحدة، بتزكها الباب مفتوحا على مصراعيه للدعم الخارجي العسكري والأمني على الأرض لحلفاء تلك الأنظمة، وعطلت منابر الأمم المتحدة عن الوظيفة التي أنشئت من أجلها وإن كنا أصلا لم نشاهد منها أي موقف إيجابي تجاه المسلمين، وهذا ما ألمحت إليه ريس بقولها: " حين صوفت (الفيديو) بأنه مخز. وقالت كلنتون: "الفتيو سوف يزيد من احتمالات نشوب أهلية. وانتقدت الولايات المتحدة الفشل الكامل للمجلس الأمن في إيجاد حل للأزمة السورية"<sup>3</sup>.

1 ولد أباه، السيد، الثورات العربية الجديدة، المسار والمصير، (بيروت، جداول للنشر والتوزيع، ط1، 2011)، ص86.

2 شجاع، عادل، الحوثية المحمية من أمريكا، (أبابل، أنباء بمنية، 6 يونيو 2018). <https://ababiil.net>.

3 الخزرجي، موفق، نظرة في الأزمة السورية وموقف الدول الكبرى منها، (مرجع سابق)، ص45.

## وهناك سؤال يتوارد كثيرا: هل الثورات العربية ربيعاً أم خريفاً؟

الجواب على ذلك: أن ثورات الشعوب العربية نجحت جميعها في المطلب الرئيسي الذي صرحت من أجله وهو (الشعب يريد إسقاط النظام)، عدا سوريا التي لا زال طاغيتها يراوح في مكانه بمساعدة حلفاءه غير أنه واقعياً سقط في عين الجميع إلا بقيا من فلوله وحلفاءه. ومهما كان نوع تلك الأنظمة الشمولية، بسياساتها التقليدية، التي ترى أي شكل من أشكال المشاركة الشعبية، ولا تقبل بها ولا حتى بالحد الأدنى منها، لأن تلك الأنظمة كانت عبارة عن هيكل دولة، ومظهر وطن، لكن بلا جوهر وانتماء حقيقي لتلك الأرض. إن جميع تلك العوامل السابقة هي في نظر البعض أساس فشل الثورات الربيعية إلى يومنا الحاضر وإن كنا نرى أن رياح التغيير آتت بعضاً من ثمارها، وحتماً ستأتي رياح أخرى مجدداً.

ومن وجهة نظري أن هذه الثورات: ربيعية من جانب، وخريفية من جانب آخر؛ أما الجانب الربيعي، فإنها قد حققت بعض أهدافها، والتي تتمثل في يقظة الشعوب وانتباهها من سباتها، ونفضها لغبار الخوف والذل الذي كان جاثم على صدورهم لعقود من الزمن، كما أن من أهم الأهداف التي حققتها أنها استطاعت أن تزيل تلك العروش الطاغوتية المقيتة الاستبدادية؛ حتى وإن لم يأت إلى اليوم من يكون الفارس المنقذ حقيقة، إلا أنها استطاعت أن تتخلص من الديكتاتورية المهيمنة على البلاد لفترات طويلة، كما أن تلك الثورات استطاعت أن تقضي جميع زبانية تلك الأنظمة سواء كانت تلك الزبانية من العائلة المالكة أو من المقربين منهم، بل واستطاعت اذلالهم وجعلوهم يسقون من كأس الخوف الذي سقوا منه تلك الشعوب، حتى أن الديار التي كانوا يعيشون فيها فساداً لم تعد تسعهم فلاذ من لاذ بالفرار وسقط من سقط في يد الثوار، وعاش الباقي في خوف وهلع يتوارى عن الأنظار.

"إن الثورة كفكرة ومحو لأنظمة الاستبداد لم تفشل ومازالت مستمرة، وكإرادة وبرنامج تغييرى نحو الأفضل، وبحسن الظن بثوراتنا الشبابية الشهمة يمكن القول بأنها تلكأت بعض الشيء، قد يطول ذلك التلكؤ وقد يأذن الله بالفرج العاجل؛ ولكن الكثير من السياسيين والمحللين يعبرون عنها بالفشل التام"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> حمدي، سمير، الثورات العربية، التعثر لا يعني الفشل، (العربي الجديد، 19 نوفمبر 2014)، [www.alaraby.co.uk](http://www.alaraby.co.uk).

صحيح أن الثورات تعثرت تعثراً شديداً، إلا أننا لا زلنا لا نقول بالفشل التام لتلك الثورات، وقد نقول حدث فشل ابتدائي، متمثل في الحركات المعارضة أنفسها، فهي في الحقيقة التي فشلت في إنجاح طريقها في إدارة الموقف، ولا شأن لذلك الفصل بذات الثورات، لأن الثورات قامت على مبدأ واحد وهو (الشعب يريد إسقاط النظام) وبالفعل سقطت تلك الأنظمة، ولكن الحركات المعارضة هي التي لم تنجح في السيطرة على الوضع، ولهذا نقول بأن الثورة تحتاج إلى مناضلين متمرسين في مواجهة الأنظمة المراوغة، بل وتحتاج إلى كوادر علمية ذات كفاءات عالية، في الفنون السياسية والقانونية. ثوراتنا بأمس الحاجة إلى مراجعة وتحليل عميق، وتقييم متجرد؛ لتفادي الأخطاء والتجاوزات التي ارتكبت من المعارضات المتسلقة على ظهور الشباب؛ بحثاً عن السيادة والحياة المترفة، والمجيء بقيادات ذات كفاءة عالية -تبحث عن رضى الله بضممان حقوق الشعوب، لا تبحث عن رضى الشعوب بضياح حق الله- لإعادة هيكلة الثورة، عبر تشكيلات نزيهة<sup>1</sup>.

إن الذي لا زال يظن أن الثورات الربيعية لم تحقق أهدافها، ينبغي عليه ألا يخلط بين (قيام الثورة، وقيام الدولة). يقول المفكر الأمريكي بنجامين باربر: "تؤدي لهفة الحرية إلى الانتفاضة. وعاجلاً أم آجلاً يتم إزاحة المستبدين عن العرش. كما تشكل لهفة الحرية زخماً كبيراً للتطلع الديمقراطي وتدفع به إلى الأمام. غير أنه ومع اندلاع الانتفاضة يكون الوقت قد تأخر للحديث عن تأثير الثورة على مسار تأسيس ديمقراطية حقيقية. يظهر التاريخ أن الطرق المؤدية إلى الديمقراطية مختلفة، وليس من الواضح ما إذا كانت انتفاضة مسلحة -حتى ولو تم فيها الإطاحة بدكتاتور مستبد- تؤدي حتماً إلى الديمقراطية. على العكس من ذلك فإن الانتفاضات الثورية، سواء في باريس عام (1789)، وفي موسكو عام (1917) أو في طهران عام (1979)، لم تفلح في إرساء نظم ديمقراطية رغم نجاحها في إسقاط الأنظمة الديكتاتورية. وكانت النتيجة المباشرة في كثير من الأحيان عدم الاستقرار والفوضى والحرب الأهلية، أو الاستبداد مرة أخرى في حلة جديدة"<sup>2</sup>.

دائماً ما تقوم الشعوب بالثورات من أجل التخلص من العيوب بمجملها سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى ثقافية، التي سيطر عليها حقبة من الديكتاتورين بمساندة من الزبانية الذين

<sup>1</sup> حمدي، سمير، الثورات العربية، التعثر لا يعني الفشل، (مرجع سابق).

<sup>2</sup> BENJAMIN R. BARBER UNI NEW YORK، المجتمع المدني، مفتاح نجاح الثورات، تم نقل كلام الكاتب كما هو للاستشهاد، مع التحفظ

على بعض العبارات فيه، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي نقل الكلام كما هو. موقع، [HTTP://WWW.DW.COM](http://www.dw.com)

يقومون بالدور العسكري القومي أو بالدور الوعظي من علماء السلطان. أما الدولة فهي تقوم على برنامج عمل يومي متجدد لأجل تحقيق المطالب الشعبية، وتتغير حسب الظروف المكانية والاجتماعية.

ونقول للشعوب: بما أنكم تخلصتم من أنظمة الحكم في فترة وجيزة، دون حساب للهلع السابق، لا بد أن تعلموا أنه ليس من السهولة التخلص من الفكر العاطفي بين عشية وضحاها، فلا زلنا نسمع من يندبن بأسماء شخصيات كانت من أعمدة الانظمة الديكتاتورية السابقة، لإقناع الشعوب أنه لن تقوم لدولنا قائمة إلا إذا ظلت تلك الشخصيات هي القابضة على سدة الحكم.

كانت هذه أهم التحديات التي واجهت الربيع العربي من الداخل والخارج، ويمكن نطلق عليها إجمالاً تحديات سياسية لأن الصراع فيها كان صراعاً سياسياً، وإن كنا نلحق فيما يتعلق بالقوى العظمى جانباً من الصراع الفكري المرتبط بالحضارات، في الفصل الأخير من الدراسة، أما يتعلق بالانحرافات الفكرية المتعلقة بالحركات والتيارات ذات الأصول العقيدية - داعش والحوثية - والتي لها أثر على ظاهرة الربيع العربي من حيث الظهور وتغيير المسار، فهو الذي سنفرد الكلام عليه في الفصل اللاحق بعون الله.

## الفصل الثاني: التيارات الفكرية وأثرها على الربيع العربي

ويشتمل على مبحثين، تحت كل مبحث مطلبان:

المبحث الأول: اختلاف الأمة وافتراقها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الاختلاف والافتراق

المطلب الثاني: الأسباب المؤدية إلى اختلاف الأمة

المبحث الثاني: أثر التيارات المنحرفة على الربيع العربي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التيار الموافق للخوارج في العصر الحديث؛ (داعش)

المطلب الثاني: التيار الموافق للشيعة في العصر الحديث

## المبحث الأول: اختلاف الأمة وافتراقها

لا شك أن هناك تفاوت بين الاختلاف والافتراق، لأن الاختلاف لا يفسد الود، ولا يؤدي إلى مفسدة، بل الغاية منه هو البحث عن الحق باختلاف مفهوم الدليل لدى أهل العلم من المجتهدين، أما الكلام عن الافتراق؛ فإنه يعني الكلام على مرض انتشر، وفتّ في جسد الأمة الإسلامية، فكما أن الأجساد تمرض ويوهنها المرض، فكذلك الأفكار تمرض ويعيها الافتراق، وعندما يُهمل المرض ولم يعالج العلاج اللازم بلا شك أن النتيجة ستكون عكسية، وسيتسبب المرض في آثار قد تطول مع ذلك المرض، وربما لا تنزل، إلا أن يشاء الله تعالى زوالها. كذلك الأفكار إذا لم تعالج العلاج الصحيح فإنها سبب في وهن الأمة وسهولة الانقراض عليها من أعدائها. ومن هذه التيارات التي أثرت في الأمة هي تلك التيارات المنحرفة التي قويت بعد ظاهرة الربيع العربي، والغاية من ربط تلك الانحرافات بالربيع العربي، هو ما كان للربيع العربي من دور كبير في إنعاشها؛ إذ لم تكن لتظهر هذا الظهور لولا أن الفرصة كانت مواتية لها حين اشتعل فتيل الربيع العربي. وقد يقول قائل مسكين ذلكم الربيع العربي يُرمى على عاتقه كل ما هو قبيح، مع أنه جاء جميلاً، ومخلصاً للشعوب المضطهدة والمنهوبة، وحاملاً أزهار النجاة لهم!

أقول صحيح ما يقال، ولكن لم أقصد بذلك ظلم الربيع العربي لتلكم الشعوب، ولكن الذي أقصده هو أن الربيع العربي قد ظلم من تلك التيارات، والتي تسلقت على أكتاف المخلصين الصادقين ممن نهض في وجه أولئك الطغاة -وكم هم كثير في تلكم المجتمعات، وتلكم الثورات- غير أن هؤلاء المنحرفين للأسف هم من سلبوا حقوق أولئك حقيقة؛ فالشباب المخلص هم من بدأ ببذرة المواجهة في تلك الاحتجاجات، ولكن جاء من سرق منهم ذلك المجهود، بل وخذلهم، وأقصاهم من أبسط الحقوق والصلاحيات، هذا ما أردتُ بإنعاش الربيع العربي للانحرافات الباطلة، وظلمها للربيع العربي.

## المطلب الأول: مفهوم الاختلاف والافتراق،:

الملاحظ على التيارات التي انخرقت عن عقيدة أهل السنة والجماعة، أنها مرض ظهر في الأمة الإسلامية، ثم إن هذا المرض لم يأخذ العلاج الشرعي المطلوب، ولذا نرى اليوم أن أثر هذا المرض قد تفشّى وبدى ظاهراً مع ظاهرة الربيع العربي، فنخر فيها، وأوشك الكثير أن يهلك بسبب تأثير تلك التيارات المنحرفة. وقد ورد في التحذير من الافتراق الكثير من الأدلة من الكتاب والسنة نذكر البعض منها كي تكون قاعدة نطلق منها في الكشف عن حال بعض التيارات المنحرفة والتي ظهرت بصورة واضحة في الربيع العربي، وإن كان لهم تواجد من قبل غير أن توسعهم مع ظاهرة الربيع العربي كان توسعا ملحوظا، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم: 31]. قال الإمام الماوردي: "فيهم أربعة أقاويل: أحدها: أنهم اليهود خاصة، قاله مجاهد. والثاني: اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثالث: أنهم جميع المشركين، قاله الحسن. والرابع: أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة. وفي تفريقهم الذي فرقوه قولان: أحدهما: أنه الدين الذي أمر الله به، فرقوه لاختلافهم فيه باتباع الشبهات. والثاني: أنه الكفر الذي كانوا يعتقدونه ديناً لهم. ومعنى قوله: ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يعني فرقا. ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون الشيع المتفقين على مشايعة بعضهم لبعض، وهو الأشبه، لأنهم يتماثلون على أمر واحد مع اختلافهم في غيره. وفي أصله وجهان: أحدهما: أصله الظهور، من قولهم شاع الخبر إذا ظهر. والثاني: أصله الاتباع، من قولهم شايعه على الأمر إذا اتبعه، قاله الزجاج. وقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: لست من قتالهم في شيء، ثم نسخها بسورة التوبة، قاله الكلبي. والثاني: لست من مخالطتهم في شيء، هَمِّي لنبية ﷺ، عن مقاربتهم، وأمر له بمباعدتهم، قاله قتادة"1.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: 176]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وصف التفرق.

1 الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون ت: ابن عبد المقصود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987)، ج2، ص193.

ومن الأدلة التي تحث على الائتلاف والاجتماع، قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... الآية﴾ [آل عمران: 103]: قال الإمام القرطبي: "يجوز أن يكون معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والأعراس المختلفة، وكونوا في دين الله أخوانا، فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابير، ودل عليه ما بعده، وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع، فإن ذلك ليس اختلافا؛ إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، أما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون، وإنما منع الله اختلافا هو سبب الفساد"<sup>1</sup>.

قال الإمام الإسفراييني: "كان المسلمون عند وفاة النبي ﷺ على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه، غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا".

و الاختلاف حاصل، لا مفر كما أخبر بذلك النبي ﷺ، ومن ذلك أحاديث افتراق الأمة رواها عن رسول عدد من الصحابة منهم أنس<sup>2</sup>، وأبو هريرة<sup>3</sup>، رضي الله عنهم نكتفي بشيء يسير منها، ومن ذلك: ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ)<sup>4</sup>.

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة؛ فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار". قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: "الجماعة")<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: البردوني، وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964)، ج4، ص159.

<sup>2</sup> أخرجه أحمد في المسند، رقم: (12208).

<sup>3</sup> أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم: (10)، وأبو داود، رقم: (4596).

<sup>4</sup> أخرجه مسلم، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، النهي عن منع وهات، رقم: (1715)

<sup>5</sup> أخرجه ابن ماجه حديث رقم "3992" وقال الألباني حديث صحيح.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ)<sup>1</sup>.

وثبت عن رسول الله ﷺ ذم القدرية<sup>2</sup>، والخوارج<sup>3</sup>، والمرجئة<sup>4</sup>، في عدة أحاديث، كما ثبت عن خلفاء رسول الله ﷺ الراشدين التحذير من هذا الافتراق، ولم يُرد النبي بهذا الافتراق ما هو حاصل من اختلافات عند الفقهاء؛ لأن الفقهاء رحمهم لم يختلفوا في أصول الدين، فهم متفقون عليها، وإنما كان اختلافهم في فروع الحلال والحرام، وإنما مقصد النبي ﷺ؛ هو أهل الأهواء الذين خالفوا الفرقة الناجية<sup>5</sup>، وحادوا عن الجماعة في أصول الاعتقاد مثل: الوعد والوعيد، والقدر والمشيئة، والعدل والتوحيد، والأسماء والصفات وغير ذلك مما هو من أصول الدين والاعتقاد، مما اتفق عليه علماء المسلمين، الذين يجمعهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وعن أبي بكر بن أبي عاصم قال: سمعت المسيب بن واضح سنة تسع وعشرين ومائتين يقول: أتيت يوسف بن أسباط فقلت: يا أبا محمد، إنك بقية ممن بقية ممن مضى من العلماء، وأنت حجة على من لقيت، وأنت إمام سنة، ولم آتك أسمع منك الأحاديث، ولكن أتيتك أسألك عن تفسيرها، وقد جاء هذا الحديث: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)<sup>6</sup>، فما هذه الفرق حتى نجتنبهم؟ فقال: أصلها أربعة: القدرية، والمرجئة، والشيعة والخوارج، فثمانية عشر منها في الشيعة<sup>7</sup>.

وأخرج ابن بطة في الإبانة الكبرى، عن حفص بن حميد قال: قلت لعبد الله بن المبارك على كم افتقرت الأمة؟ فقال: "الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة، فافتقرت الشيعة على ثنتين وعشرين فرقة، وافتقرت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافتقرت القدرية على ست عشرة فرقة،

1 شاهد آخر أخرجه ابن ماجه رقم "3993". وقال الألباني حديث صحيح.

2 حديث القدرية، رواه أبو داود، باب القدر، عن ابن عمر رضي الله، قال رسول الله ﷺ: (الْقَدْرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ: إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُوذُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ) رقم: (4691). قال الألباني: إسناده حسن

3 حديث الخوارج، أخرجه ابن ماجه، باب: في ذكر الخوارج، عن ابن أبي أوفى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ)، رقم: (173). قال الألباني: حديث صحيح.

4 حديث المرجئة، أخرجه ابن ماجه، باب: في الإيمان، ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمَرْجِيَّةُ، وَالْقَدْرِيَّةُ) رقم: (62)، قال الأرئوط: إسناده ضعيف جدا.

5 حديث الفرقة الناجية، سبق تخريجه، من حديث أنس رضي الله عنه.

6 سبق تخريجه

7 الشيباني، ابن أبي عاصم، السنة، ت: الألباني، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1400)، رقم: (954).

وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة، قلا: قلت لم أسمعك تذكر الجهمية، قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين"، قال أبو حاتم: وأخبرت عن بعض أهل العلم: أول ما افترق من هذه الأمة الزنادقة، والقدرية، والمرجئة والرافضة والحورية، فهذا جماع الفرق وأصولها، ثم تشعبت كل فرقة من هذه الفرق على فق، وكان جماعها الأصل، واختلفوا في الفروع، فكثّر بعضهم بعضا، وجهّل بعضهم بعضا<sup>1</sup>.

قال الإمام الشاطبي: " من أسباب الخلاف: اتباع الهوى؛ ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقيح، ومن مال إلى جانبهم من الفلاسفة وغيرهم. فالألون ردوا كثيرا من الأحاديث الصحيحة بعقولهم، وأساءوا الظن بما صح عن النبي ﷺ، وحسنوا ظنهم بأرائهم الفاسدة، حتى ردوا كثيرا من أمور الآخرة وأحوالها من الصراط والميزان، وحشر الأجساد، والنعيم والعذاب الجسمي، وأنكروا رؤية الباري، وأشبهوا ذلك، بل صيروا العقل شارعا؛ جاء الشرع أو لا، بل إن جاء فهو كاشف لمقتضى ما حكم به العقل إلى غير ذلك من الشنعات. والآخرون خرجوا عن الجادة إلى البنيّات، وإن كانت مخالفة لصلب الشريعة، حرصا على أن يغلب عدوه، أو يفيد وليه، أو يجر إلى نفعه. ويدخل في غمارهم من يغشى السلاطين لنيل ما عندهم، أو طلبا للرياسة، قلا بُدُّ أن يميل مع الناس بمواهم، ويتأول عليهم فيما أرادوا"<sup>2</sup>.

من كلام الشاطبي رحمه الله نرى أن تشخيصا لحال جملة من الانحرافات التي ظهرت ولا تزال في حاضرة العالم الإسلامي، فهو قد تناول مدرسة الرأي، ويرصف أهل هذه المدرسة بأن حالهم مع الأحكام الشرعية لا بد أن تكون معقولة المعنى، فإن لم تكن كذلك فإنها مردودة، ولا بد من اشتغالها على مصالح راجعة إلى العباد، فإن كانت عند النظر إليها ليس كذلك فإنها ليس محل اهتمام، ولا بد كذلك من أن تكون قد بنيت على أصول محكمة وعلل ضابطة لتلك الأحكام، فهم بجملة كلام الشاطبي يبحثون عن العلل ويجعلون الحكم دائرا معها وجودا وعدما، وكان من نتاج هذه الطريقة أنهم ردوا بعض الأحاديث

<sup>1</sup> ابن بطة، عبد الله بن محمد، الإبانة الكبرى، ت: رضا بن نعيان، (الرياض، دار الراجية، للنشر، ط2، 1994)، ج1، ص379.

<sup>2</sup> الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، ت: سعد آل حميد، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 2008)، ج2، ص103.

لمخالفتها تلك العلل. وبالنظر إلى حال بعض التيارات التي برزت وبرزوا واضحا في الربيع العربي نجد أن الوقوع في بعض ما ذكره الشاطبي من البدع مقترفون وعن الحق السنة لناكبون.

حضر أيضا إلى الساحات العربية عقب ثورات الربيع العربي ائتلافات وأحزاب متشعبة كان الغالب على البعض منهم عدم الترابط والوثام، ولكن مع تداعيات الحدث تكونت تلك الائتلافات وترابطت، ولعلنا لو عدنا بالنظر إلى أصول تلك التيارات المسلم منها وغير المسلم، نجد أن الكل قد خرج من نفس الكيان والبوابة التي بدأ منها الخلاف التاريخي بين المسلمين منذ الخلاف الأول المنحدر؛ الذي حصل في خلافة عثمان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، واتسع وتأزم ولم يندمل ذلك الجرح على مدى التاريخ الإسلامي، وإنما يحصل فتور لدى فرقة ما مقابل انتعاش للفرقة المقابل، ثم تدور الدائرة في زمن ما عكس سيرها المعتاد فيفتت من كان نشطا مقابل نشاط من كان قد اعتراه الفتور، وهكذا<sup>1</sup>.

ولا زالت تلك الانحرافات في تطور ملموس في التفكير والطريقة، حتى وصل الحال إلى ما وصل إليه مما نراه الآن من إلباس الدين تارة ثوبا سياسيا، وتارة ثوبا رهبانيا، وحينما ثوبا إرهابيا، وقد كُفِّيَ عدونا المؤنة حيث أصبح الجميع يكفر الجميع، والجميع يقاتل الجميع؛ باسم الدين، ولكل طائفة من هذه الطوائف مراجعته الدينية التي يستقي منها الأحكام والفتاوى، فأصبح من يذم التقليد؛ منغمس فيه، ومن كان يذم التحزب؛ أشد تحزبا لجماعته، ومن كان يذم الإرهاب؛ هو أشد الإرهابين، وأضحى من يذم السلم؛ أعظم مسالما لدرجة أنه قام بتعطيل أو إنكار فتاوى الجهاد وعارضها أشد معارضة، وقد رأينا تلك التقلبات على كثير من تلك التيارات الواقعة تحت إعصار الربيع العربي.

وقد اختلفت مقاصد تلك التيارات الساعية للوصول إلى السلطة عبر التأكيد على الطريقة التي يرون أنها الصواب، مستغلة الأدلة الشرعية والدينية على تحريض الشعوب؛ والمطالبة بالخروج على الحكام. فما يطلق عليه تجوزاً الإسلام السياسي يرى الوسيلة لمحاربة الفساد وإزاحة الحكام بالطرق الديمقراطية؛ التي يصدق فيه قول القائل: (نسمع جعجعة ولا نرى طحينا)<sup>2</sup>، فكم هي المحاورات حول تلك القضية التي لم ينتفع منها الإسلام والمسلمين، بل إن ضرر تلك الفقاعات على المسلمين أشد من نفعها. والبعض الآخر

<sup>1</sup> قال الشهرستاني: عند كلامه عن الخلاف في الأمة الإسلام: "الخلاف الخامس: في الإمامة، وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل

سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان"، ينظر الشهرستاني، الملل والنحل، (مرجع سابق)، ج1، ص22.

<sup>2</sup> المعنى: أي اسمع جلبة ولا أرى عملا ينتفع والجمععة: صوت الرحى والطحن: الدقيق. السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، (بيروت، دار

الكتب العلمية، ط1، 1998م)،

المتمثل في التيارات الجهادية التي ترى أن تلك الوسائل لا تسمن ولا تغني من جوع فسلكوا طريقاً مغايراً في محاربة الحكام الظالمين والديكتاتورية والطغاة؛ برفع السلاح في سبيل تغيير الحكم، والوصول إلى السلطة وإقامة الشرعية الإسلامية، ووصفوا الآخرين بمرجئة العصر. وهناك تيار ثالث دافع عن الحكام واعتبر أن ذلك يُعدُّ خروجاً عليهم، وأن ذلك الخروج أمر يخالف الشريعة الإسلامية، وأنه لا بد على المسلمين السمع والطاعة (ولو تأمر عبد حبشي)<sup>1</sup>، ووصفوا كلا الفريقين بخوارج العصر، وأن طاعة وليّ الأمر واجبة مهما يكن ظلم وجبروت أولئك الحكام، واسترسلوا في سرد الأدلة، لدرجة الاستسلام، الذي نهي عنه الشرع أصلاً، لأن مقابل ذلك: (من قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد)<sup>2</sup>؛ فكيف بمن قتل دون دينه؟! وهذا الفريق أطلق على الطرف الآخر خوارج العصر. وكم هي كثيرة تلك التيارات التي تعدّ في عداد الانحرافات الفكرية. غير أنني اكتفيت في دراستي عن تيارين من التيارات التي ظهرت في الربيع العربي وهم: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وتنظيم الشباب المسلم (الحوثية)، مع التعرّيج على ذكر الجذور الأصلية لها من الفرقة الأم، التي تتوافق مع أفكارهم، وبيان أثر انتعاشها مع مهرجانات الربيع العربي، والدور الفاعل في دمجها وسط المجتمعات التي خرجت تطالب على الاغلب بلقمة العيش، ونبذ الظلم، والوقوف بوجه الطغاة. على اجتهاد مني بدراسة منهج تلك الطائفة، واستعراض جذورها الفكرية التي لا شك أنها تقودنا إلى الطائفة الأم.

وسوف أورد بعون الله أهم الأفكار العقديّة التي حلت على أمة الإسلام - وكانت رأس البلاء على الإسلام والمسلمين - والتي تعد هي أساس الفرق والطوائف الفكرية المنحرفة في الإسلام، والتي تشعبت أغلب الفرق من جذورها وأصولها، وإن كان ظهور كل فرقة من هذه الفرق إما جاء مناهضاً للفكر الذي تقدّمه؛ فيكون ردة فعل بالنسبة له، وإما جاء مُحسِّناً ومطوراً له، أو متأثراً بفكر فلسفي سبقه، وكل هذه الحالات جاءت بالشر والفرقة على الأمة، ولولا اختلاف الأهواء لما حل بالأمة ما حل من الضعف. ممن عنيتهم بدراستي، وكان لهم دور في انحراف بوصلة الربيع العربي، وهي تعد أصول الفرق ومنها تحدّرت بقية الأفكار في الفرق والطوائف.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيْبَةٌ)، رقم: (7142).

<sup>2</sup> أنظر: موسى، إبراهيم محمد، خواطر تربوية، (صنعاء، دار الفكر المعاصر، للنشر والتوزيع، ط1، 2014م) الخاطرة رقم: (2)، ص20.

وكان الغرض من إيراد بعض هذه التيارات المنحرفة في العصر الحديث في هذه الدراسة؛ لبيان الأثر البالغ الذي أحدثته هذه التيارات على ظاهرة الربيع العربي، والحيلولة دون قطف أزهار ذلكم الربيع، فقد أحدثت هذه التيارات تغييرا كبيرا في الثورات، والتي ساعدت بشكل كبير في انحراف مسار الثورات الربيعية، وقلصت من نتائجها المرجوة، والتي آل بها المطاف إلى الاصطدام بالربيع العربي، وحولت أزهاره إلى أغصان يابسة تحطمت عنده الآمال الربيعية، وبدلت تلك الآمال التي كانت تكسو الشعوب العربية؛ إلى آلام، ومع ذلك كله لا زلنا نتوسم في أمة القرآن الأمل الأعظم في العودة إلى الريادة، وقيادة العالم بقوة، ولا يكون ذلك إلا بتنظيم وتديير الوحيين؛ والذي كان البعد عنهما أو تنحيتهما هو السبب في الحال الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم، وهذه التيارات هي: (داعش والحوثية).

## المطلب الثاني: اختلاف الأمة والأسباب المؤدية إليه، ومفهوم أهل السنة، والوعيدية والمرجئة:

كان أول خلاف ظهر في الأمة كان عند وفاة الرسول ﷺ، فمنهم من قائل مات، وقائل قد رفع عند ربه وسيعود، ولكن هذا الخلاف تلاشى في حينه عندما ذكّرهم أبو بكر رضي الله عنه بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، الْآيَةَ ﴾<sup>1</sup>. ثم نشأ خلاف آخر؛ وهو أين يتم دفنه ﷺ، ولكن سرعان ما زال ذلك الخلاف أيضا حين ذكر لهم الصّديق قول الرسول ﷺ: (لم يقبر نبي إلا حيث يموت)<sup>2</sup>. ولكن كل هذا الخلاف كان خلافا اجتهاديا لم يؤدي إلى تفرف الصحابة إلى شيئا واحزابا، بل قيص الله له الصديق فوأده في مهده.

وعودا إلى بدء فيما يتعلق بالافتراق والاختلاف في الأمة، فمن خلال الاستقراء نجد أن الاختلاف بين الأمة منذ نشأته إلى يومنا الحاضر يدور في فلكين، وتعتبر هي الأسباب الرئيسة لحدوث الافتراقات فيها، وهما: أسباب فكرية، وأخرى سياسية.

ولأن دراستنا مقررة حول الانحرافات الفكرية المتعلقة بالتيارات التي انتعشت مع ثورات الربيع العربي، وكذلك خصصت الدراسة الكلام على تيارين من تلك التيارات وهما: (وهما الخوارج والرافضة) وذكر التيارين المتوافقه لهما في العصر الحديث وهما (داعش والحوثية)، لذلك فإننا سنقتصر على الأسباب المتعلقة بهاتين الطائفتين، فيما يتعلق بهذين السببين، والتي وافقت (الخوارج، والشيعه)، وإيراد السبب المرتبط بهما. وذلك حتى لا نسترسل في الفرق التي كان لظهورها تعلق بالسبب السياسي، تفاديا للإطالة.

### أسباب الاختلاف إجمالا:

عن سعيد بن المسيب قال: " وقعت الفتنة الأولى - يعني مثل عثمان - فلم تبق من أصحاب بدر أحد، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تبق من أحاب الحديدية أحدا، ثم وقعت الفتنة الثالثة - فلم ترتفع وللناس طبّاخ"<sup>3</sup>. وواضح من كلام ابن المسيب رحمة الله أن فتح باب الفتنة في الأمة حدص بمقتل عثمان وقد أرنأ إلى ذلك وسياتي معنا عند الكلام على الخوارج.

1 سورة آل عمران الآية: (144)

2 أخرجه الترمذي رقم: (1018) وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وصحيح الجامع رقم: (5605).

3 البخاري، (باب: بلا عنوان)، ج5، ص86.

## السبب الأول: الخلاف السياسي:

عند الكلام عن السبب السياسي فإن الدراسة ستحصر هذا السبب في التيارين التي كان سبب ظهورهما متعلق بالسبب السياسي، وكما أوضحت فإن الدراسة ستربط هذا السبب بفرقة الخوارج وفرقة الشيعة، وقد سبق أن ذكرنا النشأة والتعريف بهما.

وبالعودة إلى الخلاف السياسي التذي طراً في الأمة بعد موت النبي ﷺ فإن حادثة موت النبي ﷺ، قد أحدثت خلافاً بين الصحابة فيمن يلي الأمر بعده ﷺ، ولكن بعموم الخلافات التي وقعت في عصر الشيخين، فعن الخلاف لم يعدوا أن يكون خلافات اجتهادياً لم يصل إلى حد الفرقة ورفع السيف بين الصحب الكرام رضي الله عنهم، وهذا الخلاف الذي طرأ عليهم في أمر الإمامة والخلافة من بعده، أُخمد في حينه واستقر الأمر واجمع الصحابة على خلافة الصّديق. ثم حدث خلاف أيضاً في مسألة قتال من امتنعوا عن أداء الزكاة، وكان الحسم من صاحب الرأي المسدد والموفق، الصّديق رضي الله عنه، وجزاه خير الجزاء عن الأمة<sup>1</sup>.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري: "كان الإختلاف بعد الرسول ﷺ في الإمامة. ولم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر -رضوان الله عليه- وأيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان -رضوان الله عليه- وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالاً كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين وعن سنن المحجة خارجين فصار ما أنكروه عليه اختلافاً إلى اليوم ثم قتل -رضوان الله عليه-! - وكانوا في قتله مختلفين فأما أهل السنة والاستقامة فأنهم قالوا كان -رضوان الله عليه- مصيباً في أفعاله قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً وقال قائلون بخلاف ذلك وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم"<sup>2</sup>.

ولقد كتبت الكثير من الأبحاث والدراسات حول سيرة عثمان - رضي الله عنه - وكلها تشير أن الخلاف الذي نشأ لم يكن في مسائل الأصول، ولكن حول الرأي والاجتهاد في مسائل الحكم وتولية الأشخاص.

<sup>1</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، (مرجع سابق)، ج 1، ص 20.

<sup>2</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج 1، ص 22.

"ثم بويح علي بن أبي طالب -رضوان الله عليه- فاختلف الناس في أمره فمن عنه ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم"<sup>1</sup>. ما قاله الإمام حول خلافة الإمام علي؛ رضي الله عنه، مستمر في التدفق حتى يومنا هذا، وقد يستمر ولا ندري إلى أين سيصل، لكن ما نحس به هو أنه ساهم ولا يزال في تفريق شمل الأمة الإسلامية وفتيت قوتها؛ سيما وأن الخلاف في النظرة إلى الخلافة وليس أصل العقيدة.

"ثم حدث الإختلاف في أيام علي في أمر طلحة والزبير - رضوان الله، عليهما! - وحرهما إياه وفي قتال معاوية إياه وصار علي ومعاوية إلى صفين"<sup>2</sup>.

و قال الإمام الإسفراييني: " اختلفوا بعد ذلك - أي الصحابة - في الإمامة وأذعنت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عباد، وقالت قريش إن الإمامة في قريش، ثم أذعنت الأنصار لقريش، ولكن هذا الخلاف باق إلى اليوم لأن الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش، ثم اختلفوا في قتال ما نعي الزكاة، ثم اتفوا على ثم اتفقوا على رأي أبي بكر في وجوب قتالهم، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال طليحة حين تنبأ وأرتد حتى انهزم إلى الشام ثم رجع في أيام عمر إلى الإسلام، وشهد حرب القادسية، ثم نهاوند وقتل بها شهيدا، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة الكذاب إلى أن كفى الله تعالى أمره وأمر سجاح والأسود العنسي، وأمر المرتدين، إلى أن كفى الله تعالى أمرهم، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله لهم الفتوح، وهم في أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد، وفي سائر أصول الدين، وإنما كانوا يختلفون في فروع في الفقه،...، ولم يورث اختلافهم فيه تضليلا ولا تفسيقا وكانوا على هذه الجملة في أيام أبي بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان"<sup>3</sup>

ولو تأملنا في الخلاف الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم عند وفاته ﷺ لوجدنا أنهم لم يسمحوا لذلك الخلاف بالتوسع في حينه، لأنهم كانوا لا يخرجون عن قول الله وقول رسوله ﷺ، وكان لوجود الرجل الحكيم الرشيد بينهم دور كبير في إخماد الفتنة، فأين ذلك العقل الرشيد في هذا الزمان؟ وأين تلكم الحكمة من أولئك الذين نهبوا خيرات المسلمين؟ ممن عميت أبصارهم وبصائرهم حب السلطة فسفكوا الدماء

<sup>1</sup> المرجع السابق.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

<sup>3</sup> الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص 14.

واستباحوا الاعراض، وأشعلوا نار الفتنة بدل اخمادها، أما الصَّحْبُ الكرام فهم مجتمعون على الكتاب والسنة، لذا سُمُّوا الجماعة؛ والجماعة التي مدحها النبي الكريم ﷺ هي المعتصمة بحبل الله؛ وحبل الله هما الوحي: كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ. وهكذا الحال كل فتنة إن وَجَدَتْ من يتصدى لها بحكمة وعلم، ويردُّ الأمور إلى مضامها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإنها سوف تخمد في مهدها ولن تتسع.

وجماع أمر هذه الطائفتين فيما يتعلق بالجانب السياسي، وهو قضية الحكم أو الخلافة، ولو استعرضنا لنشأة الخوارج مثلاً؛ فإن الخروج الفعلي للخوارج التي ظهرت به وكان له الدور الأهم في نشوء الخلاف في الأمة الإسلامية هو خروجهم على خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتله في بيته، ولذا نرى أن علماء الإسلام عندما أرادوا التعريف بهذه الفرقة أحالوا ذلك إلى النشأة الأولى لها، فعندما عرفهم الإمام الشهرستاني قال: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة، عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"<sup>1</sup>. وخصهم الإمام الأشعري بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي فقال: "والسبب الذي سُمُّوا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"<sup>2</sup>. ولأن الفكرة هي فكرة الخروج على الإمام فقط جاء تعريف الإمام ابن حزم أعم وأشمل ممن خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: "اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام عليّ أو شاركهم في آرائهم في أي زمن"<sup>3</sup>.

وعند الكلام عن الحالة نفسها في عصرنا الحاضر نرى أن مسألة "الحكم بما أنزل الله" هو جوهر البنية الفكرية للجهاد العالمي، وهو في سبيل ذلك يبني تصورات ومشروعات وممارساته على ما يسميه "الشريعة" وهي -عنده- مرادفة للفقهاء؛ لا فرق، ولذلك حين يُلقى بعض الكتاب باللائمة على الفقه الإسلامي؛ الذي يُنتج مثل هذا الفهم الكارثي إنما يقعون أسرى التصور الجهادي نفسه، فالنظر إلى الإمكانيات التي يتيحها الفقه الإسلامي من قبل مستثمريه يتيح أيضاً مشروع الإخوان المسلمين المناقض له تمامًا كما يُتيح غيره من المشاريع، وهو ما يعني أن النص الفقهي لا يمكن له أن يفسر ظهور مثل هذه الظواهر، ولا سيما أنه نص قديم في حين أن هذه الظواهر الجهادية والسياسية حديثة جداً. كما أننا لا يمكن تجاهل أن الإخوان المسلمين هم من بدؤوا تشكيل المذهبية السياسية للدين حين حاولوا أن يعوضوا

<sup>1</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي) ج1، ص114.

<sup>2</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، ت: نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، ط1، 2005م، ج1، ص112.

<sup>3</sup> مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية dorar.net)، ج4، ص328.

غياب الخلافة التي سقطت بمشروع الدولة الإسلامية التي تطبق الشريعة تمهيداً لاستعادة الخلافة، ثم سعوا إلى بناء النظام الإسلامي الشامل الذي يقطع مع الأنظمة السائدة في مختلف المجالات، إلا أن تلك الأفكار سرّت وانزلت إلى مشروع الجهاد العالمي؛ ولكن بأدوات وأساليب مناقضة لما رجاه الإخوان<sup>1</sup>.

ولذا عندما ربطنا هذه الفرقة بالسبب السياسي فإن ذلك يبدو واضحاً من كلام الأئمة في سبب خروج هذه الفرقة، والتي تقمصت الثوب الإصلاحية، وهو ما نراه جلياً على التيار المنسدل من هذه الطائفة في العصر الحديث وهو تنظيم الدولة الإسلامية، فهو كحال من سبق خرج على المسلمين بعد ظاهرة الربيع العربي باسم الإصلاح والرجوع إلى تحكيم الشريعة، ولا شك أن هذا مطلب شرعي، لا يناقش في ذلك أحد، غير أن التنظيم لم يتبع الطرق الشرعية في تلك المطالب. "لا يخرج تنظيم الدولة عن منظومة فكر الجهاد العالمي الذي يقوم على أصول وفروع، فالأصل الذي يُجمع عليه تنظيماته كافةً يتلخص في تحكيم "شرع الله"، وإقامة "الحكم الإسلامي" المتمثل في الخلافة/الدولة الإسلامية، ولا يتحقق ذلك إلا بالجهاد، ومن هذا الأصل القطعي لديهم تتناسل كل المفاهيم والتفاصيل والإجراءات التي سمينها فروعاً ويقع فيها الخلاف"<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> الخطيب، معتر، "تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر، 2014)، ص9.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص13.

## السبب الثاني: الخلاف الفكري:

يعتبر الخلاف الفكري متخمس عن الخلاف السياسي بادئ الأمر، إذ لم تجد الطوائف المخالفة بدءاً من إلحاق القضايا الفكرية بالقضايا السياسية، فعندما جاءوا ليواصلوا لطريقتهم شرعوا لها مسائل تتعلق بالعقيدة كي يروا أنهم لم يخالفوا المسلمين عن هوى أو أطماع سياسية، فكانت قضية مسمى الإيمان الذي اشتهرت بين أهل السنة وأولئك المخالفين، وكان الخلاف القائم هو حول مرتكب الكبيرة، هل هو لا يزال ضمن دائرة الإيمان؟ كما يقول بذلك أهل السنة. أو هو خارج عنها أو هو في منزلة بين المنزلتين كما يقول المخالفون.

حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله، ووصوا اخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم. ثم اختلفت الحوارج بعد ذلك فيما بينها فصارت مقدار عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرهما. ثم حدث في ايام الحسن البصري خلاف واصل بن عطا في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين وانضم اليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا عن سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهما ولا تبعهما معتزلة<sup>1</sup>.

اما الروافض فان السبائية منهم اظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه، فاحرق علي قوما منهم ونفى ابن سبأ الى المدائن، وهذه الفرقة ليست من فرق امة الاسلام؛ لتسميتهم عليا لها. ثم افرقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه اربعة اصناف زيدية وامامية وكيسانية وغلاة وافترت الزيدية فرقا والامامية فرقا والغلاة فرقا كل فرقة منها تكفر سائرهما وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الاسلام فاما فرق الزيدية وفرق الامامية فمعدودون في فرق الامة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الإسفرابيني، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص15.

<sup>2</sup> المرجع السابق. ص16.

وَوَظَّهَرَ خِلاَفَ الضَّرارِيَةِ مِنْ ضَرَّارِ بْنِ عَمْرٍو وَخِلاَفَ الجُّهْمِيَةِ مِنْ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَكَانَ ظُهُورَ جَهْمِ وَبَكَرِ وَضَرَّارِ فِي أَيَّامِ ظُهُورِ وَاصِلِ بْنِ عَطَا فِي ضَلالَتِهِ، وَظَهَّرَتْ دَعْوَةُ الباطنِيَةِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ القُداحِ، وَكَيْسَتْ الباطنِيَةِ مِنْ فِرْقِ مِلَّةِ الإِسْلامِ، بَلْ هِيَ مِنْ فِرْقِ المَجُوسِ<sup>1</sup>.

فاما الزيدية من الرفضة فمطمعها ثلاث فرق وهي الجارودية والسليمانية وقد يُقال الحريرية ايضا والبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب. واما الامامية المُفارقة للزيدية والكسائية والغلاة فانها خمس عشرة فرقة، واما الخوارج فانها لما اختلفت صارت عشرين فرقة، وافتقت الاباضية منها فرقا حفصية وحرثية ويزيدية، واليزيدية منهم اتباع ابن يزيد بن ابيس ليست من فرق الاسلام لقولها بان شريعة الاسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم. وكذلك في جملة العجاردة فرقة يُقال لها الميمونية ليست من فرق الاسلام لانها ابحاث نكاح بنات البنات وبنات البنين كما ابحاثه المَجُوس<sup>2</sup>.

واما القَدْرِيَّةُ المُعْتَزَلَةُ عَنِ الحَقِّ فَقَدْ افْتَرَقَتْ عَشْرِينَ فِرْقَةً كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهَا تَكْفُرُ سَائِرَهَا، ثِنْتَانِ مِنْهَا لَيْسَتَا مِنْ فِرْقِ الإِسْلامِ وَهُمَا الحايطية والحمارية. واما المرجئة فثلاثة اصناف صنف منهم قالوا بالإرجاء في الايمان وبالقدر على مذاهب القَدْرِيَّةِ فهم معدودون في القَدْرِيَّةِ والمرجئة، وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الايمان ومالوا الى قول جهم في الاعمال والاكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة، وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قدر، وهم خمس فرق يونسية وغسانية وثوبانية وتومية ومريسية<sup>3</sup>.

واما أهل السنة والجماعة من فريقى الرأي والحديث دون من يشترى هو الحديث وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحديث منهم كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته وعدله وحكمته وفي اسمائه وصفاته وفي ابواب النبوة والإمامة وفي احكام العقبي وفي سائر اصول الدين وانما يختلِفون في الحلال والحرام من فروع الاحكام وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الإسفراييني، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص16.

<sup>2</sup> نفس المرجع

<sup>3</sup> نفس المرجع

<sup>4</sup>

ومن خلال الاستقراء والنظر إلى عموم الأسباب الدافعة للاختلاف عند المخالفين لأهل السنة نجاه من خلال الاستقراء لا يخلو من الحالات التالية:

**الأولى:** إما بسبب شبهة طغت على نفس صاحبها، فترك العنان لداعيها فاسترسل بها فيما يصلح وما لا يصلح من أمور العبادات، تمخضت عنها بدعاً أضحت كفيلة لانحراف فئات من الناس، ونتجت عنها فرقاً وأحزاباً، كانت سبباً في شتات المجتمع المسلم.

**الثاني:** بسبب التأثير بمن حولهم من أصحاب الديانات الفلسفية؛ التي غزت ديار المسلمين. فعندما غزى المسلمون فارسَ والروم، أوصلوا إليهم كتاب الله ربنا نقياً، بالمقابل تأثر ضعاف الإيمان بما عندهم من المعتقدات المنحرفة، فما كان منهم إلا أن عادوا إلى ديار المسلمين بتلك الفلسفات المضللة.

**الثالث:** بسبب ما كان من أصحاب الهوى؛ الطامعين في الملك والزعامة، وكانوا أضحوكة في يد أعداء الأمة، يلعبون بهم كيف شاءوا، فثاروا لأجل ذلك الطمع وأخذوا في القتل والسلب في بني ملتهم، وما ذاك إلا لينالوا حظاً من هذه الدنيا الفاتنة.

وجميع أولئك كانوا ممن قدموا العون البالغ لأعداء الملة الذين يكيدون بنا الدوائر، لزعزعة الإسلام من نفوس أهله، كما نجد أنهم قدموا أعظم خدمة لأولئك الأعداء شعروا أو لم يشعروا، فهم رأس البليات التي ما فتئت أن فتت في جسد المجتمع المسلم.

كما أردت من ذكر الفرق، لفت الأنظار إلى موطن الخلاف الحاصل بين أتباع الفرق؛ كي يناون بأنفسهم أن يقعوا فيما وقع فيه من سبقهم ممن كان لهم اليد الطولى في تفريق المسلمين وضعفهم وهوانهم.

إن الرجوع إلى الحق، ليس بالأمر العسير، بل هو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وهو أولى من التمادي في الباطل لقوله ﷺ: (تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمْ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي)<sup>1</sup>، وقوله: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ

1 أخرجه الحاكم في المستدرک رقم: (319)، السنن الكبرى للبيهقي رقم: (20124)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (2937-3232).

مُوسَىٰ فِيكُمْ فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَذْرَكَ نُبُوتِي مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي، أَنَا حَظُّكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَّمِ<sup>1</sup>.

لذلك كان الاعتراف بالحق فضيلة، ومنها يمكن أن يكون أول نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحالة بالمسلمين، ويتخذ سببا للعلاج ينفع الله بها؛ لأن التعرف على الدواء الناجع، يتطلب التعرف الداء. ولو تخلص المسلمون من الأسباب المؤدية للانحرافات التي سبق ذكرها؛ لكان بإذن الله تعالى أدعى لجمع كلمتهم، والرجوع لمجدهم، والعودة لسؤددهم، والتمكين لانتصاراتهم على أعداءهم، ودحر شرادم الكفر والطغيان، ويسبق العودة لذلك هو النية الخالصة والإرادة الصادقة، فالأصل الذي قام عليه الأوائل لا زال حاضر بيننا، وما أصلح الأولين، حري أن يصلح الآخرين، ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فالأساس قائم، وبقوة تماسك هذا الأساس يكون قوة البنيان.

---

1 أخرجه البيهقي في الشعب: 5201. مسند أحمد: 15903، 18361. وحسنه الألباني في صحيح الجامع: 5308. الصحيح: 3207.

## أولاً: مفهوم أهل السنة:

قبل الولوج إلى مستنقع التيارات المنحرفة، رأيت أن نغترف غرفة من منهل أهل السنة الصافي، وإلا فإن الأصل أنه لم يعد هناك حاجة إلى تعريف أهل السنة، في بحث يجذو جذو أهل السنة، لأنه ليس من الممكن أن تحتاج المعرفة إلى تعريف؟ فالمعزّف لا يحتاج أن يعرّف؛ يقول الدكتور القفاري: "أهل السنة هم الامتداد الطبيعي لأهل الإسلام الذي انشق عنه المخالفون، فالمخالف هو الذي يُحتاج إلى تعريفه؛ لمفارقتة الجماعة وانحرافه عن الحق، ولذا عُرف كل مبتدع ببدعته، ونُسب إلى عقيدته، أو إلى مخترع مقالته"<sup>1</sup>.

إن المرء ليعجب عندما يرى أن دولة دكتاتورية كروسيا؛ ترعى مؤتمراً بعنوان: (من هم أهل السنة؟)، بل وتجازف في محاروه بمصادمة تستقطب لها النفوس الغبية، بأن جعلت أهل السنة طائفة من طوائف الإسلام المحدثّة، لأنها حرصت في ذلك المؤتمر أن تجرد علماء أهل السنة؛ من صفة أهل السنة؛ وبأليت شعري من دولة رفعت شعار العداة للمسلمين صراحة، وتبيد أهل السنة في أفغانستان وطاجكستان والقفقاز، ثم نراها تسعى لمؤتمر عن مفهوم أهل السنة، وكأن روسيا الشيوعية الصليبية، تريد إخبار العالم أن من قاتلتهم وفتتهم في أفغانستان وطاجكستان وداغستان والشيشان بالأمس، واليوم في سوريا والعراق، أن هؤلاء جميعاً ليسوا من أهل السنة، ويزداد الأمر عجباً أن تهدف روسيا في مؤتمرها ذلك أنها إنما قامت بتلك الإبادة لتلك الشعوب لغرض الدفاع عن أهل السنة! كونها ترى أنهم ليسوا من أهل السنة بنظرها.

عندما يأتي لفظ: (السنة) في كلام السلف فإنه يتناول الاعتقادات والعبادات، ثم استقر عند

المتأخرين بالاعتقادات. قال الأوزاعي في قوله ﷺ

: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)<sup>2</sup>: "أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد. قال ابن رجب: ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف الكثير من مدح السنة، ووصف أهلها بالغرباء، فكان الحسن يقول لأصحابه: "يا أهل السنة! ترفقوا -رحمكم الله- فإنكم من أقل الناس". وقال يونس بن عبيد: "ليس شيء أعرب من السنة وأعرب منها من يعرفها". وعن سفيان الثوري قال: "استوصوا بأهل السنة فإنهم غرباء". ومراد هؤلاء

1 المرجع السابق.

2 أخرجه مسلم رقم (145)، باب بدأ الإسلام غريباً، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأئمة بالسنة: هي طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات، ... إلى أن قال: ثم صار معنى السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم: عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة<sup>1</sup>.

وقد أكد على ذلك إمام جار الهجرة الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن أهل السنة قال: " أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي. وتارة يقول: "هم ما لا اسم لهم غير السنة" وتلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>2</sup> "3. ويؤكد قول الإمام مالك ذلك ما قاله الإمام الشاطبي: "وما يميز أهل السنة، هو أن ليس لهم لقب يضاف إليهم وينتسبون إليه سوى السنة، خلافاً لأهل البدع؛ فإنهم تارة يضافون إلى مؤسس أو طريقة كاخوارج، والقدرية، والمرجئة، نسبوا لطريقتهم، والجهمية، والنجارية، والكلاية، الاباضية، نسبة إلى مؤسسها، أما أهل السنة فإنهم ناجون من هذا كله. ومرة أخرى أجاب بقوله<sup>4</sup>:

وقال الإمام الشافعي: "فرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله، فقال في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، مع أي سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة. فقال: فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ<sup>5</sup>.

1 الحنبلي، ابن رجب، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، ت: طلعت الحلواني، (الفاروق الحديثة، ط2، 2003م)، ج1، ص319.

2 سورة الأنعام، الآية: (153).

3 القفارين، ناصر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، من مقال بعنوان من أهل السنة؟ (مجلة البيان، العدد: 354). ص35.

4 الشاطبي، الاعتصام، (مرجع سابق)، ج1، ص77. نقلا عن مقال بعنوان من أهل السنة؟ للقفاري، مجلة البيان، العدد: (354).

5 السيوطي، جلال الدين، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط3، 1989)، ص7.

وقال أيضا: " وليس يخالف الحديث القرآن، ولكن حديث رسول الله ﷺ يبين معنى ما أراد خاصا وعاما، وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سنّ بفرض الله فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل"<sup>1</sup>.

من كلامه رحمه الله يؤكد على تلازم السنة للقرآن، وعليه من قال نأخذ بالقرآن فقط كما عليه القرآنيون يلزمه الأخذ بالسنة، وإلا لم يحقق مفهوم (شهادة أن محمدا رسول الله)، ومن لم يحقق ذلك لما شك أنه لم يحقق الإسلام، وهذا من مفهوم المغايرة الذي يرى من قوله: " فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل"؛ أي من م يقبل عن رسول الله ﷺ فعن الله لم يقبل.

وقال الإمام أحمد عن أصول أهل السنة هو: " التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والافتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الإتيان وترك الهوى"<sup>2</sup>.

نجد الإمام أحمد -رحمه الله- يركز في كلامه على السنة في التحذير من ضدها، من البدع والضلالات، كما يكمل على قول الشافعي في التعامل مع القرآن عن طريق السنة، الذي هو دلالة عليها.

وقال الألوسي: " السنة في الأصل تقع على ما كان عليه الرسول ﷺ، وما سنه أو أمر به من أصول الدين وفروعه؛ حتى الهدي والسمت، ثم خصت في بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة؛ من إثبات الأسماء والصفات، خلافاً للجهمية المعطلة النفاة، وخصت بإثبات القدر، ونفي الجبر، خلافاً للقدرية النفاة، وللقدرية الجبرية العصاة، وتطلق - أيضاً - على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل، والكف عما شجر بين أصحاب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا من إطلاق الاسم على بعض مسمياته؛ لأنهم يريدون بمثل هذا الإطلاق التنبيه على أن المسمى ركن أعظم وشرط أكبر؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: (الحج عرفة)<sup>3</sup>، أو لأنه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم، لذا سمى العلماء كتبهم في هذه الأصول السنة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> الشيباني، أحمد بن حنبل، أصول السنة، (الخرج، دار المنار، ط 1، 1411هـ)، ج 1، ص 14.

<sup>3</sup> أخرجه أبو داود في كتاب (ح 1949)، والترمذي (ح 2979) وقال الترمذي: حسن صحيح، وابن ماجه في المناسك (ح 3015).

<sup>4</sup> الألوسي، غاية الأماني، ت: آل زهوي، (الرياض، مكتبة الرشد، ط 1، 2001م)، ج 1، ص 550.

نجد الإمام الألويسي سلك طريقاً آخرًا في مفهوم السنة، فجزء من كلامه متعلق بمفهوم السنة عن المحدثين، والجزء الآخر من كلامه متعلق بمنهج السنة عند الأصوليين.

هناك معنى عام، وآخر خاص، في التعريف بأهل السنة، فعندما يطلق بالعموم: فإنه يراد به جميع الطوائف المنتسبة للإسلام إلا الرافضة، وعندما يطلق ويراد المفهوم الخاص؛ فإنه يراد به أهل السنة الخالصة المخالفة لأهل البدعة.

كما نجد بعض العلماء من أهل السنة يستخدم أحياناً تعريف أشمل للسنة بذكر بعض الأصول التي عرفوا بها، كما عرفهم به سفيان بن عيينة بقوله: " السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا يقطع بالشهادة على مسلم"<sup>1</sup>.

وقد وصفهم أبو منصور الإسفراييني بما هم عليهم من مجمل الاعتقاد بقوله: " أهل السنة والجماعة من فريقى الرأي والحديث دون من يشترى لهو الحديث وفقهاء هذين الفريقين وقراءهم ومحدثوهم ومتكلموا أهل الحديث منهم؛ كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته وعدله وحكمته، وفي أسمائه وصفاته، وفي أبواب النبوة والإمامة، وفي أحكام العقبي، وفي سائر أصول الدين، وإنما يختلفون في الحلال والحرام؛ من فروع الأحكام، وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق. وهم الفرقة الناجية، ويجمعها الاقرار بتوحيد الصانع وقدمه، وقدم صفاته الأزلية، واجازة رؤيته، من غير تشبيه ولا تعطيل، مع الاقرار بكتب الله ورسوله، وتأييد شريعة الإسلام، وإباحة ما أباحه القرآن، وتحريم ما حرمه القرآن، مع قيود ما صحَّ من سنة رسول الله ﷺ، واعتقاد الحشر والنشر، وسؤال الملكين في القبر، والاقرار بالحوض والميزان، فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخلط لإيمانه بما بشيءٍ من بدع الخوارج والروافض والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية؛ إن ختم الله له بها، وقد دخل في هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم؛ من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظاهر"<sup>2</sup>.

1 القفاري، ناصر، مقال بعنوان من أهل السنة؟ مجلة البيان، لعدد: (354)، نقلا عن شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج1، ص175.

2 الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977)، ص20.

ففرى من كلامه -رحمه الله- أنه قد قام بتوصيف شامل لأهل السنة، الذين يبوخذ منهم مسائل الاعتقاد، وبيان من هم على ضد ذلك المعتقد، ثم أضاف على ذلك ما هم عليه من الاعتقاد، ومن بيانه لمنهج أهل السنة يتضح أن الضد بالضد، فمن خالف ذلك المنهج فقد خالف ما عليه أهل السنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لفظ (أهل السنة) يراد به من يثبت الخلافة للخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، فتدخل جميع الطوائف في ذلك عدا الرافضة، وقد يراد بهذا اللفظ السنة المحضة من أهل الحديث، فلا يكون ضمن ذلك إلا من يثبت صفات الله تبارك وتعالى، ويثبت القدر، وأن الله يُرى في الآخرة، ويعتقد بعدم خلق القرآن، وغيرها من أصول اعتقاد السنة"<sup>1</sup>.

من تعريفه رحمه الله يؤكد على خروج الرافضة من دائرة أهل السنة، ولعل كلامه ذلك كان عند كلامه على الرافضة؛ لتركيزه عليهم خاصة فيما يتعلق بعقيدتهم في الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، وإلا فإن له عدة أقوال بالتعريف بأهل السنة؛ كقوله: "من قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة"<sup>2</sup>. ولم نذكرها للإطالة ولأن مضمونها يتوافق مع ما ذكره الأئمة الذين سبق ذكرهم.

وقال الإمام ابن حزم: "وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة - رضي الله عنهم - وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين - رحمة الله عليهم - ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، أو من اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها"<sup>3</sup>.

1 ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986م) ج2، ص221، بتصرف.

2 ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج3، ص346، نقلا عن المصدر السابق.

3 الظاهري، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ص90، نقلا عن المصدر السابق.

## مصدر التلقي لدى أهل السنة هما: (الكتاب والسنة)

أن الرعيل الأول من صحابة النبي ﷺ كانوا أسلم الناس فطرة، وأعمقهم فهما، ولهذا اختارهم الله تعالى لنبيه ﷺ كونهم أصدق الناس وأقلهم تكلفاً وأفضلهم هدياً، وإن معايشة الجيل الأول للوحي وصحبتهم للنبي ﷺ قد آتاهم سلامة الفطرة، وصحة الفهم، وحضور البديهة، مما جعلهم أصدق الناس نظراً، وأقلهم تكلفاً، وأحسنهم هدياً. ولهذا تجدهم اكتسبوا ذلك الهدي والعلم منه ﷺ فتراهم إن سئلوا عن قضية ما؛ كان ردهم رداً موجزاً شافياً كافياً، إن لم يكن من صريح الوحي فهو قبس من مشكاته. ولو رأينا حالهم مع مسألة الإيمان؛ والتي تعددت فيها الآراء وتشعبت، وتنافرت فيها الفرق وتناحرت، فلا أدل على ذلك الهدي والعلم. وبالمقابل فقد ذهبت بعض الفرق كل مذهب لتأتي بتعريف للإيمان كما تريد، فمنهم من صرف نظره عن نصوص الوحي كلها، ومنهم من أخذ بعضها وغلا فيه وتعسف في تأويل الباقي أو إنكاره، ومنهم من ظل حائراً متناقضاً لا يستقر له قرار، والسلامة من ذلك كله هو بالرجوع إلى الوحيين.

ونرى الإمام الأشعري -رحمه الله - يؤكد على الحرص في التمسك بالكتاب والسنة، وأن الفلاح والرشاد فيهما، فبعد أن أثنى على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ في مقدمة كتابه الإبانة عن أصول الديانة؛ قال: "وجاءنا بالقرآن ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 41-42]؛ جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى، وفي الجهل تردى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ، فقال عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: 7]، وقال عز وجل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: 63]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: 83].<sup>1</sup>

ولقد ذكر في الاعتصام بسنة الرسول ﷺ الكثير من الضواهد القرآنية التي تؤكد تعاضدها مع القرآن في التلقي، فقال -رحمه الله أيضاً: فأمرهم -أي الله- بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه كما أمرهم بالعمل بكتابه. فنبذ كثير ممن غلبت عليهم شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلدوهم في دينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا

<sup>1</sup> الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، ت: فوقية حسين محمود، (القاهرة، دار الأنصار، ط1، 1397)، ص10.

سنن نبي الله ﷺ، ودفعوها وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله، ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [النساء: 140]<sup>1</sup>. فنراه رحمه الله قد رسم منهجا صريحا بين فيه حقيقة أهل السنة، وأن الأصل في ذلك المنهج هو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فمن لم يلتزم بهذا المنهج كان انتسابه لأهل السنة ادعاء وليس حقيقة، ولذا نراه رحمه الله يقول: " فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين"<sup>2</sup>.

قال الإمام السيوطي: " وأن مما فاح رجة في هذا الزمان وكان دارسا بحمد الله تعالى منذ أزمان وهو أن قائلنا رافضيا زنديقا أكثر في كلامه أن السنة والأحاديث المروية -زادها الله علوا وشرفا - لا يحتج بها، وأن الحججة في القرآن خاصة، وأورد على ذلك حديث: " ما جاءكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن، فإن وجدتم له أصلا فخذوا به وإلا فردوه"، هكذا سمعت هذا الكلام بجملة منه وسمعه منه خلافاً لغيري، فمنهم من لا يُلقي لذلك بالاً. ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام ولا من أين جاء. فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك، وأبين بطلانه، وأنه من أعظم المهالك. فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة"<sup>3</sup>.

وهذا ما كان عليهم الجماعة -الصحابة والتابعون لهم بإحسان - فما حادوا عن منهجهم المأمون قط، فكانوا إذا سئلوا عن الإيمان أجابوا بالوحي لا بالهوى، جواباً يراعى فيه حال السائل ومقام السؤال كما كان النبي ﷺ يفعل.

وكانوا في طريقتهم على هي النبي ﷺ، فعندما كانوا يسألون عن الإيمان تراهم مرة يجيبون السائل بآية جامعة من كتاب الله تعالى، مثل جواب بعضهم بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ

<sup>1</sup> الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 12.

<sup>2</sup> الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 14.

<sup>3</sup> السيوطي، جلال الدين، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط3، 1989)، ص5.

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ<sup>1</sup>، ومرة يجيبون بحديث كما أجاب النبي ﷺ جبريل أو وفد عبد القيس. ومرة يعرفونه بفهم فهموه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما قال بعضهم: (الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله)<sup>2</sup>. ومن الواضح أنه ليس في شيء من هذا تحديد مجرد للإيمان على المنهج المنطقي المتكلف.

وهذا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يحث على التمسك بالمعنى الصافي؛ الكتاب والسنة، على فهم السلف الصالح فيقول: " من فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف يُنكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد، والتقليد المحض. نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء؛ على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه، فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل، وليس الطريق في تقويته وإثباته إن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات. فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يردُّ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسماعهم وهيأتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له، فيكون أول التلقين كاللقاء بذر في الصدر، وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له؛ حتى ينمو ذلك البذر، ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء"<sup>3</sup>.

1 سورة البقرة، الآية: (177).

2 علق البخاري الجملة الأخيرة، وذكر الحافظ تخريجه كاملاً. الفتح (48/1)، وهو في السنة لعبد الله ابن أحمد (98/1).

3 الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار ابن حزم، ط1 ن2005)، ص111.

## ثانيا: مفهوم الوعيدية<sup>1</sup>: (معتزلة - خوارج)

الوعيدية<sup>2</sup>: المقصد بهم: (المعتزلة<sup>3</sup> - الخوارج<sup>4</sup>). وهم من غلبوا جانب الوعيد. "فالوعيدية يرون خلود من دخل النار فيها حتى لو كان موحدا، ويوجبون العذاب في حق أهل الكبائر؛ لشمول نصوص الوعيد فيهم. ويرون أن نصوص الوعد لا تتناول إلا مؤمنا، والفساق ليسوا بمؤمنين، فلا يدخلون في الوعد؛ لأنهم لا حسنات لهم؛ لأنهم لم يكونوا من المتقين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، [المائدة: 27]، وقال: ﴿فَأَخْبِطْ أَعْمَاهُمْ﴾، [محمد: 28]، فهذه النصوص وغيرها تدل على أن العمل لا يقبل إلا مع التقوى، والوعد إنما هو للمؤمن، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين، وأن فعل السيئات يحبط الأعمال<sup>5</sup>.

وهم القائلون بأن الله يجب عليه عقلا أن يعذب العاصي؛ كما يجب عليه أن يثيب المطيع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له، ومذهبهم باطل مخالف للكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]، وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة<sup>6</sup>.

## قول الوعيدية في مسمى الإيمان وتعريفه:

كما هو معلوم أن أول خلاف حدث في هذه الأمة هو الخلاف في الإيمان، حين بدأ أمر الخوارج في زمن الصحابة، رضوان الله عليهم، وأثاروا الفتنة بقول تكفير مرتكب الكبيرة، ثم ظهرت المعتزلة فاتفقوا معهم في أصل المسألة وهم خروج مرتكب الكبيرة من دائرة الإيمان، مع مخالفتهم لهم في تكفير مرتكب الكبيرة، ولذلك شملهم وصف الوعيدية، وكان في الطرف النقيض من الخوارج والمعتزلة في نفيهم الإيمان عن مرتكب الكبيرة، وما ترتب على ذلك من أحكام الوعيد، هم المرجئة، ووصفوا بالإرجاء، لإرجائهم العمل عن مسمى الإيمان. ثم استمر الخلاف بعد ذلك في مسائل الإيمان، وإن كان بالإجمال يعود إلى الوعيدية والمرجئة، ولا يزال الخلاف في الإيمان إلى اليوم.

1 ينظر: العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، (السعودية، دار ابن الجوزي، ط6، 1421)، ج2، ص69.

2 تطلق على الخوارج والمعتزلة، ومن ذكر هذه اللفظة الإمام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل. ينظر: ج1، ص141.

3 انقسمت المعتزلة إلى اثنتين وعشرين فرقة لكل واحدة منها أفكارها وآراؤها الخاصة منها: "الواصلية، والعمرية، والهلذلية... إلخ"

4 قال الشهرستاني: وكبار فرق الخوارج ستة: (الأزارقة، والنجدات، والصفيرية، والعجاردة، والإباضية، والتعالبة"، والباقون فروعهم).

5 السقاف، علوي، ومجموعة باحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع الدرر السنية على الإنترنت DORAR.NET).

6 هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، (الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط3، 1415 هـ). ج1، ص189.

ومع ما بين المذاهب المخالفة لأهل السنة في الإيمان، من الاختلاف إلى حدّ التناقض إلا أنهم متفقون على أصل مشترك بينهم، وهو القول باستحالة التفاوت في الإيمان، وأنه إن ذهب منه شيء لزم انتفاؤه بالكلية، وأنه لا يزيد ولا ينقص، فقولهم بتكفير مرتكب الكبيرة والمنزلة بين المنزلتين، وإخراج المرجئة العمل عن مسمى الإيمان، جميعها يستند على هذا الأصل.

وهذه الدعوى هي الفيصل بين أهل السنة وبين جميع المخالفين لهم في الإيمان؛ فأساس الخلاف القائم هي مسألة (تفاوت الإيمان) ولا شك أنه مخالف لصريح النصوص، وللضرورة الشرعية والعقلية.

### الفرقة الأولى: المعتزلة.

#### التعريف والمعتقد:

"المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصد والوعيدية"<sup>1</sup>.

أما تسميتهم بالمعتزلة فقد تضاربت آراء العلماء في ذلك، وجميع تلك الأراج لا تعدوا عن أمرين:

**الأول:** هو حصيلة نقاش في بعض المسائل الفكرية، وأهمها المنزلة بين المنزلتين. وممن يرى ذلك الإمام الإسفراييني؛ حيث قال: "حدث في أيام الحسن البصريّ خلاف بينه وبين واصل بن عطا الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين، واعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا عن سارية من سواري مسجد البصرة فقبل لهما ولا تباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الامة في دعواها ان الفاسق من امة الإسلام لا مؤمن ولا كافر"<sup>2</sup>.

**الثاني:** "أن الاعتزال نشأ بسبب سياسي حيث أن المعتزلة من شيعة علي رضي الله عنه اعتزلوا

الحسن عندما تنازل معاوية، أو أنهم وقفوا موقف الحياد بين شيعة علي ومعاوية فاعتزلوا الفريقين"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (السعودية، الندوة العالمية، ط4، 1420هـ)، ص64.

<sup>2</sup> الإسفراييني، عبد الفاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص15.

<sup>3</sup> الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (مرجع سابق)، ص64.

وقد اشتهر عن المعتزلة الكثير من الطوام الفكرية، وأبرزها كما ذكرنا هو القول بالمنزلة بين المنزلتين، وسبب إبراز هذه المقولة كما يقول الإمام الأشعري: " والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة؛ وهم وعيدية الخوارج. وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة"<sup>1</sup>.

" أما القاضي عبد الجبار الهمداني . مؤرخ المعتزلة . فيزعم أن الاعتزال ليس مذهباً جديداً أو فرقة طائفة أو طائفة أو أمراً مستحدثاً، وإنما هو استمرار لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته، وقد لحقهم هذا الاسم بسبب اعتزالهم الشر لقوله تعالى: (وأعتزلكم وما تدعون) ولقول الرسول ﷺ: (من اعتزل الشر سقط في الخير"<sup>2</sup>

والواقع أن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وفكرية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية وقد نتج ذلك عن التأثير بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية، وقد يتوهم من كلامنا أن الإسلام ضد العقل، ويسعى للحجر عليه. ولكن هذا يردده دعوة الإسلام إلى التفكير في خلق السموات والأرض، والتركيز على استعمال العقل في اكتشاف الخير والشر، وغير ذلك مما هو معروف ومشهور، وهذا هو الذي دعا العقاد إلى أن يؤلف كتاباً بعنوان: التفكير فريضة إسلامية، ولهذا فإن من انحرافات المعتزلة هو استعمالهم العقل في غير مجاله: في أمور غيبية مما تقع خارج الحس ولا يمكن محاكمتها محاكمة عقلية صحيحة، كما أنهم بنوا عدداً من القضايا على مقدمات معينة فكانت النتائج ليست صحيحة على إطلاقها وهو أمر لا يسلم به دائماً حتى لو اتبعت نفس الأساليب التي استعملوها في الاستنباط والنظر العقلي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهمي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1992)، ج1، ص48.

<sup>2</sup> الرازي، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (مرجع سابق)، ص39.

<sup>3</sup> ينظر الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (مرجع سابق)، فصل المعتزلة.

قال الإمام الأشعري عن المعتزلة: " إن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل به الله سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين. وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين، ودفَعوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين. وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين. ودانوا بخلق القرآن نظيراً لقول إخوانهم من المشركين؛ الذين قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [النساء: 48]"<sup>1</sup>.

وقال هم: من "قالوا: بالوعيد لمرتكب الكبيرة، ولم يروا لأهل المعاصي رحمة في الآخرة، لأن الإيمان عندهم عمل الطاعات وهو لا يزيد ولا ينقص"<sup>2</sup>.

وقال الإسفراييني: "المعتزلة افتقرت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرهما وهن الواصلية والعمرية والهديلية والنظامية والاسوارية والمعمرية والاسكافية والجعفرية والبشرية والمرادارية والهشامية والتمامية والجاحظية والحايطية والحمارية والخياطية واصحاب صالح قبة والمويسية والشحامية والكعبية والجبابية والبهشمية المنسوبة الى أبي هاشم بن الحبالى فهذه ثنتان وعشرون فرقة فرقتان منها من جملة مائة وأربعين من فرق الغلاة في الكفر وهما الحايطية والحمارية وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها في بدعتها امور منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية وزادوا على هذا بقولهم أن الله تعالى لم يكن له في الأزل"<sup>3</sup>

ومن مبادئ المعتزلة الاعتماد على العقل كلياً في الاستدلال لعقائدهم، وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً، فقالوا: كما حكى عنهم الشهرستاني: " المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبيح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، (مرجع سابق)، 14.

<sup>2</sup> ينظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين (مرجع سابق)، ج 1، 168. الخلف، القاضي أبي يعلى، وكتابه مسائل الإيمان، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، (الرياض، دار العاصمة، ط 1، 1410 هـ)، ص 397، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط 3، 1996)، ص 139.

<sup>3</sup> الإسفراييني، عبد الفاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص 93.

<sup>4</sup> الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهمي، (مرجع سابق)، ج 1، ص 43.

وقال أيضا: "واتفقوا - أي المعتزلة - على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظلما، كما لو خلق العدل كان عادلا"<sup>1</sup>.

وقال الإمام الرازي: " أعلم أن المعتزلة كلهم متفقون على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة وعلى أن القرآن مُحدث ومخلوق وأن الله تعالى ليس خالقا لأفعال العبد"<sup>2</sup>.

واتفقوا على أن أصول المعرفة، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع. والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل. واعتناق الحسن، واجتناب القبيح واجب كذلك. وورود التكليف لأطاف للباري تعالى، أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام امتحانا واختبارا ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42]، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، واختلفوا في الإمامة، والقول فيها نصا، واختيارا، كما سيأتي عند مقالة كل طائفة"<sup>3</sup>

وهذا غير ما يقول به أهل السنة، قال الشهرستاني: " قال أهل السنة: الواجبات كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل. فالعقل لا يحسن ولا يقبح، ولا يقتضي ولا يوجب، والسمع لا يعرف، أي لا يوجد المعرفة، بل يوجب". ولاعتمادهم على العقل أيضاً أولوا الصفات بما يلائم عقولهم الكلية، كصفات الاستواء واليد والعين وكذلك صفات المحبة والرضى والغضب والسخط ومن المعلوم أن المعتزلة تنفي كل الصفات لا أكثرها"<sup>4</sup>.

ولاعتمادهم على العقل أيضاً، طعن كبراًؤهم في أكابر الصحابة وشنعوا عليهم ورموهم بالكذب، فقد زعم واصل بن عطاء: أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، إما طائفة علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر والحسن والحسين وأبي أيوب الأنصاري أو طائفة عائشة والزبير، وردوا شهادة هؤلاء الصحابة فقالوا: لا تقبل شهادتهم. وقد طعن زعيمهم النظام في أكثر الصحابة وأسقط عدالة ابن مسعود ونسبه إلى الضلال، وطعن في فتاوى عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم، ونسب أبا هريرة إلى الكذب، وطعن

1 المرجع السابق، ص 45.

2 الرازي، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (مرجع سابق)، ص 38.

3 الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهمي، (مرجع سابق)، ج 1، ص 45.

4 . المرجع السابق، 42. (بتصرف).

في فتاوى كل من أفتى من الصحابة بالاجتهاد، وقال إن ذلك منهم إنما كان لأجل أمرين: إمّا لجهلهم بأن ذلك لا يحل لهم. وإمّا لأنهم أرادوا أن يكونوا زعماء وأرباب مذاهب تنسب إليهم. فنسب أخبار الصحابة إلى الجهل أو النفاق والجاهل باحكام الدين عنده كافر والمتعمد للخلاف بلا حجة عنده منافق كافر أو فاسق فاجر وكلاهما من أهل النار على الخلود، كما أبطل اجماع الصحابة، وولم يروا حجة جحيمية الإجماع، بل وأجازوا اجتماع الأمة على الضلالة<sup>1</sup>.

وهناك الكثير من المخازي والشنعات التي ما أطلقوها على الصحابة وتابعيهم وعلماء الأمة وعوامهم ولا زالوا يروجون ويجهلون بذلك، وما كل ذلك منهم إلا لأجل التشكيك في مصدر التلقي، لأن التشكيك في الصحابة تشكيك في الوحي، فمن نقل لنا الوحي إلا أولئك العدول الذين زكاهم الله تعالى وأختارهم لصحبة نبيه، ولذا نجدهم قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة والمنطق، فتلاعبوا بعقائد الناس بما لم يقل به أي من عوام الناس. ولما كان منهج أهل السنة قائم على الأخذ بما في الوحي من كتاب وسنة، كان لازما على من شك فيهما أو في أحدهما أن لا يستحق الوصف أن ينسب لهما لأن الانتساب لهما اعتراف بصدقهما والعمل بهما، ولا يتأتى ذلك إلا بالوثوق المطلق بنقل تلك المصادر وهم صحابة النبي ﷺ، ولا شك أن هو ذاب أهل السنة.

قال الإمام الإسفراييني: " فكيف يكون على سمت الصحابة مقتديا بهم من يرى مخالفة جميعهم واجبا اذا كان رأيه خلاف رأيهم، حتى أن زعيمهم واصل بن عطا الغزال قال لو شهد عندي على وطلحة على باقة بقل لم احكم بشهادتهما لعلمي بان احدهما فاسق ولا عرفه بعينه فجائز على اصله أن يكون على واتباعه فاسقين مخلدين في النار وجائز ان يكون الفريق الآخر الذين كانوا أصحاب الجمل في النار خالدين فشك في عدالة على وطلحة والزبير مع شهادة النبي عليه السلام هؤلاء الثلاثة بالجنة ومع دخولهم في بيعة الرضوان وفي جملة الذين قال الله تعالى فيهم { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة } وكان عمرو بن عبيد يقول بقول واصل في فريق الجمل وزاد عليه القول بالقطع على فسق كل فرقة من الفرقتين، وقد كان أبو الهذيل والجاحظ واكثر القدرية في هذا على رأى واصل بن عطا<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص304. (بتصرف)

<sup>2</sup> الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (مرجع سابق)، ص304-305. (بتصرف).

وعندما ينحرف المنهج عن الصراط المستقيم: ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى:53]، كان بين المعتزلة اختلاف واسع فيما بينهم وتعدد طوائفهم ولاشك أن السبب الرئيس في ذلك هو إعراضهم عن نصوص الوحيين الصحيحة، واعتمادهم على العقل فقط كما ذكرنا، ورفضهم الأخذ من حملة الوحي، وقاعدتهم التي يستندون إليها في ذلك: " أن كل مكلف مطالب بما يؤديه إليه اجتهاده في أصول الدين "، فيكفي وفق مذهبهم أن يختلف التلميذ مع شيخه في مسألة ليكون هذا التلميذ صاحب فرقة قائمة، وما هذه الفرق التي عددها أنفأ إلا نتيجة اختلاف تلاميذ مع شيوخهم، فأبو الهذيل العلاف له فرقة، خالفه تلميذه النظام فكانت له فرقة، فخالفه تلميذه الجاحظ فكانت له فرقة، والجبائي له فرقة، فخالفه ابنه أبو هاشم عبد السلام فكانت له فرقة أيضاً وهكذا<sup>1</sup>.

أما أهل السنة والجماعة، يؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه من غير تعطيل، أو تحريف، ومن غير، تمثيل أو تكييف أو تعطيل، لا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. وهم وسط في باب صفات الله تعالى، بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله تعالى، بين القدرية والجبرية. وفي باب وعيد الله، بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم. وفي باب الإيمان والدين، بين الحرورية وبين المعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله، بين الروافض وبين الخوارج<sup>2</sup>.

وقد فند علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، فمنهم الإمام أحمد بن حنبل الذي اكتوى بنار فنتتهم المتعلقة بخلق القرآن ووقف في وجه هذه الفتنة مجرم وشجاعة نادرين. ثم الإمام أبو الحسن الأشعري فقد ردا عليهم بارعا متبعاً أسلوبهم في الجدل والحوار، كذلك ممن رد عليهم بقوة الحجة شيخ الإسلام ابن تيمية، وبين أن صريح العقل لا يكمن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل.

## الفرقة الثانية: الخوارج.

### التعريف والمعتقد:

الخوارج: اسم أطلق على الفرقة التي غلت في تكفير المسلمين واستحلت دمائهم وأموالهم لمجرد المعصية، وكان قبل أن تطلق عليهم هذه التسمية يعرفون بالقراء، لكثرة قراءتهم، وكذلك يطلق عليهم

<sup>1</sup> الجهنني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (مرجع سابق)، ص 69.

<sup>2</sup> محمد، حامد، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، المؤلف، ت: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط 1417هـ)، ج 1، ص 90.

حرورية، نسبة إلى بلدة حروراء بالعراق، وكذلك يقال لهم الحرارية، ومن ألقابهم المارقة، ومن ألقابهم المحكمة لإنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله. وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يبرق السهم من الرمية.

والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. أما هم فيسمون أنفسهم بالشُّراة؛ أي كما يقولون: شرينا أنفسنا في طاعة الله؛ أي بعناها بالجنة. واشتهر الخوارج بالشجاعة، وقوة البأس، والصدق، وكثرة العبادة، لكن كل ذلك على جهل.

اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان<sup>1</sup>. قال الشهرستاني: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة، عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"<sup>2</sup>. ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي. قال الأشعري: "والسبب الذي سُموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"<sup>3</sup>. وقال ابن حزم: "اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام عليّ أو شاركهم في آرائهم في أي زمن"<sup>4</sup>.

أما من حيث نشأة الخوارج، فقد اختلف كذلك المؤرخون وعلماء الفرق متى كان أول ظهور للخوارج إلى أقوال؛ غير أنني أرى أن هذه الأقوال لا تعدوا أن تكون سلسلة متتابعة من البدء إلى الاستفحال، وحاصل هذه الآراء هي:

**أولاً:** في عهد النبي ﷺ حين قام ذي الخويصرة التميمي، في إحدى الغزوات في وجه الرسول ﷺ معترضاً على قسمته للفيء، وأنه لم يعدل في قسمتها؛ حاشاه ﷺ، وهنا كانت بدء البذرة لهذه النبتة الخبيثة، مع العلم أنه لا بد من التفريق في بدء النزعة، وبين الظهور كفرقة، لأن ذا الخويصرة حينها لم يكن لديه جماعة، ولم يتزعم طائفة ما، وإنما طراً ذلك الاعتراض كحال أي من الحالات التي تقع لكثير من

<sup>1</sup> السقاف، علوي، ومجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية dorar.net)، ج3، ص56.

<sup>2</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي) ج1، ص114.

<sup>3</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، ت: نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، ط1، 2005م، ج1، ص112.

<sup>4</sup> مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنية dorar.net)، ج4، ص328.

الحكام، ويدل فعله ذلك على عدم توقيره للنبي ﷺ وتأدبه معه. لذا يصعب القول بأن الخوارج ينسبون إليه، مع أن الحال في الأديان والفرق هو انتسابها إلى مؤسسها أو من تبنى إظهارها. لكن نقول هي بداية النزعة، لحديث النبي ﷺ: ( إِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ ضِعْضِي<sup>1</sup> هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، وَأَطْنُهُ قَالَ: "لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهْمُ قَتْلَ مُوَدَّ )<sup>2</sup>.

ومن يرى هذه الرأي هو الإمام البخاري، حيث بوب في الصحيح: (باب من ترك قتال الخوارج للتأليف، وأ، لا ينفر الناس عنه). فمن تبويبه لهذا الحديث يعتبر ذا الخويصرة أول الخوارج وأن رسول الله ﷺ ترك قتله للتألف.

**ثانياً<sup>3</sup>:** أهما ظهرت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولكن كذلك يرد على هذا الرأي؛ بأن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص، ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة؛ وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام، إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم. وذهب لهذا القول ابن أبي العز، الذي يرى أن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان في تلك الفتنة التي انتهت بقتله يقول: ويسمي ابن كثير الذين ثاروا على عثمان وقتلوه خوارج فيقول: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً<sup>4</sup>.

**ثالثاً:** أنهم ظهروا في عهد علي رضي الله عنه، حين خرج الخوارج من المحكِّمة عن جيشه، أو حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم بعض علماء الإباضية؛ منهم الوريثاني الإباضي، بزعمه أنهم خرجوا عن بيعة علي. وهو قول مردود؛ فإن طلحة والزبير لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد شهد الله لها بالإيمان، وشهد النبي ﷺ لطلحة والزبير رضي الله عنهما بالجنة فهما من العشرة المبشرين بالجنة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أصل الشيء.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، رقم: (4351)، باب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع. ومسلم رقم: (1064)، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

<sup>3</sup> مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: dorar.net)، الدرر السنية، ج4، ص331.

<sup>4</sup> ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط10، 1997م)، ص472.

<sup>5</sup> مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (مرجع سابق)، ج4، ص331.

رابعاً: أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة (64هـ)، وأواخر ولاية ابن زياد وهذا الرأي لعلي يحيى معمر الإباضي، وهو في هذا الرأي يتابع أبي إسحاق أطفيش الإباضي الذي يرى أن ما حدث بين الإمام علي وبين الطائفة التي انفصلت عن جيشه والتي سميت فيما بعد بالمحكمة إنما هو نوع من أنواع الفتن الداخلية التي وقعت بين المسلمين في ذلك العصر؛ حيث اعتبرت تلك الطائفة أن علياً رضي الله عنه قد زالت عنه الإمامة الشرعية حينما قبل التحكيم، ولهذا فقد ولوا عبد الله بن وهب الراسبي والذي دعى بدوره علياً للدخول في طاعته بعد أن اختاره من معه من الصحابة وغيرهم<sup>1</sup>.

وعلى هذا الادعاء من الخوارج لم يكن ما حدث بين علي ومن معه في نظر أصحاب هذا الرأي إلا فتنة انتهت على نحو ما انتهت عليه، وليس خروجاً على الإمام، كما هو المعنى الحقيقي للخروج الذي يرون أنه لم يبتدئ إلا بخروج ابن الأزرق. أما ما كان قبل ذلك من حركات ثورية على علي والأمويين من بعده فهي مجرد ثورات ومواقع حربية دارت بين الفريقين وليست خروجاً بالمعنى الصحيح.

وهذا القول لم يقل به غير الإباضية<sup>2</sup>؛ لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن سار على طريقتهم وبين الأزارقة، وهو قول مرجوح لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع الأزرق.

والصواب أن اسم الخوارج يطلق على تلك الطائفة التي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه، والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة<sup>3</sup>. وقد أخبر علي بن أبي طالب ببعض أوصافهم التي أخبره بها رسول الله ﷺ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن وهب الجهني، أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُهُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُهُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُهُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ هُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُوهُمْ، مَا قُضِيَ هُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ، لَا تَكَلُّوا عَنِ الْعَمَلِ، "وَأَيَّةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلْمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ" فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرَكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي دَرَارِكِكُمْ

<sup>1</sup> معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، (مسقط، وزارة التراث والثقافة، ط3، 2000) ص377.

<sup>2</sup> الوردجاني، الدليل لأهل العقول، (المطبعة البارونية، 1887م)، ص15.

<sup>3</sup> ابن كثير، البداية والنهاية. ابن حزم، الفصل. الشهرستاني، الملل والنحل. غالب عواجي، فرق معاصرة.

وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَعَارَؤُا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسَيَرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا الاستعراض يمكن القول أن الخوارج كفكرة قد بدأت في عهد النبي ﷺ، ومصدق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (يخرج من ضئضى هذا)<sup>2</sup>، فدوا الخويرة يعتبر أول من أنشاء فكرة الخروج والاعتراض، وعلى القول بالخوارج كحركة فإنها قد ظهرت حين قتلوا عثمان رضي الله عنه، وعند القول بالخوارج كفرقة فإن بداية نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي وخروجهم عليه، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء إذ يعرفون الخوارج بأنهم هم الذين خرجوا على علي بعد التحكيم، وعند إرادة الخوارج كمتعقد وتنظير يمكن القول بأنه ظهر مع ظهور نافع الأزرق.

والواقع أن هذا هو ما يشهد له واقع تلك الحركة التي أحدثت دويا هائلا في تاريخ هذه الأمة الإسلامية عدة قرون تميزت فيها بآراء ومعتقدات وأنظمة لفتت إليها أنظار علماء التاريخ والفرق الإسلامية، بخلاف ما سبقها من حركات فإنها لم يكن لها أثر فكري أو عقائدي يذكر<sup>3</sup>.

كان الظهور للخوارج كما ذكرنا قد مرّ بمراحل منذ أن خرج ذي الخويرة على النبي ﷺ، ثم تناول بهم الأمر بمقتل عثمان رضي الله عنه، وأخيرا استقر بهم الأمر بالخروج والنزاع المسلح على طوائف المسلمين، وكان من الدوافع وراء ذلك أن الخوارج لهم شروطا حول الإمامة، وكيفية توليها.

وكون الخوارج إحدى الفرق التي ضلت عن الحق فحتما سوف يحدث بينهم خلافات وتشعبات، لذلك ظهرت عدد من الفرق منها ماهي معدودة من الفرق الكبيرة، المتفرعة منها، ومنها ما هي من الفرق الصغرى التي تشعبت من فرق أخرى، وقد اختلف العلماء في الشخصية التي أحدثت هذه الخلافات بين صفوف الخوارج وفرقت كلمتهم وجعلت بعضهم يبرأ من بعض؛ فليل إن أول من أحدث الخلاف بين الخوارج هو نافع الأزرق الحنفي، وقيل إن أول من أحدثها عبد ربه الكبير أو رجل يسمى عبد الله بن الوضين، وأن نافعا كان من المخالفين له في مبدأ أمره ولكنه بعد وفاته تبين له أن الحق كان معه فرجع إلى الأخذ بقوله وكفر من يخالفه بعد ذلك، وأما من خالفه قبل ذلك فليس بكافر. وكان الحكم يبتدىء

<sup>1</sup> أخرجه مسلم في الصحيح رقم: (1066)، باب: التحريض على قتال الخوارج.

<sup>2</sup> سبق تخريجه.

<sup>3</sup> عواجي، غالب، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، (مكة المكرمة، جامعة ام القرى، 1978م)، ص37.

عنده من يوم أن تبين له صحة رأي ابن الوضين، وقيل إن أول من أحدثها عبد ربه الصغير<sup>1</sup>، والفرق المتفرعة عن الخوارج كثير عددهم الإمام الرازي إحدى وعشرين فرقة، هي:

**أولاً: الأزارقة:** أصحاب نافع الأزرق.<sup>2</sup>

**ثانياً: النجدات:** وتنسب إلى زعيمهم الأول نجدة بن عامر بن المفرج الحنفي أو الثقفي.<sup>3</sup>

**ثالثاً: البيهسية<sup>4</sup>:** هي إحدى الفرق الرئيسية للخوارج وتنسب إلى أبي بيهس ولم يعرف له اسم ولا نسب قال الشهرستاني: "المهيصم بن جابر" يقول عنه صاحب كتاب (الأديان) أنه: (ابتدع أشياء لم يبتدعها أحد قبله. وقد عدّ الأشعري ومثله الشهرستاني والبغدادي وصاحب (الأديان): هذه الفرقة من فرق الخوارج الرئيسية ولم يعزوها إلى إحدى الفرق، ولكن ابن حزم يقول فيهم: وهم من فرق الصفرين، ولكن الأكثر على خلافه كما هو ظاهر<sup>5</sup>.

**رابعاً: الصفريّة:** تنسب إلى زياد بن الأصفر عند الأكثرين من علماء الفرق<sup>6</sup>.

**خامساً: العجاردة:** أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وافق النجدات في بدعهم. وقيل: إنه كان من أصحاب أبي بيهس، ثم خالفه وتفرد بقوله<sup>7</sup>.

**سادساً: الميمونية<sup>8</sup>:** أصحاب ميمون بن خالد. كان من جملة العجاردة إلا أنه تفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشره من العبد، كما أنهم كما ذكر الكراييسي: أنهم يميزون نكاح بنات البنات، وبنات أولاد الإخوة والأخوات. وقالوا: إنما حرم نكاح البنات، وبنات الإخوة والأخوات، ولم يحرم نكاح أولاد هؤلاء<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (مرجع سابق)، ج4، ص354.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ج4، ص358.

<sup>3</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1997م) ج3، ص256. الأسفراييني، لفرق بين الفرق، ص66. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص122. الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، ص86.

<sup>4</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، ص102. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص125. الأسفراييني، لفرق بين الفرق، ص70. مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (مرجع سابق)، ج4، ص370.

<sup>5</sup> الأسفراييني، لفرق بين الفرق، ص70. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص137. الأشعري. مقالات الإسلاميين، ج1، ص94.

<sup>6</sup> الأسفراييني، لفرق بين الفرق، ص18. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص129. الأشعري. مقالات الإسلاميين، ج1، ص88.

<sup>7</sup> الأسفراييني، لفرق بين الفرق، ص264. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص137. الأشعري. مقالات الإسلاميين، ج1، ص88.

<sup>8</sup> مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (مرجع سابق)، ج4، ص361.

سابعاً: الإباضية: زعيمهم الأول والحقيقي الذي يقدمونه على كل أحد هو جابر بن زيد الأزدي - كما تذكر مصادرهم - ونُسبوا إلى عبد الله بن إباض لشهرة مواقفه مع الحكام المخالفين لهم، وقد اشتهروا بهذا الاسم عند جميع من كتب عن الفرق<sup>1</sup>، لم يخالف في هذا إلا من شذَّ.

هذه الفرقة وشقيقتها الصفوية لهم تواجد في العصر الحديث في المغرب العربي ودولة الإباضية في عُمان؛ حيث كان دخول المذهب الإباضي إلى عمان مبكراً واستقر هناك وتكوّن له أتباع وأخذوا في الازدياد مع مرور الزمن إلى أن أصبح كما يقول لوريمر: (يتمتع بنفوذ واسع أو على الأقل له من النفوذ مثل ما لغيره)، وقال: (وسرعان ما تبني أهل عمان مبادئ المذهب الإباضي ويقال: إنه بمطلع القرن (13م) لم تصبح هذه المبادئ مسيطرة فقط ولكنها أصبحت لها صفة عامة تقريباً)<sup>2</sup>.

وعلى كل فقد اشتد ساعد المذهب الإباضي في عمان ومن هنا اتجهوا إلى التفكير في إقامة دولة باسمهم مستقلة بنفسها، وقد توارد على تلك الدولة عدد من الأمراء من عهد العباسيين إلى هذا اليوم.

ومن أهم الانحرافات الفكرية لدى الإباضية: أنهم يعتبرون المخالفون لهم كفار نعمة ولا يحكمون بخروجهم من الملة، على غير ما عليه الطائفة الأم، الذين يرون أن العبد يكفر ويذهب إيمانه بمجرد مواقفه للذنب، ويخلد في النار. كما أنهم تبادوا في التنقص من عثمان رضي الله عنه، وتبرءوا منه ومن خلافته، بل وحكموا عليه بالارتداد والعياذ بالله وحاشاه من ذلك. وفي كتاب (كشف الغمة<sup>3</sup>) وكتاب (الأديان<sup>4</sup>)، وكتاب (الدليل لأهل العقول<sup>5</sup>) تجد فيهما من السباب والشتم لعثمان ما لا يوصف، ومدح لمن قتلوه؛ حيث سموهم أهل الاستقامة، وهم في الحقيقة بغاة مارقون لا استقامة لهم. كما أن بعض الإباضية يعتقد بخلق القرآن، بل حكم بعض علمائهم كابن جميع والورجلاني أن من لم يقل بخلق القرآن فليس منهم<sup>6</sup>.

وهذا القول من أبطل الباطل، ولم يبق على القول بخلقه إلا قلة شاذة بالنسبة لعامة المسلمين، وموقف الصحابة والسلف واضح فيه، وهو القول بأن القرآن كلام الله تعالى، منه بدأ وإليه يعود. والكلام

<sup>1</sup> الأسفراييني، لفرق بين الفرق، ص 82. الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 134. الأشعري. مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 95.

<sup>2</sup> ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، نقلاً عن موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنوية dorar.net)، ج 5، ص 76.

<sup>3</sup> الأزكوي، سرحان سعيد كتاب، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مؤلفه من علماء الإباضية، عام 1728 م.

<sup>4</sup> معمر، علي يحيى، كتاب الأديان، يعتبر من ألمع كتاب الإباضية في العصر الحديث، توفي عام 1980م.

<sup>5</sup> مؤلفه هو الورجلاني، يوسف إبراهيم، من كبار علماء المذهب الإباضي، توفي عام 570هـ.

<sup>6</sup> عواجي، غالب، فرق معاصرة تنسب للإسلام، (جدة، المكتبة العصرية، ط 4، 2001م)، ج 1، ص 270.

في تحقيق ذلك يطول وليس هنا محله. كما أنهم اختلفوا في إثبات عذاب القبر، فمنهم من أنكره موافقين سائر فرق الخوارج، وقسم أثبته.

ولا يزال للإباضية وجود في وقتنا الحاضر في كل من عُمان بنسبة مرتفعة، وليبيا، وتونس، والجزائر، وفي واحات الصحراء الغربية، وفي زنجبار التي ضُمت إلى تانجانيقا تحت اسم تنزانيا<sup>1</sup>.

**ثامنا: جماعة التكفير والهجرة.** هذا الجماعة نشأت في سجون مصر في منتصف الستينيات من القرن الماضي، عندما جوبهت هذه بقوة من قبل السلطات المصرية، وبعد مواجهات شديدة بين أعضاء الجماعة والسلطات المصرية، تم القبض على المئات من أفراد الجماعة عام (1965م)، والتي أعدم على إثرها سيد قطب رحمه الله وإخوانه بأمر من جمال عبد الناصر حاكم مصر، وقد أدت تلك الاعتقالات إلى تبلور فكرتها داخل السجون آنذاك. وبعد إطلاق سراح أفرادها، تبلورت أفكارها، وكثر أتباعها في صعيد مصر، وبين طلبة الجامعات خاصة، وكان الأثر الأهم في نشؤها ما حل بالمتدينين داخل السجون من ألوان العذاب ما تقشعر له الأبدان، وسقط الكثير منهم أمامهم شهداء بسبب التعذيب، وأطلقت على نفسها جماعة المسلمين، أما إعلاميا فيطلق عليهم جماعة التكفير والهجرة<sup>2</sup>.

وقد غلت هذه الجماعة في طريقتها، ونهجت نهج الخوارج في التكفير لما رأوا من مواقف السلطة القمعية، وكان بداية حينما أعلنوا كفر رئيس الدولة ونظامه، بل اعتبروا الذين أيدوا السلطة من إخوانهم قد ارتدوا عن الإسلام ومن لم يكفرهم فهو كافر، والمجتمع بأفراده كفار؛ لمواتهم للحكام، فلا ينفعهم صوم ولا صلاة، وكانت هذه بوابة الانطلاق لمنهج التكفير، الذي سرى على الكثير من الجماعات المعاصرة، والتي رأى البعض منها مرتعا خصبا في بعض المناطق الإسلامية المتضررة من الغزوا العسكري المسلح من الشيوعيين، والصليبيين. وقد نشأ هذا التيار بدأ في مصر، ثم انتقل إلى أفغانستان، ومن ثم تشعب في كثير من بقاع الأرض، وكان كثيرا ما يتشعب في كل قطر ينادى فيه للجهاد، مروراً بالبوسنة والشيشان، وخاتمة المطاف اليوم باليمن والعراق وسوريا وليبيا، والله أعلم أين سيكون غدا؛ لأن الصراع لن يتوقف حتى تتوقف هذه الدنيا<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة في الأديان، (السعودية، دار الندوة العالمية، للطباعة والنشر، ط4، 1420هـ) ج1، ص62.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

<sup>3</sup> مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (مرجع سابق)، ج5، ص101.

ومن أهم الانحرافات الفكرية لدى جماعة التكفير والهجرة، تكفير كل من يرتكب كبيرة ويصر عليها ولم يتب منها. وتكفير الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله مطلقاً دون تفصيل، ويكفرون الشعوب لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضاً بإطلاق ودون تفصيل.

كذلك نراهم لا يتورعون من تكفير العلماء لأنهم لم يكفروا الحكام ولا من رضي بحكمهم. من أخذ بأقوال الأئمة أو بالإجماع؛ ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس، أو بالمصالح المرسله، أو بالاستحسان، ونحو ذلك فهو في نظرهم مشرك كافر. كما أنهم يرون أن العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر، وجاهلية، لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله تعالى فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في الدين<sup>1</sup>.

كما أنهم يوجبون الهجرة؛ وهي من أهم أفكارهم، إذ أن المجتمعات الحالية مجتمعات جاهلية بنظرهم. والعزلة المعنية عندهم عزلة مكانية وعزلة شعورية، بحيث تعيش الجماعة في بيئة تتحقق فيها الحياة الإسلامية الحقيقية برأيهم كما عاش الرسول ﷺ وصحابته الكرام في الفترة المكية، كما يجب على المسلمين أن يمارسوا المفاصلة الشعورية لتقوية ولائهم للإسلام، وفي الوقت ذاته عليهم أن يكفوا عن الجهاد حتى تكتسب القوة الكافية. كما أنهم لا يرون صلاة الجمعة والجماعة إلا بالمسجد الحرام والمسجد النبوي وقباء والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها أيضاً إلا إذا كان الإمام منهم لأن المساجد كلها ضار وأئمتها كفار برأيهم<sup>2</sup>. ولا شك في مخالفة أفكار ومنهج هذه الجماعة لمنهج أهل السنة والجماعة في مصادر التلقي والاستدلال وقضايا الكفر والإيمان وغير ذلك مما سبق بيانه.

يوجد خلاف بين الخوارج والمعتزلة في قضية مرتكب الكبيرة، فمرتكب المعاصي، عند الخوارج قد خرج من الإسلام فهو كافر. أما مرتكب المعاصي عند المعتزلة في منزلة بين الكفر والإيمان، وهو ما يسمى عندهم منزلة بين المنزلتين<sup>3</sup>. كما مرتكب الكبيرة عند الخوارج مخلد مع الكفار، وعند المعتزلة لا يعذب عذابهم، إنما هو في نار مغايرة.

<sup>1</sup> المرجع السابق.

<sup>2</sup> ينظر: الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة في الأديان، (السعودية، دار الندوة العالمية، للطباعة، ط4، 1420هـ) ج1، ص333. بتصرف.  
<sup>3</sup> هو قول واصل بن عطاء لعمر بن عبد، حين قال له: أو ليس تجد الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ويختلفون فيما عداه من الأسماء. فالخوارج تسميه كافراً وفاسقاً، والمرجئة تسميه مؤمناً فاسقاً، وأهل السنة تسميه مؤمناً فاسقاً، والشيعة تسميه فاسقاً كافراً نعمة. فاجمعوا على تسمية مرتكب الكبيرة بالفاسق، فتأخذ بالمتفق عليه ولا نسميه بالمختلف عليه، بنظر: الذهبي، أعلام النبلاء، ج5، ص454.

### ثالثاً: الشيعة، التعريف والمعتقد:

من تجول في التاريخ والتراث؛ يجد لليمن حضور ملموس وقوي، فلقد تعاقب على اليمن حالات من التوحيد تارة، والشرك أخرى على مر العصور، كما ظهر على أرضها عبادة الأوثان والكواكب؛ التي كان قوم سبأ يدينون بها، وعاصر أناسها فترات من النصرانية؛ التي استطاعت أن تكون حاضرة مع تواجد السلطة الرومانية في فترة من الزمن والتي كان لها دور في تسهيل الدخول للأحباش؛ وقد حكى لنا القرآن خير أصحاب الكهف التي كانت بدايتها من كنيسة القليس التي بناها إبرهة في صنعاء. كما شهدت فترات من اليهودية؛ التي كان ملوك حمير قد جعلوها ديناً رسمياً لمملكتهم؛ وما قصة أصحاب الأخدود بغائبة عنا، حين أجبر الملك (ذي نواس) نصارى نجران على ترك دينهم والدخول في اليهودية، وعندما امتنعوا خدّ لهم الأخاديد وأحرقهم فيها بالنار، وكان منهم الغلام الذي تكلم في المهدي، وقصتهم تتلى في القرآن في سورة البروج إلى يوم القيامة. كما كان للفرس حضوراً في اليمن بعد أن قضى (سيف بن ديزن) على مملكة الأحباش هناك بمساعدة من كسرى الفرس، والذي استمر سلطنتهم يتعاقب بين ولاية كسرى على اليمن حتى دخل (بازان) والي كسرى على اليمن في الإسلام عام (628م)، وأصبح أول أمير على اليمن في عهد الإسلام.

وهكذا تداولت على اليمن ديانات على مر العصور قد خالطها الانحراف حالهم كحال أهل الكتاب والوثنيين في بقية بقاع الأرض، إلا أن الجميع كان يجمعهم تعظيم الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام، وعندما دخل الإسلام لليمن، كذلك لم يكن اليمن بغائب عن المشاهد والأحداث التي مر بها الواقع الإسلامي، فلقد بدأت التدخلات اليمنية في العصر الإسلامي؛ من حادثة الأسود العنسي؛ الذي ادعى النبوة على عهد النبي محمد ﷺ، وقد أخذت فتنته في زمن النبي ﷺ. وفي خلافة الصديق كذلك اجتاحت موجة الردة أرض اليمن؛ والتي حصلت بسبب امتناع البعض عن الزكاة، والبعض عاد إلى الشرك، ولكن سرعان ما انطفأت نار تلك الفتنة وعاد الناس للدين<sup>1</sup>.

كان للفتنة التي وقعت على الأمة الإسلامية بمقتل عثمان، ومن ثم ظهور التشيع في زمن علي رضي الله عنهما حضور فاعل حيث شارك عبدالله بن سبأ -وهو من يهود اليمن- والذي اندس في وسط المجتمع المسلم بتأييد ودعم من اليهود؛ كعادتهم في اختلاق الفتن في الوسط الإسلامي في كلا الواقعتين،

<sup>1</sup> مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (صنعاء-اليمن، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، 2008)، ص16، بتصرف.

حيث كان يجول في الأمصار يؤلب على عثمان رضي الله عن عثمان ومعلوم من السبئية وحالهم الشنيع في تأليه علي رضي الله عنه؟ وبالإضافة للعنسي وابن سبأ، فقد كان هناك عبدالله الراسبي: أحد رؤوس الخوارج؛ الذين قاتلوا علي، وكان هذا الراسبي من أهل اليمن من الأزد، كما كان قاتل علي رضي الله عنه عبدالرحمن بن ملجم من أهل اليمن أيضا. وقد كان للخوارج صولة قوية في اليمن - خاصة في جنوبها- زمن خلافة بني أمية؛ حيث خرج عبدالله بن يحيى الكندي؛ الذي بدأ يتوافد عليه الخوارج من كل مكان إلى حضرموت؛ زمن مروان بن محمد، واستطاع ان يبسط نفوذه من حضرموت إلى صنعاء، كما استطاع أن يوسع نفوذه إلى الحجاز والاستيلاء على مكة والمدينة، عام (130هـ)، غير أن مروان استطاع أن يستأصل شأفتهم في حينها، ولم يدم أمرهم كثيراً حيث قتل رؤوسهم ونكل بهم في العام نفسه<sup>1</sup>.

ثم ظهرت الباطنية بعد ذلك - وهكذا حال اليمن سلسلة من الصراعات على مر الدهور - حيث وجدت لهم مواضع قدم في اليمن لكثرة الفتن والبلابل، وكانت النبتة الأولى لهم في اليمن في الساحل الجنوبي منه؛ ما بين عدن وأبين، حيث دعا الى المذهب الإسماعيلي آنذاك كل من علي بن الفضل، والحسين بن حوشب، وكان ذلك عام (268هـ)، ثم بعد أن استطاعا أن يكونا لهما حاضنة في تلك الأراضي، بدءا بالخروج المسلح في عام (290هـ)، ولم يأخذ التوسع وبسط النفوذ وقتا طويلا؛ حيث استطاع علي ابن الفضل من الاستيلاء على صنعاء عام (293هـ)، كما اجتاحت تمامة وكل المناطق الواصلة بن عدن وتمامة، كما استطاع ابن حوشب أن يسيطر على الجبال التي تعرف في يومنا: (ريمة وحجة والمحويت)، وجميع المناطق الشمالية تقريبا، وهكذا سيطر المذهب الإسماعيلي الباطني على اليمن وألزم الناس به. ثم بعد ذلك استطاع بعض القبائل من تكوين حلف للقضاء على ابن الفضل وبمساعدة من الدولة العباسية استطاعوا أن ينهوا الحكم الباطني في اليمن، فكانت بداية نهايتهم عام (303هـ)، بمقتل ابن الفضل وموت ابن حوشب عام (308هـ)، عندها انقلب الناس على مذهبهما، وانتهت هيمنة ذلك المذهب لفترة قرنين، ثم انتعش مرة أخرى في مطلع القرن الخامس، مع الدولة الصليحية؛ بسبب الانقسامات والحروب التي كانت تعاني منها اليمن في وقتها، إلى أن انتهى ملكهم على يد الدولة الأيوبية؛

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (صنعاء-اليمن، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، 2008) بتصرف. ص18.

على يد ابن المالك الصالح نجم الدين الايوبي. كان هذا عرض موجز للمعتقدات التي حلت باليمن والتي كان لهم بها دولة وحكم<sup>1</sup>.

قال الإمام أبو المظفر الإسفراييني: " أعلم أن الروافض يجمعهم ثلاث فرق الزيدية والإمامية والكيسانية. فأما الزيدية منهم فثلاث فرق: الجارودية والسليمانية والأبترية. فأما الجارودية فهم أتباع أبي الجارود وكان مذهبه أن النبي ﷺ نص على إمامه علي بالصفة لا بالإسم وكان من مذهبه أن الصحابة كفروا كلهم بتركهم بيعة علي ومخالفتهم النص الوارد عليه وكان يقول إن الإمام بعده الحسن بن علي ثم بعده الحسين بن علي ويكون بعدهما الإمامة شورى في أولادهما، فمن خرج من أولادهما شاهرا سيفه داعيا إلى دينه وكان عالما ورعا فهو الإمام. وأما السليمانية فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي وكان يقول إن الإمامة شورى ومتى ما عقدها اثنان من أختيار الأئمة لمن يصلح لها فهو إمام في الحقيقة وكان يقر بامامة أبي بكر وعمر ويجوز إمامة المفضول وكان يقول إن الصحابة تركوا الأصلح بتركهم بيعة علي فإنه كان أولى بها وكان إعراضهم عنه خطأ لا يوجب كفرا ولا فسقا، وهؤلاء كانوا يكفرون عثمان بسبب ما أخذ عليه من الأحداث، فأما الأبترية منهم فهم أتباع الحسن بن صالح بن حي وكثير النوء الملقب بالأبتر وقول هؤلاء كقول السليمانية غير أنهم يتوقفون في عثمان ولا يقولون فيه خيرا ولا شرا وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في المسند الصحيح لما أنه لم يعرف منه هذه الخصال فأجراه على ظاهر الحال"<sup>2</sup>.

وهذه المجموعات من الزيدية والإمامية والكسائية، يجمعهم اسم الشيعة، وهم كذلك على مقالات مختلفة قد يكفر فيها بعضهم بعضا قال الإسفراييني: "وأعلم أن السليمانية والأبترية يكفرون الجارودية منهم لتكفيرهم أبا بكر وعمر ومن تابعهما من الصحابة"<sup>3</sup>.

والزيدية هي تعنينا في هذا المبحث فكان تواجدها في وقت مبكر في اليمن، وذلك بمقدم الهادي بن يحيى بن الحسين بن القاسم، في نهاية القرن الثالث من الهجرة النبوية، واستطاع أن ينشئ له دولة زيدية في صعدة، مع ملازمته للاعتزال في طريقته، وقد استمر المذهب الزيدي حاكما في صعدة، والمناطق المجاورة

<sup>1</sup> الشجاع، عبد الرحمن، اليمن في صدر الإسلام، (دمشق، دار الفكر، طذ، 1987)، ص162-173، بتصرف.

<sup>2</sup> الأسفراييني، أبو المظفر طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ت: كمال الحوت، (لبنان، عالم الكتب، ط1، 1983)، ص27.

<sup>3</sup> المرجع السابق. ص29.

لها قرابة إحدى عشر قرناً، شهدت توسعاً وانكماشاً، وصراعات خارجية؛ بسبب تمردهم على دول الخلافة، وأخرى داخلية بين الأئمة انفسهم، حتى كانت الثورة اليمنية التي خرجت على حكم آل حميد الدين آخر ولاية الحكم الزيدي في اليمن عام (1962م)، والذي انتهى بنهايتهم الحكم الزيدي<sup>1</sup>.

## ثانياً: النشأة:

الزيدية: هي أحد الفرق المصنفة على الشيعة، وتعود نسبتها إلى زيد بن علي بن زين العابدين؛ والذي يعتبر هو المؤسس الأول للزيدية، وهو من صاغ لهم نظرية شيعية في الحكم، والسياسة، وقد قاتل من أجل ذلك حتى قتل في سبيلها، غير أنه لم يكن يوافق الشيعة في إمامة الشيخين، فقد كان يعتقد بصحة إمامة وخلافة خلفاء رسول الله ﷺ أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عن الجميع، ولم يكن في مذهبهم القول بتكفير أحد من الصحابة، بل من مذهبهم؛ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

تعود نشأة الزيدية: ذلك أنه بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عن ظهره الكثير من الفرق التي تزعم التشيع، وعندها تكاثرت دعاوى التشيع وتصاعد الغلو في آل البيت.

وفي زمن زين العابدين، علي بن الحسين، طمع الشيعة في استمالاته إليهم، لكن زين العابدين كان على تواصل مع حكام بني أمية وتربطه بهم مودة وولاء، ورأى أن يكون في تجنب تام لمن ينازعهم، بل كان الخليفة يزيد بن معاوية يباليغ في إكرامه، ويجالسهم، ولا يأكل إلا معه، وكان له عدة أولاد؛ منهم: زيد بن علي، ومحمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر. وقد قاد زيد في العراق ثورة ضد الأمويين في زمن هشام بن عبد الملك، وكان أهل الكوفة هم وراء دفعه لهذه الثورة، وعندما علموا أنه لا يتبرأ من أبي بكر وعمر تخلوا عنه، وخذلوه، بل كان يترضى عنهما، ويقر بخلافتهما، عند اضطر ملاقاتة الأمويين ولم يكن معه عندها سوى قلة قليلة من المقاتلين، وأصيب في تلك بسهم في جبهته قتل على إثره مباشرة.

وكان من أمر زيد بادئ ذي بدء: أنه كان ينتقل في بلاد الشام والعراق؛ لطل العلم، ثم السعي في إثبات أحقية أهل البيت للإمامة، وكان رحمه الله من أهل التقى والورع والعلم والفضل، وكان يتميز

1 زيد، علي محمد، معتزلة اليمن، (بيروت، دار العودة، ط1، 1981)، ص42.

الشجاعة والوسامة، مع الهيبة والإمام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد تلقى العلم والحديث من محمد الباقر؛ أخيه الأكبر، والذي يعتبره الشيعة الإمامية أحد أئمتهم<sup>1</sup>.

وقد حدث خلاف بين الشيعة في أمر زيد ومحمد أبناء علي من منهما أحق بالإمامة؟ فذهب البعض إلى أحقية زيد بها وهم من عرف بعد ذلك بالزيدية، وهم من يرتب الإمامة ابتداءً بعلي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، رضي الله عنهم، ثم تكون فيمن بعدهم من نسلهما شوري، فمن خرج شاهرا السيف منهم كان أحق بالإمامة، وتذهب لهذا القول منهم الطائفة الجارودية. والبعض يرى أن علي نص على ابنه الحسن ثم الحسين ثم كانت في ابنه علي بن الحسين زين العابدين، ثم ابنه زيد وهو صاحب هذا المذهب، ثم ابنه يحيى بن زيد، ثم ابنه عيسى بن زيد - كما ترى الحصنية منهم فيما يذكره القمي<sup>2</sup>.

وبعد زيد وابنه عيسى استقر الأمر باشتراط خروج الإمام من نسل الحسن أو الحسين لفرض الإمامة. وذهبت طائفة إلى القول بإمامة أبي جعفر الباقر، وهو محمد بن علي بن الحسين؛ وهم الإمامية. والإمامة عندهم محصور في أولاد فاطمة؛ سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين، من غير تحديد بأحد منهم، ويشترطون أن يكون فيه خصال الولاية من الشجاعة والسخاء والزهد، ومن خرج ينادي بالإمامة عندهم واجب الطاعة، بخلاف من حصر الإمامة في نسل الحسين؛ وهم الاثني عشرية<sup>3</sup>.

1 الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (السعودية، الندوة العالمية، ط4، 1420هـ)، ص52. (بتصرف)

2 انظر: الأسفراييني، الفرق بين الفرق: (بيروت، دار الآفاق للنشر، ط2، 1977م)، (ص22)

3 غالب عواج، فرق معاصرة، ج1، ص334.

### ثالثاً: أهم الاعتقادات لدى الإمامية:

تفرع عن الشيعة الإمامية عدد من الفرق كل فرقة من تلك الفرق لها عقائدها التي تخصها، وقد تلتقي فرقة مع أخرى في مقالة ما، غير أن تفرع تلك الفرق لا بد وأن يكون في خلاف جوهرية، وإلا لما تفرعت وأصبحت فرقا وأحزابا، والتي تعنينا من فرق الشيعة في الفرقة الزيدية. كما أن الذ يعنينا من تلك المقالات هو ما كان متعلق بدراستنا، وهو ما يخص قضية الإيمان، وقضية مرتكب الكبيرة، وقضية الخروج على الحاكم؛ لأن هذه المقالات الثلاث هي التي أثارت الظهور الحاصل للفرق التي هي موضوع الدراسة، وهي التي تشكل القضايا الأساس في بقية المقالات والمعتقدات لدى تلك الفرق، أما ما يتعلق بالخروج على الحاكم فسوف نأتي على بيانه عن ذكر الخروج على الحاكم من الفصل الثالث من الدراسة. وأما ما يتعلق بالاعتقادات عند الإمامية، فسندكر ما يتعلق بالشيعة الأم، وما يتعلق بالزيدية.

كما أن الزيدية في ذاتها قد تفرقت على عدة فرق، طعن البعض منها في إمامة الشيخين، ومال البعض بالقول بإمامة المفضول وهم: الجارودية: وهم أصحاب وأتباع زياد بن أبي زياد المعروف بأبي الجارود. والصالحية: وهم أتباع الحسن بن صالح بن حي. والبترية: وهم أتباع كثير النوى الأبتري. أما البترية والصالحية؛ فقد اتفقتا في وتمائلا في الآراء. ولا يتسع المقام للكلام عليهم، وللتوسع يمكن الرجوع إلى كتب الفرق والأديان، ونكتفي في دراستنا بالزيدية الأم<sup>1</sup>.

وصف أبو زهرة الزيدية بأنهم: "أقرب فرقة من فرق الشيعة إلى جماعة المسلمين من أهل السنة، ويرى أنها من أكثر فرق الشيعة اعتدالا، وعموم التشيع الحاصل منهم تجاه لم يصل للغلو؛ بل ويعتبرون الخلفاء الثلاثة؛ أفضل الناس بعد النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام، كما يرى أنهم معتدلون في مواقفهم حيال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فلا يرون كفرهم؛ وبالخصوص من اعترف بإمامتهم على وبايعهم"<sup>2</sup>. ولا شك أن هذا الحكم غير صحيح على جميع الزيدية؛ لأن الكثير منهم قد انحدر عن مبادئ وآراء زيد، وغلب عليه منهج الرافضة، وهو المعلوم عنهم سواء كانوا من المتقدمين أو المتأخرين، وما رأيناه واقعا في اليمن من تحيزهم للرافضة خير شاهد. كما قسم أبو زهرة الزيدية إلى قسمين:

<sup>1</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص70.

<sup>2</sup> أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996م). ج1، ص47.

القسم الأول: المتقدمون المتبعون لزيد، وهؤلاء لا يمكن إضافتهم إلى الرافضة، ويقرون بإمامة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق، ويترضون عليهما، إلا أن نزعة التشيع أثار عليهم بسبب المد الرافضي الإيراني الذي مد يديه لهم في اليمن.

الثاني: من المتأخرين: ويعدون من الرافضة، لرفضهم إمامة الشيخين ويكفروهما ويسبونهما، بل ويرون كفر من أقر بخلافتهما. وهذا ما نقوله للزيدية من وجوب إعادة النظر في منهجهم لكي يكمن وصفهم بالقرب من أهل السنة، وإلا فإن ظلوا كذلك فيستحقوا وصفهم بالرافضة. والصواب: أنهم من حيث الرافضة هم أقرب إلى السنة، وأما من حيث السنة فإنهم بعيدون عنها.

### أهم المعتقدات لديهم مايلي:

أجمعت الروافض والزيدية على تفضيل علي على سائر أصحاب رسول الله ﷺ وعلى أنه ليس بعد النبي ﷺ أفضل منه<sup>1</sup>.

أولاً: النص على الإمامة: عموم مذهب الشيعة هو الإمامة، وهي عندهم من أركان الإسلام، وبل بالنظر إلى ما ذكره الكليني نرى أن الإمامة عندهم أفضل من أركان الإسلام بالكلية، ولذا سماها الإمامية، يقول الكليني فيما يرويه عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: " بني لإسلام على خمسة أشياء على: الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن، والولي، هو الدليل عليهن، قلت ثم الذي ذلك من الفضل؟ قال: الصلاة... الخ"<sup>2</sup>.

يقول محمد مغنية: " إن الإمام يتعين بالنص من النبي، ولا يجوز لنبي إغفال النص على خليفته وتفويض الأمر إلى اختيار الأمة، وأن يكون الإمام معصوماً عن الكبائر والصغائر، وأن النبي قد نص بالخلافة على علي بن أبي طالب دون سواه، وأنه أفضل الخلق على الإطلاق"<sup>3</sup>. وعلى هذا القول من مغنية وما استشهدنا به من قول الكليني، فإن من أصول الإيمان عند الإمامية، هو القول بوجود النص في الإمامة، ومن هنا يأتي انتقاصهم في الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم بنظرهم قد تواطؤوا على كتمان نص الولاية لعلي بعد النبي ﷺ، حين بايعوا أبا بكر.

<sup>1</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص76.

<sup>2</sup> الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت: علي أكبر، (طهران، دار الكتب الإسلامية، ط4، 1365ش)، ج2، ص18.

<sup>3</sup> مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، (بيروت، منشورات الرضا، ط1، 2012)، ص19.

وتزعم الجارودية، أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية فكان هو الإمام من بعده وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعده، قال الإمام الأصبهاني: " ومنهم - من الناس - من يقول: " أحقهم وأفضلهم بالإمامة بعد الرسول ﷺ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم: الإمامية"<sup>1</sup>. ثم الحسن والحسين بعد علي، فرقة منهم تقول، أن النبي ﷺ هو التذي نص عليهما<sup>2</sup>.

والثانية تقول إن علي هو من نص على الحسن والحسن نص على الحسين، ومن هذا المعتقد فإنهم ينفون الخلافة عن الشيخين. كما زعمت فرقة منهم أن محمد بن عبد الله بن الحسن لم يمت وأنه يخرج ويغلب. وفرقة أخرى زعمت أن محمد بن القاسم صاحب الطالقان حي لم يمت وأنه يخرج ويغلب. وفرقة قالت مثل ذلك في يحيى بن عمر صاحب الكوفة<sup>3</sup>.

والسليمانية منهم تقول: والفرقة الثانية من الزيدية السليمانية أصحاب سليمان بن جرير الزيدي يزعمون أن الإمامة شورى وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين وأنها قد تصلح في المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر<sup>4</sup>.

واختلفت الروافض في الأئمة هل يجوز أن يكونوا أفضل من الأنبياء أم لا يجوز ذلك. وهم ثلاث فرق: فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن الأئمة لا يكونون أفضل من الأنبياء بل الأنبياء أفضل منهم غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة. والثانية: منهم يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة وأنه لا يكون أحد أفضل من الأئمة وهذا قول طوائف منهم. والثالثة: منهم وهم القائلون بالاعتزال والإمامة يزعمون أن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة ولا يجوز أن يكون الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة<sup>5</sup>.

والحق في ذلك هو ما عليه جمهوى المسلمين، يقول الإمام الأصبهاني: " واعلم أن الناس قد تشنت آراؤهم، واختلفت أهواؤهم، وانشعبوا شعباً فصاروا فرقا مختلفين، وأحزاباً متباينين، قد عظمت محنتهم في

<sup>1</sup> الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، الإمامة والرد على الرافضة، ت: الفقيهي، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1994)، ص6.

<sup>2</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص71.

<sup>3</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص71.

<sup>4</sup> المرجع السابق. ج1، ص6.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ج1، ص55.

الإمامة في ابن أبي قُحافة، وثبتت محبتهم لهم، فمن قائل قال: أفضل النَّاس بعد الرَّسول ﷺ، وأولاهم بالإمامة بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنهم من يقول: أبو بكر ثمَّ عمر، ثمَّ علي رضي الله عنهم، ومنهم من يقول: أبو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان، ووقف، ومنهم من يقول: أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي، رضي الله عنهم أجمعين، وذلك قول أهل الجماعة والأثر؛ من رواة الحديث، وجمهور الأمة<sup>1</sup>.

ثانياً: يوافقون المعتزلة في مسألتَي التوحيد والعدل، ويخالفونهم في الثلاثة الأصول الباقية - المنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ويقولون في مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما تقول الأشاعرة، وينفردون عن المعتزلة والأشاعرة معا في مسألة الوعد والوعيد، حيث ذهبوا إلى أن الله سبحانه بفي بالوعد، ولا يجب عليه الوفاء، فله أن يعفو عن المذنب، ولا يحق له بحكم العقل ان يخلف وعده مع المحسن<sup>2</sup>.

ثالثاً: قولهم في الإيمان: قال الإمام الأشعري: واختلفت الروافض في الإيمان ما هو وفي الأسماء على ثلاث فرق: فالفرقة الأولى منهم: وهم جمهور الرافضة يزعمون أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسوله وبالإمام وبجميع ما جاء من عندهم فأما المعرفة بذلك فضرورة عندهم فإذا أقر وعرف فهو مؤمن مسلم وإذا أقر ولم يعرف فهو مسلم وليس بمؤمن. والفرقة الثانية منهم: وهم قوم من متأخريهم من أهل زماننا هذا يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات وأن الكفر جميع المعاصي ويثبتون الوعيد يزعمون أن المتأولين الذين خالفوا الحق بتأويلهم كفار وهذا قول ابن جبرويه. والفرقة الثالثة منهم: أصحاب علي بن ميثم يزعمون أن الإيمان اسم للمعرفة والإقرار ولسائر الطاعات فمن جاء بذلك كله كان مستكمل الإيمان ومن ترك شيئاً مما افترض الله عليه غير جاهد له فليس بمؤمن ولكن يسمى فاسقاً وهو من أهل الملة تحل مناكحته وموارثته ولا يكفرون المتأولين<sup>3</sup>.

أما الزيدية من فرق الشيعة فهي كما قال الإمام أبو الحسن الأشعري: "اختلفت الزيدية في الإيمان والكفر. على فرقتان: فالفرقة الأولى منهم: يزعمون أن الإيمان المعرفة والإقرار واجتناب ما جاء فيه الوعيد

<sup>1</sup> الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، الإمامة والرد على الرافضة، ت: علي الفقيهي، (مرجع سابق)،

<sup>2</sup> معنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، (بيروت، منشورات الرضا، ط1، 2012)، ص23.

<sup>3</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج1، ص60.

وجعلوا موقعة ما فيه الوعيد كفرةً ليس بشرك ولا جحود بل هو كفر نعمة وكذلك قولهم في المتأولين إذا قالوا قولاً هو عصيان وفسق. والفرقة الثانية منهم: يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات وليس ارتكاب كل ما جاء فيه الوعيد كفرةً وهذا قول قوم من متأخريهم فأما جمهورهم وأوائلهم فقولهم القول الأول<sup>1</sup>.

**رابعاً:** قولهم في مرتكب الكبيرة، قال الإمام الأشعري: "اختلفت الروافض في الوعيد، وهم فرقتان: فالفرقة الأولى منهم: يثبتون الوعيد على مخالفيهم ويقولون أنهم يعذبون ولا يقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم ويزعمون أن الله - سبحانه - يدخلهم الجنة وإن أدخلهم النار أخرجهم منها ورووا في ذلك عن أئمتهم أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي سألوا الله فيهم فصفح عنهم وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفّعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم. والفرقة الثانية منهم: يذهبون إلى إثبات الوعيد وأن الله - عز وجل - يعذب كل مرتكب الكبائر من أهل مقالاتهم كان أو من غير أهل مقالاتهم ويخلدهم في النار"<sup>2</sup>.

قال الإمام الأشعري: "وأجمعت الزيدية أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون في النار خالدون فيها مخلدون أبداً لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها. وأجمعوا جميعاً على تصويب علي بن أبي طالب في حربه وعلى تحطئة من خالفه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج 1، ص 75.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ج 1، ص 60.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ج 1، ص 75.

## المبحث الثاني: أثر التيارات المنحرفة على الربيع العربي:

سواء وافقنا على أن هناك بعض التيارات لعبت دورا في وقائع الربيع العربي أو لم نوافق، فإن الوقع لا شك أنه يشهد لذلك، وسواء أقررنا تسمية الربيع العربي؛ ربيعا، أو لم قررنا استبداله؛ خريفا، فليس في ذلك من فائدة سوى الانغماس في نقاش مفهومي عقيم؛ لأ، الوقع يؤكد أن ثمة انحرافات قد غيرت ذلك المفهوم، وقد ظهرت ظهورا محجفا على الساحة العربية، خاصة في اليمن وسوريا.

في بداية الظهور لثورات الربيع العربي مع عام (2010) وجدنا مسمى الربيع يحضر بقوة، وحق لها المسمى أن يظهر مع حقيقة الواقع آنذاك، وهذا المسمى قد حضر؛ للدلالة على تفتح براعم دينامية شعبية التحق بها شباب الجيل القادم، وليس العكس؛ أي كما هو الغالب على الثورات أن ينهض بها سياسيون معارضون.

وفي بدايتها -الثورات- لم نكن نرى حضورا ملموسا، أو واضحا للتيارات المنحرفة، ولم تأت أبدا تلك التيارات إلى الساحات بنفس المسميات التي ظهرت بها مؤخرا، في حال مشاركتها للشباب في ساحات الثورات والتي بدأت حين بدأت بجوار الجامعات، مما يؤكد كون أولئك الشباب هم من شباب الجامعات الطامح ف بناء جيل جديد لمستقبل مشرق لهم ولمن سيأتي بعدهم.

كما أن تلك التيارات المنحرفة لو ظهرت حينها بما عرفوا بها اليوم من المسميات، لم يكن سيحضون بالقبول من شباب الثورات، لأن الخروج للثورات لم يكن دافعه ابتداء سياسيا؛ إي قيام حزب أو مجموعة معارضة للنظام؛ سياسيا. وهذا الرفض حتما مبني على قاعدة عدم القبول باستبدال ديكتاتوريات عائلية مقنعة بديكتاتوريات بوليسية، أو بديكتاتوريات دينية، أو ديكتاتوريات إجرامية، أو حتي ديكتاتوريات علمانية مناهضة للديكتاتوريات المنتسبة للدين. وهذا هو المسبب للارتياح في جميع طبقات الشعوب الحاضرة في تلك الساحات. فقد رأينا حضورا قويا للكثير من المتدينين، بجوار الكثير من غير المتدينين من جميع أطياف الشعوب العربية التي قامت بها الثورات، بل قد رأينا أن تلك الساحات قد اتسمت بالوثام والسماحة، إذ هي بالعموم في حلف موضوعي تجاه الأنظمة الديكتاتورية، فلا حاجة وقتها للتفسيرات المبنية على الغاية من الحضور، فالمسألة واضحة التوجهات وقتها؛ وهي إسقاط النظام. ثم

لعل الجميع ممن حضر تلك التظاهرات ممن انتسب لحزب ما، أو فكر ما، لا شك أنه تحضره نية في أي حال، تحتم تغييرا في دينامية الدول الربيعية داخليا فيما إذا انتهت المرحلة الأولى - إسقاط النظام -.

ولا أظن أن شباب الثورات وقتها قد غاب عنهم أن في أي ثورة ثمة مراحل انتقالية تسيل فيها الدماء، تجتاحها الفوضى، تنقلب أدوار المتناحرين، تدخل فيها الطواير الخامسة، تتداخل فيها عوامل إقليمية ودولية. والأهم في كل ما سبق ألا تغتال نقاوة الثورة.

فما تعايشه دول الربيع العربي قد آتت نتيجة سوء استخدام السلطة، مما شكل قمعا لطموحات الناس، وتطويعا لفاعلية المؤسسات، وضربا لاستدامة السياسات. مما أسهب خلال بنوييا في التوازن الواجب بين القطاع العام، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني.

إن هذا الخلل البنويي في التوازن، منساقا من ثلاثية الإفقار والقمع والتطويع، يؤكد إدماج الدولة في مصاف الدول الفاشلة؛ حيث الأرض بثرواتها مستباحة، والشعب مستنزف مشلول، والجيش تائهة بين حماية القانون، أو حماية السلطة، وإن كان الملاحظ عليها هو حماية السلطة الأسرة، وكل ذلك أدى إلى تطرف ديني، كان يبدو نائما في وقت ما، غير أنه كانت ذات أبعاد داخلية في كل دولة. وإذا كان من المفيد الاعتراف بعوامل خارجية أسهمت في اندلاع الثورات الداخلية، فإن افتقاد المناعات الوطنية هو الذي سمح بدخول هذه العوامل علي الخط.

ومهما يكن من أمر هذا التداخل، فإنه يجب علينا تحديد المخاطر التي تستهدف الربيع العربي من ناحية، من خلال قراءة تجرّبي سوريا واليمن. والتي تمخضت عنهما (داعش، والحوثية). وذلك من خلال عرض لهذين التيارين، وبيان أثرهما على ظاهرة الربيع العربي.

## المطلب الأول: التيار الموافق للخوارج في العصر الحديث؛ (داعش)

تتوارد في العصر الحديث أعداد ليست بالقليلة من الجماعات التي تتبنى منهج الخوارج وتسير على خطاهم في منهج العنف، والقتال، ومن ساروا حذوهم في تكفير الولاة والأئمة، ومنذ نشأة الخوارج اتفق علماء الأمة على ضلالهم وقاتلهم على رضي الله عنه. ونرى أن علماء الأمة من أهل السنة في هذا العصر ممن اقتفى أثر سلفهم الصالح قد اتفقوا كذلك على ضلال من سلك الطريق نفسه للخوارج؛ من عنف وقتل وإكفار للمسلمين، على طريقة السابقين من الخوارج الأولين، كما نرى أن الأوليين كانوا يدعون تمسكهم بسنة النبي ﷺ في طريقتهم الخارجية، كذلك نرى أن خوارج العصر يدعون نفس الادعاء.

ويجمع الفريقان مبدأ الخروج على جماعة المسلمين فكراً وطريقة، ولا يكتفون لشرعية السمع والطاعة التي أمر بها الشارع الحكيم. قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في التعليق على حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه: (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْبُسْرِ وَالْعُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ أَوْ نَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ)<sup>1</sup>: "الذي يهمني هنا: أن فيه رداً صريحاً على الخوارج؛ الذين خرجوا على أمير المؤمنين؛ فإنهم يعلمون دون أي شك أو ريب أنهم لم يروا منه (كفراً بواحاً)، ومع ذلك استحلوا قتاله وسفكوا دمه هو ومن معه من الصحابة والتابعين، فاضطر رضي الله عنه لقتالهم واستئصال شأفتهم، فلم ينج منهم إلا القليل، ثم غدروا به رضي الله عنه وذلك معروف بالتاريخ، والمقصود أنهم سنوا في الإسلام سنة سيئة، وجعلوا الخروج على حكام المسلمين ديناً على مر الزمان، رغم تحذير النبي ﷺ منهم في أحاديث عدة، منها قوله: (الخوارج كلاب النار)<sup>2</sup>؛ ورغم أنهم لم يروا كفراً بواحاً منهم، وإنما ما دون ذلك من ظلم وفجور وفسق. واليوم؛ التاريخ يعيد نفسه، فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم، لم يتفقهوا في الدين إلا قليلاً، ورأوا أن الحكام لا يحكمون بما أنزل الله، فأروا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقهاء والحكمة منهم، بل أفتوا أنفسهم وأمتطوا صهوة هواهم، وأثاروا فتناً عمياء، وسفكوا الدماء"<sup>3</sup>.

1 أخرجه البخاري رقم: (7199) باب كيف يبائع الإمام الناس؟ ومسلم: (1709) باب وجوب طاعة الإمام في غير معصية

2 أخرجه ابن ماجة في السنن رقم: (173)، وصححه الألباني في المشكاة رقم: (3554).

3 الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: (الرياض، مكتبة المعارف للنشر، 1422هـ-2002م)، ج 7 ص 1237. بتصرف

الإسلام ينبذ الإيدلوجيات العنصرية، وطموحاتها المبنية على الغطرسة والعنف، التعالي المتعجرف على الآخرين، وعند النظر إلى تاريخ التنظيمات المعاصرة اليوم نجد أنها تعمل تحت عناوين الإصلاح والتحضر و التحرر، القائم على نفي وإلغاء الآخر، ليقيم على أ،قاضة ورفاته أمحاده ومدنيتها، كما هو الحال مع ممارسات إسرائيل مع شعب فلسطين، وحركات الاستعمار والحروب العالمية والمحلية، مهما كانت أسباب إشعالها طالما أنها عدوانية، وهي بجميع صورها لا تخرج عن وصف الإرهاب والعنف بدون وجه حق، وهي لا تختلف كذلك عما تقوم به جماعات انفعالية -احتجاجية - قصيرة النظر، لا هي أشد فتكا ودمارا، وكثيرا ما يكون نشوء تلك الجماعات الاحتجاجية الانفعالية؛ قلة العلم الشرعي، وضعف في الوعي الدعوي، والانحراف الفكري، وغالبا ما يكون انعكاسا للإرهاب الدولي الأكثر مكررا وخبثا وضررا، فالأخير مترتب عليه، وراجع له، وعله سببه، ولا يتوفر له الوجود والبقاء ولا استمرار بدونه؛ لأنه إفراز لا حق له، مشروط وجوده به، وإن خالفه في المظهر والاتجاه، إلا أنه في جوهره ونتائجه من جنس العمل<sup>1</sup>.

واليوم ها هي الكرة تتوالى، والتاريخ يعيد نفسه، وها نحن نرى أحد التنظيمات التي أطلت علينا بقطع الرؤوس وحرق الأحياء، بحجة الخلافة الإسلامية، ولعل أكثرها شهرة، وأشدّها رواجاً هو تنظيم الدولة الذي يعرف ب (داعش)، وهي تعتبر من أهم هذه الجماعات ظهورا على الساحة الإسلامية والعالمية اليوم. وقبل الكلام على (داعش)، رأيت أن نلقي نظرة عن الخواارج من حيث النشأة والمعتقد، لأن هذه الفرقة هي البذرة لنبتة الفكر التكفيري؛ والتي نثرت ثمارها منذ عصر الخلفاء الراشدين إلى يومنا الحاضر وأن جميع التيارات التكفيرية في العصر القديم والحديث تشعب منها.

<sup>1</sup> الهاشمي، هشام، عالم داعش من النشأة إلى إعلان الخلافة، (لندن، دار الحكمة، وبغداد، دار بابل، ط1، 2015)، ص7.

## تنظيم الدولة الإسلامية، (داعش):

كان يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يُعرف اختصاراً بـ (داعش)، وهو تنظيم مسلح كان في بداية أمره ينتهج الأفكار السلفية الجهادية، والتي كانت البذرة الأولى لها في أفغانستان، وكان يهدف أعضاؤه؛ حسب اعتقادهم إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية<sup>1</sup>.

ويتواجد أفرادهم وينتشر نفوذهم بشكل رئيسي في العراق وسوريا مع بعض التواجد له في مناطق أخرى مثل: جنوب اليمن، وليبيا، وسيناء، والصومال، وشمال شرق نيجيريا، وباكستان<sup>2</sup>.

وقد أضحى (داعش) معروف بقطع الرؤوس، للمدنيين وللمخالفين لهم من الفصائل الجهادية الأخرى في سوريا والعراق، كجبهة النصرة، وأحرار الشام، وغيرهم من الفصائل التي كانت بداية أمر داعش هو الخروج عليهم؛ إذا لا يمكن وصف داعش بالخوارج لخروجهم على بشار والمالكي، وقبل ذلك أوباما. كما لوحظ عليهم الكثير من الانتهاكات لحقوق الإنسان لقتلهم الصحفيين، والإعلاميين، والعاملين في الجمعيات والمنظمات الحقوقية، وكل من لم يبايعهم فهو عرضة للقتل<sup>3</sup>.

وقد شجبت الزعامات الدينية الإسلامية حول العالم من العلماء والدعاة والمفكرين بشكل واسع الممارسات التي تقوم بها داعش وأفكارها المخالفة لمفهوم الشريعة ومقاصدها السمحاء؛ واحتج أولئك بأن التنظيم حاد عن الصراط الحق للإسلام، وأن ممارساتهم لا تعكس تعاليم الدين الحق و قيمه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الشيخ، عمرو، ومحمد النوي، حقيقة تنظيم الدولة داعش، (الجزائر، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط2، 2016)، ص44. بتصرف.

<sup>2</sup> المرجع السابق.

<sup>3</sup> الهاشمي، هشام، عالم داعش، (لندن، دار الحكمة، ط1، 2015)، ص20

<sup>4</sup> المرجع السابق.

## أولاً: النشأة والتعريف:

لقد أنبثق تنظيم داعش في العراق من تنظيم القاعدة، الذي أسسه أبو مصعب الزرقاوي عام: (2006)، الذي شارك جنباً إلى جنب مع جماعات أهل السنة، ضد العمليات العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، والحكومات العراقية المتعاقبة عليه، وكان لتلك المشاركة الفاعلة الأثر البالغ في ظهوره. "وقد كان أبو مصعب الزرقاوي أمير جماعة التوحيد والجهاد، ثم بايع أسامة بن لادن وأصبح أمير القاعدة في العراق تحت مسمى: "أمير بلاد الرافدين"، ثم استطاع أبو مصعب أ، يجمع الكتائب والفصائل المقاتلة في العراق تحت مسمى "مجلس شورى المجاهدين"، وبعد أن قتل الزرقاوي (2006)، خلفه على إمارة القاعدة في العراق " أبو حمزة المهاجر" وهو الذي أعلن انخراط تنظيم القاعدة واندماجه مع تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق" في نفس العام، ومن هنا ولد تنظيم الدولة الإسلامية، وبالتحديد عند مبايعة أبو حمزة المهاجر أبا عمر البغدادي، الذي كان أميراً لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق، فأصبح تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق تنظيمًا واحدًا، غير أن ولاء ذلك التنظيم كان تابعاً لجماعة "قاعدة الجهاد" وولائه لأمرها الشيخ أسامة بن لادن<sup>1</sup>.

في تلك الفترة كان تنظيم الدولة في العراق يتمتع (داعش) بحضور قوي في المحافظات العراقية مثل الأنبار، ونيوى، وكركوك، وأكثر تواجد له في صلاح الدين، وأجزاء من بابل، وديالى وبغداد، وتتخذ (داعش) بعقوبة عاصمة لها، ومع ذلك، فإن محاولات تنظيم، (داعش) لإحكام السيطرة على أراضٍ جديدة أدت إلى رد فعل عنيف من قبل العراقيين السنة، وغير السنة، من الجماعات المتمردة عليهم، مما ساعد على دحر ذلك التنظيم من بعض المناطق<sup>2</sup>.

وابتداءً من عام: (2014م)، وتحت قيادة زعيمها أبو بكر البغدادي، انتشر تنظيم داعش بشكل ملحوظ، وحصلت على الدعم في العراق بسبب التمييز الاقتصادي والسياسي ضد سنة العراق العرب، وبعد نشوب الحرب في سوريا أصبح لهم وجود كبير في الرقة وإدلب ودير الزور وحلب، إلا أن هذا التقدم توقف بعد إنشاء تحالف من عدة دول لمحاربة التنظيم؛ يشمل دولاً عربية وإسلامية وأجنبية، من أهمهم إيران، وما بين أغسطس (2014م)، وأبريل (2015م)؛ خسر تنظيم الدولة (داعش) ما بين (25% -

<sup>1</sup> الشيخ، عمرو، ومحمد النوي، حقيقة تنظيم الدولة داعش، (مرجع سابق)، ص44. (بتصرف).

<sup>2</sup> عطوان، عبد الباري، الدولة الإسلامية؛ الجذور، التوحش، المستقبل، (بيروت، دار الساقي، ط1، 2015)، ص23. (بتصرف).

30%) من الأراضي التي يُسيطر عليها في العراق. كما يسيطر أفراد تنظيم الدولة الإسلامية على مساحة كبيرة من مدينة الفلوجة العراقية؛ ابتداءً من أواخر ديسمبر (2013م) وبداية (2014م)، ولا تزال المعارك بين التنظيم المعارضين له إلى العام (2017م)<sup>1</sup>.

وكان الهدف الأصلي (لداعش) هو إقامة الخلافة الإسلامية، في المناطق ذات الأغلبية السنية في العراق، وبعد مشاركته في الحرب الأهلية السورية، توسع هدفه ليشمل السيطرة على المناطق ذات الأغلبية السنية في سوريا، وقد أعلن عن الخلافة يوم (29 يونيو من عام 2014م)، وأصبح أبو بكر البغدادي، الآن يعرف باسم أمير المؤمنين ويلقب بالخليفة، والجماعة قد تم تغيير اسمها إلى "الدولة الإسلامية" فقط.

وقد شكلت أنشطة هذه التنظيمات بُعداً هاماً في التطورات التي شهدتها العديد من الساحات خلال السنوات الأخيرة، خاصة منذ نجاح تنظيم القاعدة في الخروج بأهداف بعض التنظيمات الدينية من إطار المحلية إلى العالمية، ورغم التباين بين أيديولوجيات بعضها وكذا توجهاتها وأهداف كل فصيل منها، إلا أن جميعها اشترك في السعي للوصول إلى مرحلة التمكين التي تتيح سيطرتها على مقاليد الأمور بدولها، وما زالت تلك الأنشطة تمثل خطراً مؤثراً على الأمن الدولي والإقليمية<sup>2</sup>.

وعند الكلام على قيادات تنظيم داعش فإننا نشاهد أن هذا التيار أصبح يقاتل الأصل المنحدر منه، لذا فلا يمكن أن ننسب تلك الجماعة إلى أصلها المنحدر منه وهو تنظيم القاعدة، مع أن هناك كثير من التنظيمات قد تفرعت من تنظيم القاعدة، إلا أن جميع تلك الفروع تتبّع الأصل ولاءً وتنظيماً، وجميعهم لازال يلتزم بالبيعة لأمر التنظيم الدكتور أيمن الظواهري، الذي جاء خلفاً لمؤسسه الشيخ أسامة بن لادن<sup>3</sup>.

أما عن تنظيم (داعش)، فهو لم يعد يعترف أصلاً بشرعية البيعة لأيمن الظواهري، كما أنه يلزم جميع أفرع التنظيم بمايعته، وإلا فمصيرهم القتال، يقول الخطيب: "وتكشف المساجلات بين العدناني والظواهري شكل العلاقة بين تنظيم الدولة والقاعدة(5)، ووجود مراسلات مستمرة بينهما حتى الشهر الأول من

<sup>1</sup> عطوان، عبدالباري، الدولة الإسلامية؛ الجذور، التوحش، المستقبل، (مرجع سابق)، ص23.

<sup>2</sup> عيسى، محمود ضياء، التنظيمات الإرهابية في الدول العربية وإجراءات مواجهتها، (مجلة آفاق عربية، الملف الأمني، العدد، 1، مارس 2017)، ص14.

<sup>3</sup> أبو رمان، محمد سليمان، داعش، الدعاية والتجنيد، مؤتمر سر الجاذبية، (عمان، فريديش إيبيرت، 2014). ص19.

عام 2014، وتفيد بأن تنظيم الدولة تابع للقاعدة وقدّم لها البيعة والتزم بأوامرها في شؤون الجهاد - كما يفيد الظواهري- ولكن "خارج حدود الدولة" على الأقل كما يوضح العدناني، ولكن انشقاق تنظيم الدولة عن القاعدة وقع لأسباب منهجية بحسب العدناني، ف"القاعدة لم تُعد قاعدة الجهاد"، بل باتت قيادتها "مِعولاً لهدم مشروع الدولة الإسلامية والخلافة القادمة بإذن الله"<sup>1</sup>.

ولذا يصعب على من أرد أن يأتي بأهم الرموز لتنظيم داعش أن يأتي بسيرة متكاملة متجانسة؛ لأن هذه التنظيمات تلتزم السرية الكاملة في المعلومات الشخصية للأتباع، خاصة مع الحرب العالمية الموجهة تجاههم، فهو يؤثرون التخفي وعدم البوح بمعلوماتهم.

### ثانياً: مخالفة (داعش) لمعتقدات أهل السنة، وأقوال العلماء فيهم:

قد يسأل سائل: هل يصح وصف تنظيم الدولة (داعش) بالخوارج، مع أن الخوارج هم من يكفر بكبائر الذنوب، وتنظيم (داعش) لا يقولون بالتكفير بالكبيرة، والخوارج هم من خرج على إمام المسلمين، وليس في سوريا أو العراق إمام للمسلمين، بل فيهما حكام طائفيون معادون لأهل السنة؟ وكيف يكونون خوارج وهم متمسكون بالشرع في أنفسهم، ويجاهدون في العراق والشام، ويطالبون بتحكيم الشريعة؟

عند الكلام عن الخوارج يعني الكلام عن فرقة من شر الفرق وأخطرها على أمة الإسلام، ولهذا نرى أن النبي الكريم قد خصهم بالذكر مع بيان لصفاتهم وطريقتهم فقال ﷺ: (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الرِّيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْزُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيَتْهُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>2</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: "الخوارج... هم قوم مبتدعون، وسموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الخطيب، معتر، تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر 2014)، ص 10.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: (3611)، وأخرجه مسلم، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم: (1066).

<sup>3</sup> العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، (مرجع سابق)، ج 12، ص 283.

وقال الإمام النووي: " وسموا خوارج لخروجهم على الجماعة وقيل لخروجهم عن طريق الجماعة. وقيل في قوله ﷺ: (يخرج في هذه الأمة) ولم يقل منها قال المازري: هذا من أدل الدلائل على سعة علم الصحابة، ودقيق نظرهم، وتحريهم الألفاظ، وتفريقهم بين مدلولاتها الخفية؛ لأن لفظ (من) تقتضي كونهم من الأمة، لا كفّاراً، بخلاف (في)، ومع هذا فقد جاء من رواية علي رضي الله عنه (يخرج من أمّتي قوم)، وفي رواية أبي ذرّان (بعدي من أمّتي) أو (سيكون بعدي من أمّتي)، وقد سبق الخلاف في تكفيرهم، والصحيح عدم تكفيرهم"<sup>1</sup>.

وقال السيوطي في قوله ﷺ: (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم)، معناه: سهلاً لكثرة حفظهم، وقيل ليا أي يلوون ألسنتهم به؛ أي يحرفون معانيه وتأويله، وقد يكون من اللي في الشّهادة وهو الميل قاله بن قتيبة"<sup>2</sup>.

لذلك غنيت السنة النبوية ببيان صفاتهم أتم بيان؛ حتى لا يلتبس أمرهم على الناس، وهذه الأوصاف منطبقة على (تنظيم الدولة) أشد الانطباق، وليس في النصوص الشرعية ما يدل على أنّ من شرط الخوارج أن يخرجوا على إمام المسلمين، أو يكفروا بكبائر الذنوب، وما هذه التعريفات والأصول التي ذكرها أهل العلم للخوارج إلا ضوابط تقريبية، ومعالم الوصف ما آلت إليه فرق الخوارج في عصورهم.

ومع النظر والاستقراء لحال تيار (داعش) نجد أنهم قد بانوا عن منهج أهل السنة والجماعة، وواقفوا الخوارج في الطريقة والمنهج لأمر منها:

أولاً: إن الضابط في تعريف الخوارج وإلحاق هذا الوصف بطائفة أو فرقة من الفرق هو ما ورد في النصوص الشرعية، وقد فصلت السنة النبوية في صفات الخوارج ما لم تُفصّل في أيّ فرقة أخرى؛ لعظيم خطرهم، وسرعة الاغترار بهم، ومن أهمها: (التكفير، واستباحة الدماء، وسوء الفهم لنصوص القرآن والسنة، والطّيش والسّفه، وحدائث السنن، مع الغرور والتعالي)، وهي الصفات التي وصفهم بها النبي ﷺ.

ثانياً: ذكر بعض العلماء من أن مذهب الخوارج (تكفير مرتكب الكبيرة)، ليس وصفاً جامعاً لكل الخوارج، وليس شرطاً للوصف بالخروج، بل يدخل في الخوارج كل من يكفر المسلمين بغير حق، ويستحل

<sup>1</sup> النووي، محي الدين، شرح صحيح مسلم، (مرجع سابق)، ج7، ص175.

<sup>2</sup> السيوطي، جلال الدين، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ت: الحويني، (الخبر، دار ابن عفان للنشر، ط1، 1996). ج3، ص160.

دماءهم ولو لم يعتقد كفر مرتكب الكبائر، فمن الوصف النبوي أنهم (يقتلون أهل الإسلام)، ذكر أهل العلم أن سبب هذا القتل هو: الحكم بالكفر والردة على مخالفيهم. قال ابن عبد البر: "وهم قوم استحلوا بما تأولوا من كتاب الله عز وجل دماء المسلمين، وكفروهم بالذنوب، وحملوا عليهم السيف"<sup>1</sup>. وقال ابن تيمية: "الخوارج دينهم المعظم: مفارقة جماعة المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم". وقال: "فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدون، أكثر مما يستحلون دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين"<sup>2</sup>.

والخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لم يكونوا ممن يعتقد القول بكفر مرتكب الكبائر كالزنا والسرقه وشرب الخمر، وإنما كفروا الصحابة بقبول التحكيم، مع أنه ليس بذنب أصلاً، فكفروا علياً ومعاوية رضي الله عنهما والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، واستحلوا دماءهم، فحكم عليهم الصحابة رضي الله عنهم بأثم الخوارج الذين أخبر عنهم النبي ﷺ لفعلهم هذا، ولم يسألوهم عن مذهبهم في بقية الذنوب، وهل يكفرون بها أم لا. بل إن (النجيدات) وهم من رؤوس الخوارج باتفاق أهل العلم، لا يقولون بكفر مرتكب الكبيرة، قال أبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين) مبيناً عقيدة الخوارج: "وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجيدات فإنها لا تقول بذلك"، فالوصف الجامع للخوارج هو: "تكفير المسلمين بغير حق واستحلال دمائهم بذلك"، وهذا التكفير له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة أو بمطلق الذنوب، أو التكفير بما ليس بذنب أصلاً، أو التكفير بالظن والشبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخلاف والاجتهاد، أو دون التحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع. وإذا كان العلماء قد حكموا على من يكفر مرتكب الكبيرة بأنه من الخوارج، فكيف بمن يكفر بالصغائر والأمور الاجتهادية أو بما هو مباح، كالجلوس مع الكفار ومراسلتهم، مثلاً؟

ثالثاً: كذلك لم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على اشتراط (الخروج على الإمام المسلم) للوصف بالخروج، بل كل من كان على معتقدهم ومنهجهم فهو من الخوارج سواء خرج على الإمام أم لم يخرج. و(الخروج على الأئمة) عند الخوارج نتج عن التكفير بغير حق واستباحة دماء المسلمين، فإن وجد الخوارج الإمام خرجوا عليه واستباحوا الدماء والأموال، وإن لم يجدوا الإمام استباحوا دماء عامة المسلمين وخيارهم

<sup>1</sup> القرطبي، يوسف بن عبد البر، الاستذكار، ت: سالم عطا، ومحمد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000)، ج2، 499.

<sup>2</sup> ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (مرجع سابق)، ج13، ص209.

من المجاهدين والعلماء والدعاة. وتسميتهم ب(الخوارج) إنما هي لخروجهم عن أحكام الدين ومفارقتهم جماعة المسلمين، قال الحافظ ابن كثير: "قد تكلم في قتال التتر من أي قبي هو؟ فإنهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه. فقال الشيخ تقي الدين، هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين"<sup>1</sup>.

وبالنظر لإقامة داعش لدولتهم، فهذا لا ينفي عنهم صفة الخوارج، فما زال الخوارج يقيمون الدول والإمارات على مَرِّ التاريخ، بل فيهم من ادعى الخلافة، ولم ينزع ذلك صفة الخروج عنهم لمجرد وصولهم للحكم، طالما أنهم يكفرون أهل الإسلام ويستبيحون دماءهم.

رابعًا: الاجتهاد في الطاعة وبذل النفس، والمناداة بتطبيق الشريعة، أو محاربة الطواغيت، لا تعني بالضرورة السلامة من الانحراف، بل هذا ما عُرف به الخوارج طوال تاريخهم، فقد أخبر رسول الله ﷺ عن اجتهاد الخوارج في العبادة حتى لا نعتزَّ بهم فقال: (يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ)<sup>2</sup>. قال الحافظ ابن حجر: "كان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتلون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك"<sup>3</sup>.

وأخبر النبي ﷺ أن الخوارج يحسنون القول ويظهرون الدعوة للحق، فقال عنهم: (يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسيِّئُونَ الْفِعْلَ)<sup>4</sup>. وقال: (يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ)<sup>5</sup>.

قال السندي: أي: يتكلمون ببعض الأقوال التي هي من خيار أقوال الناس في الظاهر، مثل: إن الحكم إلا لله، ونظائره، كدعائهم إلى كتاب الله<sup>6</sup>. وهو كحال رؤوس الخوارج وقد اجتمعوا في عهد علي بن أبي طالب، وتعاهدوا على حكم القرآن، وطلب الحق وإنكار الظلم، وجهاد الظالمين وعدم الركون إلى الدنيا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قاموا إلى قتال الصحابة رضي الله عنهم!

<sup>1</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، (مرجع سابق)، ج18، ص23.

<sup>2</sup> متفق عليه، سبق تحريجه.

<sup>3</sup> العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، (مرجع سابق)، ج12، ص283.

<sup>4</sup> البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار، ت: عادل سعد، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط1، بدأت 1988م، وانتهت 2009م). رقم: (7225)، ج13، ص453.

<sup>5</sup> أخرجه البزار، (مرجع سابق)، رقم: (897)، ج3، ص111.

<sup>6</sup> السندي، محمد بن عبد الهادي، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 86). ج7، ص119.

ويؤيد ما ذكرناه من التحليل في حقيقة الفكر الداعشي ما أفتى به أهل العلم علماء الأمة من أهل السنة، بالعموم، ومن التيار السلفي الجهادي بالخصوص، عن تنظيم (داعش) ومن أولئك ما يلي:

**علماء الأزهر الشريف:** " وصف شيخ الأزهر أحمد الطيب في كلمة ألقاها أثناء استقباله وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل الاثنين، أعضاء داعش بالمجرمين "الذين يصدرون صورة شوهاء عن الإسلام". واعتبرهم أدوات في أيدي الصهيونية. وأكد الطيب أنه "من المحزن غاية الحزن أن هؤلاء المجرمين استطاعوا أن يصدروا للعالم صورة شوهاء مفرعة عن الإسلام والمسلمين"، واتهم هذا التنظيم وكل المجموعات "الإرهابية" بأنهم "صنائع استعمارية تعمل في خدمة الصهيونية". وتابع "من المؤلم أن ترتكب هذه الجرائم غير الإنسانية تحت دعاوى الخلافة واستعادة الدولة الإسلامية وباسم الإسلام الذي هو دين الرحمة". كما شدد على أن "هذه المناظر المرعبة التي تبث باسم الإسلام" هدفها "تشويه صورة المسلمين في مرآة الغرب". واعتبر أن "هذه الجماعات الأصولية الإرهابية أيا كان مسماها أو اسمها أنها صنائع استعمارية تعمل في خدمة الصهيونية"، من أجل تنفيذ "خطتها لتدمير المنطقة العربية"<sup>1</sup>.

**هيئة كبار العلماء في السعودية:** "إن من الواجب الذي يفرضه الدين على جميع المسلمين كلا في مجاله، مكافحة الفكر الداعشي الخبيث، الذي يهدف إلى تمزيق بلاد المسلمين وإشاعة الفوضى بينهم، مؤكداً أن داعش دسيسة على الإسلام، صنعتها أيد خفية ولها مهمة تؤديها، وهدفها: بثُّ الفرقة، وتفريق الكلمة، وتشويه الدين الإسلامي الحنيف. وأضاف البيان: الدواعش تجار زائفون، رأس مالهم التدجيل، واللعب على صغار العقول، فأفسدوا فطر أتباعهم الإنسانية، فضلاً عن الدينية بما ابتدعوه من تكفير المسلمين وتفجير مساجدهم وقتل أقاربهم، واستباحوا لأجل ذلك الحرمات والمحرمات، وغاية ما يصلون إليه الانحلال من هذا الدين الحنيف. وأشار البيان إلى أن إجماع الأمة وعلمائها وعامتهم أكدوا على ضلالهم وشناعة مسلكتهم الذي قادوا به شذاذا من الخلق فما قادوهم إلا إلى الهلاك، نسأل الله تعالى أن يقطع دابرهم وأن يكفي المسلمين شرهم"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> [www.azhar.org/m-alazhar/kibar-alolamaa](http://www.azhar.org/m-alazhar/kibar-alolamaa)

<sup>2</sup> هيئة كبار العلماء السعودية، داعش دسيسة على الإسلام صنعتها أيد خفية، (الرياض، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، 15 ذو الحجة 1436

هذا الموافق 29 سبتمبر 2015). واس: <http://www.was.sa/1403388>

المجلس الإسلامي السوري: "موقفنا من تنظيم (الدولة): يجلو للبعض أن يصور الخلاف مع تنظيم (الدولة) على أنه تابع من عدم الرضا عن تصرفاته، أو أحكامه الجائرة، أو انفراده بإعلان "الخلافة"، ونحو ذلك. ومع تأكيد كل ما سبق، إلا أنها جزئيات وفروع عن الأصل الذي هو: الخلاف مع التنظيم في المنهج والعقيدة، فالتنظيم قد انتحل عقيدة الخوارج المتمثلة في: الحكم على مخالفه من كافة فصائل المجاهدين في العراق وسوريا بالكفر والردة، واعتقاد أن قتالهم واستهدافهم أولى وأوجب من قتال الرافضة والنصيريين؛ فاستباح بذلك دماءهم، وجعل قتالهم أهم أهدافه وأعظمها. ثم بنى على هذه العقيدة الخارجية والفكر المنحرف بقية المعتقدات والأفكار، والتصرفات والأفعال. فلا إمكانية للقاء مع هذا الانحراف، أو السكوت عنه، أو الرضا به، أو التلاقي معه إلا بعد التوبة عن هذا المنهج والرجوع عنه. وإن موقفنا هذا تابع من الوعي بالحكم الشرعي على هذه البدعة الخطيرة، وإدراك أثرها في الدين والواقع... لا يغيره مزيد طاعة، أو مناداة بشعارات براقية؛ فقد حذرنا رسولنا ﷺ من الاغترار بعبادتهم وادعاءاتهم: (يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَفْرَوُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، كما لا يُغير موقفنا منهم قتالهم للأعداء، أو (تحريرهم) بعض البلدان؛ فإنهم لا يقاتلون عن عقيدة صحيحة، ولا لسبب صحيح كما سيأتي بيانه<sup>1</sup>.

**الدكتور: أحمد سعيد حوى:** عضو المجلس الإسلامي السوري، قال: "معلوم مالذي حدث في العراق من الاحتلال الأمريكي الصليبي عام (2003م)، وذاق فيه الأمريكيان الغزاة من المقاومة العراقية أياما مرة وليال سوداء، ففكر الغزاة أن خير ما يمكن أن يعينهم أو يخفف عنهم أن يمزقوا صف هذه الأمة، وتحديداً صف المقاومة العراقية، ويبدو أن أعدائنا درسوا تاريخنا، ويوظفوا تلك التجارب التاريخية مرة بعد مرة، ولكن للأسف نحن الذين لم نقرأ تاريخنا، أو لم نوظف دروس التاريخ. وبدراسة التاريخ من زمن الراشدين، قد ظهر البغاة ثم ظهر بعد ذلك الخوارج،... والسؤال هو من الذي هيى الأسباب لظهور تلك الحركات وكل دارس للتاريخ أدرك هذه الأسباب، أو الأصابع الخفية له، وهي الأصابع المجوسية الفارسية، والمكائد اليهودية، والمكائد الصليبية، المهم هو أن أعدائنا عرفوا أنه يمكن أن توظف الصراع فيما بين المسلمين لخدمة أغراضهم، أو تتسبب في خلق ذلك الصراع،.... فلاشك أنه كان اختراق، لكن

<sup>1</sup> عماد الدين خيتي، عضو أمناء المجلس الإسلامي السوري، (سوريا، المجلس الإسلامي، [HTTP://SY-SIC.COM/?P=1448](http://SY-SIC.COM/?P=1448)، 26 مايو، 2015).

أن يكون هناك اختراق يتحكم بحجم التنظيم فهنا الكارثة، وهؤلاء قد جاءوا إلى الشام يريدوا أن يقيموا مشروعاً، لا شك أنه بأفكارهم الذي يحملون، ولا شك أنه فكر غالٍ منحرف<sup>1</sup>.

**أبو بصير الطرطوسي، عبد المنعم حليلة:** قال: "هذا التنظيم المسمى جماعة الدولة، سهل الاختراق، لما يمتاز به من الغلو، والإقصاء، وتكفير الآخرين، والصوت المرتفع، والعنف، فهذا لا يستبعد أن يخترق، بل هذا شبه مؤكد أنه تنظيم مخترق من دول المنطقة كلها، ليس فقط من العراق، بل من الاستخبارات العالمية كلها؛ لأنه محط اهتمام دول العالم، وهؤلاء يجمعهم الغلو، ...، وقد كنت أول من نبه أهل الشام عن خطورة هذا التنظيم، ومجاهدو الشام يعلمون ذلك، لعلمي أن هذه الجماعة كانت تستغل تحت ظل جبهة النصر، وغيري كثير يدرك ذلك"<sup>2</sup>.

**أبو محمد المقدسي:** في مقابلة أجرتها قناة<sup>3</sup> (CNN) العربية قال<sup>4</sup>: "حقيقة هنالك ألفاظ ربما لو أقولها يكذبونني أو يصعقونني، ألفاظ لا تليق بمسلم، وأنا لست عدائي، وخصومي مع جماعة تنظيم الدولة التي يسمونها الدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية، وليس خصومة مع الخلافة والدولة الإسلامية كما حاولوا هم أن يصوروها، أو كما هي ربما قد تكون خصومة كثير من الغربيين من أجل الإسلام نفسه أو الرعب من شيء اسمه الدولة الإسلامية، أنا خصومي معهم لأنني أخشى على مسمى الدولة الإسلامية، وأخشى على مسمى الخلافة، وأخشى على الإسلام من التشويه من هؤلاء الذين عندهم غلو، وعندهم انحرافات عقيدية كثيرة، ومخالفات شنيعة شوهدت الإسلام وشوهدت الجهاد، وأنا أدافع عن عقيدتي، وعن إسلامي، وعن هذا التيار السلفي الجهادي، وعن الإسلام والدين قبل ذلك، وعن مسمى الخلافة والدولة الإسلامية، أدفع تشويه هؤلاء القوم والصبغة السيئة التي يريدوا أن يصبغوها بها؛ سواء بنجث أو مكر، أو بغباء أو حماقة، أنا مهتمتي أن أنقي هذا المنهج وأحرس الشريعة من انحرافاتهم".

1 حوى، أحمد سعيد، لقاء مع قناة حلب اليوم، 2017/04/12، [HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/](https://www.youtube.com/)

2 لقاء مع قناة حلب اليوم، 2015/03/03، [HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM](https://www.youtube.com/)

3 نُشر يوم الجمعة، 05 يونيو 2015. [HTTPS://ARABIC.CNN.COM/MIDDLEEAST/2015/06/05/](https://arabic.cnn.com/middleeast/2015/06/05/)

4 عاصم طاهر البرقاوي، المعروف بأبي محمد المقدسي، أحد أبرز الوجوه الدينية السلفية والمنظر والمرجع الروحي للعديد من الجماعات الجهادية المسلحة، له كثير من الكتب والمؤلفات تعتبر أهم المراجع لدي التنظيمات الجهادية جميعاً.

أبو قتادة الفلسطيني: وهو أحد رموز الحركة الجهادية في العصر الحديث: " أن إعلان الخلافة هو إذهب للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة الجهاد إلى الدم الصريح وإعطائه صفة الشرعية"<sup>1</sup>.  
فزاره في هذا القول لا يجادل في أصل المشروع وإنما في تفاصيله الإجرائية وكيفية تحقيق الخلافة.

وقال: " إن إعانة الصليبيين على قتل مسلم حتى لو كان يمثل هذه البدعة الشنيعة التي عليها خوارج الدواعش، فهذه إعانة كفرية، لا يجوز لمسلم أن يفعلها ولا أن يأتيها، ...، نعم قاتلوا الدواعش الخوارج بالطريقة الشرعية، وليس بما تفعلون"<sup>2</sup>. الشاهد هو لفظ: (البدعة الشنيعة التي عليها خوارج الدواعش).

وبنظر أبو قتادة، فقد دخل "الانحراف" إلى تنظيم الدولة -وفق تشخيصه- من جهتين:

الأولى: من أفرأخ جماعة الخلافة الذين كانوا حريصين على أن يحصلوا على تزكية منه لأفكارهم التي تلخص في أن سبب الفساد هو غياب الخلافة، وأنها تحصل بأن يبايع المسلمون واحداً من آل البيت، وهي الفكرة التي تلقفها منهم تنظيم الدولة. والثانية: من بقايا جماعات التوقف والتبئ وبقايا الجماعات الذين شاركوا في الجهاد ثم نشروا بعض الأفكار المنحرفة في عقول الشباب الذين تدينوا فجأة والعجم الذين أسلموا وهم خالو الذهن من المعرفة الشرعية<sup>3</sup>.

يقول الخطيب: "الانحراف" الذي تحدث عنه أبو قتادة الذي كتب ردّه هذا بطلب من أبي محمد المقدسي، يذكرنا بما حدث من قبل (1425هـ/2004م) حين كتب أبو محمد المقدسي رسالة لأبي مصعب الزرقاوي الأب الروحي لتنظيم الدولة بعنوان "الزرقاوي مناصرة ومناصحة"، فجوهر هذا "الانحراف" المتكرر في حالتي الزرقاوي والبغدادى يقوم على أمرين: الأول: التفلت من قيود العمل الجهادي التي أرساها فقهاء القاعدة، بدءاً من مفهوم الجهاد وعدم تحويله إلى "قتال نكائي" أو ثأري، ثم عدم تأثر "الاختيارات الجهادية" بضغوط الأعداء وإجرامهم، والتحرز من التوسع في تكفير المسلمين، ومراعاة الفوارق بين دار الكفر الأصلية التي جمهور أهلها كفار ودار الكفر الاصطلاحية الحادثة التي جمهور أهلها من المنتسبين إلى الإسلام. الثاني: الطبيعة المتصلبة لقيادة تنظيم الدولة، فافتقار الزرقاوي للمرونة "حرمة الاندماج في

<sup>1</sup> أبو قتادة، عمر بن محمود، ثياب الخليفة، وقد كتبه في السجن (د.م.)، نجمة الفكر، 2014م). ص 7.

<sup>2</sup> الفلسطيني، أبو قتادة، حكم إعانة التحالف الدولي على قتال داعش والتنسيق معه، 10،06،2016  
HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM

<sup>3</sup> أبو قتادة، عمر بن محمود، ثياب الخليفة، وقد كتبه في السجن (د.م.)، نجمة الفكر، 2014م). ص 3.

القاعدة والنزول تحت إمرة الشيخ أسامة" كما يقول أبو محمد في رسالته، ويشير إلى أن "أبو أنس" الذي قرّبه الزرقاوي ليسترشد به "لم يكن يتبنى اختياراتنا بجدافيرها"، والأمر نفسه رأيناه في حالة البغدادي مع الظواهري"<sup>1</sup>.

كذلك عند النظر في حالة أبي محمد المقدسي -وهو أيضا من رموز الحركة الجهادية ومراجعتها الشرعية- مع الزرقاوي، والتي جاءت في الرسالة التي وجهها إلى أبي مصعب الزرقاوي، يفيد أن عدم التقيد بضوابط الجهاد؛ كما تقرره المرجعية سيؤدي إلى بروز قوم "سيئبئون إلى القتال دون ضوابط، وسيخرجون على الأمة لا يميزون بين بّها وفاجرها، ولا يوازنون بين مصالحها ومفاسدها"<sup>2</sup>.

وعند النظر في حالة أبي قتادة مع البغدادي، فإنه يرى أن "تنظيم الدولة" ضرب "المشروع الجهادي في نقطتين: الأولى: أنها قسمت المشروع الجهادي، والثانية: أنها وجهت الصراع نحو الداخل؛ لدرجة أن خصومتها مع النُصرة انتقلت خلال ستة شهور من خصومة على الإمارة إلى صراع فكري؛ حين جعلت من نفسها "خلافة" على معنى "جماعة المسلمين" لا جماعة من المسلمين"<sup>3</sup>. نجد أن في كلا الحالتين إشارة إلى وجود انحرافات لدي تنظيم داعش قد أشار إليه رموز الفكر الجهادي الحديث، وسوف نذكر مقولات للمراجع الشرعية لدي التنظيمات الجهادية تؤكد مقارفة تنظيم داعش للانحرافات الفكرية لاحقا.

بالإضافة إلى استنكار عدد من علماء الامة من أهل السنة، ولكن آثرت عدم ذكرهم كونهم لم يتقاربوا مع هذا التيار أو غيره من التيارات الجهادية، بل الأغلب على التيارات الجهادية لا تقبل من أقوالهم شيئا. وإنما اكتفيت بالعلماء الذي يصنفون على التيارات الجهادية.

<sup>1</sup> لخطيب، معتر، تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر 2014)، ص10.

<sup>2</sup> ينظر: المقدسي، أبي محمد، "الزرقاوي: مناصرة ومناصحة"، جُمادى الثاني، 1425هـ، سجن قفقدا. <http://www.tawhed>.

<sup>3</sup> ينظر: أبا قتادة الفلسطيني، في حوار معه بعنوان: "أبو قتادة: لم أخرج بصفقة وتنظيم الدولة زائل"، حواره محمد النجار، الجزيرة نت، بتاريخ 12

نوفمبر 2014. <http://www.aljazeera.net/news/arabic/2014/11/12>.

### ثالثاً: الانحرافات وأسبابها لدى تنظيم (داعش).

رغم محاولة قيادات تنظيم داعش توصيف الخلاف بينهم وبين التيارات الجهادية الأخرى بأنه خلاف منهجي، إلا أنه يبدو من الواضح أنه خلاف لا يتناول التصورات والأصول؛ بقدر ما يتناول المسائل التنظيمية والإجرائية، فتنظيم الدولة مثلاً؛ لم يكن راضياً عن ابتعاد الظواهري عن ساحات القتال، وعماداً بدأ أنه تراجع أو مهادنة في مسائل الجهاد باتجاه "السلمي"، والخلاف كله يدور على مسألة إعلان "الدولة في العراق والشام" وضمّ النصرة، ثم على توقيت إعلان "الخلافة" وإجراءاتها، وهو تحلّل من احتكار الظواهري لقيادة الجهاد العالمي ما دام خارج ساحة المعارك وفقد سيطرته على تفاصيل التنظيمات الجهادية، وهو تحلّل تدفع إليه إنجازات على الأرض تهيئ لإعلان خليفة واحد فيها جميعاً يُعلن كفره بالطاغوت ويترأى من الكفر والشرك وأهله، ويحكّم "شرع الله"، وهو الحل الذي قدمه العدناني لحالة التشردم والاختلاف بين تنظيمات الجهاد والتي يرى أن الظواهري قد تسبب فيها<sup>1</sup>.

يقول الخطيب: "لا تقدم فكرة "الغلو والانحراف" مسوّغاً كافياً لجعل تنظيم الدولة مختلفاً كلياً عن القاعدة؛ بقدر ما تدفع إلى القول: إننا أمام تطور داخل العالم المفاهيمي للجهاد العالمي وانفلات من القيود المفروضة من القيادة المركزية؛ تجاوزاً مع الإمكانيات التي يتيحها المشروع الجهادي نفسه وما تفرضه التطورات على الأرض، والاختلاف حول الوسائل الأجدى لتحقيق المشروع، بالإضافة إلى الصراع على الإمارة نفسها التي هي مركزية في المشاريع الحركية التنظيمية عامة. فلا يمكن لمسلسل الخروج عن "نظام الفقه الإسلامي" الذي بدأه فقهاء الجهاد العالمي أن يقف عند الحد الذي رسموه هم لأنفسهم وأتباعهم، فمنطق الخروج متسلسل ويدفع إلى مزيد من التشطي، وهو ما عرفناه من تجارب هذه التنظيمات حيث تسيطر فيها الأفكار والتصورات دون القوالب التنظيمية وقيودها فتتفجر الحدود وفق شروط معينة"<sup>2</sup>.

يدعي تنظيم داعش أنه يتبع التيار السلفي على حسب رأيهم، غير أنه يتبع طريقة متشدّدة في فهمه للإسلام؛ فتراه يشجع على العنف باسم الدين، ويعتبر الذي يخالفه في معتقداته وطريقته حلال

<sup>1</sup> ينظر: تصريح العدناني بعنوان: "ما كان هذا منهجنا ولن يكون" بتاريخ 17 إبريل/نيسان 2014، وتصريح الظواهري بتاريخ 2 مايو/أيار

2014، ثم تصريح العدناني بعنوان: "عذراً أمير القاعدة"، بتاريخ 11 مايو/أيار 2014.

<sup>2</sup> الخطيب، معتر، تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر 2014)، ص 11.

الدم والمال، لكونه قد ارتدّ عن الإسلام في نظرهم. ويقوم مقاتلو داعش بالتفريق بين أتباع المذاهب المختلفة بسؤال عدة أسئلة، منها: الاسم، ومحل السكن، وكيفية الصلاة ونوع الأناشيد التي يستمع إليها. وقد أنكر على داعش أن يكون يحمل منهج السلف الصالح كثير من العلماء ورجال الدين؛ إن لم يكن جل الموجودين على الساحة الشعبية الإسلامية، من أمثال مفتي السعودية عبد العزيز آل الشيخ، ومفتي مصر، وكبار علماء العالم الإسلامي؛ ووصفهم إياهم بالخوارج<sup>1</sup>.

### أسباب الانحراف لدى تنظيم داعش:

من خلال تحليل المنهج الذي يسير عليه تنظيم (دعش) يمكن عرض بعض أسباب الانحرافات الفكرية لديهم فيما يلي:

#### أولاً: الجهل:

وذلك بإصدار الأحكام الكفرية بتهور شنيع، والعزوف عن رأي علماء الأمة جميعاً، ولا يقبلون القول إلا من فقاءهم فقط، بل وصل بهم أنهم يكفرون كثير من علماء المسلمين، ووصفهم بأقذر الأوصاف، وكل ذلك ناجم عن عدم الفقه، وإغفال بعض الأدلة والتمسك ببعض، يقول أحد قيادات التيار الجهادي، المعروف بأبي مصعب السوري وهو يصف المعوقات لحركة الجهاد: "نفشي الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلًا عن الجهل البشري، وانخفاض مستويات التربية السلوكية، فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات، الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي، ومعظم، مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت، العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب تجاوزت لتكون حالة بعض من، تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين. وقال أيضاً: افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فيسدون ثغرة التربية والفتوى، والكتابة والتوجيه. ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب، مما اصطلحوا عليه بالاسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاهل أو عالم، فما من مسلم إلا وعنده علم. انخفاض مستوى العلم الشرعي عمومًا في التيار الجهادي وعلى كافة، المستويات، حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان

1 ينظر: [HTTP://ARABIC.CNN.COM](http://arabic.cnn.com). الثلاثاء، 19 أغسطس.

في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي!<sup>1</sup>.

والمشاهد على تنظيم داعش أنه ليس فيهم علماء معروفون مشهود لهم عند المسلمين، كما قال ابن عباس رضي الله عنه لأسلافهم من الخوارج: (أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ أَنْزَلٌ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ)<sup>2</sup>، فغالبهم من صغار السن الذين تغلب عليهم الحفّة والاستعجال والحماس.

ومن سماتهم الفكرية وسمات خطابهم - وهو يدل على ضعف حججهم وفقد الاستدلال بالنصوص الصحيحة والصریحة - استدلالهم بالخوارق وادعاء الكرامات ونشر الصور في ذلك والقصص والروايات، وهذا منهج أهل الأهواء عموماً، البحث عن أحداث عاطفية سواء كانت خوارق أو رؤى وأحلاماً، فنحن وإن كنا نؤمن بحدوث الكرامات لكن لا يترتب عليها الحكم الشرعي ولا تدل على صحة المنهج في ذاتها ولا صحة العمل بها، لذلك لا نجد من استدلالات العلماء والفقهاء قديماً وحديثاً على الأحكام والمسائل أنهم رأوا رؤية أو حدثت لهم كرامة! إنما هذا هو منهج أهل الأهواء.

### ثانياً: قصر الفهم:

الإشكالية لدى تنظيم داعش والتنظيمات التي تتجه للعنف هو الفهم المغلوط للنصوص والأحكام الشرعية، وعدم فهم طريقة العلماء الراسخين من أهل السنة في الاستدلال وحالهم كما قال المتنبي:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً      وآفته من الفهم السقيم  
ولكن تأخذ الآذان منه      على قدر القرائح والعلوم<sup>3</sup>

وفساد منهج الاستدلال لديهم يقوم على أنهم يبنون أحكامهم ورؤاهم ومنهجهم على مجموعة انتقاعات من كتب بعض العلماء المتقدمين والمتأخرين لا يأخذونها في سياقاتها لا العلمية ولا التاريخية،

<sup>1</sup> عبد الحكيم، عمر أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (الكتاب متوفر على الانترنت، نظراً لعدم فسحه إعلامياً، ط1). ج1، 858.

<sup>2</sup> أخرجه الحاكم، المستدرک، (مرجع سابق)، كتاب قتال أهل البغي، رقم: (2656)

<sup>3</sup> أخذه من قول أبي تمام حين قال له أبو سعيد الضرير لم لا تقول ما يفهم فقال يا ابا سعيد لم لا تفهم ما يقال. يقول كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر طبع صاحبها وعلمه؛ يعني أن الجاهل إذا سمع شيئاً لم يفهمه ولم يعلمه. وكل أحد على قدر علمه وطبعه، يعلم ما يسمع، وإذا غاب إنسان قولاً صحيحاً فذلك لأنه لم يفهمه، ولم يقف عليه. ينظر: شرح ديوان المتنبي، لأبي الحسن النيسابوري.

فينتقون ما يوافق هدفهم (السياسي أو الفكري)، فأئمة الإسلام لا يمكن أن يؤصلوا لمنهجٍ يخالف بدهيات وقواعد شرعية مثل: الجماعة، وعدم شق الصف، وحقن الدماء، وحفظ الحقوق، والمعاهدات. كلها قواعد كلية يجب صيانتها والمحافظة عليها؛ وذلك لحفظ الدين والمجتمعات والقيام بحق الله جل وعلا. فديننا ليس فوضى وليس دين غدر وخيانة ونقض للمواثيق والعهود. وهذه كلها نتائج سلبية للهوج الفكري الذي تحمله هذه الجماعات الدموية المنحرفة. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:83]، "روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ﴾: إن المنافقين كانوا إذا أمروا بالقتال لم يطيعوا الله فيما أمرهم به، وإن نهاهم عن محارمه لم ينتهوا عنها، وإن أفضى الرسول إليهم سرا أذاعوا به إلى العدو ليلا بتكتّم، فأنزل الله تعالى رداً عليهم ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾؛ يعني: أمورهم في الحلال والحرام، ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ في التصديق به والقبول، ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾؛ يعني: حملة الفقه والحكمة ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يعني الذين يفحصون عن العلم"<sup>1</sup>.

فهذا هو المنهج في الاستدلال والنظر والتفكير ألا يكون الإنسان خفيف العقل رقيق النظر بحيث يطير بالخبر ويتخذ موقفاً تجاه ما سمع أو يُتناقل. وواقع هؤلاء يخالف هذا المنهج المستقيم، فتهييج الجماهير والناس سمة من سماتهم بالأخبار والنقول والاختيارات العلمية التي توافق ما في نفوسهم. وكيف قُتل خليفة رسول الله عثمان رضي الله عنه! إلا بالتأليب ضده وبالتحريض والتهييج وتناقل الأخبار وانتقاء المواقف والاستدلالات الفاسدة!<sup>2</sup>

والغالب على تنظيم داعش قصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، فهم كما قال عنهم النبي ﷺ: «حَدَّثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ»، وقد أثر غياب أهل العلم والحكمة على تصرفاتهم فوقعوا في السفاهة والطيش، وعدم النظر لمآلات الأمور وعواقبها، وما تجره على المسلمين من ويلات ودمار، بزعم الصدع بكلمة الحق أو التوكل على الله.

<sup>1</sup> النعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام بن عاشور، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2002)، ج3، ص351.

<sup>2</sup> ينظر في ذلك لفتاوى هيئة كبار علماء الأزهر، (WWW.AZHAR.EG)، وهيئة كبار العلماء في السعودية، (HTTPS://WWW.ASSAKINA.COM/FATWA)، وهيئة علماء المسلمين في الشام، (HTTP://WWW.ROCHAM.ORG).

### ثالثاً: التعالي على الآخرين، والتعصُّب الأعمى:

وهذا عامل آخر من عوامل تطرف (داعش) والجماعات المتطرفة الأخرى، وبسبب هذا التعصُّب والانغلاق في مفهوم الولاء والبراء المُنَبِّئِ على أساس حزبي ضيق، بدأ (داعش) بقتال المسلمين؛ قبل غيرهم ممن لم يرضوا بمبايعتهم، فتلَطَّخت أيديهم بدماء المسلمين في سوريا والعراق، لأنهم لم يرضوا بالعمل في ظل دولتهم والانضمام الى خلافتهم<sup>1</sup>. وجميع ذلك يدفعهم إلى الغرور والتعالي على المسلمين، فقد زعموا أنهم وحدهم المجاهدون في سبيل الله، والعارفون لسنن الله في الجهاد؛ لذا فإنهم يُكثرون من التفاخر بما قدموه وما فعلوه! قال ﷺ في الخوارج: (إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدَّأْبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ)<sup>2</sup> وهذا الغرور هو الذي يدفعهم للتطاول على أهل العلم والحكمة، وعدم الأخذ بكلامهم، فيدعون العلم والفهم، ويواجهون الأحداث الجسام، بلا تجربة ولا رؤية، ويرفضون التحاكم لمحاكم مستقلة فيما شجر بينهم وبين الفصائل الأخرى<sup>3</sup>.

فاجتمع في تنظيم (الدولة) من الشر ما لم يجتمع في غيره من الخوارج من قبل، من الاجتماع على الباطل، والامتناع من الانقياد للحق والمحاكم الشرعية، والكذب، والغدر، والخيانة، ونقض العهود، وممالة أعداء الإسلام، حتى صاروا أخطر على المسلمين والمجاهدين من النظام النصيري الطائفي، وفاقوا الخوارج الأولين شرًّا وسوءًا وانحرافًا. وحُكِّمنا على تنظيم الدولة بأنه من الخوارج، لا يعني بالضرورة الحكم على كل فرد من أفرادهِ بذلك؛ إذ قد يكون فيهم من هو جاهل بحقيقة أقوالهم وحالهم أو مغرر به، إلا أنهم جميعًا من حيث حكم التعامل معهم سواء، فعلينا دفع شرورهم، وحسابهم على الله تعالى.

<sup>1</sup> عبد الحكيم، عمر أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (مرجع سابق)، ج1، 841.

<sup>2</sup> أخرجه أحمد في المسند، رقم: (12886).

<sup>3</sup> الهاشمي، هشام، عالم داعش، من النشأة إلى إعلان الخلافة، (مرجع سابق)، ص169.

## بعض مظاهر الانحراف لدى تنظيم (داعش)

### أولاً: الخروج على جماعة المسلمين:

الخروج عن جماعة المسلمين، وحصر الحق في منهجهم، والحكم على جميع من يخالفهم في الفكر أو المشروع بالعداء للدين، وآخر ذلك ادعاؤهم (الخلافة)، وإيجاب بيعتهم على جميع المسلمين.

يقول السوري: "بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظروف العامة، من المطاردات والقهر والكبت والظلم؛ وعلل الصحو الإسلامية وبلاء علماء السلطان، وطغيان الحكومات، وغزوات الأعداء الخارجين، وما يجري في الأمة من نكبات. مع إعراض أكثرها عن دينهم. أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصائية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل. وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، أن الفجوة بين هذه النماذج ومجمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها. ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحكيم، عمر أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، (مرجع سابق)، ج1، 859.

## ثانيا: عدم قبول المخالف:

وهو ما يدل على عدم احترام القواعد والأصول الشرعية. فإن لزوم الجماعة ووحدة الصف واجتماع الكلمة أصلٌ عظيم من أصول أهل السنة يقول الله جل وعلا في سورة آل عمران: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)... الآية، وقال جل وعلا: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَتَرْكُ قِتَالِ الْأَيْمَةِ)<sup>1</sup> مجموع الفتاوى [128/28].

ومن هذا محاربة من يُخالف آرائهم الشاذة، ويصفونهم بالنفاق وبالردة، ويستحلون دماءهم وأموالهم. بالإضافة إلى التعذيب الوحشي ضد المخالفين من الفصائل الأخرى، وإلزامهم بتكفير من لم يبايع البغدادي<sup>2</sup>.

## سابعاً: ستحلال الدماء، واستهداف الآمنين:

من أعظم المآخذ على تنظيم (داعش)، هو استحلالهم قتال من خالفهم في منهجهم، أو رفض الخضوع لدولتهم الموهومة، فأعملوا في المسلمين خطفاً، وغدرًا، وسجناً، وقتلاً، وتعذيباً، وأرسلوا مفخخاتهم لمقرات المجاهدين، فقتلوا من رؤوس الثوار من المجاهدين، والدعاة والإعلاميين، والنشطاء ما لم يستطع النظامان الطائفيان في العراق وسوريا فعله، وقاتلوا المسلمين بما لم يقاتلوا به الأعداء، وجميع ذلك يصدق قول الرسول ﷺ: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ)<sup>3</sup>.

فترى داعش قد استحلوا أخذ أموال المسلمين بحجة قتال الجماعات المنحرفة، ومصادرتها دون وجه حق، واحتكار موارد الدخل العامة من آبار نפט وصوامع غلال وغيرها، والتصرف فيها كتصرف الحاكم المتمكن. وقاموا بتبنيّ عمليات انتحارية ضد المسلمين، في العراق وسوريا، كما أنهم نقضوا العهود، وخانوا الأمانات، وأراقوا الدماء، واعتدوا. بل وتجاوز إلى عدة دول إسلامية، واستهدفوا المدنيين فيها، كما

<sup>1</sup> الهاشمي، هشام، عالم داعش، من النشأة إلى إعلان الخلافة، ص264.

<sup>2</sup> ينظر: عبد العال، محمد عبدالمجيد، الجماعة السلفية المحتسبة، (المكتب العربي للمعارف، ط1، 2018). ص124.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، باب: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَلَكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾، رقم: (3344)، ومسلم، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (1064)

استهدفوا الأسواق ذات الغالبية المسلمة. كل هذا بسبب منهج استدلال فاسد ومنحرف، وعدم وعي عن قول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

كما أن من سمات هذا التنظيم: تحريك العواطف وشحن النفوس فيما يحصل من الاعتداء على المسلمين والحروب والقنابل ومشاهد الدماء واستغلال ذلك في تحريك العواطف بالاتجاه السلبي، ويدفعون الشباب في أتون ساحات عمياء وهابوية لا نعرف مبدأها ولا منتهاها تحت اسم الجهاد ونصرة المسلمين، وهنا نقطة مهمة يحسن توضيحها، إن التفجير جزء من المشكلة وإن كان جُرماً ومنكراً لكنه أحد الأجزاء، فالإفساد تنوع في العقيدة والديانة والآثار الاجتماعية لدى الأسر، والنكسات الدعوية في المجتمعات والدول غير الإسلامية<sup>1</sup>.

هذه الانحرافات هي الانحرافات التي وقفت عليها لدى (داعش)، ولم أوردتها لتحامل عليهم أو خصومة، وإنما إنصافاً لدين الله عز وجل، ولإبراء الذمة مما وقعت فيه تلكم الجماعة التي اتخذت من الغلو ديناً، ومن التكفير عقيدة، ومن استباحة الدماء منهجاً، ومن مخالفة إجماع المسلمين شعاراً.

### ثالثاً: داعش والغلو في التكفير:

لنا وقفة هنا مع ظاهرة الغلو لدى تنظيم الدولة الإسلامية؛ (داعش). فلقد تدخلت داعش في الثورة السورية بشكل كبير وواضح، واستطاعت أن تحكم قبضتها على الكثير من أراضيها، مما زاد في أمد الحرب وجعل الأمل في سقوط نظامها ينقطع، فالنظام السوري غير مرحب به داخلياً، والنظام الداعشي غير مرحب به دولياً، مما جعل الحرب تنتقل بين الدول الكبرى بمبادرة هنا، ومفاوضات هناك، بغية الوصول إلى حل يرضي الطرفين؛ الداخلي والخارجي. فالمعارضة تريد من التحالف القضاء على النظام، والتحالف يريد القضاء على داعش، وبانت الثورة السورية لا بواقي لها، وخيم الفشل الذريع عليها، دولة تعمها الفوضى، افتقدت جميع الخدمات الأساسية، وغياب كامل للمؤسسات الحكومية<sup>2</sup>.

1 الهاشمي، هشام عالم داعش، من النشأة حتى إعلان الخلافة، (مرجع سابق)، ص 264.

2 ينظر: نسيرة، هاني، من بوعزيزي إلى داعش، إخفاقات الوعي والربيع العربي، (القاهرة: مركز الأهرام للنشر: 2005).

وهكذا، اصطدمت الثورة السورية بتنظيمات مستبدة لا تختلف عن النظام السابق، أدت دوراً تدميراً ليس في عرقلة عملية التغيير فحسب، وإنما في تدخل منظمات عسكرية غير محلية؛ كحزب الله اللبناني، والحيش الثوري الإيراني، كل هذه التنظيمات تم تشكيلها بشكل مباشر أو غير مباشر على يد الأنظمة السابقة؛ لغرض عرقلة عملية التغيير، وانتقال السلطة، ولذلك انتقلت كل البلدان الربيعية الى المرحلة الخريفية، وعمت فيها الفوضى، وهذا ما فتح الباب على مصراعيه للدخول في حرب أهلية؛ لتفتيتها اجتماعياً، لوجود شرادم من الأنظمة السابقة والتعصب للانتماءات الطائفية، قبل المعارضة السياسية، وهذه هو الذي جعل المجتمع الدولي في تردد تام في دعم تلك المعارضات السياسية، بل وسمح لعملية التغيير أن تنزلق إلى صراع مسلح وحروب أهلية، وللأسف تبدو هذه هي الحقيقة المرة التي نواجهها اليوم بأن الحرب الأهلية أضحت هي الخلف الطبيعي لدكتاتورية الأنظمة التسلطية السابقة التي حكمت أمتنا الإسلامية والعربية لعقود من الزمن.

لا تتحرك ظاهرة داعش، كظاهرة في بيئة التوترات والصراعات والحروب المحلية في سوريا فقط، بل أصبح لها تواجداً إقليمياً مثل اليمن وليبيا، بل هي تجوب جغرافيا العالم برمته، حيث لا هوية محددة لأفراده، ولا وطن بذاته ينتمون إليه، بل يرون أن كل أرض هي بيئتهم، وكل قطر يستطيعون الانتقال إليه هو هدفهم، وكل شبر يتحركون فيه هو دولتهم، ولهذا لا عجب حين نرى أنه يستفيد من عملياته المتنوعة أكثر من طرف -دولة أو دول- بأجهزتها المخبرائية والأمنية، في تداخلات للمصالح بعضها مع بعض، وما يجري من شجب واستنكار يراود به التنصل من هذه العملية أو تلك، ما هو إلا فقاعات ماء لحظية ثم تنتهي لسبب أو لآخر.

نحن بحق أمام موجة عارمة من أشكال العنف الممنهج، ظاهرة لا تقتصر على المغلاة والتشدد فحسب، بقدر ما تعبر بأنها ظاهرة (دوغمائية)<sup>1</sup> جامدة، لا مثيل لها في عصرنا الحديث، من حيث تجاوزها لكل الحدود الدولية والأمنية؛ وانتهاجها نزعة إجرامية تسلطية، اعتاد أصحابها على القتل السهل بدم بارد، واستسهلوا الإجرام بشتى ألوانه وطرقه، مع الاعتقاد الحتمي من أفراده أنهم يدافعون عن الإسلام، والجزم بأن لديهم قضية يؤمنون بها، وفي الواقع هم أبعد ما يكونون عن أصول هذه القضية وهويتها.

1 هي التعصب لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينقضها لمناقشته أو كما هي لدى الإغريق الجمود الفكري.

وهي التشدد في الاعتقاد الديني أو المبدأ الأيديولوجي، أو موضوع غير مفتوح للنقاش أو للشك. يعود أصل الكلمة إلى اليونانية Δ'ΟΓΜΑ والتي تعني "الرأي" أو "المعتقد الأوحده". انظر: [HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG](https://ar.wikipedia.org).

هناك ضوابط وشروط وموانع، فيما يتعلق بإخراج الناس من دائرة الكفر، وإذا كان المسلم يتورّع أن يُفتي أو يحكم في مسائل الطهارة والعبادات فكيف يتجرأ على مسائل الدماء والردة! وليس مطلوباً منه أصلاً أن يتحقق ويبحث في حال فلان من الناس هل هو على الإسلام أو الكفر؛ لأن هذا مهمة القضاء والمحاكم لما يترتب عليها من أحكام وتبعات دينية ودينية. وهذا التنظيم قد أغرقوا الناس في مسائل التكفير والردة وإقامة الحدود وإسقاط المعاهدات بناءً على استدلال فاسد ليس له محل من النظر الصحيح ويخالف منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة، ويناقض أصول أئمة الإسلام والفقهاء رحمهم الله تعالى. ولو كان الأمر كما يثنون ويقولون لفسدت الدنيا وأصبحت فوضى فلكل شخص حق التكفير وإقامة الحد والمحاسبة ونقض العهد والأمان! فنجدهم يكفرون جميع الدول الإسلامية التي لا تحكمها الشريعة الإسلامية، بصورة كاملة، كما قال أحد قادتهم في كلمة له بعنوان، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: "ونعتقد بأن الديار إذا علتها شرائع الكفر، وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام، فهي دار كفر". ويمكن الرد على ذلك بقول ابن تيمية: "فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ أو غلط، حتى تقام عليه الحجّة، وتبيّن له المحجّة. ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يُزل عنه باشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجّة، وإزالة الشبهة"<sup>1</sup>.

كذلك يحكمون على من خالفهم بالكفر والردة، ووصفهم بالصحوات، ورميهم بالخيانة والعمالة للكفار، بالشُّبه، وبما ليس كفرًا أصلاً، كالتعامل مع الحكومات والأنظمة الأخرى واللقاء بمسؤوليها<sup>2</sup>.

كما يكفرون جميع التيارات الإسلامية المشاركة في العمليات السياسية، ففي كلمة لأحد قادتهم في: (2007/3/13): "نرى كفر وردة كل من اشترك في العملية السياسية؛ كما نرى أن منهج الحزب الإسلامي منهج كفر وردة". ولا شك أن الأحزاب الإسلامية في: (اليمن، ومصر، والكويت،... إلخ) ضمناً<sup>3</sup>.

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (ج12، ص501).

2 أبو محمد العدناني المتحدث باسم (داعش) في كلمته (الآن الآن جاء القتال) صفر 1433 هـ - 01 / 2012م:

3 العدناني، أبو محمد، السلمية دين من، (مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، موقع الملاحم والفتن، 31 أغسطس، 2013).

## رابعاً: أثر تنظيم الدولة (داعش) على الربيع العربي:

لم يكن حدث الربيع العربي حدثاً عادياً في تاريخ الأمة الإسلامية والعربية، كي يمر مرّ الكرام ولا يبالي به الناس، بل لقد قام الربيع العربي بقلب الموازين العالمية، وتبديل الاستراتيجيات الإقليمية والدولية، فحين وقع كانت الأمة عندها منهكة من ضغوط الاستبداد والظلم؛ التي أثقلت كاهلها، بالإضافة إلى غياب المشروع الإسلامي التوحيدي؛ للنهوض بالأمة في مواجهة الضغوط الخارجية - الغرب أمريكية -، في ظل ذلك كله تكونت معالم الربيع العربي، "لقد كان تحرك الشعوب العربية في تونس ومصر وسوريا واليمن والعراق وليبيا مُبرراً، وكانت ثورتها على الحكام الفاسدين سليمة، وكانت ولادة الربيع العربي ولادة طبيعية؛ من أجل ابتداء مشروع نهضوي جديد بعد فشل المشروع النهضوي الذي بدأ قبل أكثر من قرن.

وعند استعراض الوضع الحاصل في سوريا مثلاً؛ نجد أن الربيع السوري كان لحظياً وهو عند انبثاق الثورة في بداياتها فقط، وسرعان ما تبددت الآمال، وانتكس الربيع إلى خريف قاحل، لا ترى معه أي زهرة نابئة، ولعل من أشد المعوقات التي اعترضت الثورة السورية؛ هو ظهور تنظيم (داعش)، على مسارها، فلقد وجد التنظيم الذي كان لا يتجاوز الحدود العراقية متنفساً له مع مجريات التظاهرات الربيعية، وكان لذلك الظهور تطوراً في الوضع السوري، حيث قام التنظيم بمعادة الفصائل المقاومة؛ لإرغامهم على مبايعته، قبل التصدي للنصيرية والرافضة وجحافلهم التي عاثت في الشام الفساد.

وعند الرؤية الشاملة لمفرزات الربيع العربي نرى أنه قد أفرز حقيقتين:

**الأولى:** لقد أبرز الربيع العربي أن هذه الأمة ما زالت وفية لدينها وإسلامها، ودل على ذلك أن الجمهور الغالب الذي ثار في الربيع هو جمهور إسلامي، وقد كانت المساجد هي حاضنة تلك التظاهرات، ودل على أن هذه الأمة ما زالت وفية لقياداتها الإسلامية، ودل على ذلك أنها اختارت الإسلاميين في معظم الانتخابات التي جرت في بلدان الربيع العربي؛ كتونس ومصر.

**الثانية:** فشل المنظومة الفكرية التي قامت عليها النهضة السابقة والتي انطلقت مطلع القرن العشرين على مجموعة من الأفكار أبرزها "القومية العربية"<sup>1</sup>، و"الوطنية"<sup>2</sup>، و"العلمانية"<sup>3</sup>، و"الاشتراكية"<sup>4</sup>، وقد فشلت هذه الأفكار في تحقيق النهضة، وقد كان الغرب راعياً لهذه الأفكار، وكان هذا الفشل مؤشراً على فشل التغريب<sup>5</sup> الذي رعاه الغرب منذ القرن التاسع عشر.

لذلك عندما جاء الربيع العربي، وكان من أبعدياته رافع راية النهوض بالأمة، قام أعداء الأمة بإفشاله، واستخدموا عدة أدوات كان أبرزها: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ولا أعني بكلامي أن تنظيم الدولة قام وتأسس عبر أجهزة الاستخبارات الغربية، وأنها هي الراعية له، كما ينعم بذلك كل ناعم في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي؛ لأنه لا يقول بذلك القول بنظري إلا شخص سلمي ليس لديه أي نظرة متعقبة، ولكن يمكن القول بأن أمريكا غضت الطرف عن قيام ذلك التنظيم وتوسعه؛ لأسباب معلومة، يقول التوبة: "إن أجهزة الاستخبارات الأميركية قد حذرت "أوباما" من استعدادات "داعش" واحتمال توسعها في العراق مطلع عام 2014، وعن نيتها احتلال الموصل وغيرها، لكنه لم يلق بالهذه

<sup>1</sup> القومية: هي صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة ووحدة التاريخ والأهداف. وهي: مبدأ سياسي اجتماعي يُفضّل معه صاحبه كل ما يتعلّق بأمنته على سواه ممّا يتعلّق بغيرها، أو هي الاعتقاد السائد لدى الشعب في أنه يشكّل جماعة متميّزة ذات سمات خاصّة تميّزه عن الآخرين، مع توقّر الرّغبة في حماية هذا التّميّز والارتقاء به ضمن حكومة ذاتيّة. (ينظر معجم المعاني) [www.almaany.com](http://www.almaany.com)

<sup>2</sup> مفهوم الوطنيّة هو الارتباط والالتزام لأمة معيّنة، أو دولة، أو مجتمع، وغالباً ما يعتبر مفهوم القوميّة الذي يعبر عن الولاء للأمة مرادفاً لمفهوم الوطنيّة الذي يعني لغّة حب الوطن، إلا أنّ مفهوم الوطنيّة قد نشأ قبل ظهور مفهوم القوميّة (ينظر: موقع موضوع). [mawdoo3.com](http://mawdoo3.com)

<sup>3</sup> يعتقد البعض أنّ كلمة العلمانيّة مأخوذة من كلمة العلم SCIENCE ولكن في حقيقة الأمر أنّ العلمانيّة بعيدة كلياً عن العلم؛ فالعلمانيّة عبارة عن أحد أشكال الفلسفات التي وُلدت في كنف الحضارة الغربيّة وتأثرت بالنصرايّة فقد كان ظهورها الأول سنة 1789م في فرنسا، ومن ثم انتشرت لتعمّ القارة الأوروبيّة وبقية العالم. العلمانيّة SECULARISM هو اتجاهٌ فلسفيٌّ للحياة يعمل على مبدأ إقامة دعائم الحياة اليوميّة بعيداً عن الدّين ومبادئه وتعاليمه، ويكتفي بالاعتماد على العقل والعلم البشريّ الذي توصل له الإنسان عبر الزّمن؛ لذلك هناك من عرّف العلمانيّة بأنّها الدّنيويّة أو اللّادينيّة حيث إنّها تقوم على إقصاء الدّين من حياة النّاس لتحلّ محلّها القوانين الوضعيّة. (ينظر: العلمانية للحوالي)

<sup>4</sup> الاشتراكية والشيوعية: هي عبارة عن حركةٍ سياسيّةٍ تهدف إلى المساواة بين الأفراد في المجتمع الواحد؛ بحيث لا يكون أيّ فردٍ أفضل من الآخر، فالمجتمع يجمع بين أفرادِهِ تحت مظلةٍ واحدة. وتُعرف الشيوعيّة أيضاً بأنّها مذهبٌ فكريٌّ يسعى إلى تقديم المادّة على كل شيءٍ في الحياة، فهو يرفض التقيّد بالقواعد الدّينيّة والاجتماعيّة التي تنظّم المجتمع، بل يعتمد على الاهتمام بدور المادّة في إنتاج المجتمع، والفكر الإنسانيّ الخاصّ بالنّاس. (ينظر: الإسلام المناهج الاشتراكية، الغزالي)

<sup>5</sup> يقول هدارة: إن «اصطلاح «التغريب» ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم "WESTERNYATION"، وكانوا يعنون به نشر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القوى المضادة التي تحفظ لهذه البلاد كيانتها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمها الدين واللغة، وفي زوال هذه القوى ضماناً لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحزّرها من نير الاستعمار الغربي ظاهرياً" (محمد مصطفى هدارة: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، مجلة الأدب الإسلامي، ج.1، ع.2، 1994، ص.8).

التقارير، وترك "داعش" تتمدد وتحتل الموصل، وتهدد بغداد، ثم دعا إلى الحلف الدولي الذي شمل أربعين دولة في سبتمبر 2014<sup>1</sup>.

والسؤال الآن: ماذا قصد الغرب من السماح لـ (داعش) بالحضور والمرور والانتشار؟

لا شك أنه قصد أن يُشوه الإسلام، والقيادات الإسلامية من جهة، ويُعطي مُبرراً لبعض أعماله وتصرفاته من جهة ثانية، وبذلك يقطع الطريق على الربيع العربي وقياداته الإسلامية، وأطروحاته الإسلامية، وبخاصة أننا نرى أن (داعش) قد تمدد إلى مصر في سيناء، وإلى تونس في جبال الشعانبي، وإلى ليبيا في سرت، وإلى جنوب اليمن<sup>2</sup>. في مقال لخالد أبو الفضل قال فيه: "لست متيقناً بتأناً أن ما يسمى بدولة الخلافة سوف تختفي فجأة كما ظهرت بمجرد ملل مبتدعيها من اللعب بالنار، ولكن يمكننا الجزم حقيقة أن داعش نجح بشكل تام في إجهاض الحماس الثوري العربي الذي حلم ذات مرة بالحرية، ناهيك عن نجاحه الحتمي في تحقيق المزيد من التهميش للفلسطينيين في محنتهم، كما ساعد أيضاً على ترسيخ موضع قدم الأنظمة البائدة ومشايخ النفط الفاسدين والطغاة العسكريين في السلطة"<sup>3</sup>.

والذي يظهر وهو الأهم من ذلك كله برأيي هو: أن ظهور التنظيم عمق الهوة بين التيارات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي عموماً وبين الفصائل المقاومة لنظام الأسد بالخصوص، ولإصلاح هذا التمزق نجدنا بحاجة إلى جهود للتوفيق ما بين الهوية الإسلامية المتجذرة عميقاً في قلب المجتمع العربي، والشعور الحالي الذي ينشد التعافي من الجراح ورغبة التخلص من الفتن. "نعم، استطاع القادة العرب الفاسدون والحكومات الغربية المشبعة والعنصرية كسر وإحباط الجماهير العربية، كما أن أشباه الأميين وبعض المثقفين المهجرين والمهجرين المحبطين المغرورين الذين يتصورون أنهم يستطيعون التحدث باسم الإسلام، خدموا ويخدمون - بقصد أو بدون قصد - السعي الإقليمي لاجتثاث الربيع العربي"؛ والقائم على النظام الوراثي في الحكم؛ والتي سعى حديثاً لنقل تلك العدوى للبلدان العربية<sup>4</sup>.

1 ينظر: صحيفة الشرق الأوسط: حلقات من كتاب: (من بوعزيزي إلى داعش)، الاثنين - 02 فبراير 2015، العدد [13215].  
2 النوبة، غازي، دور داعش وملاي إيران في تدمير الربيع العربي، بتصرف، آخر تحديث: 26/8/2015

[HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/KNOWLEDGEGATE/OPINIONS/2015/8/24](http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/8/24)

3 أبو الفضل، خالد، المصدر: أستراليا برووكاستينغ كوربريشن (هيئة الإذاعة الأسترالية). 25 إبريل 2015،

[HTTP://WWW.NOONPOST.ORG/CONTENT/6398](http://www.noonpost.org/content/6398)

4 المرجع السابق.

وبانضمام سوريا إلى ليبيا واليمن بعد سيطرة داعش على كثير من المناطق السورية، نستطيع القول بأن الربيع العربي قد أصبح في تلك المناطق خريفًا كاملاً، بعد مرور أكثر من ست سنوات من اندلاعه، لم تستطع معظم دول الربيع كمصر وسورية وليبيا واليمن، إنجاز عمليات التحوّل السياسي الذي يحقق تطلعات الشباب الذين كانوا في نواة التظاهرات المليونية التي ملأت شوارع عواصم تلك الدول، على الرغم من نجاح عملية التحوّل في دول أوروبا الشرقية في تسعينات القرن الماضي، وأميركا اللاتينية في الثمانينيات منه.

### المرحلة القادمة ومستقبل تنظيم الدول في المنطقة العربية:

في اليوم التالي لسقوط مدينة الموصل بيد تنظيم "الدولة الإسلامية" وتمدده السريع؛ بدأت الولايات المتحدة وحلفاؤها بتغيير مقاربتهم تجاه الأوضاع في كل من سوريا والعراق. لم تعد واشنطن تنظر إلى ذلك التنظيم بوصفه تنظيمًا محليًا عراقيًا يعاني من أزمة بنيوية تتمثل بعدم قابلية المجتمع السني للتعيش مع أيديولوجيته الدينية المتشددة، ويواجه صحوات عشائرية سنوية، كما كانت عليه الحال في العام 2008، فقد أصبح، الآن، لاعبًا إقليميًا عابرًا للحدود يسيطر على مساحة واسعة من الأراضي ويهدم الحدود لوصول المناطق التي يسيطر عليها بين سوريا والعراق، ويمتلك ترسانة عسكرية ضخمة، جاء أغلبها عبر ما حصل عليه من معاركه مع الجيشين العراقي والسوري، ولديه كفاءة قتالية عالية وخبرة عسكرية وجهاز يدير المعارك على مستوى محترف، ويمتلك مصادر للثروة من حقول النفط التي يسيطر عليها ويتقن التعامل مع "السوق السوداء" للهروب من العقوبات الشديدة، فضلاً عن توظيفه للصراع الإقليمي وتضارب مصالح الدول في المنطقة والعالم، ويحظى بغطاء مجتمعي ناجم عن تفشي الطائفية وحالة الفوضى والفراغ السياسي الكبير في المنظومة الرسمية العربية<sup>1</sup>.

تحركت الولايات المتحدة الأميركية وحشدت معها دولاً غربية وعربية عبر تحالف عسكري هدفه الرئيس تقليص أظافر تنظيم الدولة الإسلامية، وإيقاف تقدمه، وصولاً إلى القضاء عليه. وبعد أعوام من إنكار المشكلة الجوهرية التي أدت إلى صعود هذا التنظيم؛ بدأ الحديث يأخذ طابعاً أكثر عمقاً في إدراكها؛ إذ اعترفت الإدارة الأميركية بوجود أزمة سنوية في المنطقة أدت إلى صعود هذا التنظيم، فوصلت عبر

<sup>1</sup> أبو رمان، محمد، سرّ الجاذبية: الدعاية والتجنيد لدى داعش، (عمان: مؤسسة فريديش ايرت، 2014). ص.9.

تفاهات إقليمية (مع دول المنطقة بخاصة كل من إيران والسعودية) إلى "صفقة" التخلص من رئيس الوزراء العراقي السابق، نوري المالكي، بدعوى أن سياساته أدت إلى تعزيز الروح الطائفية في العراق، وأضعفت من شرعية مؤسسات النظام السياسي الجديد هناك، لكن هذا الحل كان أقرب إلى تسطيح الأزمة واختزالها والتغاضي عن الدور الإيراني الذي لا يزال فاعلاً في بناء شبكة كبيرة لتجذير نفوذه ليس في العراق وحده، بل في المنطقة العربية، مروراً بسوريا ودعم نظام الرئيس بشار الأسد، ودفع حزب الله والمليشيات الشيعية إلى أتون الصراع الأهلي هناك لإنقاذ النظام من الغرق<sup>1</sup>.

### تجاهل عوامل صعود داعش، وسياسات النظام السوري:

تكمن المفارقة في أن التحالف قرر ضرب التنظيم في العراق وسوريا معاً، مع تجاهل مواجهة الشروط المؤسسة له ولصعوده، والتي تتمثل في سياسات النظام السوري وقمعه للاحتجاجات السلمية واستمراره خلال عدة أعوام في استخدام الأسلحة المختلفة لضرب المعارضة؛ ما أدى أولاً إلى عسكرة الانتفاضة السلمية. وثانياً: إلى بروز القاعدة ثم انشطارها بين تنظيم الدولة الإسلامية والنصرة هناك.

وأخيراً، إلى تعزيز نفوذ هذا التنظيم الذي أتقن فن اللعبة الطائفية ووظفها بدوره في مواجهة الطرف الآخر، معتمداً على خطاب هويّاتي صلب وسافر، في تجنيد الشريحة السنّية الكبيرة، التي كانت تشعر بحالة من اليأس والإحباط الشديد من أي أفق سياسي سلمي للتغيير، ومن تخاذل المجتمع الدولي عن وضع حد للمأساة التي عايشتها، فأدت إلى هجرة الملايين وقتل مئات الآلاف، وتعرضت لجملة من المجازر والكوارث التي حلّت بها.

ومع صعود النزعات الطائفية المتبادلة، وجنوح القوى السياسية الشيعية نحو طهران، بوصفها مركز الثقل الإقليمي لها، وضعف الوسط السياسي الرسمي السنّي عموماً، وشعور المجتمعات السنية في ثلاثة مجتمعات رئيسة: العراق وسوريا ولبنان، بحالة من الفراغ السياسي وتهديد عميق لهوياتها ومصالحها؛ لم يعد صعود هذا التنظيم أمراً يستعصي على الفهم والإدراك والتحليل، فهو إن لم يكن، بالضرورة، خياراً ثقافياً حضارياً طبيعياً، فإنه ضمن الظروف الاستثنائية وحالة الفوضى والصراع الداخلي بات لدى فئات من

<sup>1</sup>شرف الدين، يوزورجهر، لماذا تخلت إيران عن المالكي في النهاية، موقع بي بي سي العربي، 13 أغسطس 2014، على الرابط: [HTTP://WWW.BBC.CO.UK/ARABIC/MIDDLEEAST/2014/08/140813\\_IRAN\\_LET\\_MALIKI\\_GO](http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/08/140813_IRAN_LET_MALIKI_GO)

المجتمع السني أداة للدفاع عن النفس، سواء قبلوا بها أو رفضوها حيث لم يجدوا مسارًا بديلاً لمقاومة فعالة لها. لذلك؛ تبقى الأزمة السنّية هي نقطة الضعف الجوهرية في استراتيجية إدارة الرئيس أوباما في مواجهة التنظيم، مع عدم استعداد السنّة للرهان على حلول جزئية قاصرة، قد تؤدي إلى مزيد من الضعف والفشل في حال تم إضعاف هذا التنظيم، الذي لا يعبر عن خيارات سنّية طبيعية اختيارية، بقدر ما يعكس الشعور بالقلق والرعب من الظروف الراهنة<sup>1</sup>.

ولإدراك الإدارة الأميركية أن الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية عملية معقدة؛ إذ إن الأبعاد العسكرية فيها متشابكة مع السياسية، فإنها وضعت تصورًا بعيد المدى، يربط التقدم العسكري بشرط جوهري، يتمثل بفك التشابك بين تنظيم الدولة والحاضنة السنّية في كل من العراق وسوريا، وتعتمد في ترجمة نتائج القصف الجوي لمكاسب عسكرية بالإضافة للقوات الكردية والجيش العراقي على السنّة العراقيين والسوريين، الذين تريد الولايات المتحدة وحلفاؤها تدريبهم لمواجهة القاعدة، لذلك جرى التفكير في إنشاء "الحرس الوطني" في العراق، لتدريب السنّة من أبناء العشائر وإدماجهم فيه، وكذلك الأمر بتدريب الجيش الحر في سوريا<sup>2</sup>.

كل ذلك يقودنا ما سبق إلى السؤال الجوهري في الحديث عن المرحلة القادمة ومستقبل المنطقة العربية، ويتمثل في سيناريوهات اليوم التالي للحرب الراهنة على تنظيم الدولة الإسلامية؟ ويتوقف الجواب على ذلك فيما إذا كانت الحرب على تنظيم داعش ستمكن من القضاء عليه، وإنهاء دولته التي أعلن عنها ممتدة بين الأراضي السورية والعراقية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي مآلات الأوضاع في العراق وسوريا في حال لم تحل المشكلة السياسية السنّية في سوريا، وفشلت جهود احتواء السنّة العراقيين؟ وهل إنهاء "داعش" سيؤدي إلى عودة الاستقرار الإقليمي؟

<sup>1</sup> أبو رمان، محمد، مستقبل الحرب على تنظيم الدولة، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر، 2014). ص 76.

<sup>2</sup> ينظر: تقرير "أوباما ينتقد المالكي ويرسل 300 خبير عسكري للعراق، (صحيفة العربي الجديد، 19 يونيو/حزيران 2014).

من الضروري أن نطرح بعض القضايا الرئيسية حول تنظيم داعش، وطبيعته. وهو المرتبط بصعود تنظيم الدولة الإسلامية بوصفه فاعلاً إقليمياً، عابراً للدول والمجتمعات، وهما قضيتان رئيسيتان:

الأول: يتمثل بالنزعة الطائفية في المنطقة الناجمة عن النفوذ الإقليمي الإيراني، والفرغ السياسي السني، وانفجار الصراعات الداخلية على أسس طائفية ودينية وعرقية في كل من العراق وسوريا.

والثاني: ينبثق من سياسات الأنظمة السلطوية وقمع الاحتجاجات السلمية وحالة الانسداد السياسي، والانقلاب على مخرجات الربيع العربي أي إنه مرگب على أزمة سياسية عربية.

وهو ما يمكن النظر فيه إلى تنظيم الدولة باعتباره نموذجاً من نماذج متعددة عابرة للمجتمعات، تتمثل بالجماعات الدينية والطائفية التي أصبحت فاعلاً رئيساً في ظل حالة الفوضى السياسية والأمنية، فالجماعات الشيعية العراقية وحزب الله والقوى الكردية والحركات السلفية الجهادية وفروع القاعدة والحوثيين تتوافر على الشروط السياسية والمجتمعية نفسها التي أدت إلى صعود ذلك التنظيم. ويتأسس هذا بالدور السياسي والأمني والعسكري لهذا التنظيم، وعلى فشل الدولة الوطنية العربية في الإدماج السياسي وحماية قيم المواطنة والقانون وسيادة حالة من الفوضى الأمنية والفرغ السياسي. إن صعود هذا التنظيم، محلياً وإقليمياً، ليس طارئاً وهزيمته تتجاوز الجانب العسكري والأمني، إلى مواجهة الشروط الموضوعية السياسية التي تقف وراءه ووراء التنظيمات والنماذج الشبيهة<sup>1</sup>. ومن هذا يمكن استنتاج نتيجتين مهمتين، هما:

الأولى: أن النجاح الفعلي، طويل المدى، للحرب الراهنة، لن يتحقق إلا بشرط رئيس وهو فكُّ الاشتباك بين تنظيم الدولة الإسلامية والمجتمع السني، ومدى قناعة المجتمع السني بالانقلاب مرة أخرى على التنظيم، كما حدث في العام 2007 مع تجربة الصحوات.

والثانية: أن المنطقة بأسرها تمر بمرحلة انتقالية تشهد انخياراً للدولة القطرية ومنظومتها السياسية، وهي حالة تتجاوز العراق وسوريا إلى أغلب دول المنطقة؛ إذ نجد حالة الفوضى وعدم الاستقرار تسود اليمن وليبيا لبنان وصحراء سيناء في مصر، في مقابل حالة صعود للميليشيات العسكرية ذات الطابع الطائفي أو الديني أو العرقي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أبو رمان، محمد، سرّ الجاذبية: الدعاية والتجنيد لدى داعش، (عمان: مؤسسة فريديش ايرت، 2014)، ص78. بتصرف

<sup>2</sup> المرجع السابق. بتصرف

## المطلب الثاني: التيار الموافق للشيعة في العصر الحديث: (الحوثية).

التاريخ والواقع، الماضي والحاضر، الكل يروي لنا قصة الظهور لكل حكاية استحدثت في الكون منذ القدم، وهذه القصة تبدأ بفكرة مستحسنة لشخص ما، ثم تبلورت هذه الفكرة في عقله الباطن، والذي بدوره أن آمن بها هو أولاً، ومن ثم استعرضها لأقرب الناس إليه، فالبعض اقتنع، والبعض أمسك، والبعض امتنع دون عداء، والصنف الأخير اعترض وهاجم وحارب تلك الفكرة. ولكن يمكن القول إن هذا الحال -أقصد أصناف الناس تجاه الداعي- أيضاً كان مع أنبياء الله مع أقوامهم، إلا أن الفرق بين أنبياء الله وغيرهم ممن دعا إلى منهج أو فكر، أن الأنبياء لم تكن بداية دعوتهم عبارة عن فكرة، وإنما كانت مستمدة عن وحي يأتي من السماء عبر الأمين جبريل عليه السلام، أما أصحاب تلك الأهواء فإن بداية دعوتهم كانت عن فكرة اقتنع بها ثم قام بالدعوة إليها، وقد يكون ذلك الفكر ليس عن قناعة معينة وإنما للإساءة لدين ما، وقد تكون من حيل المتآمرين ومخططاتهم اللئيمة، على أمة من الأمم، ومعتقد من المعتقدات؛ خاصة المؤيدة بالوحي.

"لقد كثف مشروع ملالي إيران" دوره الطائفي في بلدان "الربيع العربي"، فساعد نظام بشار الأسد في مواجهة الشعب السوري الذي ثار على استبداده وأجهزته الأمنية وفساد سلطته، لذلك طلبت إيران من "حزب الله" في لبنان، والمليشيات التابعة لها في العراق وباكستان وأفغانستان واليمن أن تُرسل كتائبها لتقاتل إلى جانب نظام الأسد، بعد أن كاد يسقط نهاية عام 2012، وبهذا أفشلت حلقة أساسية من حلقات "الربيع العربي"، وقد نجحت خططها، لذلك فقد استعاد نظام الأسد جانبا من قوته عام 2013، وذلك بفضل مساعدات إيران وأموالها وأسلحتها واستخباراتها ومليشياتها<sup>1</sup>.

وكذلك لعب مشروع ملالي إيران في إفشال الربيع العربي في: اليمن، بل وفي مصر وليبيا، ولكن بصورة مختلفة من دولة إلى أخرى حسب ظروف تلك الدولة، ولكن الأبرز في دور المشروع هو إثارة النزعات الطائفية التي زلزلت كيان الأمة، وحرقتها عن مواجهة الخطر الأساسي المتمثل في المشروع الغربي الصهيوني. كما أبرز "الربيع العربي" حقيقة ارتباط الأمة بإسلامها، وحقيقة فشل المنظومة الفكرية التي

<sup>1</sup> التوبة، غازي، مشروع ملالي إيران، الأبعاد والنتائج، (قطر، الجزيرة، مقالات وجهات نظر، الموافق 6/6/1436 هـ).

استندت إليها النهضة، واستخدم أعداء الأمة عدة أدوات لإفشال الربيع العربي منها: "داعش" و"مشروع ملالي إيران"<sup>1</sup>.

والطائفة الحوثية في بداية أمرها كانت إحدى الطوائف الزيدية التي كان لها تواجد قوي في اليمن مذهباً وسلطة، فقد كان لعائلة حميد الدين اليد الطولى في إرساء المذهب الزيدي أثناء فترة توليهم الحكم، غير أن الحوثية كانوا بدايةً على المذهب الجارودي، ثم وصل بهم الحال إلى الاثني عشرية. وقد قدمت عرضاً موجزاً عن الزيدية، ليتضح مدى صحة انتماء الحوثية لهم، قبل الدخول إلى وحلهم<sup>2</sup>.

### أولاً: النشأة والتعريف.

#### أولاً: لمحة عامة:

استطاع الزيود استرداد السلطة في اليمن من الأتراك عام (1322هـ)، عندما قاد يحيى بن منصور ثورة ضدهم، وعندها أسس الدولة الزيدية، والتي تم إسقاطها على يد الثوار في سبتمبر عام (1962م)، وانتهى عندها الحكم الزيدي كحكم وسلطة، أما كمذهب فلا زال اليمن معقل الطائفة ومركز ثقلهم. وأصل الحركة الحوثية، أو ما يعرف بالشباب المؤمن كما يطلقون على أنفسهم هي: "حركة دينية ذات طابع سياسي وعقائدي، يسعون لاسترداد الإمامة، ويعتقدون أفكار وعقائد الاثني عشرية"، وإن كانوا يزعمون أنهم زيدية- وحقيقة حالهم أنهم إحدى الفرق المنتسبة للزيدية والتي تسمى: (الجارودية)، وتعتبر الجارودية فرقه زيدية شيعية اثني عشرية. ومع ادعاء الحوثيون أنهم يتمذهبون بالزيدية، إلا واقعهم يقول عكس ذلك<sup>3</sup>.

1 التوبة، غازي، دور داعش وملالي إيران في تدمير الربيع العربي، آخر تحديث: 26/8/2015 الساعة 17:25 (مكة المكرمة) الموافق  
HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/KNOWLEDGEGATE/OPINIONS/2015/8/24 هـ 12/11/1436

2 ينظر: الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (صنعاء، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 2009). ص9. بتصرف.

3 المرجع السابق، ص7، بتصرف.

كان بدء التأسيس مع ظهور ما يسمى جماعة: (الشباب المؤمن)؛ والذي يعد من اللبنات الأول لظهور حسين بدر الدين، الذي تلقى دراسته الشرعية في مدارس (قم)، وتلقى التدريب العسكري في معسكرات (حزب الله) في لبنان، ومعلوم من هم أولئك؟ وما هو الذي سيتلقاه منهم؟! ومعلوم مدى مشاركة الجيش الثوري الإيراني، وحزب الله، في جميع معارك اليمن في صفوف الحوثيين، من جنود واستشاريين، وقد رأى العالم بأسره المدد الذي يقدمونه من السلاح والعتاد، وقد رأينا في الإعلام كثير من المرجعيات السياسية والدينية الإيرانية تتمدح في الحوثيين، وما ذاك إلا لموافقتهم لما هم عليه. وقد قامت عدة حروب بين الحكومة اليمنية وبين الحوثية بعد عمليات الاضطرابات التي قاموا بها في منطقة صعدة في عهد علي صالح، التي كانت تنتهي في كل مرحلة من مراحلها بالهدنة الكاذبة؛ التي يراد منها إعادة ترتيب صفوفهم وتقويتها، ولم تكن الهدنة تقام على أساس إنهاء تلك الفتنة ووأدها في مهدها<sup>1</sup>.

وما نراه من الأعمال التي يقوم بها الحوثيين في اليمن خير شاهد على انتماءهم إلى الرفض، فلقد كان الهم الأكبر لديهم هو تدمير مراكز السنة، ودور تحفيظ القرآن الكريم، وكان ذلك مُشاهد في كل منطقة يسيطرون عليها، فأول ما يقومون به هو تدمير دور القرآن والسنة وقتل أهلها، وأقل أحوالهم الرج بهم في السجون، والقيام بتعذيبهم بأبشع ألوان التعذيب -والله المستعان.

واليا يعتبر الزعيم الفعلي الحالي للحوثيين هو: عبد الملك بن بدر الدين الحوثي، والذي اشتد ساعده في فترة الربيع العربي، حيث كان للحوثيين تواجد قوي في ساحات التغيير في اليمن، وقد استغلوا ذلك الحدث الاستغلال الأنسب لهم؛ حيث باتوا ينشرون أفكارهم لدى الشباب الثائر، واستطاعوا أن يركبوا على الموجة من الجهة المناسبة، وحدثت بداية التوسع الرهيب الذي سيطروا فيه على معظم المناطق اليمنية، وقد رأى اليمنيون ما الذي أصاب اليمن بعد أن هيمنت تلك العصابة الدموية عليه، حيث كان المنطلق لها من دماج؛ بدأً بحصار المركز السلفي بها، والذي أسسه ثمانينيات القرن المنصرم الشيخ مقبل الوداعي، وقد انتهى ذلك الحصار بعقد هدنة، أُجبر السلفيون حينها على مغادرة دماج، على وعد من

<sup>1</sup> الحجري، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوثية، (القاهرة، دار المحدثين، ط1، 2011). ص91.

الحكومة بإنشاء مركز آخر في محافظة (إب)، إلا أن الوقت لم يسعف الحكومة التي نفسها استطاعت الهرب من اليمن بصعوبة<sup>1</sup>.

وكان بدء تلك العاصفة الحوثية الراضية بتحولها الجذري المقيت عام: (2011م) حيث بداية الصراع في (دماج) مع السلفيين، ثم توسع شرر تلك النار ليصطلي بها الإصلاحيون في عمران، حيث دارت معارك قوية استمرت لعدة أشهر، والتي انتهت بمقتل قائد المقاومة (القشبي)، والذي كان مقتله بوابة للحوثيين لدخول صنعاء، والتي لا تزال تحت قبضتهم رغم قيام التحالف العربي بقيادة السعودية بمحاربتهم، وشن الهجمات والغارات الجوية على جميع معسكراتهم، والمناطق التي يسيطرون عليها، إلا أن الدعم القوي الذي تتبناه إيران وحلفاءها جعل من الحوثيين قوة استعصت على التحالف، الذي بات غير قادر على حسم المعركة حتى يومنا هذا<sup>2</sup>.

وقد أطلق التحالف اسم: (عاصفة الحزم)، على عملياته العسكرية؛ وهي: عملية عسكرية سعودية، بمشاركة تحالف دولي عربي مكون من عشر دول ضد جماعة (الحوثيين) وصالح، والقوات الموالية لهم، والتي بدأت في: (5 جماد الثاني 1436هـ) الموافق: (26 مارس 2015م). ولا زال الحوثيون يسيطرون على أغلب المناطق الشمالية، ويجبرون الناس على أداء الخمس، كما باتوا ينشرون الفكر الشيعي بين الشباب اليمني، تارة بالقوة، وأخرى بالمغريات، ومن أعظم تلك المغريات التي دخلوا بها على الشباب المتحطم معنويا واقتصاديا وتعليميا وثقافيا، هما: (المال والمتعة)<sup>3</sup>.

أما موقف هذا العصابة من الدول العربية فقد تجلّى لكل الناس متعلمهم وعامتهم، أن بدء النشوب مع الدول العربية هي الحرب التي أدخل فيها الحوثيون المملكة العربية السعودية عندما تعرضوا للمناطق الحدودية مع السعودية، مما جعل السعودية تقوم بالرد عليهم، وهذا كان بدء التجاوزات التي قامت بها هذه الطائفة تجاه الدول المجاورة والدول العربية، ثم ما كان منهم من موقف تجاه المبادرة القطرية؛ التي لم يحترموا فيها رعاة تلك المبادرة.

<sup>1</sup> المرجع السابق.

<sup>2</sup> الصادق، ماذا تعرف عن الحوثية، (مرجع سابق)، ص19.

<sup>3</sup> <https://aawsat.com/home/article>

ولهذا نجدهم لا يولون أي أهمية للدول الشقيقة لليمن بالدرجة الأولى، وللدول العربية بالعموم، حيث تجلت أكثر جزاء المواقف العدائية لهم حين أصروا على مواجهة جميع الدول العربية بل الإسلامية، وقاموا بمحاربتهم جميعاً؛ فيما يسمى (بعاصفة الحزم)؛ والتي اشتركت فيها أكثر الدول العربية، والإسلامية. وما هذه المواقف من هذه الطائفة أو الحركة إلا دليل على مدى الترابط بينها وبين الحليف والداعم بل والمؤسس الأول لها وهي دولة الكيان الفارسي الجوسني الشيعي<sup>1</sup>.

والحاصل الذي نستخلصه من جميع الدعوات والحركات الدينية والفكرية، أنه يأتي نتيجة أن يقوم من ينظر لتلك الديانة أو الفكر، ويدعوا لهما بكل الوسائل المتاحة لديه في حينها، ثم يتبنى ذلك الفكر والمنهج من يكون من المقربين لذلك الداعي، أو من المعجبين به، وحينها يمكن القول، بأن المؤثر والمؤثر عليه؛ جميعهم أضحو من المؤسسين والمنظرين لها، وكل حسب الموقع الذي يستطيع أن يؤدي دوره.

### الحركة الحوثية تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: الجناح الفكري. القسم الثاني: الجناح العسكري.

وغلب عليهم الجناح العسكري كون اعتبارها من أكبر المليشيات المسلحة في اليمن، وتعدّ محافظة صعدة هي المعقل الرئيسي لهم لكون تمددهم بدأ من هناك. وفي بادئ أمرهم لم تكن تعرف هذه الطائفة كهيئة تنظيمية، ولكن برز هذا الجسم ووجد منذ الحرب الأولى في صعدة ككيان غير متجانس، ولكن لهم مصالحهم الخاصة، وموحدين تحت شعار بمعان مختلفة لأعضاء مختلفين. ثم مع تتابع الأحداث واستمرار الحروب بينهم وبين الحكومة اليمنية في تلك الفترة بدا لهم فكرة وجود تنظيم هرمي بجدول واضح لترتيب وتنظيم المعركة، والطائفة على حد السواء. ووفقاً لوثائق ويكيليكس<sup>2</sup>، لا يوجد دليل أن المقاتلين الحوثيين يقادون من وحدة قيادة مركزية أو يحملون أيديولوجية واضحة ومشروع سياسي.

(الحوثيين) أو (الحركة الحوثية) أو (العناصر الحوثية) أو (الشباب المؤمن) أو (أنصار الله)، هذه هي المسميات التي تطلق على هذه الجماعة، وكانت الجماعة تعرف بنفسها قبل أن يتخذوا اسم أنصار الله بـ: (أنصار الحق) و (الحسينيين) و(المجاهدين) و(جند الله)، كل هذه التسميات تساعد في صعوبة اعتبار الحوثيين منظمة بجهاز قيادة مسيطر ومتناسك.

<sup>1</sup> الصادق، ماذا تعرف عن الحوثية، (مرجع سابق).

<sup>2</sup> ينظر: وثائق ويكيليكس، موقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

وتعتبر سنوات قتالهم في صعدة هي العامل المساعدة في ولادة هذا المد الصفوي، المرتقب منذ سنوات على يد الحوثي الأب والأبن، بعد أن تلقوا التعليم والدعم المادي واللوجستي من إيران<sup>1</sup>.

### ثانياً: مخالفة الحوثية للزيدية، وأقوال علماء الزيدية فيهم:

أما عن أقوال علماء الزيدية في الحوثية الذين أدانوا حركة الحوثي وحملوه مسؤولية الفتنة<sup>2</sup>:

- القاضي أحمد الشامي، أمين عام حزب الحق وقتها قال: "في الحقيقة لقد قام حسين بدر الدين بإثارة هذه الفتنة، ولم يكن فيها رأي لعالم يعتبر، ولا حاول أن يتحدث مع أي عالم، ولا حاول أن يقول ما في نفسه، ولم ندر إلى اليوم ما هي الفتنة هذه، وهو يعلم، وكل إنسان يعلم؛ أنه ليس مردودها إلا إرادة الإمامة، أما فائدة لنفسه؛ فإنه لن يحصل على شيء...، وإن لم ينته؛ نعتبر أنها فساد في الأرض،...، هكذا نقول، ونتبرأ من موقفه؛ لأنه لم يكن لنا فيه رأي، ولا عرفنا منه أي كلمة طيلة هذه السنوات، حتى بعد هذه الفتنة والتي أيقظها من مرقدتها".
- القاضي أحمد عبد الرزاق الرقيحي، قال: "الحقيقة أن هذه الفتنة قد ألفت بظلالها على فئة أو مجموعة من الناس معبأين؛ مع أن الرجل هذا له أفكاره، ولا يمثل المجموعة، ولا يمثل المذهب الزيدي، ولا أفكاره ولا منهجه،...، إلخ).
- العلامة عبد الله حمود العزي، قال: "هذه الفتنة، لا بد أن يقضى عليها، ولا بد أن تحسم حتى لا تكون فرصة لمن في قلبه مرض في النفاق والحقد والكراهية،...، لا بد أن تعمل سيدي رئيس الجمهورية بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وصدق رسول الله حينما قال: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والخارج عن الجماعة...)، إذن إذا وجدت الفتنة يجب عليك أن تقطعها من دابرها، والله معك، ونحن معك،...، وغاية الرجاء: أوصيك أن تقطع هذه الفتنة من دابرها، وكل من يخطط أو يدعو إليها أو يفكر أن ينضم إليها....".

<sup>1</sup> سنوضح ذلك عند الكلام على الحوثية وارتباطهم مع إيران في المطلب الثاني.

<sup>2</sup> يحيى، ناصر، مواقف زيدية ضد الحوثي، 1 أبريل 2013م، [HTTP://ALMASDARONLINE.COM/ARTICLE/43630](http://ALMASDARONLINE.COM/ARTICLE/43630)

- العلامة محمد عبد العظيم الحوثي، في لقاء مع صحيفة "الأهالي" قال فيه: "هم مارقون خرجوا عن الدين كله، ما هم بزيدية، ولا جعفرية، ولا شافعية، ولا معهم مذهب أحد، والدليل استباحتهم لأموال المسلمين ودمائهم بغير حق،...، الشباب المفتون بهم أعداء الإسلام كله، وأعداء الدين وأعداء المؤمنين).
- القاضي العزي محمد الأكوغ، مفتي ذمار قال: " لا يعقل أن نسوغ أو نبرر القتل، وإزهاق الأرواح، كما يصنع الحوثي وأتباعه الذين خرجوا على طاعة ولي الأمر، وقتلوا النفس التي حرم الله، وأحدثوا في البلاد الشرور والأزمات،...، لا يمكن أن يصدق عاقل أن هذه الأعمال تمتُ بصلة للمذهب الزيدي، وهذه مغالطة مكشوفة، سعى من خلالها الحوثيون إلى الإضرار بأتباع المذهب الزيدي، لعدم انسياقهم وراء أعمالهم غير السوية، وأفكارهم الغريبة؛ التي استنكرها كل أبناء اليمن، وفي مقدمتهم علماء الزيدية".
- القاضي أحمد العنسي، إمام وخطيب المدرسة الشمسية بدمار: "الحوثي وأتباعه؛ تحالفوا مع الشيطان، وباعوا أنفسهم، وعملوا على سفك الدماء، ودمروا المنازل، وشردوا أهلها، ونصبوا العداء للوطن، دونما أسباب ومبررات لذلك،...).
- القاضي محمد بن أحمد الوزير الوقشي<sup>1</sup>، أستاذ الفقه وأصوله؛ بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بصنعاء، وأحد كبار علماء الزيدية في اليمن، قال: "إن مليشيا الحوثي الانقلابية، والمخلوع صالح، فشلوا في إقناع علماء الزيدية للانضمام الى مشروعهم الرافضي التابع لملاي إيران". وأكد في تصريحات خاصة للمدينة: " أن مليشيا الحوثي، والمخلوع صالح، تحاول نشر فتاوى لعلماء على أنهم (زيدية)، وهم في الأصل ليسوا منا ولا من علمائنا"، موضحاً أن علماء الزيدية الكبار في اليمن لم يعلنوا ولاءهم أبداً للحوثي ولا تأييدهم للمخلوع صالح. وقال: "إن نشر فتوى من علماء يدعي الحوثي أنهم (زيدود) هي محاولة فاشلة من مليشيا الحوثي وصالح لدغدغة مشاعر المنتمين للمذهب الزيدي في اليمن. مشيراً الى أن علماء الزيدية في صعدة جمعيتهم مناوئون للحوثي ومشروعه الخارجي الإيراني، حتى أن محمد عبدالعظيم الحوثي من اشد المعارضين لحسين بدر الدين الحوثي واخوه عبدالملك وللحوثيين، وقد اصدر فتوى في الجهاد وقتال مليشيا الحوثي الانقلابية. وذكر بأن علماء

1 [HTTP://YEMEN-PRESS.COM/NEWS66195.HTML](http://YEMEN-PRESS.COM/NEWS66195.HTML). الخميس، 21 يناير، 2016.

الزيدية الكبار لم تخرج منهم تصريحات لوسائل الاعلام تؤيد الانقلاب الحوثي السياسي على الشرعية في اليمن".

### ثالثاً: التوجه الفكري لدى الطائفة الحوثية:

الطائفة الحوثية حالها كحال أي فرقة انخرفت عن مصدرها التلقائي الأصليين، لذا نجد أنها نتجت من حصاد طائفة تعد هي الأم لها، ولذا كانت هذه الطائفة وليدة عن طائفة هي الأصل. ولمعرفة التوجه الفكري لهذه الطائفة، لا بد من الرجوع إلى الجذور الاصلية للمعتقدات المصاحبة لهذه الطائفة، والتي كانت السبب في ظهورها. وبعض الناس يخطئ فيظن أن الحوثية السائرين في ركب ملائي الصفوية المجوسية، هم في دائرة فرق الزيدية في اليمن، ولضرورة تصحيح هذا الفهم الخاطئ، لا بد من التوضيح بأن هناك فرق بائن بينهما، فالحوثية هم امتداد للجارودية؛ أتباع أبي الجارود زياد الهمداني الأعمى الكوفي، قال عنه أبو حاتم: "كان رافضياً، يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، ويروي في فضائل أهل البيت رضي الله عنهم أشياء ما لها وصول، لا يحل كتب حديثه"<sup>1</sup>.

الشيعة: قالوا بقول المرجئة في الإيمان وهو أنه لا يضر مع الإيمان سيئة، وأنه لا ينفع مع الكفر حسنة<sup>2</sup>. ولما قال شيخ الإسلام ابن تيمية؛ رحمه الله: (وكثير من هؤلاء - يريد الشيعة - يقولون: حب علي حسنة لا يضر معها سيئة<sup>3</sup>)، رد عليه محمد مهدي الكاظمي، بقوله: (ما نسبه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب علي حسنة ليس يضر معها سيئة، فإنه بمتان منه؛ فإنهم جميعاً متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب)<sup>4</sup>. ومن تتبع كتب الشيعة يجد أنهم على توافق وانسجام تام مع المرجئة فيما ذكرنا، ومع الوعيدية في تكفيرهم لمرتكب البدعة عموماً من أهل القبلة؛ سواء كانت تلك البدعة مكفرة أو غير مكفرة<sup>5</sup>.

1 انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (الهند مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ)، (ج3، ص386).

2 ينظر: أصول الكافي: 463/2، نقلاً عن قراءة في أصول الشيعة الامامية، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، (ص65)

3 ابن تيمية، منهاج السنة، ت محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986 م) ج1 ص106.

4 الكاظمي، منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية: ج1 ص98، نقلاً عن قراءة في أصول الشيعة الامامية، الشلهوب، (ص65).

5 يقول المفيد: (اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البيئات عليهم فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار) [أوائل

المقالات: ص16] نقلاً عن قراءة في أصول الشيعة الامامية، إعداد: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، (ص65).

والجارودية: انتسبوا إلى الزيدية ادعاء و تلبيسا و خداعا، فهم ليسوا من الزيدية، وقد جاء معنا كلام علماء الزيدية فيهم، وفي الحقيقة هم رافضة، وهذا بشهادة علماء الزيدية أنفسهم، ولهذا نرى أن المفيد - إمام الروافض في القرن الرابع- عدَّ الجارودية من طائفته، أما بقية فرق الزيدية فقد أخرجهم من دائرة التشيع<sup>1</sup>.

ومما توافقت فيه الحوثية مع الجارودية في عصرنا هو: الأخذ بعقيدة الاثني عشرية، وتوّجت هذا التوافق بعقيدة ولاية الفقيه الخمينية؛ والتي هي أيضا لم تنال الرضا من بعض علماء الإثني عشرية؛ لأنها مبنية على خرافة الغيبة المزعومة للمهدي الموهوم، وهذا الوهم قائم على أحلام دموية، وأماني حاقدة، وهذا التوحش سيكون على يد مولود اختفى فور ولادته خشية القتل، وهو حاضر في الأمصار، غائب عن الأبصار، وسيخرج في يوم ما، ويهدم المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وينبش قبري أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ويبيد العرب، وينتقم من البشرية كلها.

ولقد سخر الكسروي، الأستاذ في جامعة طهران ورئيس المحاكم الإيرانية؛ من هذه العقيدة المناقضة للعقل فقال: "إذا كان منتظرهم قد اختفى خوفاً على نفسه، فلم لم يظهر عندما استولى آل بويه الشيعيون على بغداد، وصيروا خلفاء بني العباس طوع أمرهم؟! ولم لم يظهر عندما قام الشاه إسماعيل الصفوي وأجرى من دماء السنين أنهاراً؟! فلم لم يظهر عندما كان كريم خان الزندي وهو من أكبر سلاطين إيران يضرب على السكة باسم إمامكم (صاحب الزمان) ويعد نفسه وكيلا عنه؟! ولم لم يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستمين مليوناً وأكثرهم من منتظره؟"<sup>2</sup>.

ومذهب الزيدية المعتدلة أو الزيدية الحقيقية في الصحابة: هو الترضي عنهم، يقول المقبلي: "إن الزيدية ليسوا من الرافضة، بل ولا من غلاة الشيعة في عرف المتأخرين، ولا في عرف السلف. فإنهم الآن مستقر مذهبهم الترضي على عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنها فضلاً عن الشيخين"<sup>3</sup>.

1 المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، البغدادي، المعروف بالمفيد، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، (ص 39).

2 كسروي، أحمد، التشيع والشيعة، تحقيق: ناصر القفاري وسلمان العودة، ط1، 1409 هـ - 1988. ص 42.

3 المقبلي، صالح بن مهدي، العلم الشامخ في إثار الحق على الأباء والمشايخ، (مصر، ط1، 1328 هـ، ص 326).

وقد نجح الروافض التآثير على الزيدية في بعض الفترات، ولعل السبب في ذلك كما ذكر المقبلي، هو تأثير الرافضة فقال: "إنه قد سرى داء الإمامية في الزيدية في هذه الأعصار حتى ظهر، مذهب الإمامية، وهو تكفير الصحابة ومن تولاهم - صانهم الله تعالى -"<sup>1</sup>.

وقد تطور الغزو الرافضي للاتجاه الزيدي حتى تأثر بعضهم بشيء من عقائدهم الغالية، كالنص والعصمة، فقالت طوائف من المنتسبين للزيدية - وليسوا منهم - بعصمة فاطمة وعلي والحسين<sup>2</sup>؛ ومعنى هذا أن القول بالعصمة قد استشرى في الزيدية مع امتداد الزمن حتى شمل معظمهم.

أما الجارودية أسلاف الحوثية اليوم؛ فإنهم من غلاة الروافض بلا خلاف، ذلك أن اعتقادهم يقوم على أن رسول الله ﷺ نص على علي - رضي الله عنه - بالإشارة والوصف، دون التسمية والتعيين، وأنه أشار إليه ووصفه بالصفات التي لا توجد إلا فيه، وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره، وأن رسول الله ﷺ نص على الحسن والحسين - عليهما السلام - بمثل نصه على علي، ثم بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص على إمام، ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين ممن شهر منهم سيفه، ودعا إلى سبيل ربه، وباين الظالمين، وكان صحيح النسب من هذين البطينين، وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام<sup>3</sup>.

والجارودية أسلاف الحوثية يكفرون الزيدية ويعادونهم، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وهم يشاركون الإثني عشرية في هذا الاعتقاد، كما يشاركونهم في مصادر التلقي، بل سلكوا في عصرنا مسلك الإثني عشرية حذو القذة بالقذة، اعتقاداً ومصدرًا ومنهجًا وسياسة، ولذا فقد اتفقت مصادر الإثني عشرية على كفر الزيدية واستحلال دمائهم وأموالهم، فقد جاء في مصادرهم المعتمدة عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية؟ قال: "لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقمهم من الماء إن استطعت"، وقال لي: "الزيدية هم النُّصَاب"<sup>4</sup>.

1 المرجع السابق، (ص 88).

2 المرتضى، أحمد بن يحيى، البحر الزخار، الجامع لمذاهب علماء الأمصار، (اليمن، دار الحكمة اليمنية، ط 1، 1986)، ص 96. وابن عباد، صاحب، نصره مذاهب الزيدية، ت: ناجي حسن، (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط 1، 1986) ص 164.

3 انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري: (ص 67) ط. ريتز، والفرق بين الفرق، الأسفرايني: (ص 30).

4 ينظر: رجال الكشي: (ص 199)، وبحار الأنوار: (179/72).

والزيدية لا يرتضون مسلك الجارودية، ولا يعدونهم من الشيعة، ولهذا قال الأسفراييني: "هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية، كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية؛ لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر. والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتكفير أبي بكر وعمر"<sup>1</sup>.

وقد أشار الشوكاني إلى كونهم لا يتورعون عن اقتراح الجرائم بحق المجتمعات المسلمة، ولا يتنزهون عن ارتكاب المحرمات، فقال: "وقد جربنا وجرب من قبلنا فلم يجدوا رجلاً رافضياً يتنزه عن محرمات الدين كائناً من كان، ولا تغتبر بالظواهر؛ فإن الرجل قد يترك المعصية في الملاء، ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهز من لا يخاف ناراً ولا يرجو جنة"<sup>2</sup>.

وقد تلاشى وجود الجارودية أسلاف الحوثة اليوم، ولم يبق منهم إلا شذمة قليلة وهم الحوثة، ولم يكن لهم كيان ولا انتشار، وكانت سمة الاعتدال هي طابع التشيع في اليمن، حتى عاد الغزو الرافضي إلى بلاد اليمن؛ ففعل بهم كما فعل بأسلافهم، وذلك لما قامت دولة الملالي في إيران، وتبنوا في دستورهم تصدير ثورتهم الرافضية إلى كافة البلدان الإسلامية، وكانت بلاد اليمن أحد مخططاتهم وأهدافهم، ولم يجدوا سوى الحوثة للقيام بهذه المهمة. وفي بحث للدكتور ناصر القفاري<sup>3</sup> قال فيه: "ومن الضروري أن يعرف عموم أهل اليمن من زيدية وسنة ما يخطط له هؤلاء الحوثيون، والذي يفسره عقيدة (ولاية الفقيه) عندهم، ويترجمه ما يسمونه: (تاريخ ما بعد الظهور)، وقد كتبت جملاً من هذه المخططات في كتابي (بروتوكولات آيات قم).

1 الأسفراييني، الفرق بين الفرق، (ص 24).

2 القفاري، ناصر بن عبد الله، براءة الزيدية من الحوثة، مرجع سابق.

3 القفاري، ناصر بن عبد الله، براءة الزيدية من الحوثة، مجلة البيان، العقيدة والشريعة؛ 2015/10/6، العدد: (337)

## أولاً: الجذور الفكرية المتصلة بالشيعة والوعيدية، لدى الحوثية:

اعترى تاريخ الزيدية تغيرات وتحولات فكرية كان لها الأثر الكبير على مسار الفكر الزيدي، قد تبنى هذا التحول في أغلب أوقاته العنصر الفارسي، منذ النشأة وحتى العصر الحديث، وإن المتتبع لحال المذهب الحوثي، يرى أنهم قد جمعوا من حيث الجذور الفكرية بين عدة عقائد ومذاهب؛ كالشيعة والمعتزلة والخوارج. يقول الحجري: " كانت النجدة الفارسية تتوالى لنجدة الهادي، وهذا يدل على البعد الذي كان يحمله المنهج والمشروع الشيعي على يد الهادي، ونشره في البلاد اليمنية، وتوالت البلاد داخله تحت يده وضربت السكة باسمه، ثم حارب آل طريف، وآل يعفر؛ الذين كانوا ولاية للعباسيين حتى أخرجوه إلى بلاد كوكبان، ثم بلاد حاشد، واستمر منسجبا حتى وصله مدد من الشيعة"<sup>1</sup>.

ويقول أحمد المرتضى: "إن مذهب زيد انقرض حين ظهر مذهب الهادي اليمن"<sup>2</sup>.

ولما كانت مسائل المذهب الزيدي الهادي وأحكامه المقررة، التي حصلها وجمعها وأصل قواعدها فريق من كبار علماء هذا المذهب على فترات مختلفة من تاريخ ظهوره حتى انتهت إلى ما هي عليه اليوم غير معزوة كلها إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين، كما لم تكن كذلك معزوة أيضاً إلى الإمام الأعظم زيد بن علي، فكان في نسبة هذا المذهب إليهما أو إلى أحدهما تجاوز للحقيقة، وخروج عن الواقع.

يقول القاضي الأكوغ: " لذلك فقد تنبه الإمام محمد بن إسماعيل الأمير لهذا الأمر المشكل، فذاكر جماعة من العلماء المبرزين في هذا المذهب، منهم والدّه وبعض شيوخه، مثل صلاح بن حسين الأخفش، وعلي بن يحيى بن لقمان، وعبد الله ابن علي الوزير، كما ذكر به بعض تلاميذه، مثل إسحاق بن يوسف ابن المتوكل إسماعيل، مستفسراً عن تعيين صاحب هذا المذهب، ومن هو واضع قواعده، وجامع شتات مسائله، ليكونوا على علم به، فصاع إسحاق بن يوسف هذا السؤال في قصيدته التالية التي سماها ( عقود التشكيك ) :

أيها الأعلام من ساداتنا      ومصاييح دياحي المشكل  
أخبرونا ما الذي تدعونه      مذهباً في القول أو في العمل

<sup>1</sup> الحجري، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوثية، (مرجع سابق). ص70.

<sup>2</sup> الحجري، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوثية، (مرجع سابق). ص79.

من هو المتبوعُ سُمُّوه لنا      علَّنا نقفوه نهج السبل  
 فإذا قلنا: ليحيى، قيل: لا      هاهنا الحق لزيد بن علي  
 وإذا قلنا: لزيد، قلتُم :      بل عن الهادي هنا لم نعدلِ  
 وإذا قلنا: لهذا ولذا      فهما خير جميع الممل  
 وستواهم من بني فاطمةٍ      أمناء الوحي بعد الرسل  
 قرروا المذهبَ قولاً خارجاً      عن نصوص الآل وبحث وسل<sup>1</sup>

ومن تتبع طرق وصول المذهب الزيدي لما آل عليه مع ظهور الهادي، سيرى أن الحق أنهم لم يكونوا على مذهب زيد، وإنما أنشأ لهم الهادي مذهباً، شك فيه الكثير من علماء اليمن، ومنهم كما أسلفنا ابن الأمير الصنعاني، لعدم معرفتهم أصل المذهب ونشأته، وهو ما يظهر أن هناك آياد خفية تدنس المعتقدات من قديم الزمن، وتسعى لتغير عقيدة الناس، على مرّ التاريخ. وأهم ما يقال في جذورهم الفكرية مايلي:

**تأثرهم بالتشيع من حيث الإمامة:** وذلك بالتمسك بأحقية الخلافة لآل البيت والخمس، حالهم كحال الشيعة في ذلك، ويقدمون ما روى أئمة أهل البيت من الأحاديث والواردة على غيرهم، والمشاهد لحالهم يرى الظهور الواضح لملامح الرفضية في طريقتهم ومذهبهم بالرغم من ادعائهم للاعتدال كذبا. يقول الدكتور الدغشي: " وإذا كان الإمام زيد هو صاحب المذهب، ومن تنتسب إليه الزيدة في اليمن؛ فإن تراثه خلو من الزعم باشتراط نسبي أو عائلي أو حتى أفضلية لحصر الخلافة في البيت العلوي، بل يراعي في ذلك مصلحة المسلمين وعدالة الوالي، وإن سمي واقعا كهذا إمامة المفضول، مراعاة لشرطي الكفاءة والعدالة بعيد عن الافتراضات المثالية"<sup>2</sup>.

وهذا لا شك هو الصحيح من حال الإمام زيد، وإذا كان ذلك أمرا مشتهرا في أوساط المؤرخين والباحثين في هذا المجال فإن هناك رأي لأحد الباحثين المعاصرين، يثبت فيه قولاً للإمام زيد يؤكد ما عليه الجمهور من الإمامة تنحصر في قريش، وهذا نص الرواية: "سالت زيد بن علي عن الإمامة فقال: هي

<sup>1</sup> الأكوغ، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط3، 2007). ص591.

<sup>2</sup> الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (صنعاء، مكتبة خالد بن الوليد، ط1، 2009). ص7.

في جميع قریش، ولا تتعقد إمامة إلا ببيعة المسلمين، فإذا بايع المسلمون، وكان الإمام برا تقيا عالما بالحلل والحرام، فقد وجبت طاعته على المسلمين"<sup>1</sup>.

لكن الزيدية الهادوية هم من أحدثوا القول بوجود البطينين، كما ينص على ذلك أحد أئمة الهادوية المرتضى المتوفي سنة (840هـ) في مرجع من أهم مراجعهم وهو (متن الأزهار) بقوله: "ويجب على المسلمين شرعا نصب إمام مكلف ذكر حرّ علوي فاطمي، ولو عتبقا لا مدعي، سليم الحواس والأطراف، مجتهد عدل سخي، يضع الحقوق مواضعها، مدبر، أكثر رأية الإصابة... إلى قوله: ولا يصح إمامان"<sup>2</sup>.

قال ابن الحديد: "وقال معظم الزيدية: أنها -أي الإمامة- في الفاطميين خاصة من الطالبين، لا تصلح في غير البطينين، ولا تصلح إلا بشرط أن يقوم ويدعوا إليها؛ فاضل، زاهد، عالم، عادل شجاع"<sup>3</sup>. وما تنادي به الزيدية، ممن يدعون النسبة لزيد، نجد أنهم لا ينتمون لزيد في شيء من أمر الإمامة.

<sup>1</sup> الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (مرجع سابق). ص8.

<sup>2</sup> المرجع السابق. ص8.

<sup>3</sup> المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نوح البلاغة، ت: إبراهيم، محمد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2007). ج9، ص87.

تشابهم بالوعيدية: من تغليب العقل على النقل: وهو يبين تأثرهم بالمعتزلة؛ وانعكاس اعتزال واصل عليهم، وترى ذلك جلياً في إعطائهم أهمية بالغة للعقل في الاستدلال، ويجعلون له نصيباً ملحوظاً في أحكام الشريعة، ودلالات العقيدة، وقبح الأشياء واستحسانها. ومن ذلك تأويل الصفات الخبرية وتحريف معانيها بعد أن جعلوا نصوص تلك الصفات من المتشابه، ثم أولوها بمجازات اللغة والعقل تماماً كما فعلت المعتزلة، يقول الإمام يحيى بن حمزة: "أما عرض التأويلات على العقل فهو كل ما ورد من الظواهر محتملاً لمعاني، فالواجب أن ينظر في تلك المعاني فما قضى بصحته العقل منها أثبت، وما قضى بفساده أطرح، كآيات التشبيه وآيات الضلال والهدى ونحو ذلك"<sup>1</sup>.

ويتفق الزيدية مع المعتزلة بالقول بخلق القرآن، يقول الإمام يحيى بن حمزة: "أجمع أهل القبلة على وصف الله بكونه متكلماً، فأما نحن فنذهب إلى المعنى بكونه متكلماً خلقه لهذه الأحرف والأصوات"<sup>2</sup>. وكذلك في قضية مرتكب الكبيرة، والخلود في النار، والقدر والجبر، والاختيار. يقول أبو منصور الأسفراييني، عن فرق الجارودية: "إنها اجتمعت على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمة مخلدون في النار، فهم من هذا الوجه كالخوارج"<sup>3</sup>.

يقول القاضي إسماعيل الأكوغ: "الزيدية كانوا لا يعتقدون ما يعتقد به الجعفرية من عصمة الأئمة الاثني عشر، والقول بالبداء، والتقية، والمتعة، وكانت في يداية ظهورها وعصر نشأتها على ما كان عليه السلف الصالح من العمل بأحكام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقط. خلا إنها خالفت أهل السنة في أمرين: أحدهما: نزوعها في العقيدة إلى الاعتزال. والثاني: الإمامة التي هي مدار اهتمام فرق الشيعة كلها وشغلهم الشاغل، ومحور عقائدهم السياسية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المؤيد، يحيى بن حمزة، مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، (اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط1، 1983)، ص143.

<sup>2</sup> المؤيد، يحيى بن حمزة، المعالم الدينية في العقائد التاريخية، (بيروت، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1988)، ص77.

<sup>3</sup> الأسفراييني، الفرق بين الفرق، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977)، ج1، ص(25).

<sup>4</sup> الأكوغ، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (مرجع سابق)، ص12.

## ثانيا: أهم الانحرافات الفكرية لدى الحوثية:

عند الاستقراء لما جاء معنا من عقيدة الحوثية، فكما بينا أن هذه الجماعة هي زيدية جارودية: والجارودية تتبنى أكثر عقائد المذهب الإمامي الاثني عشري، لذا نستطيع القول إن عقائدهم هي عقائد الرفضية الاثني عشرية. ومن ذلك:

**أولا: الدعوة لفكرة الإمامة:** لاختلاف بين الحوثية والشيعة الإثني عشرية في مسألة الإمامة وإنما خلافه في مسألة التنصيب على الاثني عشر إماما الذين يدعون الاثني عشرية إمامتهم بالنص، أما الجارودية فتقول بالنص على علي بن أبي طالب، ثم الحسن بن علي بن طالب، ثم الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم إن الإمامة لا تخرج من البيت الفاطمي، أي نسل الحسن والحسين<sup>1</sup>.

وعندما نتبث أن الزيدية اليوم في اليمن ليسوا زيدية بالانتساب إلى زيد، وإنما زيدية لمجارة المسمى، وإنما هو هادوية جارودية كما يتضح من أقوالهم وأفعالهم، ومن أدل الأدلة ما ذكرنا من جذورهم المرتبطة بالإمامية الرفضية في فيما يتعلق بالإمامة، ولو كانوا على مذهب زيد لارتضوا إمامة الخلفاء الثلاثة قبل علي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع، وقد سبق أن ذكرنا مذهب الإمام زيد في ذلك، وذكرنا مذهب الهادوية المخالف لذلك، كما سبق، ومن باب التأكيد على تلازم معتقدتهم بالرفضية، ما ذكره الإمام الهادي ذلك بوضوح بقوله: " إن الماممة لا تثبت باختيار الناس، وبما أن إمامة أبي وعمر ووعثمان تثبت باختيار الناس فهي إمامة غير صحيحة! وقال: وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام: إن الإمامة إنما تثبت للإمام برضى بعضهم، وهذا أحول المحال، وأسمج ما يقال من المقال، بل الإمامة تثبت بتثبيت الرحمن، لمن ثبتها فيه وحم بها له م الإنسان، رضى المخلوقون أم سخطوا، شأؤوا ذلك وارانوا أم كرهوا، فمن ثبت الله له الإمامة وجبت له على الأمة الطاعة، ومن لم يثبت الله له ولاية على المسلمين كان مأثوما معاقبا، ومن اتبعه على ذلك من العالمين؛ لأنه اتبع من لم يجعل الله له حقا، وعقد لمن لم يعقد الله له عقدا، والأمر والاختيار مردود في ذلك إلى الرحمن، وليس من الاختيار في ذلك شيء إلى الإنسان"<sup>2</sup>. ومن هذا القول الصريح يتضح إلزام الهادوية بالنص في الإمامة وهو مخالف لزيد.

<sup>1</sup> مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (مرجع سابق). ص 59.

<sup>2</sup> الهادي، يحيى بن الحسين، الأحكام في الحلال والحرام، ت: زيد المخطوري، (صنعاء، مكتبة بدر للطباعة، ط1، 2013). ص 36.

ومن هنا انطلقت فكرة الحوثية في القتال على الإمامة ويعني ذلك إحياء فكرة الوصية للإمام على وأبنائه، وأن الحكم لا يصح إلا في أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد بينا أن الزيدية يختلفون في ذلك. ولكن الحوثية تؤكد على هذا الدعوى، وأن الحكم لا يصح إلا في البطنين، وهي عندهم حق واصطفاء إلهي، ونرى ذلك كثيرا في أقوال الزعيم المؤسس الفعلي لهذا التيار وهو حسين بدر الدين، حيث نلاحظ أن صدى هذه العقيدة يتكرر كثيرا في محاضراته، وينادي بأحقية علي بن أبي طالب وأبنائه رضي الله عنهم بالخلافة ومن ذلك قوله: "لم نقل في مقام آخر أن الفخر لنا أن قدوتنا من أهل البيت ليسوا من أولئك الملطخين بعار المخالفة لرسول الله ﷺ"

**ثانيا: يتبرؤون من الخلفاء الراشدين الثلاثة:** ويكفرونهم بوجه خاص، والصحابة كلهم بوجه عام، إلا القليل؛ لأنهم كما يفترى الحوثيون عليهم بأنهم أصل البلاء الذي لحق بالامة إلى اليوم؛ وفي ذلك يقول كبيرهم الذي علمهم الزندقة حسين بدر الدين الحوثي: "فلهذا قلنا: من في قلبه ذرة من الولاية لأبي بكر وعمر لا يمكن أن يهتدي إلى الطريق التي تجعله فيها من أولئك الذين وصفهم الله: ﴿يَقُومُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 54]، ولن يكونوا من حزب الله لأنه قال فيما بعد: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ﴾ [المائدة: 56]، فلن يكون غالبا لأنه ما رضي يتولى الذين آمنوا الذي نزلت فيه الآية، ما رضي أبدا إذا كان رافضا أن يتولى عليا فلن يكون من حزب الله، ولن يغلب"<sup>1</sup>. وقال في محاضرة مصورة، أبوبكر وعمر وعثمان والصحابة منحطون: "كل سيئة في هذه الأمة وكل ظلم وقع لهذه الأمة وكل معاناة وقعت الأمة فيها، فالمستول عنها: أبو بكر وعمر وعثمان؛ وعمر بالذات لأنه هو المهندس للعملية كلها. ويقول: إن السني مستعد أن تتحطم الدنيا كلها ولا يتخلى عن أبي بكر وعمر، وهو بذلك يشهد على نفسه أنه يعيش المشكلة ويعمى عن الحل. إذا في رأيه أنه ما دام أهل السنة يصرون على حب أبي بكر وسائر الصحابة والترضي عليهم فلا حل معهم، ولا أمل في التوصل معهم إلى حوار مفيد!

1 الحوثي، حسين، ملزمة آيات من سورة المائدة، درس 1، ص 15. ألقاها بتاريخ: 13 / 1 / 2002، اليمن - صعدة،

[HTTP://WWW.AFLAKMOHAMMED.NET/?P=5028](http://WWW.AFLAKMOHAMMED.NET/?P=5028)، 09 نوفمبر 2017.

ويعود إلى التلاعب بالتاريخ فيقول: "عندما انتزع أبو بكر وعمر وعثمان الولاية من علي بدأت من هناك نقطة الافتراق، واستمرت وستبقى ما لم يعد الأمر إلى نصابه، وليسند الأمر إلى من يتمتعون بالمقاييس الإلهية. يسند إلى من وصفهم الله أعلاماً لأمته، فهو الذي يختار وليس البشر"<sup>1</sup>

**العداء الصريح لأهل السنة:** ويؤكد ذلك حسين الحوثي لأتباعه بقوله: "إنه من حماقة أن ترتبط نحن الزيدية والتميزين من الشيعة الإمامية بهؤلاء (السنية) أو نفكر أن بالإمكان التوحد معهم، فهم يريدون أن نتوحد معهم تحت رايتهم"<sup>2</sup>.

ويتناول على القرآن الكريم محرفاً آياته حسب هواه ويقول: إن حزب الله المذكور في القرآن ليسوا هؤلاء المسلمين السنة. بدليل أنهم ليسوا هم الغالبين في مواجهة اليهود وأمريكا والنصارى. بل إن (حزب الله) مفهوم قرآني يقتصر على الشيعة؛ بدليل أن حزب الله هزم أمريكا لأنه (شيوعي) وبدليل أن واحدة فقط من بين (58) دولة إسلامية هزمت أمريكا، هذه الدولة هي إيران؛ أي الدولة الشيعة الوحيدة في العالم، وبالتالي فالقرآن صريح في البلاغ بأن الأمة الإسلامية لا تنتصر ولن تنتصر ولن يصلح لها حال إلا بالشيعة"<sup>3</sup>.

وله كثير من المحاضرات يقشعر منها البدن؛ لما فيها من تطاول على الله، وسب لرسوله، ولصحبه الكرام، لذا فهم يدعون أتباعهم إلى سب الصحابة ولعن أمهات المؤمنين. كما نراه يروج لفكرة الخروج ومواجهة الحكومة، ويتباهون في محاضراتهم ومؤلفاتهم بلجم (السنيّة). ومما قام به أيضاً هو إحياء ذكرى مقتل الحسين رضي الله عنه، وإحياء ذكرى وفاة بعض الأئمة كجعفر الصادق ومحمد الباقر وعلي زين العابدين، وكذلك إحياء ذكرى حسينهم المهالك وإقامة المجالس الحسينية، وما فيها من ضرب ولطم وشق الثياب، ورفع الأصوات بالعويل والندب وسب الصحابة عنهم؛ كحال الاثني عشرية في إيران وغيرها<sup>4</sup>.

كما أنهم اتخذوا جبلاً في مدينة صعدة، أطلقوا عليه اسم (معاوية)، يخرجون إليه يوم (عاشوراء) بالأسلحة ويطلقون ما لا يحصى من القذائف والشتم على معاوية.

1 الصوفي، فيصل، من هم الحوثيون في اليمن: تقرير منشور بموقع "مايو نيو" بتاريخ 2 مارس سنة 2007.

2 صلاح، علي: لحظات حرجة في تاريخ اليمن، مقال منشور بموقع "مفكرة الإسلام" 14-8-2009.

3 الشريف، محمد موسى، جماعة الحوثيين، عقيدة فاسدة وتاريخ أسود، (موقع الدكتور محمد موسى الشريف، 31 JAN 2016).

4 ينظر: الصادق، علي، ماذا تعرف عن الحوثية، (لا يوجد معلومات نشر سوى، ط1، 2012).

كذلك تراهم يمجدون ثورة الخميني ويعتبرون أن حزب الله في لبنان هو النبراس الذي يجب أن يسيروا عليه. وقد ذكرنا قول زعيمهم حسين بدر الدين الحوثي في ذلك. وقاموا بإلزام الناس بدفع الخمس وتحصيلها باعتبارها واجباً شرعياً لا يستقيم إيمان المرء إلا بأدائها. كذلك قاموا مؤخراً بالترويج لزواج المتعة، وإلزام تنظيم الشباب المؤمن وأتباعهم بذلك، وإكراه الناس على تقديم بناتهم وأرحامهم لمن يرغب بالزواج (استمتاعاً)، وإيهام النساء أن ذلك من الدين<sup>1</sup>.

وأخيراً لم تكتفي الحوثية الرافضة بالتشابه مع الفرق المتسببة للإسلام بل تعدى لما هو أعظم من حيث مشابهتها لأهل الكتاب، فعند النظر إلى الآيات من كتاب الله التي ورد بها عقائد أهل الكتاب، فإننا نرى مدى التشابه بينهم وبين الرافضة، ونذكر ذلك إجمالاً:

اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وهم اتخذوا أئمتهم كذلك. وغلو اليهود في عزيز، وغلو النصارى في عيسى ابن مريم، وغلوهم في الحسين. واليهود يرون الحوارين أفضل من الأنبياء، وهم يرون أئمتهم أفضل من الأنبياء. اليهود ينظرون مسيحيهم المزعوم، وهم ينظرون إمامهم المزعوم. اتهم اليهود لمريم عليها السلام، واتهامهم للسيدة عائشة رضي الله عنها. وصف الله رهبان اليهود والنصارى بأكل أموال الناس بالباطل، وآياتهم يأكلونها باسم الخمس. اليهود والنصارى يمنحون شهادات الغفران، وهم يمنحون صحوك البراءة من النار. اليهود لا يرون الحكم إلا في سلالة آل داوود، وهم لا يرونه إلا في سلالة الحسين. اليهود يرون جبريل عدوهم من الملائكة، وهم يرونه قد خان الرسالة.

<sup>1</sup> ينظر صورة الفتوى، صحيفة الوطن العدينية فتوى عام 2006م للهالك "بدر الدين الحوثي" الزعيم الروحي لجماعة الحوثي بأن المتعة الجماعية

بالزینبیات حلال مبارک "وثيقة" 3328 HTTP://ALWATTAN.NET/NEWS/3328 .

## رابعاً: أثر حركة الشباب المؤمن (الحوثية) والتغلغل الرافضي على الربيع العربي:

في العصر الحديث قد تبنت إيران - ومنذ قيام ما عرف بـ "الثورة الإسلامية" - مبدأ تصدير الثورة الشيعية إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي، وإذا كان العراق مثل سداً منيعاً ضد التوسع الشيعي في منطقة الخليج. " فإن نظام إيران لم يتخل عن تواصله بالأقليات الشيعية في الخليج والجزيرة عموماً، بل سعى جاهداً إلى تصدير الفكر الشيعي إلى دول أخرى. وقد شكلت الأرضية المذهبية "الهادوية" في اليمن محضاً خصباً لهذا التغلغل الشيعي خاصة بعد حرب تدمير العراق، وبذلت الدبلوماسية والسفارة الإيرانية في صنعاء جهداً مكثفاً لاستقطاب أتباع المذهب الزيدي منذ عام 1990، حيث توجهت الأنظار إلى اليمن كلاعب إقليمي ناشئ ومؤثر.

وهذا ما كان يحذر منه علامة اليمن ومحدثها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فقد كان يردد - رحمه الله - المقولة المشهورة: "اتني بزیدی صغیر أخرج لك منه رافضياً كبيراً!"<sup>1</sup>، يقول الكاتب محمد جميع: " مرت السنوات ثقيلة ملطخة بالدم، إلى أن وصلنا إلى مشارف عام 2011، حيث وصلت موجات (الربيع العربي) إلى صنعاء، وفجأة اجتاحت تلك الموجات شوارع العاصمة ومدنا يمنية أخرى، ودخل حزب الإصلاح للساحات، وتولى قيادة العمل الجماهيري المعارض. وحينها أراد صالح أن يضغط على الموجات الهادرة في الشوارع بإخافتها من الحوثيين، فقام بسحب الوحدات الأمنية من صعدة، وسلمت المدينة للحوثيين، ورد الإصلاح طريقة صالح بفتح ساحات صنعاء للحوثيين الذين ركبوا الموجة، وتدفقوا «بصورة سلمية» إلى صنعاء يهتفون مع (الإخوة في الإصلاح) بشعار الثورة: «الشعب يريد إسقاط النظام»<sup>2</sup>.

والذي يبدو حينها أن الرئيس صالح حينها كان يفكر في مخرج من المأزق التي سيق إليه، وأخذ يفكر في الطريقة المثلى التي يشق بها صفوف الثوار، فلم يجد أنسب من الحوثيين لعملية التمرد وشق الصفوف - ولا غرابة فالتاريخ الإسلامي مليء بالكثير من تلك المكائد الرافضية - يقول الجميع: " لا دليل بالطبع على أن الرئيس السابق كان قد نسج خيوط علاقته مع الحوثيين في ذلك التاريخ المبكر،

1 السلفي، عادل، جماعة الحوثي، (منديات كل السلفيين، 2012/10/14)،

[HTTP://WWW.KULALSALAFIYEEN.COM/VB/SHOWTHREAD.PHP?T=42396](http://www.kulalsalafiyeen.com/vb/showthread.php?t=42396)

2 جميع، محمد، ثعابين اليمن، المكابدة، وصعود الحوثي، (الخليج الجديد، 2017-06-15)،

[HTTP://THENEWKHALIJ.ORG/AR/NODE/71387](http://thenewkhalij.org/ar/node/71387)

لكن الأرجح أن الفكرة تم تداولها على وقع تزايد الهدير في شوارع صنعاء، ...، وفي مايو 2011 اتصلت هاتفياً بأحد شيوخ قبيلة بكيل، وكان من المعارضين لصالح، فقال لي إن هناك مخاوف من أن ينتقم صالح من الإصلاح بالتحالف مع الحوثيين. بدت الفكرة لي - حينها - ضرباً من الجنون، إذ كيف يمكن أن يتم التحالف بين الأعداء الذين جرت في حروبهم أنهار من الدماء، لكن بدا أن الشيخ القبلي كان يدرك بواطن الأمور بشكل مدهش<sup>1</sup>.

ومع حلول 2012 وانتخاب الرئيس عبدربه منصور هادي، والوصول إلى الحوار الوطني في بداية 2013، ومع نهاية الحوار في يناير 2014، تحرك الحوثيون مباشرة إلى منطقة (دماج)، التي يقطنها السلفيون، وقاموا بمحاصرتها، ومن ثم دارت معارك راح ضحيتها مئات القتلى، وصمدت العزلة شهوراً طويلة تحت الحصار، قبل أن يأمر الرئيس هادي أهاليها بالخروج منها كحل للحرب عليها، وهو ما تم، حيث شهد اليمن أول عملية «تطهير مذهبي» في تاريخه الحديث، بتهجير آلاف السلفيين من دماج.

"لم يكن هادي بعيداً عن عملية دخول الحوثيين عمران وصنعاء، مع إنه كان يتعلل بالقول إنه لم تكن لديه سيطرة على الجيش الذي كان يقول إنه يدين بالولاء لصالح. غير أنه في الواقع لم يصدر أوامره لمواجهة الحوثيين، ولا دليل على وجود نية حقيقية منه لمواجهةهم، حيث رأى فيهم عنصراً يمكن أن ينسق معه ضد الرئيس السابق من جهة، وللحد من قوة "الإصلاح" والجنرال علي محسن؛ الذين خرجوا من أحداث 2011 في قوة بات هادي يخشاها، رغم أنه جاء إلى السلطة على إثر الثورة التي دعموها"<sup>2</sup>.

والحاصل: أن الجميع كان له إسهامات في تقوية الحوثي المؤدية إلى تمرده، من خلال عقد تحالفات واهية، وقد تتفاوت نسبة هذه التحالفات المساهمات، إلا أن تلك الأوهام باتت كساد مع الحوثيين، حيث قام بضربهم جميعاً دون استثناء، وها هو اليوم صالح الذي فتح لهم معسكرات الدولة؛ يصطلي بالنار التي أوكأها، ويعيش اليوم تحت رحمتهم والإصلاح حليف (2011) شهد كارثته الأعظم بعد دخولهم صنعاء، والحراك الجنوبي عُزي في عقر داره من الحوثيين، الكل أراد ترويض الأفعى، لكن الأفعى التهمت الجميع.

1 المرجع السابق.

2 المرجع السابق.

## الترايط الحوئي الإيراني، والتغلغل الرفضى فى اليمىن:

لم تنقطع عن اليمىن إرساليات الفرس فى تضليل الشعب اليمىنى، ومتابعة إبعادهم من مذهب زىد، إلى مذهب الرفض، حتى عصرنا الحاضر، وخاصة أن الأمور أصبحت ميسرة على عكس ما كان عليه فى الماضى، وبسبب هذا التيسير نجد أن إيران لا زالت تتابع ما زرعه الفرس الأولون فى اليمىن، فأصبحت ترسل الإرساليات تلو الأخرى، دون أدنى مصاعب، لاستغلالها قوتها العسكرية والمالية، وغياب الرقابة المحلية والدولية عليها، بل قد يتم التغافل عنها عمدا لتصدير المعتقد الرفضى فى اليمىن وغيرها.

بل اتخذ الأمر بعد أكثر تأثيرا وهو إيفاد أبناء اليمىن إلى بلاد فارس، إما عن طريق البعثات التى ترسلها الدولة، أو ما تقوم بها السفارة الإيرانية، والحوزات العلمية من إغراء أبناء اليمىن إلى التعلم من ناحية، والإغراء المادى من ناحية أخرى، وهو الإغلب نظرا لما تعانىة البلاد من وضع اقتصادى مزر<sup>1</sup>.

كما تبين أن إيران ترسل المعلمين من الفرس والعراقيين واللبنانيين الاثنى عشرية إلى اليمىن، ومن ذلك أنه حين قامت فتنة الحوئي فى عام (1425هـ)، اكتشفت الجهات العاملة مع الدولة سبعين جثة لعراقيين من أصل إيراني قتلوا فى فتنة الحوئي<sup>2</sup>.

ولا شك أن إعلان قيام (حزب الله)، وتشكيل تنظيم "الشباب المؤمن"، والترم بالهتافات الشيعية، ورفع شعارات الثورة الإيرانية، والمجاهرة بسب الصحابة، ونقد المذهب الزيدى، وإقامة الاحتفالات والحسينيات والمناسبات الشيعية، كيوم غدیر "خم"، وافتتاح عدد كبير من المحلات التجارية والمكتبات ذات المسميات الشيعية، وتعليق لافتات كتب عليها عبارات مثل (يا حسيناه، يا علياه، من كنت مولاه فعلى مولاه، لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق... الخ)، وتوزيع وبيع أشرطة وكتب وكتيبات ذات مضامين شيعية اثنا عشرية، ونشرات بمسميات (العتره - آل البيت - الحسين - المهدي، وغيرها)، ونشر صور رموز شيعية ك (الخمىنى والصدر والسيستاني ورفسنجاني وحسن نصر الله ومقتدى الصدر وغيرهم)، جميع ذلك يدل على أن هناك توجيه من أيد خارجية، تربطهم صلات عقائدية وفكرية، بين إيران وتنظيم الشباب المؤمن (الحوثية).

<sup>1</sup> الحجرى، عبد الله بن نوح، التحولات الزيدية، وعوامل ظهور الحوئية، (مرجع سابق). ص80.

<sup>2</sup> المرجع السابق. ص80.

عندما الرئيس اليمني السابق على عبدالله صالح عن دور محتمل لحزب الله في عم الحوثيين أجاب: "الدعم ربما لا يقدم من حزب الله كحزب أوقيادة، ولكن من عناصر تنتمي إلى هذا الحزب، والذي أفهمه هو أن الحوثيين تلقوا خبرات في صنع القنابل والألغام الذخاشر من بعض الخبراء، وبعض العناصر الذين ينتمون إلى حزب الله، كما أن بعض العناصر الحوثية تُرسل للدراسة في لبنان"<sup>1</sup>.

لا شك أن كل ذلك يؤكد العمق في العلاقة بين الحوثي وإيران ما قاله حسين الحوثي: "في هذه الأيام الملاحظات عقبة كؤود في طريق نجاح الحركة في اليمن التي تهتدي بنهج إمام الأمة، وقائد الثورة الإسلامية، الإمام القائد والموجه السيد روح الله، آية الله الخميني قدس الله سره، وجعلنا من خدمه من اليوم إلى يوم الدين"<sup>2</sup>.

"لقد أكد طارق الشامي - الناطق الرسمي في المؤتمر الشعبي الحاكم - في اتصال مع قناة "الجزيرة" أن التمرد جاء في "إطار مخطط كان معداً له أولاً من حيث إدخال مذهب جديد هو الاثنا عشرية والترويج له داخل المجتمع اليمني، وثانياً ما تم الاعتراف به على لسان الحوثي بوجود علاقة مع بعض المنظمات والحوزات الشيعية وزيارته لبعض الدولة العربية وإيران"<sup>3</sup>.

وتهدف إيران من ذلك إلى عدة مسائل: منها استغلال جو التصالح والتقارب الشيعي الأمريكي في المنطقة عقب أحداث 11 سبتمبر، ومنها زيادة النفوذ الشيعي في دول الجزيرة والخليج بما يخدم البعد الاستراتيجي لإيران في المنطقة، ومنها تشتيت الذهن والجهد السني على امتداد الرقعة الجغرافية، كلبان وسوريا والسودان واليمن... إلى آخر ما هنالك من القائمة! بحيث تنصرف هذه الجهود عن العراق وخدمة التيار السني المقاوم فيه!

وقد ينكر البعض ترابط الحوثي بإيران، أو أن ينسب إلى الشيعة، ونقول له: يكفي لانتساجهم للشيعة هو ما نقلته صحيفة الأيام، تحت عنوان: (قائد الحرس الثوري الإيراني: إيران صنعت الحوثيين في اليمن): أكد القائد العام للحرس الثوري الإيراني، اللواء محمد علي جعفرى، أن إيران هي التي صنعت الجماعة الحوثية في اليمن بقوله إن "المقاومة اليمنية - ويقصد جماعة الحوثي - تعتبر اليوم آخر إنجاز للثورة

<sup>1</sup> الدغشي، أحمد محمد، الظاهرة الحوثية، دراسة منهجية شاملة، (مرجع سابق). ص 66.

<sup>2</sup> المرجع السابق. ص 82.

<sup>3</sup> المرجع السابق.

الإيرانية، وإن الحوثيين يتخذون من الثورة الإيرانية نموذجاً لمقاومة النظام المتسلط". وأكد جعفري خلال كلمة له بحفل تكريم المدربين النموذجيين في المجال العقدي والسياسي للحرس الثوري، أن "مشروع تصدير الثورة الإيرانية إلى الخارج يسير بشكل جيد، وإننا نشهد صحة ومقاومة إسلامية"، حسب ما نقلت عنه وكالة (فارس) <sup>1</sup>.

وتتخذ إيران من شعار تصدير الثورة لتبرير تدخلاتها في شؤون المنطقة وتمدها على حساب شعوبها. وزعم جعفري أن الثورة الإيرانية حققت نجاحات عديدة في الداخل والخارج. وبحسب قائد الحرس الثوري فإن: "الثورة الإيرانية تميزت بمناهضة الاستكبار، وإن هذا الأمر أدى إلى تقدم ونمو الأهداف السامية للثورة خارج الحدود"، وتدعم إيران حلفاءها في المنطقة، خاصة الرئيس السوري بشار الأسد الذي يواجه ثورة شعبية عارمة تكاد تطيح به، إلا أن المرشد الإيراني نعت الثورة السورية بصنيعة الاستكبار، ويقصد (الولايات المتحدة). وتابع قائلاً: "نحن الآن في مرحلة صنع الحضارة، والتحرك نحو الحضارة الإسلامية الكبرى، وإن هذا القرن هو قرن الإسلام والقيم المعنوية والعقلانية والعدالة، ومن يقف أمام الثورة الإسلامية سيهزم قطعاً".

يقول القاضي الأكوغ وهو يتحدث عن تحول الزيدية إلى الاثني عشرية: "أما اليوم فإن أ: كثر العلويين المتسبين مذهبا إلى زيد بن علي ومن اعتزى إليهم من أهل اليمن، أكثرهم قد تحول بعد قيام الثورة الإيرانية سنة (1979) إلى شيعة اثني عشرية تحت عطاء مذهب زيد بن علي" <sup>2</sup>.

وفي تقرير للأمم المتحدة أكد قبل أيام أن إيران تقوم بتسليح جماعة الحوثي منذ عام (2009م)، وهو ما يثبت تورط طهران بدعم الحوثيين عسكرياً، على الرغم من تأكيدات المسؤولين الإيرانيين أن دعمهم يقتصر على الجانب السياسي، والمساعدات الإنسانية فقط، واستند خبراء الأمم المتحدة في تقريرهم الذي قدم إلى لجنة العقوبات الخاصة بإيران في مجلس الأمن الدولي، إلى تحقيق في حادثة مصادرة السلطات اليمنية شحنة أسلحة عام (2013م) كانت تحملها سفينة الشحن الإيرانية (جهان). وكان وزير الخارجية الأمريكي جون كيري قد أكد الشهر الماضي، أن بلاده على علم بأن إيران تدعم الحوثيين، وقال: "إن واشنطن لن تقف مكتوفة الأيدي، ولن تتخلى عن حلفائها في المنطقة" <sup>3</sup>.

1 العدد 9522 الثلاثاء 5 مايو 2015 الموافق 16 رجب 1436 دولي الأيام، [HTTP://WWW.ALAYAM.COM](http://www.alayam.com)

<sup>2</sup> الأكوغ، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (مرجع سابق). ص 83.

<sup>3</sup> ينظر: إيران ترسل سفينة مساعدات إلى اليمن، ([HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/NEWS/ARABIC/2015/5/11](http://www.aljazeera.net/news/arabic/2015/5/11)).

عند اندلاع الثورات الربيعية لم يكن هناك ظهور جلي للطائفية، بل كان الجميع في ساحات التغيير متفقون ظاهراً على خلاص البلاد والشعوب من الدكتاتورية المقيتة التي جثمت على صدورهم سنوات طوال، فكان الهدف الظاهر لذي الجميع هو (الشعب يريد إسقاط النظام) فالكل شعب واحد لم يتجزأ آنذاك بطائفية ولا عنصرية، ولكن سرعان ما تحولت تلك المظاهرات السلمية ضد الأنظمة والحكومات إلى حروب أهلية ضارية، غلب عليها الطابع الطائفي، مما أذهل البعض وصدم البعض الآخر، كما أنه لم يكن مفاجئاً لدى بعض المفكرين والسياسيين، ففي الوقت الذي يتصاعد فيه التوتر بين الأنظمة والشعوب حول الحكم والسيادة، نجد أن هناك من قام بإشعال فتيل الطائفية بين السنة والشيعة في المنطقة، ولأجل السيادة وإحياء الإمبراطورية الفارسية بعد مواتها.

إننا نجد أن إيران قامت بالدور الدرامي المناسب كي توقع المنطقة في مستنقع من الدماء كلما أوشك على الجفاف أعانت على انعاشه، حتى تطور الوضع من شأن داخلي بين أبناء الدولة الواحدة إلى شأن إقليمي ودولي تشارك فيه أغلبية الدول لدعم جميع الأطراف والفصائل المتنازعة، كل يريد السيادة لأتباعه، يقول الكاتب عادل الأحمدى: " إن أزمة الحوثي نشأت جؤاء انشغال الراي العام بظروف التدافع السياسي، والمعاناة المعيشية، ووجد فيه الطرف الإيراني فرصة لتقوية إحدى بئر التوتر التي يمكن ضمان تبعيتها له، واستعمالها في مخططاته الاستراتيجية، شأنه شأن غيره<sup>1</sup>. ولم نجد من يحرص على وأد تلك النزاعات، بل على العكس من ذلك نرى أن هناك سعي حثيث إلى تعميق الانشقاقات بين هاتين الطائفتين؛ مما أدى إلى ظهور مشاهد مفرزة من العنف الطائفي في المنطقة برمتها، الذي ربما يكون من أهم الموروثات التي خلفتها السنن التغييرية في عالمنا العربي والإسلامي.

1 الأحمدى، عادل، الزهر والحجر؛ التمرد الشيعي في اليمن، ص 85.

**الخلاصة:** لقد فشلت دول الربيع في التحوّل من أنظمة تسلّطية عسكرية إلى أنظمة شرعية مدنية، بل تكاد هذه الدول أن تسقط؛ إن لم تكن سقطت في براثن الحرب الأهلية التي من الصعب التكهّن بنهايتها، أو بنتائج إيجابية تؤول إليها. ولقد استعاد الحكم العسكري في مصر سيطرته على البلاد، ووقعت اليمن وليبيا وسوريا في قبضة العصابات والتنظيمات المسلحة التي لا تقل خطراً عن نظام العسكر الذي كان مسيطر عليها.

لقد جاء "الربيع العربي" مولوداً شرعياً وطبيعياً لظروف مأزومة على مستويين: مستوى الحكام المستبدين والحكومات الفاسدة، وعلى مستوى انسداد الأفق أمام النهضة التي حلمت بها الأمة منذ مطلع القرن العشرين. ثم لم يلبث هذا المولد أن فُطم على عجل دون أن يستكمل مدة الرضاع على أقل تقدير؛ كي يعتمد على نفسه في شئونه الداخلية والخارجية، وكان سبب ذلك الفطام هو تدخل تلك التيارات التي عانت منها الأمة ولا تزال، فكانت سبب في تفتت وحدتها، وضياع هويتها، وهوانها بين الأمم.

## الفصل الثالث: قضايا فكرية، وأثرها على الربيع العربي

وفيه ثلاثة مباحث:

### المبحث الأول: بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع الدولي

المطلب الأول: الصراع العقدي، وسنة التدافع.

المطلب الثاني: نظرية المؤامرة، بين الوهم والحقيقة.

المطلب الثالث: المشهد الأمريكي والغربي على الديار الإسلامية.

### المبحث الثاني: بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع والفرد المسلم

المطلب الأول: بين الخروج والتغير

المطلب الثاني: ظاهرة الغلو (التكفير)

المطلب الثالث: ظاهر الفكر التوفيقي

لقد اعتنى علماء الأديان والتاريخ؛ بتدوين نشأة وتطور الفكر الإسلامي منذ بدء ظهوره في المجتمع المسلم، حتى حاضرننا المعاصر، وإن الدارس لهذا الفن بعمومه وخصوصه لابد له أن يستعرض لحال تلك الأفكار والمعتقدات، ويبحث عن الأسباب المؤدية لنشوء تلك المعتقدات، وكيف ظهرت على الساحة الإسلامية. كما أن هناك من المعتقدات ما تشكل خطراً على المجتمع الإسلامي والتي أتت عليه بحجة أو بأخرى وما هي إلا مبرراً تعسى من خلاله لحرب عقائدية لصناعة الحضارة، لذا ارتأيت أن أقدم بين يدي الكلام عن أثر تلك التيارات المنحرفة، وأن أقف على أمر مهم؛ وهو أن أعظم وافد أفسد المجتمع، ومآزج منابعه الصافية، ولوؤها، وترك فيه أبلغ الأثر شكلاً ومضموناً، هو الغزو الفكري، فهو حقا أكبر حرب فكرية، وفكرية سلطت على الإسلام. ولعل الذي وضع له أعظم الأثر وقوى من شوكته في العصر الحديث؛ هو الغزو الاستعماري الحديث، الذي وفد مع الحملات الصليبية التي جاءت بالبشر والوبال على الأمة الإسلامية من جانب، وعلى البشرية من جانب آخر.

ولا مبرر لقبول هذا الغزو بأي صورة على الإطلاق، غير أن هذا الغزو أوضح نموذجاً من التفاوت الكبير في مستوى التقدم الحضاري بين الأمم المتصارعة، فهناك أمم تعاني من ضعف في جوانب شتى من مجالات الحياة؛ فعندها ليس غريباً أن تخضع لسطوة أمة هي أقوى منها؛ قد حققت -وفق سنة الله الكونية- من التقدم الحضاري الدنيوي من اختراعات، وتكنولوجيا، وصناعات، ما لم يكن يدور في الخيال البشري.

أما الظاهرة التي استعصت على العقلاء، والغريبة في تاريخ الإنسانية، هي تقبل أمة حية، قوية، تمتلك مصادر المعرفة والعلم، غزواً فكرياً من أمة منهارة أخلاقياً، منحلة إيمانياً، قد أضحت بائدة عقائدياً. ويكمن نموذج الاستعصاء والغرابة أكثر، إذا كانت تلك الأمة المتقبلة للغزو الفكري هي أمة التوحيد الخالص، والتي كونت حضارتها من الوحي النقي؛ كتاب ربنا وسنة خير البشر محمد عليه الصلاة والسلام، التي فتحت قلوب الأمم، وحطمت طواغيت الاستبداد، وبلغت القمة في الاستعلاء بالحق، ما لم يكن لأمة قط أن تبلغه، ومع ذلك نجدتها تتلقف ذلك الغزو من تراث قد انتدثر وتحطم من أمة قد انقرضت دينياً، وطغى عليها التخلف الفكري.

## الربيع العربي، ودوره في إنعاش التيارات المنحرفة:

إنني هنا بصدد التركيز على إنعاش الانحرافات الفكرية في الدول الربيعية، وبعض الأفكار التي استغلّت واقعة الربيع العربي، فركبت على الطوفان، لتحقيق أهداف عقائدية؛ كان حالها قبل الربيع العربي خلف الكواليس، ولكن سرعان ما تأتي الفرصة المناسبة لأرباب تلك الأفكار فأظهروا ما كان مندرساً إلى الواقع، فظهرت هنا فرقة، وجماعة هناك، وفكر مارق بينهما، ولعل الأكثر إثارة من بين تلك الحركات والتنظيمات هي التي قامت في المناطق التي لا زال الربيع لم يقر ولم يسكن بسببها.

كما بينت في السابق أن أشد المناطق التي شهدت الربيع العربي تأزماً بالدرجة الأولى: هي سوريا، لذا كان حريّ أن تكون الحركة أو التنظيم الذي انتعش بها هو أشد التنظيمات الذي وجد اهتماماً من السياسيين والمفكرين والعلماء والتربويين، بل وجميع طبقات المجتمعات المحلية والدولية، وأقصد بهذا التنظيم هو: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ولا شك أن هناك من يؤيد هذا التنظيم وبات ذلك جلياً من الأعداد الهائلة التي تتوافد للانضمام إليه من كل مكان؛ ولكن نسبة المنضمين لا تكاد تذكر أمام المعارضين له والمحاربين.

وعلى الرغم أنه انتعش في سوريا أيضاً المد النصيري، والمد الإيراني الصفوي، اللذان لهما حضور قوي وفاعل في سوريا، كما للمد الصفوي أيضاً حضور فاعل في العراق، إلا أن هذين الطائفتين لهما أيضاً تواجد سابق في المنطقة، كما أن لهما دولاً وحكومات ترعاها من قبل.

يقول: غوستاف لوبون: " قد ينتج عن الثورة في نهاية الأمر معتقد، ولكنها تنشأ في الغالب عن عوامل عقلية كالقضاء على ظلم فادح أو استبداد ممقوت أو ملك ييغضه الشعب، ومع أن العقل هو أصل الثورة فإن الأسباب التي تهيئها لا تؤثر في الجماعات إلا بعد أن تتحول إلى عواطف، فإذا أمكن بالفعل إظهار ما يجب هدمه من المظالم وجب لتحريك الجماعات إفعالاً قلوبها بالآمال، وهذا أمر لا ينال إلا إذا استعين بعناصر العاطفة والتدين التي تجعل الإنسان قادراً على السير"<sup>1</sup>.

ثم إنني ذكرت أن من يحتل المركز الثاني في صدارة البؤس من بين دول الربيع العربي في التأزم وحالة اللانسانية التي تعصف بها؛ هي اليمن، لذا كان لزاماً أن يكون الفكر الذي ظهر نجمه بشدة في تلك

1 لوبون، غوستاف، روح الثورات، ترجمة: عادل زعيتر، (مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط3، 2013)، ص26.

الفترة، والذي لم يأفل بعد هي: (الحركة الحوثية)، وهي أيضا لا تقل كثير عن أختها التي ظهرت في سوريا من كل النواحي، سواء كانت من حالة الإجماع التي تمارسه على الشعب والمدنيين، أم من ناحية الاهتمام الذي يوليه تجاهها جميع شرائح المجتمع، ومن حيث الرعاية التي توليه لها إيران ونظام بشار وحلفاءهم.

وقد جاء معنا الكلام عن هذه الحركة؛ أعني (الحوثية) وسلطنا الضوء على كيفية ظهورها؟ وما هو التحول الحاصل في اليمن منذ أن هيمنت تلك الجماعة؟ وما هو التأثير الفكري لهذه الجماعة؟ وما موقفها من البلدان العربية؟ ومدى علاقتها براعية المد الصفوي في المنطقة؟، وماهي جذورهم الفكرية؟ ولعل الذي دفع كثير من السياسيين والباحثين والأساتذة والمثقفين وغيرهم من العامة إلى الحكم على هذه الثورات العربية بالفشل إلى حد كبير لدى البعض، وبالتأمل والتخطيط المسبق لها لدى الأكثر؛ لأن في الحقيقة قد يكون هناك تبرير لمثل هذه التشاؤمية، وخصوصاً أن بعض الذين ابتهجوا بأحداث الربيع العربي، وتفاءلوا بالخير؛ قد أصابتهم الصدمة مما آل إليه الربيع العربي، فلم تأت النتائج مثلما كانت التوقعات، لا في مصر، ولا في ليبيا، ولا في سوريا، ولا في اليمن ولا حتى في تونس التي تعتبر الحالة الأقرب إلى النجاح مقارنة بمثيلاتها من البلاد الأخرى.

وعن ثورة الربيع العربي في مقال بعنوان: (ليست نهاية الربيع العربي)، يقول فهمي هويدي: " لا أنكر شواهد الفشل والانتكاسات التي حفلت بها مسيرة الربيع العربي، كما أن الانتصارات التي حققتها الثورة المضادة ماثلة تحت أعيننا ولا سبيل لتجاهلها أو إنكارها بدورها، لكنني أزعج أن هذا كله وذاك لا يعني بالضرورة نهاية الربيع العربي، إذا احتكنا إلى تحليل الواقع وخبرة التاريخ، وإذا اعتبرنا ما مررنا به درساً نتعلم منه ما يبصرنا بأخطائنا ومواطن الضعف فيها، وليس نعباً لتطلعات شعوبنا وأحلامها"<sup>1</sup>.

ويقول الأستاذ بو خصاص: "أثناء حضوري لندوة عن الربيع العربي في جامعة كورنيل، كان هناك من الأساتذة من قسم العلوم السياسية من انتقد تسمية سلسلة هذه الثورات بالربيع العربي، وتسميتها بدلاً بالشتاء العربي؛ لأنها ليست أكثر من انعكاس لعدم رضا الشعوب وانقسامهم على أنفسهم، في ظل عدم توفر رؤية مستقبلية موحدة لقيادة البلد إلى الأمام، وغياب آليات التوصل إلى الحلول الفعالة، وبالتالي

---

1 هويدي، فهمي، ليست نهاية الربيع العربي، ضمن مقالات ينشرها موقع CNN بالعربية بالتعاون مع صحيفة الشروق المصرية، 02 ديسمبر 2014. [HTTPS://ARABIC.CNN.COM](https://arabic.cnn.com).

فإن النتيجة ليست أكثر من الانخراط في مناهات العنف بين أحزاب ومجاميع تسعى لإثبات وجودها لتحقيق نظام معين"<sup>1</sup>.

ويقول بو خصاص: "إن أمام التغييرات التي رافقت الربيع العربي وفي سياق التحولات على مستوى الخريطة السياسية بالمنطقة، وفي ظل توالي الدراسات التي تستشرف الديمقراطية في دول "الربيع العربي"، رسمت دراسة أمريكية صورة بارزة عن نظرة الأمريكيين للتحولات الجارية في الوطن العربي منذ أشهر، وأمادت اللثام عن حقيقة تشاؤم مواطني الدولة العظمى من مستقبل الربيع العربي، وأكد (57%) من الأمريكيين: أن إسقاط الأنظمة المستبدة، وإفراز حكومات إسلامية، لن يؤدي إلى نتائج إيجابية بالنسبة للمواطنين في مختلف القطاعات، بينما لم تتجاوز نسبة الأمريكيين الذين ينظرون بإيجابية إلى التحولات وعبروا عن تفاؤلهم نسبة (25%)"<sup>2</sup>.

من خلال ما قد طرح نقول: إن الربيع العربي قد أنجز الخطوة الأولى في سبيل إحداث الوعي المغيب لدى الشعوب تجاه الديكتاتوريات المتمثلة في الحكام المستأجرين من النظام الدكتاتوري العالمي، وإنه من هذا المنطلق قد تصح تسميته بـ:(الربيع العربي) من ناحية تحقيق هذه الثورات الشعبية نجاحاً جزئياً من خلال أطاحتها بالديكتاتورية، وما جرى على ذلك من تحرر ولو ضئيل من شتاتها المظلم، لتخرج إلى حيز التطلعات والمحاولات في المشاركة في حوار يستهدف بناء مستقبل البلد، إلا أن مسار هذه الحوارات قد لا يخلو من عقبات داخلية وخارجية غالب شأنها أن تؤثر فيه سلباً أو إيجاباً، وقد تكلمنا عن ذلك بما فيه الكفاية.

والذي أردت أن أنبه عليه من خلال هذا الطرح، أنه لا يمكن أن نغفل عن أن الربيع العربي كان له تأثير فاعل في تمكين بعض الأفكار والتيارات المنحرفة في الجهر بما كانت تُخفي، أو أن تولد حركة لم تكن موجودة على الساحة ككيان بارز، يقول الدكتور شون: "إن الثورات العربية افتقدت إلى الإطار الإيديولوجي أو الفكري، وإن حياة الناس لم تتحسن بالشكل المطلوب، وإن أحداث الربيع العربي فتحت المجال أمام الفرق المختلفة للخوض في سياسة جدلية قد لا يكون منها مخرج، وبالتالي فإن تأثير موجة

1 محمد، أحمد، مقال: الثورات العربية في سياق الربيع العربي والديمقراطية، 09 مايو 2015، موقع: [HTTP://WWW.JADALIYYA.COM/](http://www.jadaliyya.com).

2 بو خصاص، محمد كريم، دراسة ترصد تشاؤم الأمريكيين من تحولات «الربيع العربي»، نشر في جريدة التجديد 24 أكتوبر 2012.

الربيع العربي لا يمكن التنبؤ بنتائجها سواء أنها ستجلب الخير أو الشر إلى المجتمعات العربية، وأن الزمن سيكفل لنا الإجابة عن مثل هذا السؤال، وهو بهذا التحليل يحمل نفساً من التشاؤم<sup>1</sup>.

وعلى الرغم من أن كل بلد من بلدان الربيع العربي لديه مشكلاته الخاصة التي تميزه عن غيره من البلاد سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي، إلا إننا نجد أن هذه التيارات الفكرية والعقدية المنحرفة أرادت أن تتسلق السلم على ظهر تلك الشعوب المكرومة والمتألمة، فنجدها تحاول دغدغة تلك الشعوب؛ بأنها ما جاءت إلا لتحقق من معاناتها ومشاكلها الحياتية، والغالب على تلك الشعوب أن تلك الأكاذيب لم تعد تنظلي عليها، فلم يجد أولئك المنحرفون بُدأً من النيل من تلك الشعوب بقوة السلاح وقوة السلطان، ولعل السيناريو السابق -الذي خط لبنته الأولى (جورج دبليو بوش)- يعيد نفسه: وهي مقولته الشهيرة التي خاطب بها العالم (إما مع أمريكا أو ضدها) هو نفس السيناريو الحاصل مع تلك الطوائف الضالة عن الصراط المستقيم، فحالمهم كحال الأول؛ إما معنا أو القتل والسجن. وكل هذه الفوضى والتقلبات الحائلة بالدول الربيعية، كانت كفيلة بظهور جانب من التيارات المنحرفة التي قفزت من على عتباته، لتظهر لنا بالصورة التي نراها عليها اليوم، حيث أصبح لهم صولة وجولة في كل من اليمن وسوريا وليبيا، كما كان هناك ظهور واضح وجلي للجانب المضاد؛ في كل دول الربيع بالإضافة إلى مصر، وتأثير نسبي في تونس<sup>2</sup>.

لكن لا يعني هذا أن ننظر بالنظارة السوداء ليلاً ونهاراً، فإن الذي جعل تلك الشعوب استطاعت على قلة عدتها وعتادها من الإطاحة بجبايرة الأنظمة التي عششت في قصور الحكم لعقود عدة، لقادر سبحانه على أن يهيئ للأمة من يقود سفينتها إلى بر الأمان بإذنه ورحمته بحال المؤمنين. ويمكن القول إن هذه المشكلات كغيرها من المشكلات ستحتاج إلى الصبر والوقت، والتي من خلالها للمجتمع أن يقوم على تطوير الحلول المناسبة لها. كما يمكن أن يتم ذلك عبر فكرة واضحة المعالم، تتطور عبر أناس بلغ بهم الإخلاص تجاه الإسلام والمسلمين منتهاه، وللتطوير هذا المفهوم والتفاعل الفكري بين شرائح المجتمع وتطوير النظام السياسي والاقتصادي والتعليمي وغير ذلك من شتى مناحي الحياة؛ التي تتناول جوانب

1 أستاذ السياسة المقارن من جامعة تمبل الأمريكية، ذكر ذلك في إحدى محاضراته التي ألقاها في كلية سوارثور في خريف ٢٠١٤م. نقلا عن مقال:

الثورات العربية في سياق الربيع العربي، (مرجع سابق).

2 هويدي، فهمي، ليست نهاية الربيع العربي، (مرجع سابق).

وقضايا المجتمع بشتى أنواعها، ينبغي تجسيد المعنى الحقيقي للنظام الإسلامي، والنظرة التفاعلية من الشعب تجاهه، ليتسنى تسيير النظام الإسلامي الحق، وتوليه الحكومة بما يتفق مع الشريعة، ويلبي حقوق وتطلعات الشعب المسلم منهم وغير المسلم، لأن الإسلام كفل للجميع حقوقه. كذلك يجب أن ننبه إلى أن الربيع العربي قد يبدو متشابهاً في انفعالاته وحدوثه ومطالبه، إلا أن تأثيره لم يكن بنفس الحال في جميع مناطقه، فلا يمكننا أن نقول إن المسار الذي سلكه الربيع العربي في بلد هو نفس المسار الذي سار عليه في البلد الأخرى، فلا بد من تفاوت بين تلك المسارات في الخصوص وذلك بسبب الاختلافات الديمغرافية لسكان منطقة دون غيرها، فمناطق الربيع العربي رغم أنها عربية إلا أن لكل منها خصائصها وظروفها وتكويناتها المختلفة التي تميزها عن الأخرى.

وقد لاحظ الجميع مستوى الفارق بين مناطق الربيع العربي، فهناك فارق في الطريقة التي واجه بها شعوب تلك الدول، لمواجهة تلك الأنظمة الظالمة، ففي تونس على سبيل المثال؛ حسمت القضية بطريقة لم تسمح بالمواجهات المسلحة، وغلب عليها الطابع السلمي، مع التفاوت الواقع بين فصائل تلك المظاهرات والمتمثلة في الأحزاب؛ بغض النظر عن قناعاتي بقيام تلك الأحزاب من عدمه، حيث تمكنت الأحزاب الإسلامية والأحزاب العلمانية من إيجاد تسوية ما للخروج بصيغة معتدلة؛ تدفع بالبلاد إلى الأمام، بينما نجد في مصر أن هناك تباعد سياسي وفكري لدرجة كبيرة، مما دفع شريحة من الشعب للخروج في مظاهرات أخرى مدعومة بأجندة ماسونية وليبرالية للتظاهر ضد حكم الإخوان المسلمين، انتهت بإسقاط مرسي من الحكم بانقلاب عسكري قبيح، لتعود البلاد إلى سابق عهدها من الحكم الديكتاتوري العسكري، وبالرغم من أن الحزبين اللذين تصدرتا الانتخابات في كلا البلدين لهما نفس الخلفية الدينية، إلا أن تصرفهما السياسي كان مختلفاً في أعقاب الربيع العربي<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> رفعت، سعيد، إعصار التغيير، (مجلة شئون عربية، فصلية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد، 145، ربيع 2011). بتصرف

وبالنظر إلى تونس وجارتها ليبيا على الرغم من التقارب الجغرافي والتناسق البيئي إلا أن الحال في ليبيا قام على الصراعات الدموية، والتي لا زال الشعب الليبي يكتوي بشهبها إلى اليوم، وقس على ذلك في اليمن وسوريا، التي كان الحال فيهما أن في سوريا أقيمت الثورة ضد النظام المدعوم من الرفضة بحكومة إيران، والغاية منها إزالة الحكم النصيري، أما في اليمن فقد كان للروافض يد في الثورة ضد النظام القائم والذي كان يغلب عليه السنة، فهتان ثورتان الأولى ضد الشيعة والأخرى قام بجزء منها الشيعة، وهكذا هو التأثير الفكري الذي قام على أنقاض الربيع العربي، ففي كل بلد من بلدان الربيع العربي قام تيار منحرف يث سمومه الفكرية الموبوءة، مستغلا ذلكم الحدث التي تأمل الناس في بداية امره الخير، ولكن سرعان ما تبدل ذلك إلى شر محض في نظر تلك الشعوب المسكينة، والتي لا حول لهم ولا قوة<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> رفعت، سعيد، إعصار التغيير، (مرجع سابق). بتصرف من ص 5-13.

## المبحث الأول: بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع الدولي

لا زالت النخب الغربية، وحلفاؤها من العلمانيين والحدائيين، يشنون حملة شعواء في عالمنا العربي ضد الهوية الإسلامية، لزعزعة رسوخها لدى شعوب المنطقة، وقد طالت سنوات تلك الحملة، وعندما بدى لها أنها انتصرت في حملتها، ولفرط غبائها لم تدرك أنها أيقظت المارد الإسلامي، الذي اكتسح جميع تلك الحملات، مما حدى بها لأن تنهج نهجاً مغايراً، من خلاله تستطيع أن تكبح جماح ذلك المارد؛ من خلال الإسلاميين أنفسهم، فأخرجت لنا حركات متعددة تدعى (تنويرية)؛ همّها كما تزعم الحفاظ على الإسلام بصورته الصحيحة، وتحميه من "التطرف".

وعندما قامت الثورات الربيعية، وظهرت قوة التيارات الإسلامية، وأن الشعوب متعطشة للحكم الإسلامي، حاولت تلك النخب مدهنة هذه التيارات، والاقتراب منها، وحينما شعرت بأن الحال سيكون مختلفاً مع تلك التيارات، عادت لعادتها التي دأبت عليها، من بث النزاعات دخل المجتمع المسلم، وخلق الفتنة، وإثارة النعرة الطائفية، والمذهبية؛ حرصاً منها على إفشال تلك الثورات.

وقد استطاعوا أن يوهنوا من عزيمة الثورات؛ لغياب الرؤية الواضحة والشاملة لها، مستغلين الاختلاف بين العناصر الفاعلة، مع تحريك المتأمرين من الداخل؛ من العلمانيين والليبراليين، فظهر في الوسط من ينتقد تطبيق الشريعة، ويطعن في الحدود الإسلامية، وينتقص من كتب الصحاح خاصة البخاري ومسلم، ويسخر من حياة البرزخ، ويرمي العلماء والمصلحين بأنهم أصحاب استغلال لنفوذهم في مصالحهم الشخصية. وكأنهم يشجعون لعودة الحكم العلماني والديكتاتوري، الذي لديه القدرة على مواكبة العمالة الغربية، وتضييع الشريعة الإسلامية، وصوروا للناس أن الإسلام الحقيقي هو ذلك المنهج الذي يحتوي على الكثير من الخرافات التي كانوا في يوم ما ينتقدونها، ولأنه منهج يكتفي بحلقات الذكر، والتبرك والاستغاثة بالقبور، والترانيم والموشحات، وليس له اهتمام بالسياسة، ولا المطالبة بتحكيم الشريعة، رضوا به كحل مؤقت للأزمة؛ حتى يتخلصوا من التيارات الإسلامية الحركية المضادة، ثم وصل الأمر بهم في آخر المطاف إلى أن أعلنوا الحرب صريحة ضد هوية الأمة الإسلامية، في محاولة لطمس تلك الهوية من قبل أطراف قام لها نفوذ بطريقة أو بأخرى في عالمنا الإسلامي، ممن يحتبغون وراء الشعارات البراقة، ملبسين الحق بالباطل، ولا أدل على ذلك من المواقف التي نشاهدها من أحفاد المرجئة، وأذئاب الخوارج، وأبناء الرافضة.

لقد رأينا من بعض المتظاهرين بالحرص على الإسلام؛ أنهم بحق هم العدو الحقيقي للإسلام والمسلمين في وقتنا الحاضر، فهم يناصبون المجتمعات العداء بشكل سافر، ويتمنون هزيمة الإسلام لمصلحة دول وأحزاب هنا وهناك، رافعين رايات الاعتداء على ثوابت الدين، ومفهوم التوحيد، ومعاني العقيدة السليمة، سعياً منهم للوصول لسدة الحكم، وعندها تتحقق لتلك النخب الغربية ما أرادوا، وتسير الأمور تحت أعينهم كما كانت، وبات من يخالف أولئك البغاة عرضة لانتهاك المال والعرض النفس، كما بات واجب على العلماء، والمفكرين، والدعاة التصدي لحملة الشنيعة. إن معظم دول العالم الإسلامي تعاني من التخلف السياسي والاقتصادي والثقافي، وبالخصوص الدول العربية منها، ولهذا لا بد أن ندرك بأن فكرة الإصلاح ليست فكرة وليدة، استحدثت في ثورات الربيع العربي، إن فكرة الإصلاح فكرة قديمة يقدم الإنسانية، ولهذا كانت دعوة جميع الأنبياء مبدأها هو الإصلاح؛ وصحيح أن الهدف الأول لدعوة الأنبياء هو الإصلاح العقدي والفكري، لكن أيضاً فإن دعوة الأنبياء لم تكن لتغفل عن الإصلاح السياسي، والإصلاح الاقتصادي، إذ بصلاح الدين تصلح الدنيا؛ كما تصلح الآخرة.

كذلك قد وجدت فكرة الإصلاح في كثير من كتابات قدماء المفكرين من أمثال أفلاطون وأرسطو تحت على العدل، وتنظيم المجتمع، والاستقرار السياسي، والعدالة في توزيع ثروات الدولة، ولهذا يمكننا القول إن فكرة الإصلاح كانت ومازالت الهدف الأسمى لكل المخلصين من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين والاقتصاديين والمثقفين، في مختلف أرجاء العالم. وقد حدثت كثير من التغيرات الإصلاحية على مر القرون الإسلامية منذ انبثاق فجر النبوة مروراً بعصور الخلافة، في جميع المجالات العسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والإدارية.

وفي هذا المبحث بعون الله سنسلط الضوء على قضية الصراع الفكري، ونرى من خلاله المشهد الأمريكي والغربي حيال القضايا الإسلامية، وبيان القول في نظرية المؤامرة.

## المطلب الأول: الصراع العقدي، وسنة التدافع.

لا شك أن لكل طائفة من شرائح المجتمع سواء كان ذلك على مستوى؛ المفكرين، أو السياسيين، أو الاقتصاديين، أو... إلخ، رؤيتها وتصوراتها، ومواقفها، ولهذا كان من الواجب استماع تلك الرؤى والتصورات، ولكي نقف على بداية الطريق لا بد من التماس القواسم المشتركة بين كل الشرائح؛ كي يتم الانطلاق منها.

إن المتتبع لتاريخ العلاقات ما بين الغرب وشعوب الإسلام، يلاحظ حقدًا مبررًا يملأ صدر الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة في النفسية الأوروبية. هذا الحقد، وذلك الخوف، لا شأن لنا بهما إن كانا مجرد إحساس نفسي شخصي، أما إذا كانا من أهم العوامل التي تبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية، سياسياً، واقتصادياً، وحتى هذه الساعة، فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم<sup>1</sup>.

أصبح الكلام عن التدافع والمقاومة، من العضلات الدلالية، كما أصبح الكلام عن الجهاد من العضلات اللفظية، فالخطيب والكاتب والمقاتل في أرض الميدان؛ جميعهم إرهابي في نظر المفاهيم الدولية، التي صارت هي القاموس المعتمد عالمياً في كل نازلة ألّمت بالعالم، كل ذلك في ظل غياب كامل وتام عن سنة من سنن الله الكونية المشروعة في الأرض وهي سنة التدافع عموماً، والتدافع العقدي بوجه خاص.

وفي حمأة الجدل الصاخب لم يعد من نوافل القول بأن الحديث عن (صراع الحضارات) حديث يطول الخوض فيه ولا يغني مطلب عن إشباعه، وإنما الذي يهمننا في هذا المطلب هو التنويه على الصراع القائم بين الحضارات والذي يقوم على الأساس العقدي الديني، وإن تلبس في كثير من الأحيان بلباس الحرب الاقتصادية أو حرب التكنولوجيا أو الدفاع عن الحقوق والحريات، إلا أن الثوب الأصلي لهذه الحروب برمتها هي حرب من أجل الحضارة (ثقافية - دينية)، وإن تعددت المواقف، وتباينت المفاهيم، حول التحايل على هذا الصراع، وقيل في حواشيه ما لم يُقل عن أي قضية غيره. وكم من داخل في متاهته إلا وتراه يأتي فيه بما أملت عليه مرجعيته الخاصة والتي تنطلق من النظرة الدينية العقدية، وفق ظروف خاصة، ملتزمة بأنساق هي كذلك خاصة، ولو أن المهيمنون على العالم بالسلاح والتكنولوجيا تعاملوا

<sup>1</sup> الدمشقي، عبد الودود، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010). ص7.

بإنصاف مع الشعوب من حولهم، على مختلف مللهم وأجناسهم لكان حال العالم في هذه الفترة الزمنية التي غمرتها العلوم والمعرفة أصلح وأقوم.

إن صلاح الأرض وفسادها قائم على مقدار التدافع بين الحق والباطل، فهذا ناموس من النواميس الإلهية، وقانون رباني، كي يسود الخير، وتطمئن البشرية، وينعم الأنام، وكلما فرط أهل الحق بالأخذ بهذا القانون وتناسوا هذا الناموس؛ فإن حقهم يعتبر في عداد المفقود، ولهذا لا بد أن نعلم أن مبدأ القوة قرره الله عزوجل في كتابه: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: 12]، ولكن لا يقوم هذا المبدأ، ولا يُعمل بهذا القانون إلا بشروط شرعية؛ وهما مصدر التشريع، والتي يراد منها ربط القوة بالحق، وضبط التدافع بالعدل، فإن تحقق ذلك عم الخير، وتحقق الأمن للبشرية. يقول هنتنجتون: " التاريخ الإنساني هو تاريخاً للحضارات ومن المستحيل أن نفكر بتاريخ الإنسانية بأي معنى آخر، والقصة ممتدة عبر أجيال من الحضارة منذ السومرية القديمة إلى المصرية إلى الكلاسيكية والأمريكية الوسطى، وعبر تحليلات متتالية للحضارات الصينية والهندية، والنتيجة أن أسباب وظهور وصعود وتفاعلات وإنجازات وانحيار وسقوط الحضارات؛ كان يتم استكشافها بواسطة مؤرخين وعلماء اجتماع وأجناس متميزين. ورغم اختلافات المنظور والمنهج وبؤرة الاهتمام والمفاهيم؛ إلا أن هناك اتفاقاً عريضاً على الفروض الرئيسية التي تتعلق بطبيعة وهوية الحضارات وقواها المحركة"<sup>1</sup>.

ويقول: " الأديان الكبرى مثل الإسلام والمسيحية على نحو خاص تضم مجتمعات من أجناس مختلفة، أم الاختلافات الأساسية بين الجماعات الإنسانية؛ فتتعلق بالقيم، والمعتقدات، والبنى الاجتماعية"<sup>2</sup>.

والذي تقوم عليه أسس الحضارات وهو بحق مؤسف على البشرية هو: أن تتسلط إحدى تلك الحضارات التي ملكت القوة في عصر ما على الناس فتقلب موازين التعايش والمساواة؛ فتجعل من الباطل ملازماً للقوة، والظلم للضعف، وعندها ستبديل حياة الأنام بؤساً وجحيماً؛ لما سيصيب البشرية من هدر للكرامات، وسفك للدماء، وتدني للمقدسات، ولا شك أن هذه هي المقومات لإحياء سنة التدافع.

1 هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، ت: الشايب وقصوه، (نيويورك، (نيويورك، مركز سيمون & شوستر روكفلر ط2، 1999). ص67.

2 هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، (مرجع سابق)، ص70.

وقد لا يكون ثم هنالك حقيقة ما يسمى الحرب على الإرهاب، ولو كان هنا تنازلاً دولياً عما بات يعرف بسباق التسلح والتنافس الاستعماري لكان هناك حفظ للحقوق والحريات، ولم تكن عندها سنسعى لمحاربة جماعة ما، ومحاربة ملة ما.

كما نرى الاحتلال والاستيطان وحروب الإبادة والتفرقة؛ أضحيت في أرشيف التاريخ الغابر، ولكن للأسف حين تملك المصالح، وتقديس الأيديولوجيات المهيمنة، وتغطي بعض المفاهيم بمصطلحات لطمخها الحقد وحب التسلط، فلا شك أن كل تلك المعاني الجميلة ستُفَرِّغ من حقيقتها وستظل الصراعات هي سيادة الموقف، وراعية القوة، وعندها يظل التنازع والخلاف في نمو مطرد؛ وذلك ما نحاول القول به فيما يعرف بصراع الحضارات، ولهذا عندما قامت السيادة على القوة، وهيمن القوي على من حوله، وظن أن غيره مجرد ضعيف لا يؤبه به؛ جاءت سنة التدافع لتدحر الهيمنة ولتقول للظالم قف، وهو ما يؤكد الله بقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، [البقرة، الآية: 251]. قال الإمام الماتريدي: "قال بعضهم: دفع بالكفار بعضهم ببعض شرهم عن المسلمين، لما شغل بعضهم ببعض، وجعل بعضهم لبعض أعداء إلى أن لم يتفرغوا عن أنفسهم للمسلمين، وإلا كان في ذلك فساد الأرض. وقال آخرون: دفع بالرسول والأنبياء شرهم عن المسلمين، وكفاهم بهم. وقال غيرهم: دفع بالمؤمنين بعضهم عن بعض - دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد، وإلا لغلب المشركون على الأرض. ثم اختلف في قوله: (لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ). وقيل: لو لم يدفع بعضهم ببعض لقتل بعضهم بعضاً، وأهلك فريقاً فريقاً، وفي ذلك تفانيهم وفسادهم، وفي ذلك فساد الأرض. وقال آخرون: لو لم يدفع لفسدت الأرض، أراد بفساد الأرض فساد أهلها؛ لأنه لو لم يدفع لغلب المشركون على أراضي الإسلام وأهلها. فإذا غلبوا فسد أهلها. وقال: (لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)، إذا غلب المشركون عليها هدمت المساجد والصوامع، ففيه فساد الأرض"<sup>1</sup>.

لا يخفى أن صراع الحضارات يُغذى بالألاعيب السياسية، والتي تقوم في الغالب على التآمر والذي قام باستغلال ضعف النفوس والدين؛ ليقوموا بالدور المناط بهم إما بإشعال نار الفتنة الداخلية عن طريق فضيل من فصائل التطرف بشتى أنواعه؛ الديني أو الحدائثي أو العلماني أو الليبرالي، مع ضرورة ألا نهمل

<sup>1</sup> الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد، تفسير: تأويلات أهل السنة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005)، ج2، ص231.

الاستشارة المتتابعة من الدول التسلطية في ضغطها على الشعوب، وكثير من تلك الأحداث كونت منعطفا خطيرا في حياة الأمم والشعوب.

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية كثر الحديث بأنها كانت حربا لتحقيق السلام العالمي وقمع الكبت والتسلط، وأنها جاءت لتقرير المصير للأمم. ووجدت هذه الأضحوة اهتماما بالغاً لدى معظم شعوب العالم بعد أن أعلن الرئيس الأمريكي روزفلت والبريطاني تشرشل: أنهما لا يريدان التوسع على حساب الآخرين كما أنهما يحترمان حق الشعوب في اختيار نظم الحكم التي تناسبها. وكان هذا الإعلان عام (1941م)<sup>1</sup>.

وهذا ما أكدته الأمم المتحدة في ميثاقها الصادر (1945م)<sup>2</sup>. كما أكد القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (2102) والصادر في (1973م) على أن "كفاح الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية والنظم العنصرية في سبيل إقرار حقها في تقرير المصير والاستقلال هو كفاح مشروع يتفق كل الاتفاق مع مبادئ القانون الدولي"<sup>3</sup>.

وعلى غرار قوانين الأمم المتحدة جاءت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب والتي جاء في المادة الثانية من هذه الاتفاقية: "لا تعد جريمة حالات الكفاح بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولي"<sup>4</sup>.

كما أيد وزراء العدل العرب هذه الاتفاقية في اجتماع دورتهم السابعة عشرة في 5 ديسمبر (2001م)، والتي تعطي الحق لأي شعب بالدفاع عن أرضه بمختلف الوسائل، كما أنهم فرقوا بين الإرهاب وبين حق المقاومة للمحتل، بموجب قوانين الأمم المتحدة والمجتمع الدولي؛ المنصوص عليه آنفاً، كما أكد الوزراء على أن الربط بين الشريعة الإسلامية والإرهاب يعد تعدياً على الإسلام وعدم فهم لمقاصده"<sup>5</sup>.

1 ينظر: رفعت، أحمد محمد، والبيطار، صالح بكر، الإرهاب الدولي، (باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط1، 1998م)، ص121.

2 عامر، صلاح الدين، قانون التنظيم الدولي، النظرية العامة، (القاهرة، دار النهضة العربية، ط3، 1984م)، ص273.

3 المرجع السابق، ص 273.

4 الهري، محمد على، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها (الرياض، ج: محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 2004)، ص7.

5 صحيفة الأهرام، القاهرة، عدد 5 ديسمبر 2001م.

إن الناظر في قوانين الأمم المتحدة يرى أنها باتت تتوافق مع القانون الشرعي في سنة التدافع، ولذا نراها أعطت الحق لكل أمة محتلة أن تدافع للحصول على خلاصها من الاحتلال بكل ما أوتيت من الوسائل حتى وإن كانت بالوسيلة المسلحة حتى تحقق استقلالها. وقد فرقت هذه القوانين بكل وضوح بين المقاومة المشروعة والتعديات الإرهابية، سواء من الدول أو المنظمات. وهذا ما دفع بكثير من شعوب العالم لتخليص أوطانها من الاستعمار البغيض، في الخمسينيات من القرن الماضي، ففي عام (1965) استقلت 17 دولة أفريقية ثم توالى حركات الاستقلال حتى وصلت في سنة (1980) إلى خمسين دولة<sup>1</sup>.

غير أن هذه القوانين، لم تعجب أمريكا وإسرائيل فوقفت منها موقفاً مغايراً يناسب أهدافهما الاستعمارية للشعوب ونهب خيراتها، وهذا ما جعل أمريكا تتلمص في تقرير مفهوم خاص للإرهاب لأن لها مفهومها الخاص في تقرير حق الشعوب في الدفاع عن أوطانها والكفاح من أجل استقلالها.

ولذا ينبغي لنا عند النظر إلى تلك الدول أن نعلم أن الغرب يبنى علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بيننا وبينه؛ فسياسة أمريكا مثلاً معنا تُحطِّط على هذا الأساس، يقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام 1967: (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة المسيحية). لقد كان الصراع مُتَدِيمًا ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي<sup>2</sup>.

ومن هنا لنا أن نسأل سؤالاً؛ ماذا عسانا أن نسمي احتلال فلسطين من قبل إسرائيل، والعراق من قبل أمريكا، وقس على ذلك كثير من أنواع الاحتلال في العصر الحديث بصور شتى. "ليس من المستغرب أن يكون لكل من أمريكا وإسرائيل مفاهيم مختلفة عن بقية العالم للإرهاب وحق الدفاع عن الأوطان ولا يعود هذا إلى عدم استيعابهما وتفهمهما لهذا الحق وإنما وببساطة شديدة فإن إسرائيل احتلت دولة عربية مسلمة وكانت أمريكا أول دولة تعترف بها وتساندها بكل إمكاناتها وما زالت تمد لها كل أنواع

<sup>1</sup> الهرفي، محمد علي، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها (مرجع سابق)، ص 7.

<sup>2</sup> الدمشقي، عبد الودود يوسف، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (مرجع سابق). ص 24.

المساعدات انطلاقاً من دوافع سياسية ودينية، وأمريكا أصبحت اليوم تحتل العراق، وبالتالي فهي لا تريد أن تعترف بحق العراقيين في الدفاع عن بلادهم، ولهذا كله عدت أمريكا وإسرائيل المقاومة العراقية والفلسطينية إرهاباً مرفوضاً، كما جعلتا أن ما يقومون به من إبادة جماعية وهدم وتدمير لكل البنى التحتية عملاً مشروعاً لا يجب إنكاره، ومن أجل ذلك حاولت كل من إسرائيل وأمريكا تشويه صورة المسلمين والإسلام وربطهم بالإرهاب، والتأكيد على أن كل حركات المقاومة تعتبر حركات إرهابية يجب محاربتها بكل الوسائل. كما شوهدت هاتان الدولتان صورة الجهاد المشروع في الإسلام وجعلتا عملاً عدوانياً ينبغي أن يختفي من المفهوم الإسلامي وإلى الأبد".<sup>1</sup>

إن المرء ليحار كيف تتم المساواة بين من يمارس حقه المشروع في الدفاع عن دينه وأرضه لاستخلاص الحق المشروع الذي قرره جميع الشرائع السماوية والقوانين البشرية، وبين من استغل نفوذه وقوته وبطشه، فقام بكل غطرسة باستعمار الأوطان واغتصاب الحرمات وتدنيس المقدسات ونهب الثروات، غير مبالٍ بالقوانين الدولية والمبادئ الإنسانية للعدالة والحريات، وتزداد الحيرة عندما يوصف ويتهم صاحب الحق بالإرهابي، ويوصف المعتدي بحامي الحقوق والحريات، وأن ما يقومون به عبارة عن أعمال لصالح الإنسانية، بل ويمنح لهم كل الحق في ممارستها، ويلام عندها كل من أشار إليهم أو انتقدهم عليها.

لا شك أن هذه مفارقات لا يمكن أن تتقبلها إلا أمة ضعيفة، وإن تقبلها هذا الجيل؛ مهانة وخوفاً، فلن تقبلها الأجيال القادمة مهما كان؛ لأن الذل له نخابة ولن يدوم، والأيام دول.

إن مبدأ القوة الذي يتمتع به المستعمرون هو الذي جعلهم يفرضون آراءهم على الضعفاء، وما أصاب الأمة الإسلامية من الضعف والوهن إلا عندما تركت الاعتصام بكتاب الله عز وجل، وإلى هذا يشير النبي ﷺ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ: سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"<sup>2</sup>. قال العظيم أبادي: "أي: سلط الله عليكم صغاراً ومسكنة، ومن أنواع الذلّ هو الخراج الذي يسلمونه كل سنة لملاك الأرض، وسبب هذا الذل هو أنهم تركوا الجهاد في سبيل الله؛ الذي فيه عز الإسلام، وإظهاره على كل دين، فعاملهم الله بنقيضه؛ وهو إنزال الذلة بهم، فصاروا يمشون خلف أذنان البقر، بعد أن كانوا يركبون على ظهر الخيل؛ والتي هي أعز مكان"<sup>3</sup>.

1 الهربي، محمد علي، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها، مرجع سابق، ص 18.

2 المنذري، مختصر أبي داود، ت: صبحي حلاق، (الرياض، مكتبة المعارف، ط 1، 2010)، وصححه الألباني في الصحيحة (11).

3 العظيم آبادي، عون المعبود شرح أبي داود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1415)، باب النهي عن العينة، عن ابن عمر، ج 9، ص 242.

ولتأكيد سنة صراع الحضارات نجد أن المنطلقات الدينية لليهود هي التي تجعلهم يمارسون جميع صنوف الإرهاب ضد أهل فلسطين، هي ذات المنطلقات التي تجعل من القيادة الأمريكية تؤيد كل الوسائل المتبعة من إسرائيل، وهي نفس المنطلقات التي تجعل من النصارى يصرحون بالوقوف مع إسرائيل في تناس تام لكل التصرفات الوحشية، بل ويحاولون القضاء على كل مقاومة تقف بوجه الحرب العدائية الإسرائيلية.

والدارس لتاريخ الأمم والملل يرى أن الصراع القائم بين الحضارات ليس بجديد على البشرية، وأن الممارسات القائمة على الإسلام من اليهود والنصارى واضحة العداء، ولهذا نرى أنهم كثيرا ما يوجهون الملام على الإسلام في كل محفل لهم، ويرون " أن الإسلام يشكل صورة من صور الإرهاب كما أنه يهدد الحضارات، وقد أعلن بعض المثقفين في الغرب بصراحة تامة أن الإسلام هو دين حرب وإرهاب، وأنه لا أمان لهذا العالم إلا بإزالته من العالم. وقالوا أيضا: إذا كانت قوة الإسلام متمثلة في دولة من الدول فيجب إزالتها - وهذا ما حدث فعلا لطالبان والعراق، ولعل المقصود يأتي كذلك على: تركيا وباكستان السعودية ومصر- وإذا كانت هذه القوة متمثلة في جماعات أو مبادئ فيجب محاربتها كذلك - ولعل المقصود هنا الجماعات والأحزاب الإسلامية - وعلى هذا الأساس المنحرف قال فوكو يوما نظريته الداعية إلى جعل الإسلام العدو الحقيقي للغرب لأنه - كما يقول - "العدو الحقيقي للمنظومة الفكرية التي قام عليها الفكر الغربي"<sup>1</sup>.

إن المسيحيين الصهانية في أمريكا تلقفوا الأقاويل الداعية إلى العداوة مع الإسلام، بالإضافة إلى إيمانهم السابق بهذه العداوة والتي من مستلزماتها لديهم؛ الاعتقاد بالنهاية الكارثية للكون، وأن الصورة النهائية للعالم ستكون في الشرق الأوسط، عندما يعود المسيح عليه السلام إلى الأرض؛ والذي به ستقام - كما يزعمون- دولة المسيحيين الموسومة بالعدل، والتي ستظل (1000) عام قبل النهاية العالم الأخيرة.

وكل هذا التصور لن يتم - كما يقولون - إلا بعد قيام دولة إسرائيل وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا كان هذا الاعتقاد وراء كل المواقف غير المشروعة التي يقفها الأمريكان مع اليهود، وهذا الاعتقاد أيضا كان وراء الادعاء بالحرب على الإرهاب كما كان وراء غزو العراق واحتلاله.

1 طحان، أحمد، عولمة الإرهاب، (بيروت، دار المعرفة، ط1، 2004)، ص80، بتصرف.

ولقد عبر عن هذه المعتقدات عدد من المفكرين منهم (كولن شامبان) بقوله: (من الصعب التفكير بوجود حالة أخرى في العالم حيث السياسة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين، وحيث للنصوص الدينية هذا التأثير العميق على العمل السياسي). كما يوضح هذا الارتباط القس (والتر ريغانز) وهو أحد المقربين من الرئيس (بوش)، بقوله: (إن من واجب كل المسيحيين في العالم دعم سياسة إسرائيل مهما كانت. وعلل هذا القول بأنه يعبر عن الاستجابة لإرادة الله، هذه الاستجابة التي تعبر -حسب زعمه- بأنها رحمة من الله لهذا العالم)<sup>1</sup>.

ولا شك أن المواقف الأمريكية حيال القضية الفلسطينية، بل والعربية تؤكد أن عدداً من صانعي القرار في أمريكا ينتمون إلى الحركة الصهيونية، وقد استلهموا مواقفهم المعادية للإسلام والمسلمين من الأدبيات الفكرية التي قامت عليها هذه الحركة، والتي من أهمها المواقف المؤيدة لإسرائيل؛ بدون تحفظ ومهما كانت مخالفة لقوانين الأمم المتحدة، ويؤيد هذه البروتوكول تجاه الإسلام هو غزو العراق والذي يهيمن على اعتقاداتهم أنه مصدر الخطر على إسرائيل، وبالتالي كان لا بد من إضعافه ثم احتلاله والقضاء عليه ونهب ثرواته.

لقد بات من مؤكداً أن الحركة الصهيونية، والمتمثلة في اليهود والنصارى، على اتفاق تام حول مشروع (إعادة بناء هيكل سليمان)، والذي محال أن يقام إلا على أنقاض المسجد الأقصى. وهذا هو التوجه الذي يعبر عنه بالفعل الحاخام اليهودي (شلومو شاييم رفينر) بقوله: "علينا ألا ننسى أن الهدف الأسمى من تجمع اليهود من المنافي، ومن إقامة دولتنا إسرائيل؛ هو بناء الهيكل. إن الهيكل يقع في رأس الهرم"<sup>2</sup>.

ويتضح مما سبق أن لكل مُحْتَلِّ الحق في الدفاع عن وطنه؛ حتى وإن كانت بالمقاومة المسلحة، وهذا الأمر منصوص عليه شرعاً وقانوناً، ولا يعاقب القانون الدولي هذا اللون من القتال ما دام هدفاً سامياً للدفاع عن الأوطان؛ ضد أي محتل أجنبي، مهما كانت الأسباب التي يبرر بها هذا الاحتلال، فلكل شعب من شعوب العالم الحق المطلق في تقرير مصيره، وليس من شأن أحد فرض أي تدخل مهما كان.

---

1 السماك، محمد، الدين في القرار الأمريكي، (بيروت، دار النفائس، ط1، 1424هـ، ص 16، بتصرف.

2 هالس، غريس، يد الله لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل، ت: محمد السماك، (القاهرة، دار الشروق، 2000م)، ص71.

كما نخلص كذلك إلى أن ادعاء من يدعي أن من يدافع عن أراضيه المحتلة من منظمات أو غيرها مجرد إرهابي؛ بأن هذا القول مرفوض جملة وتفصيلاً، وهذا هو الادعاء الملموس من أمريكا وإسرائيل ومن سار على طريقتهما، كما ينبغي الوقوف عند هذا الاتهام الأهوج، لأن تقرير مصير الشعوب يخص الدول المتضررة وحدها، وهو متعلق بمصالحها، ولا شأن لغيرها به، وهذا هو القانون المقرر في دهايز الأمم المتحدة، وجميع المنظمات الحقوقية والدولية، كما أن الجميع يرفضون في قراراتهم وصم أي مقاومة مشروعة بالإرهاب، كما يرفضون هذا التصنيف ويركدون على أحقية الدولة المحتلة أن تقاوم بكل ما تملك من وسائل.

أما ما يسمى اليوم بـ(العولمة) وهو أمر جديد لا يمكن إنكاره، إنما يرد إلى سيادة الشركات العابرة للقرارات التي ستفضي في النهاية إلى تحطيم قدرات الدول القومية، ومنها أمريكا نفسها، وإلى تعظيم النزاعات الداخلية في نطاق الدولة الواحدة داخل الدولة الواحدة لإضعاف مقاومتها لسيادة السوق العالمي. فهذه الشركات تخترق وحدة الدولة وتقوم بتحطيم قدراتها على مواجهة الغزو الجديد الناتج عن قوانين السوق، وتضخيم الصراعات والنزاعات الدينية؛ ليتسنى لهم تفكيك الدولة. وهي كما عرفة الدكتور العشي بقوله: " العولمة وخطاب ما بعد الحداثة؛ المعروف عن هذا الخطاب أنه يسعى إلى هدم كل نظام وإعادة صياغة جهاز المفاهيم بحيث يصبح التفكيك هو السمة البارزة، تفكيك العقل لكيلا يصبح وحده المسؤول عن التفكير، وتفكيك القيم لكيلا تكون بمثابة حاجز يعيق تحقيق المصالح الشخصية والغرائز البشرية، وتفكيك النظام حتى يمكن تمرير الأفكار الهجينة والشاذة، وتفكيك الأمم والمجتمعات والدول حتى تعيد تشكيلها وبناءها وصياغة قيمها من جديد. خطاب فقد ثقته في الحداثة بوصفها خطاباً مهداناً في نظرها، وهي تحاول التجاوز والتمرد والثورة. فالعولمة قياساً على ما بعد الحداثة هي ما بعد الرأسمالية أو الرأسمالية القصوى، هي ما بعد السياسة، هي ما بعد الثقافة، هي ما بعد الدولة والأمة، هي ما بعد الدين واللغة والهوية، هي إذن مشروع لإعادة صياغة العالم بعيداً عن المكونات السابقة، هي مشروع مفتوح محفوف بالمخاطر، هي أخيراً مغامرة"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> العشي، عبد الله، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً (الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 2004)، ص 1.

ومن الأعراض والنتائج لسيادة العولمة وتفكك الدول هو ارتفاع أصوات النزاعات الطائفية الثقافية. وهكذا يؤدي ذلك إلى البحث عن حضان دافئ في برد العراء ويتورط الكثير في التفتيش عن مرجعية تكون الأصل والملاذ لهم، وعندها يبدأ التعصب لها والعنف مع غيرها بمثابة للقناعة التامة بإجاءات المرجعية.

وكل ذلك كما ذكرنا في مسألة نشؤ الفرق يكون عبارة عن رد الفعل المؤدي إلى القيام بذلك الفعل الذي نتج عنه صراعا حضاريا (فكريا أو ثقافيا) تسببت في إضرار ناره الأصولية بمختلف أطرافها وعقائدها، ف " الأصولية بكل أنواعها وشعارتها؛ نزعة ثقافية، بمعنى أنها تثبت مجمل تاريخ الانسان وسلوكه عند عامل متغير من عوامل أو متغيرات الثقافة، بحيث يغدو فطرة أو غريزة لا تتحول، وبالتالي يميز أمة عن أمة، لأن البشر يصنفون في أغلب الأحيان طبقا للعقيدة الدينية التي لا تتصل بموضوعات الطبيعة، بل بنظم القافة وعناصرها ويتفق الأصوليون بأن محور التصنيف هو الدين"<sup>1</sup>.

يقول كيسنجر: " النظام العالمي الجديد في القرن الواحد والعشرين سيضم على الأقل ست قوى رئيسية (الولايات المتحدة، أوروبا، الصين، اليابان، روسيا، وربما الهند) بالإضافة إلى عدد كبير من الدول متوسطة أو صغيرة الحجم. والقوى الرئيسية الست عند كيسنجر تنتمي إل خمس حضارات متباينة، بالإضافة إلى دول إسلامية مهمة تجعلها مواقعها الاستراتيجية وتعدادها أو مواردها البترولية مؤثرة في الشؤون العالمية، في هذا العالم الجديد تكون السياسة المحلية هي السياسة العرقية، والسياسة الكونية هي سياسة الحضارات، ومحل المنافسة بين القوى الكبرى يحل محل صدام الحضارات"<sup>2</sup>.

ويفهم من ذلك أن الصراعات الجديدة الملحة لن تكون بين الغني والفقير، أو بين الطبقات الاجتماعية أو الاقتصادية، وإنما ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات دينية تحمل ثقافات مختلفة. يقول فاكلاف هافيل: " الصراعات الثقافية تتزايد، وهي أخطر مما كانت عليه في أي وقت سابق في التاريخ، ويتفق جاك ديلوز في أن: الصراعات المستقبلية سوف تشعلها عوامل ثقافية أكثر منها اقتصادية أو أيديولوجية"<sup>3</sup>.

1 هنتنغتون، صامويل، "صدام الحضارات"، (مرجع سابق)، ص20.

2 المرجع السابق، ص47.

3 المرجع نفسه، ص47.

والناظر إلى حال الصراعات الدينية في عالم فيما بعد الحروب الباردة يرى أن الثقافة قوة مفرقة وبنفس الوقت مجمعة، فهناك شعوب تجمعها الثقافة الدينية، كما أن هناك شعوبا تجمع بينهما الأيدولوجيات والوقائع التاريخية، ولكن بينهما تقسيم بسبب الحضارات، وهناك من الشعوب من تجمعها القرابة العرقية، ولذا نجد أن الدول التي تجمعها العناصر الدينية الثقافية أكثر نجاحا من الدول التي يربطها العرق والتاريخ، لأن الانتماء الديني يفوق كل الانتماءات وهو المتغلب في النهاية.

لذا نجد أن من يسعى للسيطرة الاقتصادية أو السياسية لا بد أن تعتره نزعة ثقافية دينية تكون هي المحرك والدافع المساعد للوصول لغاياته. وينظر بعض المفكرين الغربيين " فإن الثقافة الإسلامية تفسر إلى حد كبير فشل قيام الديمقراطية، في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي، كما أن المجتمعات ذات التراث المسيحي تتقدم نحو النمو الاقتصادي والسياسة الديمقراطية. كما يرون أن الغرب هو أقوى الحضارات وسيظل كذلك لسنوات عدة، إلا أن قوته تتهور عند مواجهة الحضارات، وتأتي قوته تلك لأن الثورة العلمية أصبحت تهيمن عليها وتوجهها مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية، وهي نفسها التي توجه الحضارة المعاصرة لتهيمن على الكوكب الأرضي كله، وليس ثمة من خطأ في الثورة العلمية المشار إليها، ولا أظن أن فينا من سيقف موقفا سلبيًا أمام الفتوحات العلمية، ولكن الخطر يأتي من المؤسسات المحتكرة للعلم والموجهة له، لقد ثبت واقعا أن هذه المؤسسات هي مؤسسات مؤدلجة، بمعنى أنها لا تتمتع بحياد العلم وموضوعيته، بل هي مؤسسات تحمل أفكارا رهيبية، مشروعات فكرية وسياسية أقل ما يمكن أن توصف به أنها مشروعات استعلائية متكبرة، تعتقد أن العالم على ضلال إلا من اتبعها، وأنه لا يقوى على فعل شيء ما يعتمد عليها، وترى أن هذا العالم لم يعد يتسع للجميع، فهو فقط لمحتكري الثورة العلمية، وعلى الآخرين الالتزام والتبعية والتقليد<sup>1</sup>.

فلا العجب عندما يحاول الغرب أن يبرهن قوته للحضارات الأخرى، لأننا نجد أن تلك المجتمعات تواجه خيارين: إما الانحياز إلى الغرب واللاحق به وهو ما حصل بالفعل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والبعض يحاول أن يؤكد وجودة ويحافظ على مصالحه ويعزز من قوته العسكرية والاقتصادية، سعيا للتوازن مع الغرب كما يحصل مع تركيا. والحاصل أن تلك الحضارات والعوامل المحرزة للخصومات

<sup>1</sup> العشي، عبد الله، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً (مرجع سابق)، ص 1.

والتقارب بينها هو العامل الثقافي الديني أو الفكري، وهذه الصراعات هي الأكثر توسعا وامتدادا لقيامها على ذلك العنصر. ولهذا نرى أن الأجندة الرئيسية هي التي تتضمن اختلاف الحضارات.

وهذا كله يؤكد أن الدين هو العامل المهم في تعريف الحضارات، والحضارة هي تاريخ الإنسانية؛ التي كانت متطابقة في معاني الديانات لحد كبير، وما ذلك إلا لأن جميع الرسل والأنبياء كانت تجمعهم في الخالق عقيدة واحدة، ولكن عندما دخل الشرك للبشرية تعددت الديانات في كيفية عبادة الخالق، ولذا نجد الناس يتوحدون في دين ما ويختلفون في العرق واللغة، ولأجل الدين تقوم الصراعات ويقتل الناس بعضهم بعضا، وليس لأجل اللغة واللون، وقد نجد أناس ينتمون للحضارة ويختلفون في الجنس واللغة، لكن القيمة الأساسية للاختلاف تكمن وراء الاختلاف الحضاري دينيا وفكريا.

وهذا هو الذي شكل أهم الصراعات بين الأديان الكبرى على مر العصور. يقول هنتنغتون: " وهكذا فإن الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر، وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى، ...، والحضارات ليس لها حدود حاسمة التحديد ولا بدايات أو نهايات دقيقة. الناس بإمكانهم إعادة تعريف هوياتهم ويفعلون ذلك حقيقة، وكنتيجة لذلك فإن تكوين وشكل الحضارات يتغير مع الزمن"<sup>1</sup>. ويرى (توينبي) أن الحضارات تقوم على تحديات ثم تمر بمرحلة نمو تتضمن سيطرة متزايدة على بيئتها بفضل أقلية خلاقية، يتبعها مرحلة صعوبات ثم قيام دولة شاملة، ثم بعد ذلك كون التفسخ"<sup>2</sup>.

والحقيقة التي لا تغيب على عاقل؛ هو أن المراد من هذه الأوصاف هو الإسلام؛ لذات الإسلام، فمنذ تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر التي استهدفت أمريكا، أعلن (جورج دبليو) بوش الحرب على الإسلام صراحة، وقام بحملة إعلامية تبنت إصاق الإرهاب بالمسلمين، وإثارة العالم كله حكومات وشعوباً ضد الإرهاب الذي بالطبع يكمن تحت المسلمين، ورفع شعار (من ليس معنا فهو ضدنا)، فأسرعت كل الدول تقدم الدعم والمساعدة بالمال والسلاح والمعلومات، للقضاء على طالبان وتنظيم القاعدة<sup>3</sup>.

1 هنتنغتون، صامويل، "صدام الحضارات"، (مرجع سابق)، ص 71.

2 المرجع نفسه، ص 73.

3 أحمد، فتحي، سياسة من لم يكن معنا فهو ضدنا، (فلسطين، مجلة دنيا الوطن، 28 أكتوبر 2009). <https://pulpit.alwatanvoice.com>.

وبعد أن تم القضاء على أفغانستان وليس طالبان، ازدادت شهية بوش في القضاء على المسلمين بذريعة وأخرى، فيمم وجهه تجاه العراق، بحجة امتلاك أسلحة دمار شامل، والذي قد أنهكه الحصار لمدة ثلاثة عشر عاماً، رغم أن صدام حسين كان قد سمح بدخول مفتشون من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، رغم علم الجميع أنهم من الاستخبارات الأمريكية، ولأن المستهدف هو الإسلام لم تغني تقارير الوكالة الدولية بعدم امتلاك العراق للأسلحة الكيميائية، فأصر بوش على ضرب العراق وتدمير جيشه الأقوى في المنطقة؛ والذي كان حجر عثرة في طريق التمدد الصفوي؛ وكان لهم ما أردوا<sup>1</sup>.

وبعد سقوط نظام صدام حسين في عام 2003 واجتياح القوات الأمريكية لبغداد فهنا كانت بداية ظهور الأمور على حقيقتها فيما يخص العلاقات الأمريكية الإيرانية فظهر لنا أنهم أعداء من ورق حلفاء على الأرض، فكانت القوات الأمريكية الغازية للعراق أشبه بحصان طروادة الذي يحمل بداخله القوات الإيرانية لتبسط سيطرتها على العراق إلى يومنا هذا، فكيف لأمريكا التي حملت قواتها من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق لتخوض حربها على العراق أن تسلم العراق لعدوها الأول في المنطقة ألا وهو إيران فأصبح الإيرانيون هم المسيطرون على مؤسسات الدولة العراقية بجميع أركانها وها هم اليوم ينشئون لأنفسهم مليشيات إيرانية مسلحة على الأرض العراقية بقيادة قاسم سليمان وأيضاً كان لحزب الله نصيب من هذه الفوضى على الأرض العراقية فشكل لنفسه فرعاً هناك وها هي المليشيات الإيرانية تقاتل على الأرض العراقية بحجة محاربة داعش وتحت غطاء جوي من قبل التحالف الدولي بقيادة أمريكا وأكثر من ذلك فساحة الحرب البرية في العراق اتسعت للقوات الأمريكية البرية وقوات الحرس الثوري الإيراني<sup>2</sup>.

والبديل بلا شك أدهى وأمر، فقد استطاعوا تغيير أيديولوجية العالم الإسلامي من الحرص على الجهاد في سبيل الله، إلى الجهاد من أجل الديمقراطية، فقاموا بضخ مليارات الدولارات للمنظمات التي تسمى (المجتمع المدني)، بهدف التركيز على تنحية الشريعة الإسلامية بكل ما أتوا من الوسائل، وتكوين رأي مناهض من عموم الشعوب للحكم الإسلامي؛ بحجة عدم القدرة على مواكبة التيار الحضاري، مع الانتقاء المتميز لبعض العناصر الشبابية اختياراً ممنهجاً، وتدريبهم تدريباً جيداً على التطبع بالفكر الغربي، وتحفيز الآخرين لذلك الفكر، وتشويه أهل الدين بصور مختلفة.

<sup>1</sup> رحيمة، عزري، الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، (الجزائر، جامعة محمد خيضر، رسالة ماجستير قسم التاريخ، 2015)، ص 25.

<sup>2</sup> ملكاوي، معاذ، أمريكا وإيران أعداء من ورق، حلفاء على الأرض، (قطر، مدونات الجزيرة، 2017/5/24). <http://blogs.aljazeera.net>

## المشهد الأمريكي والغربي على المسرح الإسلامي:

أن صلاح الأرض وفسادها قائم على مقدار التدافع بين الحق والباطل، فهذا ناموس من النواميس الإلهية، وقانون من القوانين الربانية، كي يسود الخير، وتطمئن البشرية، وينعم الأنام، وكلما فرط أهل الحق بالأخذ بهذا القانون الرباني، وتناسوا هذا الناموس فإن حقهم يعتبر في عداد المفقودين. ولهذا لا بد أن نعلم أن مبدأ القوة قرره الله عزوجل في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ اللَّهِ فِي قُوَّةٍ وَاتَّبِعُوا حُكْمَ اللَّهِ صَبِيحًا﴾ [مریم: 12]، ولكن لا يقوم هذا المبدأ، ولا يعمل بهذا القانون إلا بشروط شرعية؛ وهما مصدر التشريع، والتي يراد منها ربط القوة بالحق، وضبط التدافع بالعدل، فإن تحقق ذلك عم الخير، وتحقق الأمن للبشرية. أما أن تُسلط تلك القوة على البشرية، فتقلب الموازين، ويلزم الباطل للقوة، ويلزم الظلم للتدافع، فإن الحياة ستبدل بؤساً؛ لما سيصيب البشرية من هدر للكرامات، وسفك للدماء، وتدني للمقدسات.

وعندما الكلام على السيناريو الأمريكي المعدّ للمسرح الإسلامي، فإن المشاهد سوف يختار بأي منها سوف يبدأ، هل بالسيناريو، الفلسطيني، والتلاعب الدولي بهذه القضية. أم نتحدث عن المشهد الليبي وقضية الطائرة: (بان أمريكان)؛ والمعروفة بقضية (لو كيري)، والتي تسببت في فرض حصار على ليبيا دام لسنوات عدة. أما قضية جنوب السودان التي لا زالوا يضغطون بها على الحكومة السودانية حتى تم تقسيم السودان إلى شطرين. أم بالسناريو الأفغاني؛ ومسرحية التخلص من الهيمنة السوفيتية تحت ذريعة الجهاد والذي جعل من أفغانستان مسرحاً للقتل. ولا زالت تعاني منه إلى اليوم. في مقال لأحد اليهود؛ عنوانه: (What We Have Done) ما الذي قمنا به؟ يقول: "نحن أيقظنا العملاق: الأمريكان بالذات والغربيون أحبوا أن تشتعل الحرب بين روسيا وبين الشعب الأفغاني"<sup>1</sup>.

مع بداية التسعينيات بدأت المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام تدخل حيز التنفيذ، عندما أعلن الرئيس الأمريكي (بوش الأب) حينها عن ولادة نظام عالمي جديد، على إثر تفكك الاتحاد السوفيتي، واختيار المعسكر الاشتراكي، وعندها تفرّدت الإمبريالية الأمريكية بقيادة العالم لتبدأ المؤامرة الكبرى ضدّ الأمة الإسلامية، بدعم ومساندة من الصهيونية العالمية، ولوبي القوى الغربية الصليبية، بعدها تمّ تحويل الشارة الحمراء، (الناتو)، بالشارة الخضراء، إشارة إلى للقضاء على الإسلام، بعد أن تمّ القضاء على الشيوعية<sup>2</sup>.

1 عزام، عبد الله، التآمر العالمي، (بيشاور، مركز الشهيد عزام الإعلامي، \*، ط1). ص28.

2 الكسجي، عبد الله، الكشف عن خيوط المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام: [HTTPS://DAWATALTAJDEED WORDPRESS.COM.](https://dawataltajdeed.wordpress.com)

لا شك أن أمريكا وجميع الدول الغربية لو اجتمعوا كتلة واحدة للقضاء على الإسلام فإن ذلك محال، لأنهم ليس لديهم الجرأة على مواجهة الإسلام، ولكن طريقتهم هو أن يستمروا في تجزئة الإسلام من الداخل ليسهل لهم للقضاء عليه، فهذا يمكن من إضعاف الإسلام؛ ومع ذلك أيضاً لن يستطيعوا إلا بمعاونة من ضعاف النفوس وعديمي الضمير، وقبل ذلك عديمي الإيمان، وما سيناريو القضاء على العراق بمعزل عنا.

أمريكا تعلم يقينا أن العراق تعد قوة إسلامية ضاربة، وتعلم أنها تهدد البنت المذللة لهم: (إسرائيل)، ولهذا لم يريدوا بقاء هذه القوة ولو كلف القضاء عليهم ثروات طائلة، لهذا بدأوا بمشهد الغزو العراقي على الكويت، والذي استطاعوا من خلاله فرض حصار على الشعب العراقي حتى وصل الوهن به مبلغه، ومن ثم انتقلوا إلى المشهد الآخر الذي استطاعوا من خلاله قتل (صدام حسين)، والذي بموته تفتت تلك الإمبراطورية، وتكاد أن تنتهي. وهكذا يسهل عليهم حل المعادلة التي أسسوا فرضياتها، والتي تبلورت:

#### أولاً: غزو العراق:

كيف يتم تفتيت العراق؟ لا بد من حليف -عميل- داخلي؛ ومن هو العميل الأنسب؟ لا شك أنه (إيران)؛ لافتقار أمريكا لأي مساعدة داخل العراق والتي بالطبع تمتلكها إيران، للحنق الكامن في نفوس الشيعة تجاه صدام. وكيف يتم تقسيم الأقطار العربية؟ لا بد من تفتيت العراق<sup>1</sup>.

#### ثانياً: أمن إسرائيل:

كيف تتم المحافظة على الوجود الاسرائيلي والمصالح الامريكية؟ لا بد من التخلص من الخطر الحقيقي؛ وهو الإسلام الحقيقي. ووفق هذه المعادلة التي يؤكدھا الواقع العملي وليس النظري، فقد تجلّى للعيان ان العلاقة (الامريكية - الإسرائيلية) مع إيران بدت علاقات تحالف لالتقاء المصالح ضد الامة الإسلامية. لذا نرى من مصلحة أمريكا وإسرائيل؛ الاحتفاظ بقدرة إيران على التأثير داخل العراق وفي الأقطار العربية؛ لمواصلة الدور التدميري والتقسيمي للعراق والعالم الإسلامي. إذا: هناك اتفاقية غير معلن عنها حُطت بنودها في ظلام دامس؛ أسأل الله اللطف بالإسلام والمسلمين<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الكسجي، عبد الله، الكشف عن خيوط المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام: (مرجع سابق).

<sup>2</sup> المرجع السابق.

والسؤال التي يطرح نفسه: ما هو دور إيران المستقبلي في الأقاليم الإسلامية؟ وما هي حجم المكافئة التي ستعطي لها نتيجة تلك الخدمات؟

إن المسلسل الحي، الذي يعرض عبر القنوات الفضائية، ولم تنتهي قصته بعد في التحالف الصفوي الأمريكي، الذي تسعى أمريكا بإكمال آخر مشهد منه، هو اكتساح الهيمنة الإيرانية على المنطقة العربية، والإسلامية برمتها. ورغم أن التظاهر بالعداء والحصار على إيران؛ لم يعد ينطلي على المشاهدين، فقد باتت فصول السيناريو واضحة للأعمى، فكيف بالبصير!؟

يقول الدكتور تريت بارزي، وهو أمريكي من أصل إيراني: " تبقى العلاقة الإسرائيلية الإيرانية لغزا غامضا في نظر أغلب المحللين بالرغم مما للتوترات بين هذين البلدين من أثر عميق في الشرق الأوسط وفي الأمن القومي الأمريكيين، وبالرغم من أن الثورة الإسلامية في إيران كانت بمثابة نكسة لإسرائيل، فهي لم تمنع إسرائيل من دعم إيران والسعي إلى تحسين علاقتها مع حكومة آية الله الخميني كتثقل مكافئ لأعداء إسرائيل من العرب. ومن دواعي السخرية أنه عندما دعا القادة الإيرانيون إلى تدمير إسرائيل في ثمانينيات القرن الماضي، كانت إسرائيل واللوبي المؤيد لها في واشنطن يحاولان التأثير في الولايات المتحدة وحملها على عدم الالتفات إلى الخطاب الإيراني. وبعد أن أصبح حماس الثورة في إيران أضعف مما كانت عليه في الثمانينيات انتهجت إيران سياسة مزدوجة طوال هذه الفترة فجعلت من نفسها أكثر الداعمين الإقليميين مجاهرة بتأييد القضية الفلسطينية، لكن نادرا ما اقتران هذا الكلام بالأفعال، على اعتبار أن المصلحة الاستراتيجية لطهران؛ خفض التوترات مع إسرائيل، واستخدام الدولة اليهودية في إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة إذا ما تعارضت مع المستلزمات الإيدلوجية لإيران"<sup>1</sup>.

لأن أمريكا تعلم أن الإسلام بمعناه الحقيقي يقف أمام القوى الغربية من السيطرة على ثروات المسلمين، ويعارض استضعافهم وإذلالهم. كما أنه هو الحق الذي يدعو إلى الرجوع إلى شرع الله في شئون الدولة — الداخلية والخارجية— وأن الدولة الإسلامية الحقيقية دائما ما تسعى إلى إعزاز دين الله ونشره في الآفاق، وتقوم على أوليات من أهمها: (إخراج العباد من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد)، وأيضا ستحارب كل ما يدعو إلى الشرك والإلحاد والفساد بجميع ألوانه؛ وتحرص على نشر العقيدة الصحيحة،

<sup>1</sup> بارزي، تريت، حلف المصالح المشتركة؛ التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ت: أمين الأيوبي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2008)، ص 4.

وتسعى إلى إعزاز المسلمين، واستثمار ثرواتهم، وإصلاح أحوالهم، والاستفادة من القدرات والكفاءات، وتحفيز المبدعين، فلو حصلت هذه الأمور فلن تكون هناك قوة للغرب، بل سيصبح عالمة على المسلمين. لذا لا يمكن لأمریکا أن ترضى بهذا أبداً، بل ستسعى جاهدة في التصدي لأي تيار يحمل الإسلام حقيقة؛ (سلوكاً ومنهجاً)، ولهذا السبب، ولضمان استمرار هيمنتها على العالم، رأت أن تكوّن تحالفاً مع تيار لا يحمل من الإسلام سوى الاسم؛ فلم تجد مثل: (الرافضة)، ومع دولة لا تنتسب للإسلام حقيقة؛ فلم يجدوا أصلح من: (إيران)، فعمدت إلى الدعم المبطن لإيران، وكان أول دعم للتمكين الرافضي هو صعود (الخميني)، ثم قتل (صدام حسين) الذي كان يقف عثرة في تنفيذ المشروع الصفوي في المنطقة، وبعد أن تم لهم ذلك عمدوا إلى دعم أي كيان شيعي في المنطقة، فلم يزالوا في دعم (بشار الأسد) في سوريا، وحزب الله اللبناني، والتمرد الشيعي (الحوثي) في اليمن، والتمرد الشيعي البحريني، مع السعي الخيث لدعم التمرد الشيعي في السعودية، وكل ذلك كان يتم من خلف الكواليس، لكنه اليوم أصبح ظاهراً.

وإلى ذلك يشير لورنس براون: "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي"، ويقول أيضاً: "كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف، كانوا يخوفوننا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي، ولكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقائنا، والبلاشفة الشيوعية حلفائنا، وأما اليابانيون فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم، لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا؛ موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع، والإخضاع، وفي حيويته المدهشة"<sup>1</sup>.

### استمرار المهازل:

المهازل الأمريكية الغربية يتم تداولها مع تداول السلطات في الدول الغربية، وما مسرحية الضحك على الذقون التي تبناها (ترامب) بخافية على الجميع، يقول الإعلامي أحمد منصور: "كأن كل ما فعله (دونالد ترامب) من خلال الضربة الاستعراضية التي وجهها لقاعدة (الشعيرات) في سوريا هو إعطاء الضوء الأخضر للاحتلال الروسي وقوات النظام؛ بأن تمارس أقصى درجات التوحش والقصف للمدنيين السوريين، وهذا ما حدث بالفعل، ففي الوقت هلل الإعلام الغربي والعربي بالضربة العسكرية الأمريكية، كانت الطائرات الروسية تمارس القصف وتدمر الأخضر واليابس، وسقط وقتها عشرات القتلى والجرحى،

1 العالم، جلال، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، (مرجع سابق)، ص 32.

وإذا كان (ترامب) قد اعترض على استخدام الغاز السام في قصف (خان شيخون) فقد استخدم الروس القنابل العنقودية وقنابل (النايلم) وهي من الأسلحة المحرمة دولياً، لكنها لم تدخل في دائرة التجريم الأميركي!

كما أن الخسائر الهزيلة للضربة العسكرية الأميركية تظهر أن سيناريو الضربة كان مرتباً بعناية بين الأميركيين والروس الذين أبلغوا بدورهم السوريين وتم إخلاء القاعدة، ...، فكل ما يجري على الأراضي السورية من جرائم، يجري بترتيب أميركي روسي، جعل كثيراً من السذج يتغاضون عن هذه الحقائق، ويسهبون في المديح للضربة الأميركية، متناسين وجود قوات أميركية على الأراضي السورية، وكذلك تنسيق كامل فيما يتعلق بتحليق الطائرات في الأجواء، ...، ولو كانت هناك رغبة حقيقية أميركية في وقف جرائم الروس والنظام والإيرانيين والمليشيات الشيعية ضد الشعب السوري لجرت خطوات كثيرة؛ أفلها وأبسرها منطقة حظر جوي آمنة للمدنيين، لكن كل ما جرى باختصار هو عودة وتيرة الجرائم بشكل أبشع مما كانت عليه وكان (ترامب) أعطى هؤلاء المجرمين جميعاً ترخيصاً مفتوحاً للقتل بأي سلاح آخر غير السلاح الكيماوي، ...، فهم كذلك سوف يتعاملون مع كل التغيرات الجغرافية والديمقراطية التي تجري على الأرض؛ كأمر واقع ولكن بعد أن يكمل الروس والنظام والإيرانيون والمليشيات جرائمهم، ويعيدوا تشكيل خريطة سوريا وفق مخططهم الطائفي العفن، لذلك ستتواصل الجرائم حتى تكتمل الخرائط<sup>1</sup>.

يقول الدكتور ترينتا: " في الفترة التي تلت العام 1991 والجهود التي بذلتها الولايات المتحدة وإسرائيل لبناء نظام جديد في الشرق الأوسط يقوم على العملية السلمية بين الإسرائيليين والفلسطينيين والعزلة الطويلة التي تعاني منها إيران حصل تداخل بين مصالح إيران الإيدولوجية والاستراتيجية، وقررت طهران للمرة الأولى أن تصبح خصماً متصدراً للدولة اليهودية، في هذه المرحلة استخدمت إسرائيل وإيران نفوذها لإحباط مبادرة السياسة الخارجية الأميركية التي رأى كل منهما أنها تصب في مصلحة الآخر، وعملت إيران ضد العملية السلمية مخافة أن تصبح معزولة في المنطقة، وباشرت أمريكا وإيران اتصالات مباشرة لغاية اليوم لا يزال هذا المنطق هو السائد في العاصمتين، وهو الذي يغذي التوتر في المنطقة"<sup>2</sup>.

1 منصور، أحمد، توحش روسيا والنظام بعد القصف الأميركي، (صحيفة الوطن القطرية، 10، ابريل، 2017م). بتصرف

2 بارزي، ترينتا، حلف المصالح المشتركة؛ التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ت: أمين الأيوبي، (مرجع سابق)، ص4.

## سيناريو (الموت لأمريكا).

شعار: (الموت لأمريكا)، من أبرز الشعارات التي أطلقها (الخميني) عقب استيلائه على السلطة، عام (1979)، ثم تحول إلى ركنٍ أساسٍ في أدبيات حكم الملاي هناك، الذي دأبوا على رفعه في كل مناسبة دينية، ورغم ذلك، كان عدد الإيرانيين يتزايد من للحصول على الإقامة في أمريكا عبر قرعة اليانصيب. ثم تمدد الشعار إلى بيروت، وإلى بغداد، وإلى صنعاء في اليمن، بل وإلى بعض دول أفريقيا، وشرق آسيا<sup>1</sup>.

لا شك أن ذلكم شعارٌ جميلٌ، لا غبار عليه، لكن الخلاف ليس على عبارات الشعار ومعناه، إنما الخلاف حول حقيقته، والعمل به على أرض الواقع، حيث يُرى الشعار في الواقع على أنه من سياسات الولاء والبراء، ولكن في حقيقته يحمل أسلوباً من أساليب الخداع والمكر الرفض، وقت تواطأت عليه جميع فرق الشيعة على اختلاف مناهجهم؛ سواءً النصيرية، أو الاثني عشرية، أو الجارودية.

ولأن عقيدة الشيعة قامت على مصادمة الشرع والفطرة، ومصادرة للعقل والتفكير، وعلمت أنه ليس معها من الحق ما يجذب العقول الناضجة إليها، حينها لجأت لهذه الشعارات البراقة، ورأت أنها النفق الذي يمكنهم التسلل منه إلى البسطاء، وتأجيج العواطف الدينية؛ لعلها أن تزيل الحواجز النفسية عن الفكر الشيعي في عالمنا الإسلامي، والاستحواذ عليهم. "ورغم أن تلك الشعارات الخادعة كانت ولا زالت تأخذ حجمها الهائل من الضجيج، وتصطاد الكثير من البسطاء إلا أن الأكثر -من أمتنا- بات يدرك خواء تلك الشعارات من أي مصداقية، ويتكشف له -من خلال الواقع- أنها لا تملك أي قدر من الحقيقة على الأرض، فلا عداوة لليهود والنصارى، بل -على عكس ذلك- شهدت؛ وتشهد سجلات التاريخ الغابر والحاضر، بأن فرق الشيعة هي الأقرب دائماً إلى أعداء الأمة، وهم المطية التي يستخدمها الخصم للنيل من الأمة، فقد سجلت فرق الشيعة -عبر التاريخ- مواقف مخزية من التواطؤ مع النصارى والتتار على الإسلام، فعندما كان الصراع على أشده بين المسلمين وأعدائهم من التتار والصليبيين، كانت فرق الشيعة تباشر ألون التآمر المكشوف على الأمة الإسلامية، بل كانت تشكل الجبهة الخلفية للمتربصين بالأمة، وعقيدتها، ورموزها"<sup>2</sup>.

1 حجيري، محمد، الموت لأمريكا" وشياطين أخرى، جريدة المدن الإلكترونية، الخميس 2017/01/12، ALMODON.COM.

2 الرميمة، أبو عمر، حقيقة شعار الموت لأمريكا الموت لإسرائيل، 28 سبتمبر 2013م: HTTP://ALBURHAN.COM.

وعندما رأى ابن تيمية ما وقع على أيد الرافضة قال: "الرافضة من أعظم الأسباب في دخول الكفار إلى بلاد الإسلام، وأما قصة الوزير ابن العلقمي وغيره كالنصير الطوسي مع الكفار ومما لأتكم على المسلمين، فقد عرفها الخاصة والعامة، وكذلك من كان منهم بالشام؛ ظاهروا المشركين على المسلمين، وعاونوهم معاونة عرفها الناس، ولما انكسر عسكر المسلمين؛ وقدم غازان، ظاهروا النصارى وغيرهم من أعداء المسلمين، وباعوهم أولاد المسلمين بيع العبيد وأمواهم، وحاربوا المسلمين محاربة ظاهرة، وحمل بعضهم راية الصليب، وقد كانوا هم أعظم سبب استطاع من خلاله النصارى قديماً أن يستولوا على بيت المقدس، حتى قيص الله لمسرى نبيه من استنقذه منهم. إلى أن يقول رحمه الله: فهذه الأمور وأمثالها مما هي ظاهرة مشهورة يعرفها الخاصة والعامة، توجب ظهور مباينتهم للمسلمين، ومفارقتهم للدين، ودخولهم في زمرة الكفار والمنافقين، حتى يعدّهم من رأى أحوالهم جنساً آخر غير جنس المسلمين، فإن المسلمين الذين يقيمون دين الإسلام في الشرق والغرب، قديماً وحديثاً، هم الجمهور، والرافضة ليس لهم هم إلا هدم الإسلام، ونقض عراه، وإفساد قواعده، والقدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به"<sup>1</sup>.

ولو رجعنا للوراء قليلاً لرأينا أن صورة ابن العلقمي تكررت في مجازر حركة أمل؛ مجزرة صبرا وشاتيلا الثانية، وهي مجزرة نفذت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في (20 مايو 1985م)، خلال حرب المخيمات التي استمرت لمدة شهر على يد مليشيات حركة أمل واللواء السادس من الجيش اللبناني، حيث تم نسف أحد الملاجئ وكان يوجد به مئات الشيوخ والأطفال والنساء ماتوا جميعاً، وبعد شهر من الخوف والحصار والجوع خرج الفلسطينيون من المخابئ، دفعهم الجوع للخروج فلم يجدوا سوى القلط والكلاب ليأكلوها، خرجوا ليشهدوا أطلال بيوتهم التي تهدم (90.%) منها و (3100) بين قتيل وجريح وخمسة عشر ألف من المهجرين أي (40.%) من سكان المخيمات<sup>2</sup>.

إن التمرد المتمثل في الشيعة الاثني عشرية في كل من إيران، والعراق، ولبنان، واليمن، والباطنية النصيرية في سوريا، هو نفس السيناريو المستمر لمشاهد الاستخفاف والاستهتار بعقول السذج.

1 ابن تيمية، منهاج السنة، ت: محمد سالم، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986م)، ص414.

2 سحاب، إلياس، ذاكرة مجزرة صبرا وشاتيلا، 1982، (بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد: 55، صيف 2003)، ص137.

والحاصل أن هذه الشعار التي يتردد في الهواء ضد اليهود والنصارى، وحقيقتة هو استباحة الأعراس، والمجازر، والجرائم، القائمة على الشعوب المسلمة (السنة)! يهتفون بالعداء لليهود والنصارى، ويمارسون أقبح صور العداء على السنة! تنفيذاً للأجندة (الصهيوصليبية)، وكل ذلك يؤكد التساؤلات التالية:

**أولاً:** فيما يتعلق براعية التشيع في العالم (إيران)، فالسؤال الموجه لهم هو: لماذا لم تقم إيران بأي محاولة للتصدي للأمريكان على حدودهم في أفغانستان؟ وما الذي يمنع إيران من استهداف الأسطول الأمريكي المتواجد بالقرب منها؟ ما سر التوافق بين تل أبيب وطهران، لبناء قواعد مشتركة في جزر دهلك الإيرانية؟ فلو كانت إيران صادقة في دعوى العداء لأمريكا فهذا هي أمريكا على حدودها من جهة أفغانستان فأين أنتم من عدو بات بجواركم؟! واللييب بالإشارة يفهم.

**ثانياً:** ما يتعلق بالعراق، فإننا نقول لشيعة العراق: لماذا قام السيستاني مندوب إيران في العراق بإصدار فتوى يحرم قتال الأمريكان في العراق؟ وإن الناظر للمشهد العراقي يرى أن الشيعة لا تتورع من قتل السنة في العراق وممارسة أشد ألوان الأذى لهم، فلماذا حلت لكم دماء العراقيين وحرمت دماء الأمريكان؟! أليس هذا ضحك على الذقون! ولماذا شعار الموت لأمريكا لم ينفذ واقعياً وقت حضر العدو المزعوم إلى دياركم.

**ثالثاً:** ما يتعلق بشيعة لبنان، والمتمثلة في حزب الله، وهو ثاني مرجع للشيعة بعد إيران. فنقول لهم مالذي يمنع حزب (اللات) من الاصطفاف بجانب المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل؟ بينما يقوم بمساندة بشار الأسد ضد السوريين! وما يقال في حق إيران والعراق، يقال كذلك في حق حزب الله، فإن إسرائيل تعيث في الأرض فساداً منذ عشرات السنين في فلسطين، وأين فلسطين من لبنان، ومع امتلاك حزب الله لترسانة عسكرية قوية، إذ بنا نراها صبت جم غضبها على المقاومة السورية، وتركت العدو التي تندن ليلاً ونهاراً بعدائه، وهو بجوارها، ولم تأبه به في حين أنه تتصنع بالعداء له.

**رابعاً:** ما يتعلق بشيعة اليمن، فعند النظر إلى حقيقة تلك الدعوى نقول للحوثيين بعد أن أصبحت صنعاء في أيديكم، أين أنتم من المارينز الأمريكي في صنعاء؟ كما نقول لأمريكا ما هو الحائل دون قصف قيادات الحوثي بالطائرات من دون طيار الأمريكية، بينما نراها تغطي سماء مأرب وشبوة؟

الجواب على جميع تلك التساؤلات هو: أن (شعار الموت لأمريكا - الموت لإسرائيل) واقعاً يثبت أمناً وسلاماً لأمريكا وإسرائيل، وحرباً وعداوة لأهل السنة. ومما يؤكد ذلك ما تداولته الصحف الإيرانية من صور تتعلق بشروع السلطات الإيرانية بحذف وإزالة شعار (الموت لأمريكا) من حائط السفارة الأمريكية في العاصمة الإيرانية طهران، في حين قام الحرس الثوري باستبداله بشعار (الموت للسعودية)<sup>1</sup>.

وجاء في موقع (فردا نيوز) المقرب من الجنرال الإيراني قالي باف: "خلال الأيام القليلة الماضية شهدت العاصمة الإيرانية طهران تطورات وصفته بالمدهشة؛ حيث تمت إزالة شعار الموت لأمريكا من شوارع العاصمة الإيرانية المزدهمة". وقد أصدر الحرس الثوري الإيراني بياناً طالب من خلاله وسائل الإعلام الإيرانية بعدم نشر أي خبر مرتبط بإزالة الشعار من شوارع طهران، دون التنسيق مع المؤسسات التابعة للحرس الثوري. واعتبر الحرس الثوري الإيراني في بيانه أن: نشر تقارير وأخبار تتناول موضوع إزالة شعار الموت لأمريكا من شأنها أن تزلزل ثقة الشعب الإيراني بالنظام، ومصداقيته في مواجهة أمريكا والاستكبار العالمي"<sup>2</sup>.

وذكرت صحيفة القدس العربي: " أن الحوثيين قدموا اعتذاراً صريحاً للولايات المتحدة عن شعار (الموت لأمريكا وإسرائيل)، الذي ترفعه دائماً، حيث نقلت الصحيفة عن مصادر دبلوماسية قولها: إن وفد جماعة الحوثي إلى الكويت التقى مساء الاثنين وكيل وزارة الخارجية الأمريكي (توماس شانون)، كما ضم وكيل وزارة الخارجية البريطاني لشؤون الشرق الأوسط (آلن دنكن)، وأكدت المصادر الدبلوماسية: أن وفد الحوثيين قدم اعتذاراً صريحاً للمسؤول الأمريكي عن شعار (الموت لأمريكا)، وكانت أجواء اللقاء بين الوفدين الحوثي والأمريكي في الكويت بالودية للغاية<sup>3</sup>.

وعندما سُئل (يحيى الحوثي)؛ المقيم في ألمانيا عن الشعار قال: " مجرد كلام؛ فإخواننا إلى الآن لم يقتلوا أمريكا ولن يفعلوا!". وهذا ما يؤكد أن الشعار كان عبار عن أغنية، يتردد صداها ما بين طهران وصعدة ولبنان، والكثير من المناطق التي رقصت على إيقاعاتها، مع رفع قبضات اليد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حجيري، محمد، الموت لأمريكا" وشياطين أخرى، (مرجع سابق).

<sup>2</sup> ينظر: صحيفة الرأي العام الإلكترونية: 30 AUGUST 2015: [HTTP://WWW.RAIALYOUM.COM](http://www.raialyoum.com).

<sup>3</sup> صحيفة التحرير الإخبارية، 29/06/2016: [HTTP://WWW.TAHRIRNEWS.COM](http://www.tahrirnews.com).

<sup>4</sup> الصادق، علي، ماذا تعرف عن الحوثيين، (معلومات النشر غير معلومة تحسباً لأذى الحوثية، ط 1، 2010)، ص 80.

وفي الوقائع، تبين أن شعار الحوثيين شعارات براقعة لتخدير الشعوب المسلمة مع أن سلاح الحركة لم يشهر إلا في وجه المسلمين العزل في اليمن، وجارتها السعودية المسلمة، أما أمريكا وإسرائيل فليس لها إلا الشعارات التي تردد لاستغلال السذج والمغفلين كما كان يفعل الخميني أيام ثورته البائسة؛ لأن التعبئة ضد أمريكا وإسرائيل لها قبول في الأوساط اليمنية؛ التي تتمتع بعاطفة جياشة، ونخوة عربية، وغيره إسلامية، فكان الشعار بمنزلة الاستجابة لنداء وجداني في النفوس المسلمة<sup>1</sup>.

كانت وثائق سرية كشفت النقاب عنها من جانب وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي آي أيه) ونشرتها (بي بي سي) القسم الفارسي تزامناً مع الذكرى 27 لوفاة الخميني، هي السبب الرئيس للهجوم الذي شنه المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي ضد بريطانيا والولايات المتحدة. وأظهرت الوثائق الإعلامية أن الخميني كان على تنسيق مع أميركا، حيث كشفت صحيفة (غارديان)، المزيد عما تضمنته المراسلات بين الخميني والإدارة الأمريكية إبان تحضيره للعودة إلى إيران، والتي كشفت عنها أخيراً الاستخبارات الأمريكية: (CIA)، حيث توضح أن إدارة الرئيس الأميركي جيمي كارتر؛ مهدت لاستيلاء الخميني على السلطة، عبر منعها الجيش الإيراني من تنفيذ انقلاب عسكري. وتبدي الصحيفة دهشتها من لغة الخميني، وأسلوب مراسلاته الأقرب للاستجداء مع الأميركيين. المتناقض تماماً مع مظاهر العداوة التي دأب على إبرازها في كل مناسبة<sup>2</sup>.

وبعد الاتفاق النووي بين إيران وأميركا، بدأت إزالة الشعارات المعادية عن جدران طهران، وحلت محلها صور فنية للرسامين محليين وأجانب، وهذا ما أكده حسن روحاني الرئيس الإيراني في مقابلة مع برنامج "60 دقيقة" الذي تبثه محطة (cbs) الأمريكية، إن شعار (الموت لأمريكا) الذي يردده الإيرانيون؛ ما هو إلا للتذكير بالآزمات المتعددة منذ (35) عاماً بين طهران وواشنطن، وهو ليس إعلان حرب على الشعب الأميركي. بل هو حسب قول نائبة السفير الأميركي في صنعاء: أنه مجرد شعار، وأن «العداوة مزحة كبيرة»<sup>3</sup>. ويوم بدء إزالة شعار الخميني الأبرز، كان السؤال: ما البديل منه؟ ولم يمر وقت طويل حتى نظم الحرس الثوري الإيراني تظاهرة أمام السفارة السعودية، رداً على حملة (عاصفة الحزم) العربية التي

<sup>1</sup> مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن؛ الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، (صنعاء، مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، 2008)، ص153.

<sup>2</sup> المجالي، نصر، هل كانت ثورة الخميني أمريكية، (لندن، وكالة إيلاف الإلكترونية، 03 يونيو 2016).

<sup>3</sup> الصادق، علي، ماذا تعرف عن الحوثيين، (مرجع سابق)، ص76. بتصرف.

استهدفت حوثيي اليمن، وسجّل إطلاق شعار (الموت للسعودية)، وصار في الضاحية الجنوبية لبيروت (الموت لآل سعود)، الى جانب شعارات أخرى مثل (الموت للتكفيريين)<sup>1</sup>.

وحقيقة الأمر: أن ما تقوم به جماعة الحوثي، ومليشيات فيلق بدر، وحزب (اللات)، من جرائم وانتهاكات ضد كل من يخالفها بالدعم الإيراني يدل على أن شعار (الموت لأمریکا-الموت لإسرائيل)، هو مجرد قول لا فعل، وعندما يراد تحويله إلى فعل فإن ذلك يقع على رؤوس أهل السنة فقط. والعجب أن نجد من يقول عن الحوثيين؛ أنهم من الزيدية المعتدلين، وقد بينّا ما يدل على أنهم من الرافضة الاثني عشرية في ثنايا الكلام عن الحوثية، وعضدنا ذلك التأكيد بالمواقف المخزية منهم تجاه أهل السنة، ومدى تواطؤهم مع الرافضة وأعداء الإسلام على الإسلام.

كما أن بعد كل هذه الحقائق: لا يزال هناك من يعتر بهذه الشعارات الزائفة، فيقومون برفع تلك الشعارات وترديدها، إما غباء، وإما مقابل دربهات من المال، ولو أدركوا ما هو الحكم الشرعي في معاضدة الحوثيين، وتكثير سوادهم؟ وخشية الدخول ضمناً تحت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: 113]؛ لعلهم ينتهون.

فكيف لعاقل أن يرتضي مساندة قوم؛ يقوم دينهم على القدح في سنة النبي ﷺ ومحاربتها، والطعن في خير البشر بعد أنبياء الله تعالى وهم صحابة النبي ﷺ، بل ويكفرون الكثير منهم، مع المخالفة لجمهور المسلمين في عباداتهم وفي صلاتهم وصيامهم.

<sup>1</sup> حجيري، محمد، الموت لأمریکا" وشياطين أخرى، (مرجع سابق).

## المطلب الثاني: نظرية المؤامرة، بين الوهم والحقيقة.

قبل الولوج إلى مستنقع التآمرات على أمتنا، نشير إلى أن التوسع المبالغ فيه حول (نظرية المؤامرة)، وإلقاء الملامة عليها في كل شاردة وواردة تصاب بها الأمة المسلمة، يعدّ تهميشاً للواقع الذي تمر به الأمة من الداخل، وتعتبر رؤية أحادية مخالفة للتفكير الموضوعي، وتسطيحاً للأمر العلمي.

إن قضية التآمر ونظرية المؤامرة، ينبغي ألا ينظر إليها بنظرة عاطفية، كما لا ينبغي محو أصل التآمر والتهمين من شأنه، أو نفي أن توجد مؤامرة حقيقية على الإسلام من قبل أعداءه؛ سواء كان من الكفار الأصليين أو من المنافقين المندسين؛ الذين لا شك أنهم الخطر الحقيقي على الأمة، لتواجدهم داخل المجتمع. ولذا كان لزاماً أن ننظر إلى (قضية المؤامرة) من زاوية معتدلة بين الذين ينفون المؤامرة من أصلها، وبين من يبالغون في الحكم على هذه القضية بأنها السبب في كل بلاء على الأمة.

ولماذا ذلك النزاع الحاصل في قضية المؤامرة؟ لأننا لم نعد نري في العقيدة الإسلامية، وما تأسست به من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، أنها المخرج لكثير من الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولنعلم أن الجمع بين القضايا الشرعية والسياسية لا تنافي بينهما أبداً، بل ويستحيل أن تخالف حقائق واقع منطوق القرآن، ومفهومه، وما ثبت من صحيح السنة النبوية على صاحبه أركى الصلاة والتسليم.

يقول الدكتور عبد الشافي: " حاولت بعض التيارات الفكرية إثارة فرضية أن ما حدث من ثورات عربية جاء بتخطيط من الدول الغربية؛ وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي أرادت التخلص من الحكام الذين باتوا عبئاً عليها وعلى شعوبها، وأن الولايات المتحدة هي التي أرادت التغيير لكي تبقى تحت السيطرة، بدلا من سيطرة قوى أخرى على مقدرات الأمور"<sup>1</sup>.

الشواهد الموضحة لقضية التآمر من القرآن الكريم كثيرة؛ فالقرآن يبيّن ما كان أعداء الأديان السماوية يتربصون به الدوائر، كما هو الحال من تآمرات حدثت من أقوام الأنبياء مع أنبياء الله؛ إبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، ويحيى، وزكريا، ولوط؛ بل وجميع أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وكذا حال فتية الكهف، وغير ذلك الكثير من الوقائع التي تكشف أن هناك تآمراً من أعداء الإسلام على المسلمين،

<sup>1</sup> عبد الشافي، عصام، الثورات العربية، الأسباب والمسارات المآلات، (مرجع سابق)، ص 84.

كما أن كتب السنة مملوءة بكثير من الوقائع، وما قصة الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بغائبة عنا.

ظهر مصطلح (نظرية المؤامرة)، على الساحة الإسلامية والعالمية، في عشرينيات القرن الماضي، ثم زاد صده مع ما بات يعرف بالحروب الباردة التي كان للقطين الغربي والشرقي، ثم بات هذا المصطلح شائعة يعلق عليها كل شاردة وواردة تحل بالأمة الإسلامية؛ لدى الكثير في المجتمعات الإسلامية؛ ممن غلبت عليهم الغيرة على الإسلام والمسلمين. يقول ديبتر سنجاس عند تحليله لكتاب هنتنجتون -صدام الحضارات -: "يكاد هنتنجتون يتغضى عن الحضارة الإسلامية، وهذا أدعى إلى الدهشة أكثر نظراً؛ لأنه يعتبر الإسلاميين أو الأصولية الإسلامية المشكلة الرئيسية، بل الإسلام ذاته مفترضا أنه حضارة مختلفة تماما بالكامل عن جميع الحضارات الأخرى، ويؤكد أن المجتمعات الإسلامية، والدول الإسلامية تقع عند خطوط المنازعات الثقافية لعالم، ولهذا بدت عنيفة بشكل مفرط؛ إذ نراه يدفع بأن المسيحيين وغير المسلمين على السواء لا ينكرون الحماسة لحرب إسلامية، والاستعداد لاستخدام العنف، ولهذا يخلص إلى نتيجة واضحة هي أن الإسلام في ذاته يتصف بطابع العنف"<sup>1</sup>.

إن الحديث عن مثلت المؤامرة؛ هو ضمن المنظومة العامة للمؤامرة الكبرى ضد الإسلام والمسلمين، وقد يرى البعض أن الكلام فيها لا يخلو من أمرين: إما التآمر من المروجين لها، وإما دعماً لهم عن غير قصد! وقد يرى البعض أن المؤامرة نادراً ما تؤثر في التاريخ، وبرأي هذا الكلام غير صحيح على إطلاقه؛ لأن الغالب على التقلبات الحاصلة بين الأمم والحضارات عبر التاريخ كان للمؤامرات حضور قوي، وهو ما حدث بالفعل في سقوط الكثير من الدول والحضارات. فماذا نسمي مثلاً ما حدث للمسيح عيسى عليه السلام من اليهود؟! أليس مؤامرة وما أبشعها من مؤامرة. يقول هنتنجتون: "عالمية الغرب خطر على العالم؛ لأنها قد تؤدي إلى حرب بين دول المركز في حضارات مختلفة، وحي خطر على الغرب؛ لأنها قد تؤدي إلى هزيمته. بسقوط الإتحاد السوفيتي، يرى الغربيون حضارتهم في وضع سيادة لا نظير لها، بينما تبدأ المجتمعات الآسيوية والإسلامية وغيرها في اكتساب القوة في نفس الوقت، والمسار الحصيف للغرب،

<sup>1</sup> سنجاس، ديبتر، الصدام داخل الحضارات، ت: علي مولد، (القاهرة، دار العين للنشر، ط1، 2008)، ص137.

هو ألا يحاول أن يوقف تحول القوى، وإنما أن يعرف كيف يبحر في المياة الضحلة ويتحمل الشقاء ويخفف من مغامرته ويحمي ثقافته"<sup>1</sup>.

ولعل أعظم صدىً يتردد اليوم هو المؤامرة على المجتمع المسلم فيما يعرف بالربيع العربي، في خصم المعتكك القائم آنذاك قامت الأطراف الحاضرة والغائبة عن الساحات السياسية منها الفكرية بتبادل الاتهامات، وأن ما حصل برمته ما هو إلا مجرد مؤامرة حيكت من وراء الكواليس للإضرار بالأمة العربية والإسلامية، لكي تظل هذه النظرية حاضرة في أذهان الشعوب، ويكون حديث الشارع هل فعلا هناك مؤامرة؟ وإن وُجدت فكيف نقدر على مواجهتها؟ ولعل الذي يثير الدهشة كما يقول سنغاس: "أن كتاب صدام الحضارات لا يكشف صراحة وبوضوح عن الأفكار الرئيسية التي تمثل استعداد الحضارات للحرب، بيد أننا نقرأ تعليقات عرضية وإشارات تاريخية عن الحروب الصليبية (المسيحية)، والحروب المقدسة (الإسلامية)، وكذا عن ميل الدولة الصينية إلى التفكير تأسيسا على رؤية الهيمنة بدلا من توازن القوى"<sup>2</sup>.

والغالب فعلا على الدول أنما لا تعادى بعضها لأجل العداة الخالص، وإنما الصراع بينهم يقوم على التنافس لتحقيق المصالح وفرض الهيمنة. أما الصراع بين الحضارات فإنه يقوم على مبدأ الولاء والعداء للمعتقد، فهو يقوم على العداة الخالص. ولذا أرى أن الحقيقة في نظرية المؤامرة أنما تقع بين طرفين ووسط وهو أن هناك طرفا مثل دعاة التنوير، من والحدائين ومن على شاكلتهم يرون أن التعاطي المبالغ فيه في تفسير أي نازلة على المسلمين هو من باب المؤامرة إن هو من نسج الخيال، ولذا تراهم دوما يسعون لتفكيك هذه النظرية والتشكيك فيها، وهو يعتبر بوابة الدخول في أصل تلك المؤامرة، والتواطؤ معها، ولهذا تراهم يرون أن المؤامرة الحقيقية هي فيمن يروج لهذه النظرية، خاصة لو كان ذلك الطرف ممن يحسب على التيار الإصلاحية، وهذه الفكرة معاكسة لتلك الفكرة في الاتجاه ومساوية لها في القوة، وأحيانا تفوقها قوة!. أما الطرف الثاني فهم المهووسون بإقحام هذه النظرية في كل شاردة وواردة حلت بالأمة على الإطلاق، فأولئك أيضا لا يقلّ ضررهم عن من يجعل المؤامرة مجرد أوهام، وتعتبر نظرية المؤامرة: (اسم قبيح

<sup>1</sup> هنتنجتون، صامويل، "صدام الحضارات"، ت: الشاب، (نيويورك، نيويورك، سيمون & شوستر، ط2، 1999). ص503.

<sup>2</sup> المرجع السابق

لعملية عقلية مشروعة تماما، وهي البحث عن تفسير لظاهرة لا يساعد في فهمها ما نراه أو نسمعه مما يقال في تفسيرها)<sup>1</sup>.

إن نظرية المؤامرة هي الوسيلة القديمة لبني البشر لتفسير أي حص يبدو غامضا نفذ عن طريق المكيدة أو المكر، ولهذا ورد ذكر هذه الألفاظ في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص: 20]، ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ [البلد: 15]، ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: 102]، وهي مفردات وردت في كتاب الله تحكي حال الكفار والمنافقين، أو حتى المؤمنين فيما بينهم كما في قصة يوسف وإخوته عليهم السلام، وجميع هذه المفردات متشابهة في المفهوم ولكن هناك فارق من جهة الظن بالفاعل؛ فالمكر: هو تدبير فعل خفي بحق من لم يعلم ما يراد به ولم يحتسب أن يأتيه هذا الفعل من الفاعل؛ وهو إرادة فعل السوء بالممكور به في غفلة، وعدم حذره من أي شر يأتيه من جهة الماكر.

ما الكيد فهو كل تدبير لفعل خفي أو ظاهر يريد منه الكائد دفع المكيد أن يرتكب عملا سيئا بإرادته دون إجبار أو إكراه، فكل منها تختلف عن أختها وإن كن يشتركن في (الحيلة وخفاء الفعل المدبر)، كما أن هناك فارق في حال الفاعل أيضا وهو أن الكيد من صنع الأفراد أما المؤامرة فهي من صنع المؤسسات. ولهذا لم يكن إطلاق هذه الألفاظ هوساً وفضولاً في التفكير، كما يراه من ينكر وجود المؤامرة أصلا، يقول الدكتور الهريفي: " لقد حاولت أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الذي كان عدواً لها أن توجد لها عدواً آخر تصرف أنظارها إليه وتعمل على حربه وإبادته فكان الإسلام والمسلمون هما العدوين المرشحين لعداوة أمريكا وحربها. وقد بدأ بعض الأمريكان يربطون بين الإسلام والإرهاب منذ سنوات طويلة ولكن هذا الربط اتخذ طابعا مغايراً بعد أحداث أمريكا إذ أصبح الإسلام هو العدو الحقيقي والخطر على أمن الولايات المتحدة سواء داخل أمريكا أو خارجها. ولأن هذا العدو المفترض لا يمثل قوة حقيقية أمام الولايات المتحدة نظراً لضعفه الشديد واعتماده على غيره في معظم شؤون حياته"<sup>2</sup>.

لقد أخذت نظرية المؤامرة بعدا في الثقافة الغربية، وروج لها قبل عدة عقود من مزجها بالخطاب الثقافي العربي. حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فإذ بهذه النظرية تزداد عمقا حتى أنها

1 أمين، جلال، رد الاعتبار لنظرية المؤامرة، مدونة رحلة تفكير، 17/8/1434هـ، [HTTP://WWW.REHLATTAFAKKOR.COM](http://www.rehlattafakkor.com)

2 الهريفي، محمد على، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها (الرياض، ج: محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 2004)، ص11.

ملأت الدراما والكتب الأميركية كل ذلك لإثبات وجودها في تلك الحادثة. " فكان لا بد من تشويه صورة هذا العدو -الإسلام- حتى يعد العالم فناءه تضحية في سبيل التقدم والرفي وانتعاش الحضارة الغربية وعلى ذلك رأت المسيحية العالمية ممثلة في أمريكا ودول الغرب وحلفائها كل من يحاول المساس بالمصالح الغربية سواء بالدفاع المشروع عن النفس أو امتلاك وسائل القوة أو الحماية الفكرية والثقافية أو التمسك بالدين والعقيدة وتطبيق الشريعة هو إرهابي"<sup>1</sup>. والعرب كذلك لا يَقلون في مهارة تطبيق هذه النظرية عن الغربيين لذا نجدهم أضحوا يلصقونها على كل حدث يُلمُّ بالأمة، في تعزيز للخيال المهوس بتقرير نظرية المؤامرة. وقد تخلّى أولئك المهوسون من الطرفين، عن القبول بالرأي الآخر مُتناسين ضرورة احترام حرية التعبير وأخلاقياته، تحت ظل الواقعية وتحري المعلومة.

ولذا تواردت علينا الكثير من الآراء حول الربيع العربي فالبعض من الكتاب ساق تقريراً يثبت تواطؤ اليهود في ظاهرة الربيع العربي وأن اليهودي الفرنسي برنار هنري ليفي هو من القائد والمخطط لها، كما أننا بعد أن كنا نقول بأن أمريكا تقف خلف كل الشرور المتتابعة على المجتمع المسلم، إذ بنا نرى من يرى في الإخوان المسلمين أهم الشيطان الأكبر، وأنهم خلف كل بلية تصاب بها الأمة الإسلامية، وهذا يعني أنه كما أميركا لديها هذه القدرة الخارقة لتغيير مجريات الكون، وهي إنما تسعى حثيثا لترسيخ مكانتها في العالم، إذ لا بد من القول نفسه تجاه الإخوان المسلمين!

وبالمقابل لا يمكن النكوص أمام تيار التآمرات المحيطة بالأمة لمجرد أن تلك النظرية مبالغ فيها، وأنه لا يصح أن نتعاطى مع كل حادثة على أنها مؤامرة وتفسير كافة الأحداث من خلالها، فهذا أيضا يعتبر نقیصة فكرية قد تسبب في إخفاق العالم العربي المترهل أصلا. ولو عدنا بالتاريخ للوراء لوجدنا أن مثلث المؤامرة المستمر على الإسلام منذ أن سطع نور الإسلام، هو التآمر: (الصليبي، اليهودي، المجوسي). فمن الذي قام بتسميم حبيبنا ﷺ؟ أليس حادثة السم التي قامت بها اليهودية كانت سببا في استشهاد ﷺ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " كان أحب العُرَاقِ إلى النبي ﷺ، ذراع الشاة، وكنا نراه سُمَّ في ذراع الشاة، وكنا نرى اليهود هم الذين سُمُّوه"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أبو غضة، زكي السيد، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، (مصر، دار الوفاء، ط1، 1423هـ)، ص 21.

<sup>2</sup> الأصبهاني، عبد الله بن محمد، أخلاق النبي وآدابه، ت: صالح الونيان، (السعودية، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1998)، ج3، ص271.

وبا النظر كذلك إلى سلسلة المؤامرات على الإسلام كذلك. فمن الذي قام بقتل عمر رضي الله عنه؟ أليس هو أبو لؤلؤة المجوسي؟! الذي يطلق عليه شيعة إيران (بابا شجاع). ووضعوا له تمثالا هناك<sup>1</sup>.

وفي العصر الحديث من الذي أعاد اليهود إلى فلسطين؟ أليس الوعد بلفور المشعوم، والذي كان يهدف إلى إنشاء وطن لليهود في قلب العالم الإسلامي، ليتسنى لهم هدم الإسلام من الداخل، في الثاني من شهر نوفمبر سنة 1917، تلقى لورد ولشيلد خطابا من لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا على لسان حكومته يقول فيه: "يسرني كثيرا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضا والارتياح إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وأنها ستبذل خير مساعيها لتيسير الوصول إلى هذه الغاية"<sup>2</sup>.

إن التآمر على الإسلام ليس وليد اليوم، بل إن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ أن خلق الله البشر، ولا زال ذلك الصراع قائم مع ظهور الأنبياء جميعا، حتى خاتمهم محمد ﷺ، ومع أن النبوة قد ختمت بمحمد ﷺ؛ إلا أن الصراع لم يختتم، فلم يزل قائم، ولا يزال إلى أن تقوم الساعة، ولقد قاد الخلفاء الراشدون بعد رسول الله حملة الصراع تلك من بعده، وخرج أصحاب الرسول ﷺ من المدينة بجيوش متعددة، كل منها إلى جهة من الجهات، لتحقيق الحق وإزالة الباطل، فنصرهم الله، وخضعت لهم المناطق التي توجهوا إليها جميعاً؛ من الامبراطورية الفارسية شرقاً، إلى الامبراطورية الرومانية غرباً، وكان من أجل أعمال عمر رضي الله عنه؛ فتح فارس والروم، وارجاع بيت المقدس إلى الأصل القائم عليه وهو التوحيد، وإجلاء يهود خيبر من الجزيرة؛ لحقدهم وضغينتهم.

ولا زال المكر والحقد يتجدد على الأمة الإسلامية من أعدائها على مر العصور الإسلامية، فإن هذا الدين الذي نشره الله تعالى بسواعد أولئك الرجال؛ قد هدم الشرك وأقام التوحيد، وأزال البدع والضلالات والخرافات، وأرسى السنّة، وأقضى مضاجع وعروش الظلم والطغيان، وأعلى حكم الله عز وجل على حكم الطواغيت من القياصرة والأكاسرة، ومن دجاجلة الأديان وكهنوتها؛ ممن هيمنوا على الناس باسم الدين، فتسلطوا على أموالهم وأعراضهم، بل وفي قلوبهم؛ فيملون عليهم ما اعتقدوا من الكفر والشرك والضلال، وجابحوا جميع العقائد وأشهرها من اليهودية والنصرانية والمجوسية، وما تفرع عنها.

<sup>1</sup> الدارمي، محمد بن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، (بيروت، الكتب الثقافية، ط3، 1417 هـ)، ج2، ص495.

<sup>2</sup> ينظر، جميل عطية، وصلاح عيسى، صك المؤامرة وعد بلفور 1917\_11\_2، (القاهرة، دار الفتى العربي، ط1، 1991م).

وهذا هو الدافع وراء كل المؤامرات التي حيكت ضد الإسلام والمسلمين، بدءاً من حادثة السم الذي قدمه اليهود للنبي ﷺ، ثم مقتل أمير المؤمنين عمر رضي الله الذي كان مقتله فتحاً لباب الفتنة التي أخبر ﷺ أنها لن تنتهي إلى قيام الساعة، ومع ذلك فإن أعداء الإسلام ظنوا ولا زالوا يظنون أن ديننا العظيم مرتبط بشخص أو أشخاص، فيظنون أنهم بقتل عمر قد استطاعوا أن يقتلوا الإسلام، وهذا محال عليهم، لأن ديننا لن يموت ولن يقتل، وسيظل هو الدين المهيم حتى تقوم الساعة. وهكذا حال أعدائنا مع كل من يحمل لواء الدين، ولواء السنة؛ يظنون أنه إذا قتل انتهى الأمر، والحقيقة أن هؤلاء الرجال ما هم إلا أناس اصطفاهم الله تعالى للقيام بأمر دينه، فهم إما يحققون نصراً للأمة، أو ينالون الشهادة، ويخلف الله بعدهم من يقوم بهذا الدين، لأنه سبحانه وعد أهل التوحيد، وتوعد أعداءه بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، [التوبة، الآية: (33)].

ثم إن المؤامرة انتقلت بعد ذلك على نطاق أوسع، فعندما أظهر الله الدولة العثمانية، وفتحوا معظم بلاد أوروبا وحاصروا (فيينا) لسنوات؛ بالطبع لم يعجب ذلك أعداء الأمة، إذ كيف لهذه الدولة الفتية أن تتغلب على تلك الدول القوية، ولم يستطيعوا مقاومتها، فلجأوا إلى أسلوبهم المعتاد؛ أسلوب المكر والخداع، وشراء الدم، فاستعانوا بعدوا الأمس واليوم، تلك الطائفة الحاقدة؛ التي كان لها تواجد في شرق العالم الإسلامي وهي: (الدولة الصفوية)، التي كانت تنزعم المد الرافضي تلك الفترة، بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي ملك إيران آنذاك، والتي كانت تعفر ببلاد العجم، والذي كان يسعى لتوسيع المد الرافضي، في بلاد الأناضول والعراق، والتي فقامت بدورها الحقير الذي اعتادت عليه منذ مقتل الفاروق؛ وهو الطعن من الظهر، ولكن الله مكّن السلطان سليم الأول من دحرهم وهزيمتهم، ولو أن هؤلاء الذين يدعون الإسلام كفوا أيديهم عن الغدر بالدولة العثمانية لكان أولى فرمما استطاعت أن تتوغل في البلاد الأوربية أكثر وأكثر، لكن التآمر الحقير الذي كانت تقوم به الرافضة جعل الدول الأوربية تتكاتف وتتوحد لقتال الدولة العثمانية بعد أن كانت مشتتة، وفي هذه الفترة استطاعت روسيا أن تلتهم أقاليم آسيا الوسطى والقضاء على الحضارة الإسلامية هناك، وكل ذلك يعود فضله للصفويين؛ ولا زال الحلف قائم بين الرافضة الروس إلى يومنا الحاضر<sup>1</sup>.

1 ينظر: أرسلان، شكيب، التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، ت: محمد عبده، (بيروت، دار ابن حزم، ط2، 1995م)، ص20، بتصرف

بالطبع أنا لست هنا بصدد تقييم الدولة العثمانية، ولكن المقصد هو أنها كانت دولة تمثل المسلمين، وتوسعى لتوسيع رقعة الإسلام؛ ولهذا حصلت المؤامرات عليها، ثم لم تزل المؤامرات تدور عليها بصور شتى.

وبعد إن نهضت أوروبا صناعياً تطوراً في الحياة المادية، بدأت المعركة تأخذ وجهاً جديداً، فقد ألف أحد الوزراء الأوروبيين كتاباً بعنوان: (مائة مشروع لتقسيم تركيا)<sup>1</sup>، وهو ليس كتاباً تاريخياً بقدر ما هو كتاب سياسي، يُخبرك عن مكنون العقل الغربي، وكيف يُفكر ويُدير، وكيف يُتابع مشاريعه الكثرة بعد الكرة؛ حتى يصل إلى أهدافه، فإن أوروبا ما فتئت تُخطِّط لتقسيم العالم الإسلامي، وكانت الدولة العثمانية في الواجهة. وقد أحصى المؤلف (100) مشروع لتقسيم هذه الدولة، تقدّم بها سياسيون، وقساوسة، ومفكرّون، وأطباء؛ يقترحون كيفية تقسيم بلاد الإسلام، فالكل يتفق على إضعاف الدولة العثمانية وتفكيكها، وكانت أوروبا حينها في أوج صراعاتها الداخلية عندما خطّطت لهذه المشاريع، فكيف سيكون الأمر حينما أصبحت موحّدة، وتعيش بلا صراعات؟! وعندما يقال: "مائة مشروع" يُظن أن هذا الرقم مبالغ فيه، ولكن بمجرد ولكن عند القراءة يتضح حجم التدبير، وأنها فعلاً استغرقت الفترة الممتدة إلى ستة قرون<sup>2</sup>. وكانت هذه المشاريع تفشل الواحد تلو الآخر، حتى كانت الحرب العالمية الأولى، فتتحقق لهم النجاح، واستطاعوا أن يفرقوا المسلمين، وتخاصصوا العالم الإسلامي، في اتفاقيتهم المشؤمة: (سايكس بيكو)<sup>3</sup>.

وهكذا هو الحال مع المؤامرات الموجهة نحو الإسلام والمسلمين، من طور لآخر، ومن سيناريو لآخر، فتارة بالقتال الصريح، وتارة بالمكر والخديعة، وأخير بالفكر والشهوات، وهي أممّودج من النماذج التي يقدمونها في حربهم على الإسلام، وهي الحرب الفكرية التي غزوا بها ديار المسلمين، فعندما وجدوا أمة ممزقة من جهة، بعيدة عن حكم الشريعة من جهة، وغارقة في الشهوات والملذات من جانب، لجأوا إلى خططهم الفكرية، فأخذوا يدبرون ويحكيون المؤامرات للقضاء على الإسلام من خلال وجودهم وقوتهم العسكرية في البلاد.

1 كتاب من تأليف الوزير الروماني ت. ج. دجوفارا، وزير دولة، ومبعوث فوق العادة إلى العاصمة الآستانة، كتبه بالفرنسيّة، وظهرت الطبعة الأولى منه في باريس عام 1914م.

2 ينظر: أرسلان، شكيب، التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، مرجع سابق، ص24، (بتصرف).

3 ينظر، النعماني، بسام عبد القادر، مائة عام على اتفاقية ساسي بيكو، (تونس، مركز جامعة الدول العربية، ط1، 2017).

وقد أشار الدكتور سفر في كلامه عن مخطط الأعداء للقضاء على الإسلام إلى ذلك بقوله: بعد أن وجدوا -أي أعداء الإسلام- أنه منذ أن ظهرت الصحوة في العالم الإسلامي، كان لا بد من اللجوء لطريقة جديدة في تطبيق مخططاتهم، فأروا أن أنسب وسيلة أن يعاد في هذه الأمة بعث الحياة في الفرق القديمة، لأن الشباب أخذوا يتحصنون ضد الأفكار الغربية والماسونية والشيوعية. كما أن الأمة أصبحت في ملل من كل الأحزاب والفرق الأخرى بعد معرفتهم بحقيقتها، كذلك نجد أن الحضارات الوثنية القديمة لم تجد استجابة، حينها رأوا أن بعث الفرق الطوائف القديمة هو الذي يمكن أن يستوعب هذه الصحوة، ويفرقها ويمزق شملها، فقاموا بإعادة مجد الرفض، وغيرها بوسيلة البحث والتحقيق، ومن أمعن النظر في الكتب التي يقوم المستشرقون بتحقيقها ماذا يرى؟<sup>1</sup>.

هل يرى أن هناك اهتمام -مثلاً- بصحيح البخاري، أو كتب الصحاح، أو كتب الإمام أحمد، أو كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم؟ لكن انظر ماذا يحقق المستشرقون من الكتب، بأي شيء يهتمون؟ تجد كل اهتمامهم بعقائد منحرفة وفرق قديمة، يهتمون بها ويحققون كتبها ويطبعونها وينشرونها حتى تملأ الآفاق، وما ذاك إلا لتمزيق هذه الأمة، وهذه الصحوة الإسلامية التي بدأت -ولله الحمد- تفرض نفسها في الواقع، فهم يريدون شباب الصحوة إذا أراد أن يعود؛ يختار! أي إسلام يعود إليه؟!

هذا ما أرادوا هو أن يجد المرء في المكتبة مزيج من كتب الرفض، وكتب السنة، وكتب الخوارج وكتب المعتزلة، ...، وكتب تطعن في تطعن في القرآن والسنة، وغيرها الكثير من كتب الفرق والبدعة، فلا يدري الشاب إلى أين يتجه؟ فهذا هو الغزو الفكري الذي أصبح يمر بمرحلة خطيرة ودقيقة جداً، يتطلب من جميع المسلمين -وخاصة الشباب- أن يكونوا على وعي وبصيرة بما يراد لهذه الأمة، ولا شك أن التآمر اليهودي الصليبي المجوسي؛ يعمل ضد هذه الأمة، ويتبع هذه الصحوة، يحاول أن يعبث في مسيرتها ويمزقها، ويبعدها عن الكتاب والسنة؛ اللذان يجمع الله بهما شمل هذه الأمة، ويظهر الله بهما هذا الدين، ويحافظ بهما على هؤلاء الشباب، ليكونوا مصدر العز والتمكين.<sup>2</sup>

يقول الإمام الأصفهاني: " بعث الله نبيه محمد ﷺ والبشرية في أمس الحاجة إلى بعثته، فأخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فدخل الناس في دين الله

1 الحوالم، تخطيط أعداء الله للقضاء على الصحوة الإسلامية، الموقع الرسمي للدكتور سفر الحوالم: [HTTP://WWW.ALHAWALI.COM](http://www.alhawali.com).

<sup>2</sup> المرجع السابق.

أفواجاً؛ إذ أطاح الإسلام بدول الظلم والطغيان، فانتشر في شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، في فترة وجيزة لا يعرف لها مثيل في التاريخ، وقد غاظ هذا الانتشار السريع أعداء الإسلام؛ إذ لم يستطيعوا الوقوف في وجهه بحمل السلاح لأن المسلمين لا يريدون من وراء جهادهم إلا رضاء الله وثوابه، فلا يخافون الموت، بل يطلبون الشهادة لأنها طريق الجنة، ذلك مطلبهم، لذلك لم يستطع أعداء الإسلام الوقوف أمامهم بالقوة، فلجأوا إلى الحيلة والخداع؛ إذ رأوا أنها أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام للكيد للإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، واستشناع ظلم علي رضي الله عنه<sup>1</sup>.

وما رأيناه من مسارعة الدول المتنفذة في التدخل على ظاهرة الربيع العربي؛ خير شاهد على ذلك التأمر الذي يحاك في جنح الظلام، لقمع رغبات الشعوب، لتحويله إلى خريف مئنهك، لأن ذلك الربيع أكل قلوب الأفاعي الحاقدة، فما كان منها إلا أن نفتت سمومها بالتحايلات الهدامة، للكيد بالإسلام والمسلمين.

إن المتأمل لرؤوس الضلالة في عالمنا الإسلامي على مر العصور؛ يجد طائفة منهم تنتمي للأديان والفلسفات التي قضى عليها الإسلام، وأنهى هيمنتها، ومن هذا مثلاً: (اليهود) الذي كان من نتاج مخاضهم؛ عبد الله بن سبأ، وبشر المريسي؛ الذي أثبت المؤرخون أنهمما من اليهود<sup>2</sup>. وكذلك عبد الله بن المقفع (مجوسي الأصل)، وإبراهيم النظام (برهمي)، وعبدك الصوفي (ثيوصوفي)<sup>3</sup>، وقد عرف الهدامون كيف يدخلون من تلك الأبواب؛ من خلال اندساسهم في سراديب السلطات الحاكمة؛ لكي يسهل تقبل هذه الأفكار، لأن الناس في الغالب تبع لحكامهم، وهكذا وقع للمأمون العباسي، وغيره ممن قد اغتر بهذه الفلسفات.

ونؤكد على أن هذا يظل من الأسباب التي لعبت دوراً كبيراً في تغيير ملامح الأمة الإسلامية؛ فإن الشعوب المسلمة متى استقامت على التوحيد، وتمسكت بالإيمان حقيقة، لا يهملها كيد الكائدين، ولا يضرها عداوة الحاقدين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ [آل عمران: 120]، أما

<sup>1</sup> الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، الإمامة والرد على الرافضة، ت: علي الفقيهي، (مرجع سابق)، ص 13.

<sup>2</sup> كما نص عليه الدارمي والإمام أحمد وغيرهما.

<sup>3</sup> الثيوصوفية: هي أصل الصوفية ومعناها الحكماء الإلهيون، وقد ذكره الملطي ضمن الزنادقة.

إن بات همُّ شبابنا المأكل والمشرب، واللهاث وراء الحياة المادية، فإنه وبدون أدنى شك نكن لقمة سائغة سهلة في يد عدونا يمضغنا كيف شاء.

لقد اختلفت وجهات النظر في دخول في تلك المؤامرات فيما يتعلق بالربيع العربي، جاء في مقال للدكتور: شمسان المناعي يقول فيه: "هذا الحلم هو مشروع الشرق الأوسط الكبير، والذي حُطط له منذ فترة طويلة كيف نتحقق من ذلك؟ لكي نثبت صحة التخطيط لهذا المشروع منذ البداية كيف لم يتمكن الكثير من المفكرين العرب أن يتقصوا الحقائق من خلال ما تم كتابته بأقلام المفكرين الغرب والأمريكيين على وجه الخصوص حول التنبؤات بثورات الربيع العربي، ولا يعني بالضرورة أنه قد تمت الكتابة عن الثورات كما هو الحال الذي مرت به، وإنما المراد ذكره هو أن هناك الكثير من الكتاب الغربيين قد أشار إلى ضرورة أن تتجه أميركا في سياستها نحو دعم الشعوب<sup>1</sup>.

ومن ذلك ما قاله الكاتب فرنسيس فوكو ياما والذي يعد الأكثر تأثيرا في تعبيره عن التوجهات الأمريكية: " ضرورة أن تعجل أميركا في غسل يدها من اللوثة التي ارتكبتها في العراق من خلال دعم التحول في العالم العربي، وأن تضع هذه الاستراتيجية كبنء أساسي في سياستها الشرق أوسطية"<sup>2</sup>.

ثم نتبع السؤال السابق بسؤال لاحق وهو كيف يمكن لمجموعات من الشباب؛ تظهر في شوارع وعواصم بعض الدول العربية، مطالبة بإسقاط الأنظمة، وترمي رجال الأمن بزجاجات (المولوتوف) معلنة عن قيام ثورة؟ وفي خلال أسبوع أو أكثر يسقط نظام سياسي في هذا البلد العربي أو ذاك!

كان علينا أن نتساءل منذ البداية عن حقيقة ما يحدث، والذي لا تزال بعض الدول تعيش مضاعفاته مثل ليبيا واليمن وسوريا. نعم كان من المفروض علينا أن نطرح التساؤلات حول ما جرى، ليس لأننا مع أو ضد هذا النظام أو ذاك، إنما كل ما نريده في مضمون هذا المطلب أن نربط بين ما يسمى بالربيع العربي، وما يتردد الحديث عنه من مشروع الشرق الأوسط الكبير، فمن المؤكد أن هناك أطرافا إقليمية ودولية هي من حركت وتحرك خيوط اللعبة؛ والتي لا تزال مستمرة في عالمنا العربي إلى اليوم<sup>3</sup>.

1 ينظر: مذكرات كلنتون، هيلاري، مذكرات. ترجمة، ميري يونس، (بيروت، شركة المطبوعات، ط1، 2015).

2 الزين، حسن، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، (بيروت، دار القلم، ط1، 2013)، ص121. (مؤتمر أمريكا والعالم الإسلامي، المنعقد في الدوحة 2010/02/10).

3 ينظر: د. المناعي شمسان، (ثورات الربيع العربي) الوجه الآخر لمشروع الشرق الأوسط، الثلاثاء 02 سبتمبر 2014 م، العدد[13062].

ولقراءة أصداء الموقف الأمريكي نراه في كلمة الرئيس (بوش الابن)؛ والمعروف بقسوة قرارته وخشونة عباراته متحدثا عن الثورات الربيعية بقوله: " إن الثورات العربية شكلت أعظم تحدي تواجهه النظم الاستبدادية، منذ سقوط المنظومة الشيوعية"<sup>1</sup>.

نعم كان من المفروض علينا أن نطرح التساؤلات حول ما جرى ليس لأننا مع أو ضد هذا النظام أو ذاك ولكن التساؤل واجب! لا نريد أن نفكر في الماضي فقد حدث ما حدث ولا بكاء على اللبن المسكوب! إنما كل ما نريده في مضمون هذا المقال أن نربط بين ما سمي بالربيع العربي وما يتردد الحديث عنه من مشروع الشرق الأوسط الكبير، فمن المعتقد أن هناك أطرافا إقليمية ودولية هي من حركت وتحرك خيوط اللعبة والتي لا تزال مستمرة في عالمنا العربي إلى الآن والحذر واجب"<sup>2</sup>.

ويقول هنري كيسنجر<sup>3</sup>: "إن هناك سبع دول عربية تمثل أهمية استراتيجية واقتصادية للولايات المتحدة، وكل الأحداث التي تجري في هذه الدول تسير بشكل مرضي للولايات المتحدة وطبقا للسياسات المرسومة لها من قبل" ويقول عن رؤيته للربيع العربي: " إن انتفاضا تونس ومصر، تم الترحيب الحار بهما من قبل القادة السياسيين ووسائل الإعلام في الغرب؛ بوصفها ثورة إقليمية شبابية، باسم مبادئ الديمقراطية والليبرالية"<sup>4</sup>.

وأكد بقوله: كثيرون في الغرب فسروا انتفاضة ساحة التحرير تسويغا للرأي القائل: بأن بديل الاستبداد كان يجب اجتراحه في وقت أبكر بكثير، إلا أن المشكلة الفعلية تمثلت بأن الولايات المتحدة التي وجدت صعوبة في الاهتمام إلى عناصر يمكن تأليف مؤسسات تعددية منهم أو إلى قادة ملتزمين بممارساتها. تطلعات أمريكا بالنسبة للمنطقة وهي تطلعات تتبناها إدارات الحزبين كليهما؛ تمخضت عن تعبيرات بليغة عن نزعة الولايات المتحدة المثالية، إلا أن تصورات الضرورات الأمنية ونظيراتها المتعلقة بتعزيز الديمقراطية غالبا ما كانت متصادمة. أولئك الملتزمون بإشاعة الديمقراطية وجدوا صعوبة في الاهتمام إلى قادة يسلمون بأهمية الديمقراطية بوصفها شيئا آخر غير وسيلة لتحقيق سيطرتهم، في الوقت نفسه لم يكن

1 الزين، حسن، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص122.

2 د. المناعي، شمسان (ثورات الربيع العربي) الوجه الآخر لمشروع الشرق الأوسط، (صحيفة الشرق الأوسط، 02 سبتمبر 2014، عدد [13062])

3 وزير الخارجية الأمريكي السابق.

4 كسنجر، هنري، النظام العالمي، ت: فاضل كتندر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2015) ص126. بتصرف

رافعوا راية الضرورة الاستراتيجية قادرين على إثبات مدى أهلية الأنظمة القائمة للتطور في أي وقت بطريقة ديمقراطية، بل حتى إصلاحية. مؤكداً أن الربيع العربي بدأ كانتفاضة جيل جديد يدعو إلى الليبرالية الديمقراطية التي سريعا ما نحت جانبا وكبتت وسحقت. وقد أثبتت القوى المتجذرة في الجيش والدين في الأرياف أنها أقوى وأكثر تنظيماً من العناصر المنتمية للطبقة الوسطى التي كانت تتظاهر مطالبة بتحقيق الديمقراطية في ميدان التحرير<sup>1</sup>.

بل إن الغريب أن يمضي كيسنجر إلى أبعد من ذلك، حين يقرر أن الولايات المتحدة لا تقدم حلولاً، ولا تساهم في حل الأزمات الاجتماعية للدول التي تدور في فلكها فيقول: "إن التقارب الدبلوماسي مع الولايات المتحدة لم يكن قادراً على حل مشكلات الأنظمة العسكرية القومية، كما لم يحل التقارب مع الاتحاد السوفييتي أي مشكلات سياسية، وكذلك فإن التعاون مع الولايات المتحدة لم ينزع فتيل الأزمات الاجتماعية. وهنا يتبدى سؤال: ما دور الولايات المتحدة إذن، وهي التي تقوم باعتبارها حاملة مشعل القيادة في العالم؟! وهو حين يتحدث عن العراق يقول، إنه لم يؤد حلّ نظام صدام حسين القاسي إلى ديمقراطية بل إلى انتقام، حيث عمل كل فصيل على تعزيز سلطته ضد الفصيل الآخر"<sup>2</sup>.

واعتبرت صحيفة (الغارديان) البريطانية الثورات العربية المتصاعدة تشكل تهديداً فعلياً للنظام الاستراتيجي العالمي، مؤكدة أن الغرب لا يكل ولا يمل أبداً في سعيه للسيطرة على الشرق الأوسط، مهما كانت العقبات، ومعيدة إلى الذاكرة سنوات الاستعمار الغربي للبلدان العربية بعد تقسيمها. وأكدت أن أميركا وحلفاءها يحاولون ترويض الاسلاميين الصاعدين إلى حكم الدول العربية على السياسة الأجنبية اعتبارها (معتدلة) أما الباقي فسيظلون من (المتعصبين). وطالبت الصحيفة الدول العربية التي انطلقت فيها الثورات، إن أرادت أن تتحكم في مستقبلها، فعليها مراقبة ماضيها القريب وسنوات الاستعمار الغربي لبلداتها. وقالت في تقرير تاريخي موسع ان هذه الثورات التي اشتعلت شرارتها العام الماضي، ركزت على الفساد والفقر وانعدام الحريات، وليس على الهيمنة الغربية أو الاحتلال الإسرائيلي<sup>3</sup>.

1 كسنجر، هنري، النظام العالمي، ت: فاضل كنجر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2015)، ص127. بتصرف

2 المرجع السابق، ص145.

3 صحيفة غارديان البريطانية: الغرب لن يسمح للثورات العربية بالخروج عن سيطرته، / 2012/02/02، نقلا عن موقع:

[.HTTP://WWW.AMMONNEWS.NET](http://www.ammonnews.net)

ومما يزيد من التأكيد على (نظرية التآمر الغربي على الإسلام)، وأن الغرب مهما تظاهر بالإنصاف وأنه لا يريد الإسلام في محاربتة - كما يزعم - على الإرهاب، وبالرغم مما تداولته الصحف الفرنسية هذه الأيام من تأكيد رئيس الحكومة الفرنسية (مانويل فالس) في خطاب له أمام الجمعية الوطنية على ضرورة عدم الخلط بين الإرهاب والإسلام، والتي جاء فيها: "فرنسا ليست في حرب ضد الإسلام والمسلمين، بل هي في حرب ضد الإرهاب والإسلام المتطرف"، إلا أن كل الدلائل تفيد بعكس ذلك؛ حيث ذكر موقع (جلوبال ريسيرش) الكندي للبحوث: "أنه بعد هجمات (11 سبتمبر 2001 م)، أعلنت الولايات المتحدة الحرب على الإسلام وليس الإرهاب كما زعمت في البداية، وأصبحت كراهية المسلمين وجعلهم أداة لتخويف العالم، حيث باتوا اللعبة العادلة التي تملكها الغرب وواشنطن"<sup>1</sup>.

ويضيف الموقع الكندي في تقرير نشره مطلع الأسبوع الجاري: "أن الولايات المتحدة تتعاون مع أصدقائها من الغرب مثل بريطانيا وألمانيا وفرنسا، حيث تتبع مجموعة هذه الدول سياسات معادية للمسلمين، مشيراً إلى أنهم يشنون حرباً زائفة على الإرهاب، تحت ذريعة إرهاب الدولة وما يشكله من مخاطر عليها، ولكن في حقيقة الأمر يتم استهداف المسلمين الذين يتواجدون في المقاطعات والجماعات، خلال هذه الحرب وليس الإرهاب كما يدعون. ويشير الموقع الكندي إلى أنه بالفعل شهدت الأيام القليلة الماضية عدة احتجاجات معادية للإسلام بدأت في باريس ومدن أوروبية أخرى، تم خلالها الاساءة للمسلمين دينياً وعرقياً، كما أن هناك احتمالات بوقوع المزيد من أعمال العنف المتتابة خلال الأيام القادمة، مؤكداً أنه من أجل المصالح الغربية يتم تنفيذ تلك الأعمال بأيدي المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي. ويرى التقرير أن المسلمين في وجه العاصفة أكثر من أي وقت مضى، بغض النظر عن هجمات باريس الكاذبة، مشيراً إلى أن فرنسا تلقي اللوم على المسلمين فيما يتعلق بمهاجمة صحيفة (شارلي إيبدو)، وتصفهم بالهامج، متجاهلة سياسات حلف الناتو ضدهم وقتل ملايين المسلمين العزل، غالبيتهم من الأطفال والنساء خلال السنوات الماضية، كما تتناسى باريس جرائم الإبادة الجماعية التي نفذها حلف الناتو في أفغانستان"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> التهامي، الولايات المتحدة والغرب يحاربون الإسلام لا الإرهاب، (الخميس 22 يناير، 2015)، عن موقع: [HTTP://ELBADIL.COM](http://ELBADIL.COM)

<sup>2</sup> المرجع السابق.

ويؤكد (جلوبال) أن الولايات المتحدة تستهدف عمداً المدنيين، ففي نوفمبر عام (2001م)، استهدفت الضربات الجوية الأمريكية العاصمة الأفغانية كابل، وخلال شهر ابريل عام (2003م)، قصفت الدبابات الأمريكية فندق فلسطين في بغداد، حيث استهدفت الصحافيين الأجانب، لافتاً إلى قتل إسرائيل نحو (2200) فلسطينياً خلال العدوان الأخير على غزة، بما في ذلك استهداف (17) صحفياً عمداً، لتمنعهم من الإبلاغ عن الجرائم الإسرائيلية، لكن حينها لم يتحدث العالم عن قتل اليهود للمسلمين. ويختتم الموقع الكندي تقريره قائلاً بأن كل ما سبق وتبعات الأحداث التي وقعت بعد هجوم (11) سبتمبر في أمريكا، (وشارلي إيبدو) في فرنسا تؤكد أن حرب أمريكا والغرب ضد الإسلام وليس الإرهاب كما تدعي؛ لتبرير استهداف المسلمين، وتضيق الخناق عليهم؛ تحت ذريعة مكافحة الإرهاب<sup>1</sup>.

وبالنظر إلى هذه التقارير وغيرها الكثير والكثير، تتضح لنا حقيقة المؤامرة الكبرى، والتي غايتها إنتاج ثقافة جديدة في السياسة والنظم الاقتصادية والتعليمية والثقافية، والذي يسعى الغرب -أمريكا- بدوره لتثبيتها عبر ما يسمى بـ: (ثورات الربيع العربي) التي يرى البعض أن الغرب كان اللاعب الاحتياطي ابتداءً؛ ثم أنه استغل مرض اللاعبين الأساسيين، وعجزهم عن إداء المباراة بالشكل المطلوب، عندها تولوا اللعب الأساسي ليصبحوا هم من يتولى زمام اللعب والسيطرة الكاملة من ورائها، فقام باحتضانها، ومولها بشكل خفي حتى بدت خيوط المؤامرة تنجلي واللمسات الغربية الأمريكية القبيحة تظهر على السطح.

والذي يجب الا يغيب عن ذهن أي مسلم؛ ان الغرب عندما تبين له أن الحكام المستأجرين من قبلهم، والذين كان وظائفهم تقوم على أنهم زعماء لتلك الدول والانظمة الاستبدادية، يسرون الى نهاية الهاوية، قرروا استباق الأحداث، واعتمدوا طريقة للسيطرة تبدوا جديدة؛ وهي أنهم عمدوا إلى فكرة الاحتجاجات التي بدى الاعداد لها على ما يبدو منذ فترة، والحال عندما تتدهور الأحوال في الدول الثائرة، يترك خيال الاستنجد يبدوا عيانا للناس كالسراب حتى إذا ما جاء الحكام الجدد تراءى للشعوب انها هي التي جاءت بهم، والواقع: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا﴾ [الحج: 39].

أما عند النظر إلى الشباب الذين اندفعوا وراء (الثورات الربيعية) من شباب الامة الإسلامية فإن الباحث يرى أن حالهم لا يخلوا من أصناف ثلاثة:

1 التهامي، جلوبال ريسيرش: الولايات المتحدة والغرب يحاربون الإسلام لا الإرهاب، (مرجع سابق).

## الصف الأول:

أصحاب المعتقدات والأفكار، وهؤلاء أيضا لا يخلوا حالهم من صنفين:

(1) غيور على الدين: يريد التخلص من النظام القائم الذي لم يجد معه الكمال الإيماني، الذي يحقق من

خلاله الفلاح والنصر للامة الإسلامية.

(2) داع إلى منهج أو فكر: لا يعدوا أن يكون منحرفا حاد عن كتاب الله وسنة النبي ﷺ وحاد عما

عليه علماء أهل السنة والجماعة، وهذا هو الحال الذي نراه مع الدواعش في العراق وسوريا، وما

نراه مع مرجئة العصر في مصر الذين تأمروا على وأد تلك الثورات وما نلمسه واقعا وما نراه من

الحوثيين في اليمن. وهذا الصنف هو الذي قصدته في رسالتي.

## الصف الثاني:

شباب بات همهم حمل مفاهيم الغرب ويهتفون وراء الديمقراطية والدولة المدنية، تم تضليلهم

وخداعهم بأن ذلك لا يخالف الإسلام، فحملوا همّ تحقيق تلك المفاهيم والشعارات.

## الصف الثالث:

هم الذين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكان الغاية من خروجهم في تلك الاحتجاجات هو السعي

لتأمين لقمة العيش لأهله وولده، والعيش في رغد؛ حاله كحال جيرانه من الدول الغنية.

المتابع للشارع السياسي، والمشاهد لمسرح الأحداث، ليجد أن الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي

يفرض عليه القيام ولو بجهد يسير تجاه هذه الأمة المتخمة بالجراح، بكشف عور تلك العصابات الإجرامية

-شرعا وقانونا- ويسعى جاهداً في إيجاد حلولاً تكون عوناً في خروجها من هذا المأزق. ولا أدري هل

يدرك المجتمع المسلم أن معركته الحقيقية هي معركة إسلام وكفر، وإن كان المجتمع لم يدرك ذلك فعندها

يؤمننا أن نقول: أن أبناء الأمة ليسوا في مستوى التحدي القائم عليها من أعدائها. والخديعة التي وقعت

للأمة اليوم: هي الحقيقة المؤلمة التي لم تدرك الأمة من خلالها أنها تخدع، وتكمن في تغييب الشباب المسلم

من الغاية الصحيحة؛ التي يفرضها علينا ديننا الحنيف والتي مفادها: أن تحقيق النظام الإسلامي؛ بالرغم

من شموليته وكماله، أنه غير صالح أن يطبق في هذا العصر، وتنطلي هذه الخديعة بعدم قبول أن يصل

الإسلاميون إلى الحكم.

والحق أنه لن يقوم الحكم الحقيقي الذي به فلاح الشعوب بدون تحقيق النظام الشمولي الكامن في الإسلام الحق. ولذا كان لازم على المسلمين أن يتنبهوا إلى تضليل الغرب لهم، بغية حرفهم عن العقيدة الصحيحة التي ينبغي عليهم قصدها، وأن يعووا كيد الأعداء، الذي جاء متمماً لمقدمة كان بدأها ولا زال يمارسها بأيد المستأجرين من بني جلدتنا، ونسعى جميعاً لإبطال تلك المشاريع الاستعمارية بالوكالة، ونسير سيراً صادقاً صحيحاً نحو بناء حضارتنا الإسلامية الغائبة، أو الضائعة إن صح التعبير، ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أوائلها.

ولابد أن يستشعر شباب الأمة أنه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120]، قال الإمام القرطبي في التعليق على هذه الآية: " المعنى: ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم ما بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام، واتباعهم"<sup>1</sup>.

فنقول: مهما حاول الغرب أن يلعب بالمشاعر الإسلامية؛ من الإفطار الجماعي في شهر رمضان في البيت الأبيض، وغير ذلك من المدح في المسلمين الذي يقدمه رؤساء البيت الأبيض، أو حكام الغرب، فإن الأصل لدينا واضح تجاههم، كما أن نظرتهم لنا لا يمكن أن تتبدل البتة، إذ أنهم يرون في الإسلام العدو الأكبر الذي يهدد كياناتهم وامبراطورياتهم، ولهذا نجدهم يلصقون كل التهم بالإسلام مع التغيير في المسمى في بعض الأحيان، لئلا يجابهوا الإسلام مباشرة فقاموا بصناعة مسمى آخر وهو: (الإرهاب).

<sup>1</sup> القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (مرجع سابق)، ج2، ص93.

## المبحث الثاني: بعض القضايا الفكرية وأثرها على المجتمع والفرد المسلم

إن الناظر لمشهد الربيع العربي، يشعر أنه يرى حركة فوضوية، لجمهور بلا قيادة وبلا قائد وبلا عقل مدبر، ويشعر كذلك أن هذا مكن الكارثة، وهذا الذي جعل البعض يرى أنه (خريف عربي)! لما نتج عنه من إنعاش للفصائل المقاتلة هنا وهناك؛ في دول الربيع، والتي لا تزال تشهد صراعاً دموياً مستمراً، مما جعل كل طرف من أطراف النزاع يسعى للاستعانة بأطراف خارجية لحسم النزاع لصالحه، فمن جهة تتدخل التحالفات الدولية، ومن جهة أخرى المرتزقة، وكان هناك حضور فاعل لبعض الدول العربية التي سعت بكل الإمكانيات من وأد الحركات المنتسبة للإخوان المسلمين في مهدها.

وإنه مما توالى على الأمة من المصائب أن تنتعش بعض الأفكار والمعتقدات هنا وهناك، ممن يرى على ظاهرة السعي لخلاص الأمة مما هي فيه من النكبات والضعف، وتنحيتها تماماً عن السيادة الدولية، حتى أن الدول الغنية منها والتي تعدّ في مصافّ أغنياء دول العالم، لم نجد لها دائمة العضوية في مجلسهم الأمني؛ والذي في يسعى لأمن جميع المعتقدات والديانات بلا استثناء إلا الديانة الإسلامية، كذلك باستثناء بعض المعتقدات المحسوبة على الدين الإسلامي والإسلام منهم بريء؛ كالكاديانية والرافضة، ولهذا نجد أن انتعاش بعض الأفكار التي أصلاً لم تكن غائبة عن الساحة الإسلامية منذ ظهورها ولكن كما ذكرنا قد يعترها بعض الفتور في بعض الأوقات.

وإن من هذا الأفكار المنتعشة في زمن الربيع العربي هما فكران قد تجاوزا الحد في الوسطية لدرجة الغلو، ولكن كل منهما مناقض للآخر في غلوه، فأحدهما كان غلوه في إخراج أصحاب المعاصي من الإسلام على أي قدر كانت تلك المعصية، دون قيد أو شروط. والآخر كان غلوه في إهمال المعاصي على جميع درجاته وبأي قدر كانت، وإدخال مرتكبها في الإسلام دون ضابط أو قيد. وهما الفكر التوفيقية، والفكر التكفيرية.

## المطلب الأول: بين الخروج والتغيير:

عندما تغيب الإصلاحات ويصبح الفساد سيد الموقف، على كافة المستويات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فهذا يعني أن هناك إيقاظ للمارد، وسخط شعبي، ينتج عنه ما نتج من الثورات، والرفض التام لأي وعود تأتي بعد أن هاج البركان، وتكون نهايته الحتمية معروفة.

ولو عدنا بالذاكرة قليلاً نحو الأنظمة التي أزيلت، لوجدنا أنها كانت دائماً تقوم بدغدغة شعوبها بإجراء بعض الإصلاحات التي في الأصل لا ترتقي للمطلوب؛ غير أن الشعوب كانت قانعة بالقليل الذي لم تراه، ولن تشاهده من تلك الأنظمة! فنجد أن تلك الأنظمة دائماً ما تعُدُّ بالإصلاح السياسي، وتوسيع قاعدة المشاركة والتعددية، وتتبع بحماية الحرية، واحترام الرأي والراي الآخر، والسماح بحرية التعبير، ثم تتبدل تلك النباتات الخضراء إلى أشواك صحراوية، لا يستفيد منها أحد. فماذا يظن أرباب الحكم عندما ينعدم الأمل في الإصلاح، ويدب اليأس من تبديل الوضع الفاسد؟! أليس ذلك كافٍ لأن تنهض الشعوب، وتقوم بالثورات، وتطالب بإسقاط النظام.

وقد اتفقت الكثير من الأنظمة الجمهورية في العالم العربي، ومن ضمنها الأنظمة في دول الربيع العربي، على أنها وصلت إلى مرحلة انسداد الأفق بالنسبة لعملية الإصلاح؛ بحيث تحولت تشوهات الأنظمة القائمة إلى ثوابت وطنية يعاقب من يتجرأ على التفكير بالمطالبة بالتغيير؛ إن بني البشر يميلون إلى التغيير التدريجي لشئون حياتهم وليس إلى الثورات، إلا أن الأنظمة الاستبدادية التي تسد آفاق التغيير أمام الناس عن طريق الإقصاء، والقمع والانتهاك المتكرر للحقوق، لا تدع أمام الناس من حل آخر للإصلاح سوى حلول التغيير الجذرية المستوحاة من طريق الثورة.

وقد كان من المفترض أن نطلق على ثورات الربيع العربي ثورات التغيير الإصلاحية، لأن الإصلاح: "هو التغيير والتعديل نحو الأفضل لوضع شاذ أو سيء، ولا سيما في ممارسات وسلوكيات مؤسسات فاسدة أو متسلطة أو مجتمعات متخلفة أو إزالة ظلم أو تصحيح خطأ"<sup>1</sup>.

1 الزاملي، ماجد، ثورات الربيع العربي، الأسباب، الحوار المتمدن العدد: 4105، 2013 / 5 / 27، [HTTP://WWW.ALHEWAR.ORG](http://www.alhewar.org)

عندما قامت الثورات الربيعية كنت ممن يظن أن الأمة قد استفادت من غفلتها، وبعدها عن تحكيمها لشرع ربها، وأنها بدأت تبحث عن من يحكم فيهم بشرع الله، ليقوم فيهم العدل المفقود، ويحقق فيهم المساواة المطلوبة، فأخذت وأخذ غيري الكثير في المشاركة في إنجاز هذه الثورات رغبة في أن الناس تطالب بالشرع، وتحكيم كتاب الله الذي هو من أوجب الواجبات في الأرض، لكن للأسف ما هي إلا لحظات حتى تبين أن الناس قاموا فقط ليعثوا عن من يوفر لهم الرغيف والخبز، عن من يعينهم في إنقاص الأسعار، لا عن من يحقق لهم أمراً هو الأهم من ذلك؛ وهو أن يحكم فيهم بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ. وأرجو ألا يفهم من كلامي أن ما نادى به تلك الشعوب ليس بتلك الأهمية! بلى، إن ما قامت تنادي به تلك الشعوب يعد مطلباً مهماً، وضرورة من ضروريات الحياة، لكن كان المطمح أن ينادوا أولاً بتحكيم الشريعة، ثم يأتي تبعاً لذلك بقية المطالب المشروعة، ولو صلح أمر الآخرة، بلا شك سيصلح أمر الدنيا، لذلك عندما وُقِّمَتْ بعض من تلك الشعوب، بحاكم يتوسم فيه الصلاح، بل قد عانى من قسوة الظلم ما عانى منه قومه، وكان ساعياً بقدر ما أعطاه الله من امكانيات بالخروج ببلده من أزمات شتى، إذ بنا نجد أن تلك الشعوب لا تريد ذلك، ولا تقصد بثورتها على الحاكم، أنه لم يحكم فيهم بالشرع، وإنما هم يبحثون عن من يصلح لهم أمر دنياهم، حتى وإن كان ذلك على حساب دينهم.

ولهذا لا بد أن تعلم تلك الشعوب أن القضية الأهم؛ هي قضية تحكيم الشريعة الإسلامية، ولا بد أن تعي الأمة أن القضية التي ينبغي أن تشغل كل مسلم غير في هذه الساعات الحرجة من عمر الأمة الإسلامية؛ لا أقول بعد الربيع العربي فحسب، ولكن في كل زمان ومكان، هي الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإن غضب من هذا المطلب الشرق والغرب، وأن تُرجع الفضل لله في التخلص من الظلم والاستبداد وسقوط الظالمين والمفسدين، الذين كانوا أكبر حائل بين الأمة وتحكيمها شرع خالقها، وكل ذلك ملاحظ على تلك الأنظمة من الموالات الصريحة لأعداء الله من اليهود والنصارى، وتنفيذهم لمخططاتهم، وصددهم عن سبيل الله، والتضييق على الدعاة والمصلحين وزجهم في السجون، بل والدفاع عنهم ومحاربة من حث الناس على النهوض ضدهم ولو بالمقاطعات الاقتصادية لبعض منتجاتهم! فآن للأمة أن تعود إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، فليس الغريب أن تنادي الأمة بتحكيم الشريعة، وإنما الغريب أن تنادي بالفرع؛ من رغيف ومعاش، وتهمل الأصل وهو أن تُحكم بشرع الله.

فإذا كان هناك تطبيق للشريعة، فسيأتي العدل، وإذا جاء العدل سيأتي الرغيف والخبز والمأكل والمشرب والملبس والمعاش، والأغرب من ذلك والأقبح أن نرفض التحاكم إلى الشريعة، ونطالب بالقوانين الوضعية المستوردة من الغرب الكافر، حتى صارت هذه القوانين هي التي تحكم وتسود، وصار تنحية الشريعة سائد ومعتاد، أما من رضي بذلك أو طالب به أو اعتقد أن الشريعة الإسلامية لا تصلح لحكم البلاد والعباد، و أن غيرها من القوانين أفضل فهذا كفر مخرج من الملة والعباد بالله؛ كما أجمع على ذلك علماء الأمة من أهل السنة من السلف والخلف<sup>1</sup>.

قال الإمام محمد بن إبراهيم<sup>2</sup> -رحمة الله-: " إن من الكفر الأكبر المشين تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ؛ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، في الحكم بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين، وقد أشار إلى ذلك القرآن المبين قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: 65]. وقال الدكتور سفر: " وهذه حقيقة بدهية! لا يجوز أن يماري فيها أي مسلم، وانطلاقاً منها تأتي التفرجات، فكيف يجعل القانون الذي يضعه البشر بأهوائهم وشهواتهم، ويفترون على الله به الكذب، بمنزلة ما نزل به الروح الأمين - جبريل عليه السلام - على محمد ﷺ"<sup>3</sup>.

وأما الأكدوبة الكبرى التي كذبها (كرومر<sup>4</sup>) بقوله: " إن الإسلام يصلح عقيدة ولا يصلح شريعة " فإنها للأسف قد راجت على كثير من المتغربين فصاروا ينفرون من الشريعة، ويحاربون الدعاة إليها، ويشوهون صورهم؛ قال بن إبراهيم: " وابعاد الأمة عن شريعة ربها والحيلولة بينها وبين كتابها إنما هو كيد الكافرين؛ حتى يحولوا بين أسباب العزة والنصر والتمكين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: 10]، وقد عرف ذلك قادة الغرب، حيث أمسك رئيس وزراء بريطانيا بالمصحف

1 ينظر: القطان، مناع، وجوب تحكيم الشريعة، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1985م)، بن باز، ووجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، (السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، ط5، 1409هـ).

2 آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، رسالة في تحكيم القوانين والوضعية، (مكة، مطابع الثقافة، 1380 هـ).

3 الحوالي، سفر، شرح رسالة تحكيم القوانين الوضعية، (جدة، مكتبة الصحابة، ...)، ص7

4 اللورد كرومر، CROMER، دبلوماسي وإداري مستعمرات بريطاني، وكان من كبار دعاة التغريب في العالم الإسلامي وأحد الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار، وكتابات في تقاريره، ففي كتابه (مصر الحديثة) عمل خطة كاملة للقضاء على مقومات الفكر العربي الإسلامي، وتمزيق وحدة العالم الإسلامي، ومقاومة القيم والمفاهيم العربية والإسلامية، ولقد أمضى كرومر في مصر ما لا يقل عن ربع قرن قابضاً على زمام السلطات (1882-1906)، وقد عمل أول مرة في مصر مندوباً لصندوق الدين المصري 1877، ثم ما لبث أن عين بعد الاحتلال البريطاني مباشرة مندوباً سامياً، ومعتمداً لبريطانيا. ينظر، ويكيبيديا، [//AR.WIKIPEDIA.ORG](http://AR.WIKIPEDIA.ORG).

في يده، وأشار إليه وقال: "إننا لا نستطيع الاستقرار في الشرق مادام فيهم هذا الكتاب"، وقال الحاكم الفرنسي للجزائر إبان الأحتلال الفرنسي لها: "إننا لن نتصر على الجزائريين ماداموا يقرأون هذا القرآن، ويتكلمون العربية، فيحب أن يزول القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم". إذاً؛ لقد عرف أعداء الإسلام أن المسلمين إذا تمسكوا بكتاب ربهم، وتحاكموا إلى شريعته، وعملوا بدينهم لن تقف أمامهم جحافل الكفر عدد وعدة<sup>1</sup>.

ربما تكون الأمة ظاهراً قد تخلصت من الاحتلال العسكري، لكن المطلب الأهم؛ أن تتخلص وتتحرر من التبعية للغرب الكافر، وأن تمسك زمامها بيدها، وألا يُحدَدَ مصيرها في واشنطن أو لندن أو موسكو. فكما سقطت الخوف من الحكام بالثورات، لا بد أن يسقط الخوف من المتسلطين علينا خارجياً. وهنا يتضح الفرق في مسألة الخروج على الحاكم، ومسألة الثورات التي تقام من الشعوب لحلّ نظام فاسد، قام على أساس فاسد، غيّبت عنه الشرعية أو ، لأنه الأمة في غالبها لا تتمالأ على الباطل، والمعصية، ولهذا عندما قامت الثورات الربيعية؛ قامت جميع شعوب الدول العربية بل والإسلامية لمساندتها، فهل يمكن أن نقول أن كل هذه الأمة قامت على أمر محرم شرعاً، وأنها تواطأت على الباطل؟ هذا لا يقول به عاقل.

---

<sup>1</sup> المرجع السابق.

## الخروج على إمام المسلمين:

سنقف على عجالة عند مسألة الخروج على الحاكم، عند أهل السنة وعند الفريقين محل الدراسة، وبيان قول كل فريق فيها باختصار، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى بطون كتب الفقه؛ كون مسألة الخروج على الحاكم تعدّ من أشد المسائل التي ورثت الخلاف بين جماعة المسلمين، فهناك غلو محض في الطاعة بأي صورة كان الإمام من الجور والظلم، بل حتى عمل الكفر، أو الرضى به، وبين جافٍ يرى عدم الطاعة لأي معصية كانت، بل وقد يتكلف في إصاق المعصية بالحاكم لأدنى شبهة.

قال الإمام الجويني: "لا يصلح للإمامة إلا من تجتمع فيه شرائط: أحدها أن يكون قرشياً، فإن رسول الله ﷺ قال: (الأئمة من قريش)، والآخر أن يكون مجتهداً - من أهل الفتوى - . وأن يكون من ذا نجده وكفاية، ويهتدي لسياسة الأمور وإيالتها. وأن يكون حراً، ورعا في دينه".<sup>1</sup> ، وقال الإمام محمد الشافعي<sup>2</sup>: "الإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا؛ خلافة عن النبي ﷺ، ونصب الإمام واجب على الناس، وشرط الإمامة البلوغ، والعقل، والإسلام، والحرية، والذكورة، والعدالة. وزاد الجمهور الشجاعة، والاجتهاد في الأصول وإصابة الرأي وكونه قوًشياً. ولو لم تتوفر تلك الشروط جاز تنفيذ الأحكام ممن يوئى أو يتوئى بالتغلب وقوة الشوكة. ونتعقد الإمامة بالنص من رسول الله ﷺ، أو من الإمام السابق بالإجماع، وبيعة أهل الحل والعقد من الأمة قبل ظهور المخالفين. وقالت الزيدية تثبت بالدعوة أيضا بأن يقوم من هو أهل للإمامة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدعو الناس إلى اتباعه"<sup>3</sup>.

من المسلمات عند أهل السنة والجماعة، والتي لا خلاف فيها، هو الخروج على الحاكم إذا كفر، أما إذا جار أو فسق أو دعى إلى بدعة، فهنا محط الخلاف عندهم، وسيأتي بيان ذلك لاحقاً.

<sup>1</sup> الجويني أمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك، لمع الأدلة، ت: فوقية حسين، (بيروت، دار الكتب، ط2، 1965)، ص128.

<sup>2</sup> الشيخ محمد أبي عليان الشافعي من أفاضل علماء الأزهر الشريف رحمة الله تعالى عليه، (1936).

<sup>3</sup> فودة، سعيد، التحصيل في أصول الدين، مختصر خلاصة ما يرام من فن الكلام، للعلامة محمد الشافعي، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر،

ط1، 2009)، ص132.

إن مسألة الخروج على الحاكم من المسائل التي وقع فيها الخلل عند التيارات التي تتبنى العنف منهجاً، كونهم يرون وجوب الخروج على جميع الحكام في الدول الإسلامية المعاصرة، لما يرون من تنحية الشريعة، وللموالاة القائمة مع غير المسلمين ممن دأبوا على محاربة الإسلام والمسلمين، كأمریکا وأوروبا وروسيا، بالمقابل يرونهم يصبون وابل العداة للمصلحين والدعاة، والأعظم من ذلك هو أنهم فرضوا على شعوبهم فرضاً قهرياً. ولا شك في أن ذلك يعتبر مسوغاً لذلك الخروج؛ إذ أن الأدلة من عموم القرآن والسنة، تأمر بالأخذ على يد الظالم، وتنقية البلاد والعباد من شرورهم وفسادهم، أو يعتم العذاب على الساكت والراضي، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 25]، قال الألوسي: " أي لا تختص إصابتها لمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره والمراد بالفتنة الذنب وفسر بنحو إقرار المنكر والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد حسبما يقتضيه المعنى"<sup>1</sup>.

ولا يفهم من حديثي هو التأييد المطلق بالخروج لأي سبب كان، كما إنني لست من الذين يقولون بأن يُترك الحاكم على هواه يعبث بالشريعة، والأمة الإسلامية كيف شاء، بل أني أرى إلزام الحكام بتطبيق الشريعة، وأن في شريعتنا حل لكل المشاكل العالقة في أمتنا الإسلامية، بل والعالم أجمع، وهذا من أخص الخصوص في شريعتنا الغراء، إذ أن من أعظم ما يعبد الله به بعد أركان الإسلام هو الحكم بكتابه وسنة نبيه، بل هو في ترابط وتلازم مع كلمة التوحيد الخالدة، كون أن من نواقض هذه الكلمة هو الحكم بغير ما أنزل الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: 49]، قال السمعاني: " يَعْنِي أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ اللَّهِ، وَأَرَادُوا خِلَافَ حُكْمِ اللَّهِ، فَقَدْ طَلَبُوا حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ"<sup>2</sup>.

فالحذر كل الحذر من مشاهة بني إسرائيل، الذين ذمهم الله بقوله: ﴿أَفْتُونُوا بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ [البقرة: 85].

<sup>1</sup> الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ت: علي عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ)، ج5، ص180.

<sup>2</sup> السمعاني، أبو المظفر منصور محمد، تفسير القرآن، ت: باسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (الرياض، دار الوطن، ط1، 1997)، ج2، ص44.

إن المُشاهد على الدساتير القائم عليها الحكم في دول العالم الإسلامي، يرى أنها في منأى عن الشريعة، وبعيدة عن سبيل المؤمنين، ولا هم لهم في الإسلام إلا الاسم، ولا هم لهم في القرآن إلا أن يفتح به الاحتفالات الرسمية، وليس لهم في السنة إلا الادعاء. ولو جئنا نبحت في المخالفات الشرعية، بل والانحرافات الفكرية؛ في مسار الحكم في الدول الإسلامية، في مجالات شتى؛ كالسياسية، والقضاء، والاقتصاد، والتعليم، والإعلام، وما يتعلق بالعدل، وحقوق الإنسان، وغير ذلك، لما وسع بنا المقال.

كما أنه وبلا شك أن كل ذلك مما لا يجوز السكوت عنه، ويجب إيضاحه؛ من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ملاحظة الحكمة، والنصيحة والتي هي أحسن، قبل اللجوء إلى التصادم المسلح، والذي في حكم الكي عند نهاية المطاف.

قال الإمام الغزالي رحمه الله؛ بعد أن ذكر درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله: التعريف، وثانيه: والوعظ، وثالثه: التخشين في القول، ورابعه: المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة. والجائز مع السلاطين: التعريف، والوعظ، وأما المنع بالقهر فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر، وأما التخشين في القول، كقوله: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز، بل مندوب إليه، فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار، والتصريح بالإنكار، من غير مبالاة بهلاك المهجة، والتعرض لأنواع العذاب؛ لعلمهم بأن ذلك شهادة، قال رسول الله ﷺ: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على لك)<sup>1</sup>. وقال ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)<sup>2</sup>.

وتراه رحمه الله يحث على اقتفاء أثر من عرف عنهم الصدع بالحق وعدم الخوف في الله بقوله: "ولما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد، كما وردت به الأخبار، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك، ومحتملين أنواع العذاب،

<sup>1</sup> أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (4079)، وأخرجه الحاكم في المستدرک، رقم: (4884)، وقال صحيح ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (3675).

<sup>2</sup> أخرجه أبو داود، رقم: (4344)، والترمذي، رقم: (2174)، وابن ماجه، رقم: (4011)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، (238-239)، من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد، به. وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وصابرين عليه في ذات الله تعالى، ومحتسبين لما يبذلونه من من مهجهم عند الله،... كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قلة مبالاتهم بسطوة السلاطين؛ لكونهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم، ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية، أثر كلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها، وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء، فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم، فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان على كل حال<sup>1</sup>.

ويؤكد ذلك الشيخ يوسف القرضاوي بقوله: "ولكننا نخالف جماعات العنف في حمل السلاح، والخروج على الحكام بالقوة، بدعوى الواجب الديني، والفريضة الشرعية؛ لما ذكروا من أدلة واعتبارات تؤيد وجهة نظرهم، وبالمقابل فقد غفلت -جماعات العنف- عن أمر مهم، وهو أن الذي ذكروه من النصوص، يدخل في باب العموم والمطلق، التي خصصتها أو قيدها نصوص أخرى، جاءت تأمر بالصبر على مظالم الأمراء، وإن جاروا على حقوق الأفراد بأخذ المال، وضرب الظهر، ما لم يظهر منهم كفرا بواحا عندنا فيه من الله برهان؛ وما ذلك إلا للإبقاء على وحدة الأمة واستقرار الدولة، وحقن الدماء والأموال، والحشية من أن تفتح أبواب فتن لا تسد<sup>2</sup>."

وعند النظر إلى الأحاديث نجد أنها قد شددت على هذا الجانب، حتى لا يسارع الشباب المتحمس بالخروج على الحاكم الشرعي؛ لمجرد ورود بعض المخالفات الشرعية التي قد لا تكون من القطعيات في الدين. ولو جئنا نفتش في صفحات التاريخ على مر العصور الإسلامية؛ لو جدنا أن الخروج بقوة السلاح على الحكام في الغالب قد باءت بالفشل، ولم يحالفها النجاح، ولم تجني المجتمعات منها إلا سفك الدماء، وزعزعة الأمن، وتقلبات الفتن. وهناك خصوصيات في القرآن والسنة، تحث على الصبر على الحاكم الجائر، وحسبنا أن نلقي نظرة على البعض منها: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ حَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْئًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)<sup>3</sup>. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي: وإنه

<sup>1</sup> الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، (مرجع سابق)، ج2، ص357.

<sup>2</sup> القرضاوي، يوسف، الخلل في فقه الخروج على الحكام، موقع القرضاوي: 2007-12-24، WWW.AL-QARADAWI.NET.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، باب: قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أموراً تنكرونها): (7053)، ومسلم، باب الامر بلزوم الجماعة: (1849).

لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حَقَّهُم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم<sup>1</sup>.

وعن عوف بن مالك قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (خيار أئمتكم: الذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزِعَنَّ يدا من طاعة)<sup>2</sup>. وعن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة: في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله: إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان)<sup>3</sup>. وعن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: (من حمل علينا السلاح فليس منا)<sup>4</sup>. وعن حديث أنس: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، رأسه زببية: ما أقام فيكم كتاب الله تعالى)<sup>5</sup>.

كما أن في رواية (إلا أن تروا كفراً بواحاً)؛ دليل واضح لا يحتمل التأويل؛ يقتضي الخروج على من وقع في الكفر الصريح، قال الحافظ بن حجر: "قوله: عندكم من الله فيه برهان؛ أي نصّ آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل"<sup>6</sup>. وقال النووي: "المراد بالكفر هنا المعصية"<sup>7</sup>.

ومعنى كلامهما، أي: تروا منهم منكراً معلوماً من الدين بالضرورة، عندها يكون هناك مسوغاً للخروج عليهم، ولو سلمنا بقول النووي على إطلاقه، فإن كل الشعوب يجوز لهم الخروج على حكامهم لما يرون من المنكرات العظيمة والتي هي مخالفة للدين، وهذا الذي دفع أصحاب التيارات المسلحة ترفع

1 متفق عليه: أخرجه البخاري في الأنبياء (3455)، ومسلم في الإمارة (1842).

2 أخرجه مسلم في الإمارة (1855)، وأحمد في المسند (23981).

3 أخرجه البخاري، باب: قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أموراً تنكرونها)، (7056)، ومسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (1709).

4 أخرجه البخاري، رقم: (7070)، ومسلم، رقم: (98)، كلاهما في باب: قول الرسول ﷺ: (من حمل علينا السلاح).

5 أخرجه البخاري في الأحكام (7142)، وأحمد في المسند (12126)، وابن ماجه في الجهاد (2860).

6 العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، (مرجع سابق)، ج13، ص8.

7 النووي، محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، ج12، ص229. بتصرف.

السيف في وجه الظالم، إلا أن المنهج الوسط في ذلك هو عدم الخروج لأي مبرر، كما أنه لا يجوز السكوت على انتهاك محارم الله.

وقوله ﷺ: (مَنْ فارق الجماعة شبراً)<sup>1</sup>، قد بوب له الإمام البيهقي بقوله: "باب: الصبر على أذى يصيبه من جهة إمامه، وإنكار المنكر من أموره بقلبه، وترك الخروج عليه"<sup>2</sup>.

وقال ابن أبي جَمرة: المراد بالمفارقة: السعي في حلِّ عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكثرت عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حقِّ. وقوله: (فُوا ببيعة الأول فالأول): فيه دليل على أنه يجب على الرعية الوفاء ببيعة الإمام الأول ثم الأول، ولا يجوز المبايعة للإمام الآخر قبل موت الأول. وقال الشوكاني: كناية عن معصية السلطان ومحاربتة<sup>3</sup>.

قال الإمام النووي: "أجمع العلماء على وجوبها - طاعة الأمام - في غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية، نقل الإجماع القاضي عياض"<sup>4</sup>. ومحل النزاع في حال السلطان الفاسق، هل يبقى على حكمه، أم يعزل؟ وقد انعقد إجماع أهل السنة أنه لا يُخرج على السلطان الفاسق، ولا يجب عزله.

قال النووي: "أجمع أهل السنة أنه لا يُعزل الإمام بالفسق. وأما ما يذكر في بعض كتب الفقهاء من أصحابنا: أنه يتم عزله، وحكي هذا عن المعتزلة أيضاً، فهو غلط ممن قاله، قد خالف به الإجماع، - وعللوا - السبب في عدم عزله، وتحريم أن يخرج عليه: لما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين؛ ولهذا تكون المفسدة في عزله: أكثر منها في بقاءه. وقال القاضي عياض: أجمع العلماء أن الإمامة لا تنعقد لكافر، كما أجمعوا على أنه لو طرأ عليه الكفر: انعزل. وقالوا: كذلك لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها. وكذا عند الجمهور لو دعي إلى بدعة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، باب: قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أموراً تنكرونها)، رقم: (7054)، وأخرجه مسلم، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ونحوير الدعاء إلى الكفر، رقم: (1849).

<sup>2</sup> البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ت: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، (2003)، ج8، ص271.

<sup>3</sup> الشوكاني، محمد علي، نيل الأوطار، ت: عصام الدين الصبايطي، (مصر، دار الحديث، ط1413هـ)، ج7، ص202.

<sup>4</sup> النووي، أبو زكريا محي الدين، شرح مسلم، (مرجع سابق)، ج12، ص222.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ج12، ص229.

وقال بعض البصريين: تنعقد له وتستدام له؛ لأنه متأول. قال: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع، أو بدعة: خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه، وخلعه ونصب إمام عادل ما أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققت العجز: لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها، ويفرّ بدينه. ولا تنعقد لفاسق ابتداء، فلو طرأ عليه فسق، يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب<sup>1</sup>.

وقد احتج البعض بقيام الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على بني أمية، وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول، على الحجاج مع ابن الأشعث، وتأول هذا بقوله: (ألا ننازع الأمر أهله)<sup>2</sup>، في أئمة العدل. قال الإمام النووي: "وَحُجَّةُ الجمهور: أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق، بل لما غيّر من الشرع، وظاهر من الكفر، قال القاضي: وقيل: إن هذا الخلاف كان أولاً، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم"<sup>3</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر: "ونقل ابن التين عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور: أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم: وجب، وإلا، فالواجب: الصبر. وعن بعضهم: لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً، فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح: المنع إلا أن يكفر، فيجب الخروج عليه"<sup>4</sup>.

وقال أيضاً: "قد أجمع الفقهاء: على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك؛ بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها"<sup>5</sup>.

وهناك من العلماء من جاء بكلام حاسم فيما يتعلق بهذه المسألة، ولمع سنه في الإبانة عنها بما يغني عن الإطالة. وممن ذهب إلى وجوب الخروج الجائر: قال الجصاص في أحكام القرآن: "كان مذهب

<sup>1</sup> النووي، أبو زكريا محي الدين، شرح مسلم، (مرجع سابق)، ج12، ص222.  
<sup>2</sup> سبق تخريجه.

<sup>3</sup> النووي، أبو زكريا محي الدين، شرح مسلم، (مرجع سابق)، ج12، ص229.

<sup>4</sup> العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن باز، ج13، ص8.

<sup>5</sup> المرجع السابق، ج13، ص7.

أبي حنيفة مشهوراً في قتال الظلمة وأئمة الجور، ولذلك قال الأوزاعي: احتملنا أبا حنيفة على كل شيء حتى جاءنا بالسيف، يعني قتال الظلمة، فلم نحتمله، وكان من قوله: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض بالقول، فإن لم يؤتمر له فبالسيف على ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتل)<sup>1</sup>.

وقال ابن حزم: "والواجب إن وقع شيء من الجور وإن قل، أن يكلم الإمام في ذلك ويمنع منه، فإن امتنع وراجع الحق وأذعن للقود من البشرة أو من الاعضاء، ولإقامة حدّ الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه، وهو إمام كما كان، لا يحلّ خلعه. فإن امتنع من انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع، وجب خلعه واقامة غيره ممن يقوم بالحق، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع"<sup>2</sup>.

ومن خلال استعراضنا لما مضى تبين القول في مسألة الخروج على الحاكم عند أهل السنة، ومن ذكر الأدلة التي جاءت، وتعليق علماء الأمة عليها يتضح أنه لا يجوز مواجهة السلطان بالسيف، شريطة أن يقيم الصلاة، بل وفيه الحث بالصبر على إيذائه، وعدم المجاهرة بالإنكار عليه؛ طالما أنه لم يجاهر بمعصيته، كما أن فيه دليل بصد ذلك على من لم يقيم الصلاة بين المسلمين، فعندها يجوز بل يصل إلى الوجوب عند القدرة، برفع السيف في وجهه. وخلاصة القول بأن الخروج على الحاكم: يشترط فيه الكفر الصريح، إلى جانب القدرة والمنعة.

وفيما يلي سنذكر الكلام في المسألة عند الفرقتين محل الدراسة وهما (الخوارج والشيعة)، وسنكتفي في ذلك بما أورده الإمام أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين.

### ذكر الخروج على الحاكم عند الخوارج والشيعة:

الخوارج اسمهم يدل على حالهم مع الحاكم؛ لأن الأصل في تسميتهم هو الخروج على الحاكم، سواء كان بدء الحادثة التي كانت مع ذي الخويصرة، حال اعتراضه على النبي ﷺ، أو عند قتلهم لعثمان بن عفان رضي الله عنه، أو عند خروجهم على علي رضي الله وقاتلهم إياه، وعند تأسيس لأصولهم ومنهجهم مع نافع الأزرق، وقد جاء معنا بيان كل ذلك عند ذكر نشأة الخوارج، وجملة قولهم في الخروج على الحاكم

1 نقله عن: (الخصائص: أحكام القرآن 1 / 81).

2 نقله عن: (ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والاهواء والنحل: 4 / 175).

ما قاله الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: أما الخوارج: " يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف...، وأما السيف فإن الخوارج تقول به وتراه إلا أن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف ولكنه يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف " <sup>1</sup>.

أما الميمونية فيأثم يرون قتال السلطان خاصة ومن رضي بحكمه، فأما من أنكروه فلا يرون قتله إلا إذا أعان عليهم، أو طعن في دينهم، أو صار عوناً للسلطان أو دليلاً له <sup>2</sup>.

أما الشيعة، " أجمعت الروافض على إبطال الخروج، وإنكار السيف ولو قتلت، حتى يظهر لها الإمام، وحتى يأمرها بذلك. واعتلت في ذلك بأن النبي ﷺ قبل أن يأمره الله -عز وجل- بالقتال كان محرماً على أصحابه أن يقاتلوا. " <sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ص 109.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 89.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 63.

## المطلب الثاني: ظاهرة الغلو الفكري، والفكر التوفيقى.

### أولاً: ظاهرة الغلو الفكري

الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالحجة الواضحة التي لا تترك مجالاً للشك، وأثار به سبيل الحق، وترك أمته على ذلك، فلا يزيغ عن هديه إلا هالك. فكان ممن زاع عن هديه ﷺ ظهر على الأمة ظهوراً حاد به عن هدي النبي ﷺ؛ هم الخوارج، وهذا الخروج يعتبر أول البدع ظهوراً في الإسلام. ثم إن هذا الفكر لم يتوقف عن التداول في العصور المتتالية، فترى سلوك القتال، وآفة الخروج، منهجاً لأتباعه، وقد تجسد إشهار السيف وتكفير المخالف على تلك الفرق على مر العصور، فأصبح إطلاق التكفير سمة يتسم بها أتباع ذلك الفكر، وهذا هو حال أهل الغلو، ومن تنحى عن مسار السنة، تراه منغمساً في البدعة وهو يحسب أنه مهتد. ويكفرون من خالفهم، كالخوارج، والجهمية، والمعتزلة، ثم تنامى هذا الفكر، وتفشّت في عصرنا الحاضر، وقد جاء معنا الكلام على ذلك عند الكلام على جماعة التكفير والهجرة، وبيننا سبب انتهاجهم لهذا الفكر، وما هي الدافع لانتحاله؟

هذه الفكرة - كسائر الفكر - لا تُعدم أن تتعلق بدليلاً دأبوا على ليّ معناه - تحريفاً، وتأويلاً - ولذا لا تجد فرقة من فرق الضلال، بل ولا ترى أي ممن اختلفوا في أحكام الشريعة أصولية كانت أو فرعية؛ يعجز عن الإتيان بالاستدلالات من ظواهر الأدلة تعضد مذهبه حسب رأيه، ولقد رأينا وشاهدنا من أهل الفسق من يتلاعب بالنصوص، وينزل الأحكام المطهرة على هواه كي يستدل بها على فسقه<sup>1</sup>، وليعلم أولئك الواهنون أن ما يتعلقون به غير صالح لأن يستدلوا به على المسائل المثارة. قال ابن تيمية: "العلم شيان: (إما نقل مصدق، وإما بحث محقق)، وما سوى ذلك فهذيان. والمتأمل في كلام هؤلاء يرى أن الكثير منه؛ هو من قبيل الهذيان، ولا ترى فيه نقلاً، فالبعض منه مما لا يميز الصحيح فيه عن السقيم، ولا يعرف الصالح منه والفساد، والبعض قد ينقل ولكن لا يراد منه الوجه الذي نقل لأجله، والبعض منه يستدل به في غير موضعه"<sup>2</sup>.

وهؤلاء قد حرموا التوثيق والتحقيق لمقالاتهم، وفتحهم من الغوص في بحور العلم الكثير، وأن ما أدركوه في ساحله لا يغنيهم عنه، فاستغنوا بالقليل عن الكثير، وفي هذا المعنى يقول بعضهم: "أكثر ما يفسد

1 ينظر: الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق، ج3، ص56.

2 ينظر: ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، ت: عبد الله السهلي، (دار المنهاج للنشر، الرياض، ط1، 1426هـ) (2/729). بتصرف.

الدنيا: نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبّب ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الأبدان وهذا يفسد اللسان"<sup>1</sup>.

### الضوابط الشرعية للتكفير، والفهم الخاطئ للنصوص الشرعية:

إن المتتبع للتأصيلات التي يحاول أصحاب الفكر التكفيري طرحها على الساحة، والذي أدى بهم إلى الغلو في التكفير، يرى أن أهمها: هو فهم النصوص الشرعية؛ التي قامت عليها تلك التأصيلات فهما خاطئاً، مع الجهل بدلالاتها الصحيحة، فألزموا النصوص الشرعية ما لا تحمل، فنراهم يحتجون ببعض النصوص التي وصفت أصحاب المعاصي بالكفر، أو أخبرت باستحقاق أهلها الخلود في النار، أو نفت عنهم اسم الإيمان، فيلزمونها على أنها تشهد لهم بالكفر المخرج من الملة، فيقعون بهذا الفهم المغلوط في تكفير عموم المسلمين.

وقد جاء في سنة المصطفى ﷺ وصف لكثير من المعاصي بالكفر، ومن ذلك قول النبي ﷺ: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت)<sup>2</sup>، وقوله: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما<sup>3</sup>)، وقوله: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)<sup>4</sup>.

ومن خلال تعاطيهم لهذه الأدلة وما شابهها، نجد أن الجهل والفهم الخاطئ أدى بهؤلاء إلى تكفير أصحاب هذه المعاصي، كما قال الإمام الشوكاني؛ في ثنايا الكلام على حجة من يرى كفر أصحاب هذه المعاصي التي وردت في الأدلة: " قد ورد في السنة ما يدل على كفر من حلف بغير ملة الإسلام، وورد في السنة المطهرة ما يدل على كفر من كفر مسلماً، كما تقدم وورد في السنة المطهرة إطلاق الكفر على من فعل فعلاً يخالف الشرع كما في حديث: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)<sup>5</sup>،

1 ينظر: السقار، منقذ محمود، التكفير وضوابطه، (السعودية، رابطة العالم الإسلامي)، ص6. بتصرف

2 أخرجه مسلم، رقم: (67)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

3 أخرجه البخاري، رقم: (6103)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

4 أخرجه البخاري، رقم: (48، 6044، 7076)، ومسلم، رقم: (64)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

5 أخرجه البخاري، رقم: (573/3).

ونحو مما ورد مورده، وكل ذلك يفيد أن صدور شيء من هذه الأمور يوجب الكفر وإن لم يرد قائله أو فاعله الخروج من الإسلام إلى ملة الكفر"<sup>1</sup>.

وقد أجمّل الدكتور السقار الأصول التي بينها أهل العلم في فهم هذه النصوص؛ وهي كما يلي<sup>2</sup>:  
أولاً: كون ما ورد من النصوص في السنة قد جاء فيها إطلاق الكفر على البعض من أصحاب هذه المعاصي، لا يعني أن يقاس على ما جاء في القرآن الكريم في مثل هذه الإطلاقات، لأن من عادة القرآن إطلاق وصف الكفر؛ على أقبح الفعال من الكافرين، كما أنه يطلق وصف الإيمان؛ وصف الإيمان على أكمل المؤمنين صفات، ولهذا فوصفه بالكفر ليس بالضرورة أن يحتمل الكفر المخرج من الملة. وعلى ذلك قرر علماء السنة أن هناك فرق بين إطلاقات الكفر في القرآن، وغيرها التي جاءت في السنة، قال الإمام الشاطبي: "فكان القرآن آتياً بالغايات تنصيماً عليها، من حيث كان الحال والوقت يقتضي ذلك، ومنبهاً بها على ما هو دائر بين الطرفين، ...، فإنما أتى بهما في عبارات مطلقة تصدق على القليل يدل المساق على أن المراد أقصى المحمود أو المذموم في ذلك الإطلاق"<sup>3</sup>.

ثانياً: الأصل في النصوص هو إجراؤها على الظاهر، وهو الصحيح، لكن يحتمل في حقها التأويل، ويصير إليه في المنع للتعارض، كونه قرينة لأحد المعنيين؛ قال الإمام الشاطبي: "القاعدة في ذلك أن اللفظ يؤخذ على ظاهره ما لم تصرفه قرينة، فإن وجدت قرينة تدل على صرف لفظ الكفر في الحديث عن معناه الأصلي، وهو الكفر الأكبر، أمكن المصير إلى أنه كفر أصغر لثبوت إمكان ذلك في السنة"<sup>4</sup>.

ثالثاً: ما احتج به من يطلق الكفر على الذنوب عموماً من النصوص معارضة لمعناها الظاهر، حيث أنها تشهد للموحدين بالإيمان وإن اتوا بالمعاصي، ولا تخرجهم من الإيمان، بل تضعهم تحت المشيئة، فيما لو كفروا لاستحقوا النار، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]، فكل هذه المعاصي الواردة في السنة مدار الإشكال هي دون الشرك بالله، كما أنها تحت المشيئة، ويكون فاعلها ليس بكافر، وعلى ذلك فمعناها الظاهر؛ غير مراد. ولو كانت الأدلة الظاهرة لازمة على كل حال، لكان لزاماً أن ترجم أو تجلد المتعطرة؛

1 الشوكاني، محمد على، السيل الجرار، (دار ابن حزم، ط1) ص978. بتصرف

2 السقار، منقذ محمود، التكفير وضوابطه، (السعودية، رابطة العالم الإسلامي)، ص34. بتصرف

3 الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق، ج3، ص140.

4 المرجع نفسه.

التي استشرفت على الرجال كون النبي ﷺ قد وصف أنها زانية<sup>1</sup>. ومثل ذلك قول النبي ﷺ: (المستبآن شيطانان، يتهاثران، ويتكاذبان)<sup>2</sup>. ولا شك أنه لا يصح عقلاً ونقلاً اعتبار المتسابان من نسل إبليس، كون اللفظ الظاهر من الحديث يفهم كذلك. ومن ذلك أيضاً الأحاديث التي شهدت بالإسلام لمن نطق بشهادة التوحيد "لا إله إلا الله" مخلصاً من قلبه، ومن ذلك قول النبي ﷺ: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن سرق، وإن سرق؟ قال: وإن سرق، وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن سرق، وإن زنى، وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر)<sup>3</sup>، ومن ذلك قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)<sup>4</sup>، ومنه قوله: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)<sup>5</sup>، جميع هذه الأدلة تحمل على غير ظاهرها، وتنصرف في لفظها إلى الكفر - الأصغر - غير المخرج من الملة.

**رابعاً:** المراد من هذه النصوص هو التغليظ، كما صرفها العلماء؛ كونها من جنس أفعال الكفار، ولو أريد منها استحلال هذه الذنوب؛ فهو من الكفر الأكبر، وليس المراد مجرد ارتكابها. قال المباركفوري: "قول النبي ﷺ: (من أتى حائضاً أو امرأةً في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمدٍ)؛ ظاهر الحديث محمول على التشديد والتغليظ، وهو كما قال الترمذي، وقال البعض: إن كان المراد بالإتيان الاستحلال، عندها يكون الكفر محمول على الظاهر، وإن كان دونه فهو على كفران التعمية"<sup>6</sup>. وقال ابن القيم: "القصد؛ أن المعاصي جميعها من نوع الكفر الأصغر، وهي ضد الشكر، الذي يقصد به عمل الطاعة، لأن السعي إما شكر، وإما كفر، وإما لا من هذا ولا من هذا"<sup>7</sup>.

وأما عن حديث كفر من ادعى لغير أبيه<sup>8</sup> قال فيه النووي - رحمه الله -: "إن فيه تأويلان: أحدهما: أنه في حق المستحلّ."

**الثاني:** أنه كفر التعمية، والإحسان، وحقّ الله تعالى، وحقّ أبيه، وليس المراد به الكفر المخرج من الملة.

1 انظر: النسائي، (5126)، وأبي داود، رقم: (4173)، وصححه الألباني في صحيح النسائي، رقم: (4737).  
2 أخرجه أحمد في المسند (17029)، والبخاري في الأدب المفرد (439)، وابن حبان في صحيحه (5819) وصححه الألباني.  
3 أخرجه البخاري، رقم: (5827)، ومسلم، رقم: (94)، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.  
4 أخرجه البخاري، (7077، 7080)، ومسلم رقم: (65، 66)، من حديث جرير، وابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم.  
5 أخرجه البخاري، (48، 6044، 7076)، ومسلم، رقم: (64)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.  
6 المباركفوري، صفى الدين، تحفة الأحمدي، (بيروت، دار الكتب العلمية). ج 1، ص 355.  
7 الجوزية، ابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط 3، 1996)، ج 1، ص 337.  
8 أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم: (433)، وصححه الألباني.

الحاصل: أن الجهل بدلالة اللفظ الشرعية في الكفر أوقعت أولئك الغلاة في أنزال حكم الكفر على المسلمين؛ إذا وقعوا في بعض المعاصي التي أطلق الله على فاعلها الكفر، ومدارها على الكفر الأصغر، وعند جمع النصوص إلى بعضها فإن ذلك كفيلاً برفع شبهة المكفرين عن كل من أطلقت عليه الأدلة الشرعية كلمة الكفر، فالمفهوم الخاطيء لهذه الإطلاقات يجعل من نصوص الشرع تعارضاً وتناقضاً، والحق في النصوص الشرعية أن بعضها يصدق بعضها، والواجب حيال تلك النصوص أن يجمع بعضها إلى بعض، وأن يتم العمل بها جميعاً بمزيد من التبصرة في دلالاتها، وألفاظها، ومآل عباراتها.

كما يحتج من يذهب إلى القول بكفر أهل المعاصي، بمواضع عدة من آيات القرآن والتي قد صرحت بأن صاحب المعصية مستحق للنار، وأن الجنة حرام عليه، كما جاء في آيات المعصية لله ولرسوله أنها تُدخل النار، وتكتب لصاحبها الخلود فيها، كقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: 23]، وقول الله تعالى عن قاتل النفس المؤمنة: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: 93]، وكذا ما ذكر في السنة من حكم النبي ﷺ بالنار، أو تحريم الجنة، لبعض من أصحاب المعاصي، ومن ذلك قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)<sup>1</sup>. وكذا قوله ﷺ في مجموعة أحاديث: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم،... إلخ)<sup>2</sup>. والأمثلة من هذا النوع كثيرة في السنة، وقد أخطأ البعض الفهم، فأنزلوا الحكم بتحريم الجنة على أصحاب المعاصي، وأنهم سيخلدون في النار.

أما المنهج الذي يتبعه أهل السنة لفهم النصوص؛ فإنه يقوم على النظر فيها، وجمعها بمختلف طرقها؛ للخروج منها بالفهم السليم الذي يوفق مدلولها، وليس من منهجهم إهمال البعض منها بل يتم العمل بها جميعاً، يُعملها، لأن الأصل القائم عند أهل السنة تجاه النصوص أن بعضها يصدق بعضها، وعند النظر للمناهج القائمة لدى أهل البدع تجاه النصوص؛ فإننا نجد أنهم كثيراً ما يضرّبون بعضها بعض، وهذا هو السبب وراء تعطيل دلالاتها، لأن طريقتهم في التعامل معها هو أخذ ما وافق الهوى، وترك ما خالفه.

1 أخرجه مسلم، باب تحريم الجار، رقم: (46).

2 أخرجه البخاري، (2369، 7212، 7446)، ومسلم (106، 107).

بعض الن وعلى ذلك عند النظر في النصوص السالفة نجد أنه لا يمكن أن نحملها على إطلاقها، لورود صوص من جانب آخر تنص على الحكم بالجنة، وتحريم النار؛ لمن يشهد شهادة " أن لا إله إلا الله "، ومن ذلك قوله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ حرم الله عليه النار)<sup>1</sup>، ومنها قوله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)<sup>2</sup>، وغيرها على هذا الضرب كثير.

ومما يؤكد المنهج الذي بنى عليه أهل السنة أصولهم في جمع النصوص وفهما قول أبو سليمان الخطابي: "القرآن كله بمنزلة الكلمة الواحدة، وما تقدم نزوله وما تأخر في وجوب العمل به؛ سواء، ما لم يقع بين الأول والآخر منافاة، ولو جُمع بين قول الله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:48]، وبين قوله سبحانه: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ [النساء:93]، ثم ألحق به قوله عز وجل: ﴿لمن يشاء﴾، كل ذلك لم يكن متناقضاً، لأن شرط المشيئة قائم في الذنوب كلها، ما عدا الشرك، وقوله تعالى: ﴿فجزاؤه جهنم﴾؛ يحتل أيضاً أن يكون معناه: فجزاؤه جهنم إن جازاه الله ولم يعف عنه، فالآية الأولى خبر لا يقع فيه الخُلف، والآية الأخرى وعد يرجى فيه العفو"<sup>3</sup>. ويقول السقار: "ومنعاً للتعارض، فإن العلماء تأولوا النصوص القائمة على تحريم الجنة على العصاة بتأويلات، واستشهد بقول النووي في سياقه لشرح حديث تحريم الجنة على من يؤذي جيرانه: فقال فيه جوابان:

- 1) أنه يحمل على من يستحل الإيذاء؛ مع علمه بالتحريم، فهذا حكمه الكفر ولا يدخل الجنة أصلاً.
- 2) أنه لا يدخل الجنة وقتما تفتح أبوابها، بل يؤخر، ثم إلى الله أمره إما يجازيه، وإما يعفو عنه"<sup>4</sup>.

والحاصل في ذلك أنه يمكن القول: إن العصاة المتوعدون بجرمان الجنة؛ لا يدخلون الجنة ابتداءً، وأن الجنة حرام عليهم ابتداءً، لكنهم لا يحجبون بالكلية عنها. وفي مقابل ذلك فإن من يشهد الشهادتين ولم يجيء منه ما ينقضهما؛ فإن الله عز وجل يكتب له الأمان من التخليد في النار، لكن مع ذلك أيضاً

1 أخرجه مسلم باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة، رقم: (29).

2 أخرجه مسلم، رقم: (46)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

3 البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ت: عبد العلي حامد، (الرياض، مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي) ط1، ص278

4 السقار، منقذ محمود، التكفير وضوابطه، (السعودية، رابطة العالم الإسلامي)، ص34. والنووي، شرح صحيح مسلم، ج2، ص17.

نقول بأن أهل الكبائر ممكن دخولهم النار ابتداء، وذلك متعلق بأمر الله ومشيتة؛ إن شاء أدخلهم النار بعدله، وذلك قبل أن يدخلهم الجنة، وإن شاء عفا عنهم، وتجاوز عنهم برحمته.

وهذا هو المنهج الوسط الذي طالما قررناه لأهل السنة: بين غلو الوعيدية؛ من الخوارج الذين يحكمون على أهل المعاصي بالحرمان من الجنة، ويرون أن المعاصي تخرجهم من الدين، وتوجب لأصحابها الخلود في النار، وبين جفاء المرجئة الذين لا يرون أن المعصية لا تضر مع الإيمان، ولا تؤثر فيه ولا تقدرح، قال ابن تيمية عند كلامه على حديث؛ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر): "هذا متضمن كونه ليس من أهلها، ولا يستحقها، لكن إذا تاب، أو كانت معه من الحسنات الماحية لذلك الذنب، أو ابتلاه الله بمصائب تكفّر خطاياهم ونحو ذلك، زال إثم هذا الكبر؛ المانع له من الجنة، فيدخلها بإذن الله، أو قد يغفر الله له بفضلته ورحمته من ذلك الكبر، فلا يدخلها ومعه شيء من الكبر. ولهذا قال من قال في هذا الحديث وغيره: إن المنفي هو الدخول المطلق؛ الذي لا يكون معه عذاب، لا الدخول المقيد؛ الذي يحصل لمن دخل النار ثم دخل الجنة؛ فإذا تبين هذا كان معناه: أن من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ليس هو من أهل الجنة ولا يدخلها بلا عذاب، بل هو مستحق للعذاب لكبره، كما يستحقها غيره من أهل الكبائر، ولكن قد يعذب في النار ما شاء الله، ولا يخلد فيها لأنه من أهل التوحيد، وهذا كقوله: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)"<sup>1</sup>.

وبالنظر مرة أخرى فإننا نرى أن الجمع بين النصوص إلى بعضها البعض يتبين حقيقة معناها، وتزيل بها شبهة الالتباس عن بعض معانيها، لو تمعنا بالنظر في النصوص الشرعية لرأينا أن من حكم على بعض أصحاب المعاصي بالنار، والذي فتح لهم اب التوبة والرجاء، هو نفسه سبحانه وتعالى، وهو من وعد من تاب أن له الحسنى، وأن رحمته سبحانه قد تسبق غضبه على ذلك العبد؛ فيدخل في رحمته قبل أن يتوب، وقد تناله شفاعة الشافعين، وكرم وجود الرحمن الرحيم.

قال ابن حجر: في حديثه عن أصحاب الكبائر أنهم لا يخلدون في النار، وأن الكبائر لا تسلب منهم اسم الإيمان، وأن غير الموحد لا يدخل الجنة، "والحكمة في الاقتصار على الزنا والسرقاة الإشارة إلى حق الله تعالى وحق العباد، وكأن أبا ذر استحضر قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) لأن

1 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج7، ص678-679.

ظاهره معارض لظاهر هذا الخبر، لكن الجمع بينهما على قواعد أهل السنة، يحمل هذا على الإيمان الكامل، ويحمل حديث الباب على عدم التخليد في النار<sup>1</sup>. وقال النووي: "فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة"<sup>2</sup>. وقال القاسم بن سلام: "إن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً، ولا توجب كفراً، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم"<sup>3</sup>.

ومما يدل على صحة فهم أهل السنة: أن الله شرع الرجم للزاني، كما شرع له الجلد، ولو أن الزاني صار كافراً بذلك الفعل لوجب في حكمه الاستتابة ثم القتل، وقد علق ابن تيمية في ذلك على الخوارج بقوله: "يقال للخوارج: إن الذي نفى الإيمان، عن السارق، والزاني، وشارب الخمر، وغيرهم، هو نفسه لم يجعلهم مرتدين عن الإسلام، بل عاقب هذا بالجلد، وهذا بالقطع، ولم يقتل أحداً إلا الزاني المحصن، ولم يقتله قتل المرتد، فإن المرتد يقتل بالسيف بعد الاستتابة، وهذا يرمم بالحجارة بلا استتابة. فدل ذلك على أنه وإن نفى عنهم الإيمان، فليسوا عنده مرتدين عن الإسلام مع ظهور ذنوبهم، وليسوا كالمنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويطنون الكفر، فأولئك لم يعاقبهم إلا على ذنب ظاهر"<sup>4</sup>،<sup>5</sup>.

### مسألة: ذم التكفير:

التهور في إطلاق القول بكفر أحد من المسلمين وما إلى غير ذلك من الأحكام؛ المفضية إلى التصرف بنفسه وعرضه وماله، ليس بالأمر الهين، وهو بمكان كبير من الخطورة بمكان، إذ أن القرآن والسنة يحذران منه أشد التحذير، خاصة إن صدر من غير تثبت أو علم؛ وقد أجد ذلك سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]. وكذلك قد حذر النبي ﷺ من التكفير أشد التحذير؛ ومن ذلك قوله: (إذا

1 ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج3، ص 111.

2 النووي، شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج2، ص41.

3 سلام، القاسم، الإيمان، ت: الألباني، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2000م)، ص78.

4 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج، ص 298 7.

5 السقار، منقذ محمود، التكفير وضوابطه، مرجع سابق، ص41. بتصرف

قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما<sup>1</sup>، وقوله ﷺ: (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك)<sup>2</sup>.

قال ابن عبد البر في تعليقه على ذلك: "فقد باء القائل بذنب كبير، وإثم عظيم، واحتمل إثم أخيه بقول ذلك، وهذا هو غاية التحذير من القول هذا، والنهي من قول: يا كافر لأحد من أهل القبلة"<sup>3</sup>. وقال الإمام ابن دقيق العيد عند شرحه لهذا الحديث: "هذا وعيد عظيم لمن أطلق الكفر على أحداً من المسلمين؛ وهو وليس كذلك، وهي مشكلة كبيرة قد وقع فيها كثير من المتكلمين، ومن ينشبون إلى السنة. وأهل الحديث عندما اختلفوا في مفهوم بعض العقائد، غلطوا على مخالفيهم، وحكموا عليهم بالكفر"<sup>4</sup>.

والتكفير هو: استباحة حرمة الله من أعراض المسلمين، الذي أكد النبي، في حجة الوداع في خطبته المعصومة على حرمة، والتي قال فيها منبها للمسلمين من الوقوع في ذلك: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب)<sup>5</sup>.

ولهذا كان الحكم بكفر أحد من المسلمين من أشد الأمور التي تقدر في دينه وعرضه، وهو ما يهين لاستباحة الدم والمال. وفي ذلك يقول الإمام العز بن عبد السلام: "الأصل في المسلم؛ براءة ذمته من الحقوق، وبراءة جسده من القصاص والحدود والتعزيرات، وبراءته من الانتساب إلى شخص معين، ومن الأقوال كلها، والأفعال بأسرها"<sup>6</sup>. وفي ذلك أيضاً علق الإمام ابن الوزير بقوله: "وفي مجموع الأدلة ما يشهد للتغليظ في تكفير المؤمن، وإخراجه من الإسلام مع شهادته بالتوحيد، وقيامه بأركان الإسلام، وتجنبه للكبائر، وظهور أمارات صدقه؛ لأجل غلط في بدعة، لعل المكفر له لا يسلم من مثلها، أو قريب منها، فإن العصمة مرتفعة، وحسن ظن الإنسان بنفسه لا يستلزم السلامة من ذلك عقلاً ولا شرعاً، بل الغالب على أهل البدع شدة العجب بنفوسهم، والاستحسان لبدعتهم"<sup>7</sup>.

1 أخرجه البخاري، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم: (6103)، ومسلم، باب: حال من قال لأخيه يا كافر، رقم: (60).

2 أخرجه البخاري، باب: ما ينهى من السباب واللعن، رقم: (6045)، ومسلم، باب: حال من قال لأخيه يا كافر، رقم: (61).

3 ابن عبد البر، التمهيد، ت: مصطفى العلوي والبكري، (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ)، ج 17، ص 22. بتصرف.

4 ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، (مطبعة السنة المحمدية، ...)، ج 4، ص 76. بتصرف.

5 أخرجه البخاري، رقم: (67)، ومسلم، رقم: (1679).

6 ابن عبد السلام، عز الدين، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1991 م)، ج 2، ص 26.

7 ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، إثمار الحق على الخلق، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987 م)، ص 385.

ولخطورة التسرع في إطلاق التكفير وخطورته على المجتمع المسلم نجد أن الصحابة رضوان الله  
أجمعين، كانوا يمتنعون عن إطلاقه على أهل القبلة، بل ويمتنعون عن إنزال الفسق بأهل القبلة، روى الإمام  
ابن عبد البر، عن أبي سفيان قال: " قلت لجابر: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة: كافر؟ قال: لا.  
قلت: فمشارك؟ قال: معاذ الله! وفزع"<sup>1</sup>. وحين سئل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن  
أصحاب صفين وأصحاب الجمل: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا. فقيل: أمناقون؟ قال: لا،  
لأن المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً. قيل: له فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا<sup>2</sup>.

والورع في قضية التكفير الذي تميز به أصحاب النبي ﷺ، ذلك لأنهم رضي الله عنهم فقهوا مراد  
النبي ﷺ في التشديد على هذه القضية، وما يترتب على إطلاق الحكم به من خطر عظيم، ولما أتوا من  
الفقه والبصيرة، كون أن الحكم فيه لا بد أن يبنى على تأصيل شرعي لا يمكن الخوض فيه إلا من ذوي  
الاختصاص؛ المتبحرون في العلم بالأحكام الشرعية، ولا يصدر إلا عن أدلة الشرعية.

قال الإمام أبي حامد الغزالي: "الكفر: حكم شرعي، كالرق، والحرية؛ إذ معناه إباحة الدم، والحكم  
بالخلود في النار، ولا يدرك إلا بنص شرعي، وإما بقياس على منصوص"<sup>3</sup>. من كلامه رحمة تراه يؤصل  
لقاعدة أهل السنة في التعاطي مع ظاهرة الغلو الفكري، وقد سار على هذا النهج أيضاً الذي سبقه به  
العلماء الربانيين من أهل السنة، ممن تمسكوا بذات النهج. وقد حذروا من التعاطي مع الأدلة بالجهل  
والتهور النابع عن هوى وتشفي.

وقال الإمام ابن الوزير: " التكفير؛ سمعي محض، لا مدخل للعقل فيه"، وقال: "الدليل على الكفر  
والفسق؛ لا يكون إلا سمعياً قطعياً"<sup>4</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الكفر: حكم شرعي؛ متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل؛ قد  
يُعلم به صواب القول، وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل؛ يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس  
كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته"<sup>5</sup>.

1 أخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ج 17، ص 21، وروى نحوه القاسم أبو عبيد في الإيمان (47).

2 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن/ مرجع سابق، ج 16، ص 324.

3 الغزالي، أبو حامد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ت: حمود بيجو، (...، ط 1، 1992م)، ص 128. بتصرف.

4 ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم، ت: الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1994م)، ج 4، ص 178.

5 ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام بن سعود، ط 2، 1991م)، ج 1، ص 242.

ومما سبق من الكلام على ذم التكفير؛ ينبغي أن يراعي المسلم عدم التحدث في مسألة التكفير ولا غيرها من المسائل الشرعية، إلا عن فهم وعلم بالشرعية، وفقه ومعرفة بنصوصها، ولا يجوز الخوض فيها عن هوى، وبلا علم ولا برهان، لما يترتب عليها من إباحة للدماء، وقطع للموالاتة. كون التكفير؛ من الأحكام الشرعية التي تفضي كما ذكرنا إلى سفك الدماء، وإلى إباحة المال، والحكم بالخلود في النار.

كما أن حكم الكفر يعدّ تقرير لبعض الأمور الخطيرة، يقول ابن الوزير: "إن الحكم بتكفير المختلف في كفرهم؛ مفسدة بينة، تخالف الاحتياط، وذلك بإسقاط العبادات عنهم إذا تابوا، وإسقاط حقوق المخلوقين من أموال ودماء وغيرها، بل وإباحة فروج نسائهم إذا لم يتوبوا، وسفك دمائهم"<sup>1</sup>. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اعلم؛ أن مسائل التكفير، والتفسيق، هي من مسائل الأسماء والأحكام؛ التي تتعلق بالوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بالموالاتة والمعادات، والقتل والعصمة، وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرّم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان"<sup>2</sup>. والتكفير باب يستهويه الشيطان إنفاذاً لقسمه بقوله: ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَعْوِيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ونختم هذه المسألة بتنبه مهم: وهو أن لازم القول ليس بقول؛ فالحكم بكفر الناس بتأويل اعتقادهم وأقوالهم، وإلزامهم بقبحها وحسنها، مما يؤدي إلى الحكم بكفرهم، ويعدّ باباً خطيراً ينبغي ألا يفتح؛ لأنّ بفتحه استهانة بالأحكام الشرعية من جانب، واستهانة بدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم.

قال الإمام ابن حزم -رحمه الله تعالى-: "وأما من كَفَّرَ الناس بما تُؤوّل إليه أقوالهم فخطأ، لأنه كذب على الخصم، وتقويله ما لم يقل، وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط، والتناقض ليس كفراً، بل قد أحسن إذ فر من الكفر"<sup>3</sup>. وقال ابن تيمية: "ليس كل من تكلم بالكفر يكفر، حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره،... فلازم المذهب ليس بمذهب، إلا أن يستلزمه صاحب المذهب، فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظاً أو يثبتونها، بل ينفون معاني أو يثبتونها، ويكون ذلك مستلزماً لأمر هي كفر، وهم لا يعلمون بالملازمة، بل يتناقضون، وما أكثر تناقض الناس لا سيما في هذا الباب، وليس التناقض كفراً"<sup>4</sup>.

1 ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، إثمار الحق على الخلق، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م)، ص 405.

2 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 12، ص 468.

3 ابن حزم، الفصل في الأهواء والملل، ج 3، ص 294.

4 ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج 5، ص 306.

وقد وقع أصحاب البدع في هذا المزلق الخطير؛ وهو التكفير بلازم القول، حتى إنه أصبح يكفر بعضهم بعضاً، ويفسق بعضهم بعضاً، الذين يكفر بعضهم بعضاً، لذا استقبح العلماء التكفير بلازم القول، واعتبروا أن ذلك رقة في الدين، وضرباً من الجهل، يقول الإمام الشوكاني: "وقد علم كل من كان من الأعلام أن التكفير بالإلزام من أعظم مزالق الأقدام فمن أراد المخاطرة بدينه فعلى نفسه تجنى براقش"<sup>1</sup>

### ثانياً: ظاهرة الفكر التوفيقي:

نريد بهذا الفكر من يرى التوفيق بين الآراء المختلف عليها بين أهل السنة ومخالفهم، فتارة يأخذ رأي أهل السنة، وتارة يأخذ برأي المخالفين، سعياً للتوفيق بين الرأيين، فتجد أصحابه يضربون بالنص الصريح خلف ظهورهم، حاملين على عاتقهم التوفيق بين الآراء.

إن الإيمان بالله وبرسوله يلزم الأمة الإسلامية التمسك بمصدرها المعصوم؛ الذي مرَّ الله به عليها دون سائر الأمم، وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كما يلزم مجافاة التلقي من غيرهما فيما نص لديهما، لأنهما قطعين، لا مجال للأخذ عن غيرهما، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: (أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب النبي ﷺ وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني)<sup>2</sup>. فهذا هو الموقف الصريح من النبي ﷺ في التعامل مع الوحي المنسوخ، فكيف بالفكر البشري القاصر.

لذا نجد أن عمر رضي الله عنه قد فقه من النبي ﷺ واتخذ من ذلك الموقف درسا لن ينساه، فسار على الطريقة نفسها؛ فعندما فتحت بلاد فارس وجد فيها الكثير من الكتب، فبعث سعد إلى عمر -رضي الله عنهما- يسأله في شأنها ومدى استفادة المسلمين منها، فكتب إليه عمر: (أن اطرحوها في الماء، فإن يك ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه، وإن يكن ظلالة فقد كفانا الله! فطرحوها في الماء

1 الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار، (دار ابن حزم، ط1)، ص979.

2 أخرجه البيهقي، في شعب الإيمان، رقم: (5201)، واحمد في المسند، رقم: (15903، 18361)، وحسنه الألباني في الإرواء: (1589) وصحيح الجامع، رقم: (5308)، والسلسلة الصحيحة، رقم: (3207)، والمشكاة، رقم: (177).

أو في النار)<sup>1</sup>، وحسبك أن الله تعالى قال: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: 51]، فالتأمل في الآية يرى أنها نسفت النظريات والفلسفات المخالفة للوحي؛ ووصفت أصحابها ﴿ الْمُضِلِّينَ ﴾، وهم كذلك. وموقف أئمة الإسلام من كتب الفلسفة والمنطق؛ هو التصدي والحرق والمصادرة لها في عصور متعاقبة.

أما أصحاب الفكر التوفيقي الذي ابتليت به الأمة الإسلامية؛ فقد بدأ كان يسعى لموافقة منهج أهل السنة مع الفلاسفة، أما الفكر الحديث فإنه يسعى للجمع بين منهج أهل السنة وبين جميع المخالفين على اختلاف مذاهبهم ومللهم، وليس بغائب ما يسعون إليه من وحدة الأديان، والتوافق مع الشيعة.

يقول الإمام الغزالي بعد أن ذكر جملة من عقيدة أهل السنة والجماعة وترجمها على فهم أهل السنة: " اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، ...، وينبغي أن يجرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة؛ فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده، وما يفسده أكثر مما يصلحه، ...، فقس عقيدة أهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين، فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق، وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيوط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا"<sup>2</sup>.

وقال الحوالي: "إن من أخطر نتائج هذا المنهج -التوفيقي- أنه حطم وحدة التجمع الضخم الذي كان أهل السنة والجماعة يحظون به دون سائر الفرق؛ حيث كانت الفرق الأخرى -كالشيعة والمعتزلة- لا تمثل إلا مستنقعات جانبية على ضفتي تيار السنة الكبير، ولكن هذا المنهج جنى على ذلك جناية كبرى -لا سيما وكثير من رؤوسه ينتسبون للسنة ونصرتها- فانقسم الرأي وتفسخ الموقف، واستصغرت الأمة خطر ما يدعو إليه هؤلاء، استكبارها له نفسه حين كان دعائه هم أعداء السنة الصرحاء"<sup>3</sup>.

1 ابن خلدون، المقدمة، (دمشق، دار البلخي، ط1)، (ج1، ص 480).

2 الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، (مرجع سابق)، ص 111.

3 الحوالي، سفر، ظهور الفكر التوفيقي ونتائجه، من الموقع الرسمي للدكتور سفر الحوالي: [HTTP://WWW.ALHAWALI.COM](http://www.alhawali.com).

وقال أيضا: "ولهذا شهد الخط البياني لهذا المنهج تذبذباً شديداً، ثم انخياراً تاماً في النهاية إلى جانب الفلسفة، كما أن هذا المنهج -بحسب أفراده - يشهد تنقلات وتطورات عجيبة تلفت نظر كل دارس لأعلامه وأئمنته، فالواحد منهم يبتدئ معتزلياً، وينتهي سنياً صرفاً أو فلسفياً صرفاً، يتردد بينهما فيناقض في كتاب ما قاله في الآخر، وخيرهم من يرجع إلى مذهب السلف عند الاحتضار أو قبيله، ولهذا كانت أصولهم -المتفق عليها بينهم - عرضة لتفسيرات مختلفة (مثل معاني الصفات، والكلام النفسي، والكسب، و... إلخ). ولا شك أن لهذا تفسيره كظاهرة نفسية عامة في الاختلافات العقدية والسياسية وغيرها، وأياً كان هذا التفسير فإن حلول الوسط في خلاف بين حق محض صُراح، وباطل محض، هي بالبدهة ترجيح للباطل وهضم للحق، بل مجرد الخروج عن مصدر المعرفة المعصوم (الوحي) هو الضلال بعينه أياً كان المصدر الآخر، وعلى أي حال أصبح هذا المنهج واقعاً"<sup>1</sup>.

### حال الأمة قبل الظاهرة التوفيقية على منهجين متنافرين:

- 1) من تمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة النبي الأمين ﷺ، وتوافقوا على الأخذ بصريح العقل، يدعون إلى منهج الصراط المستقيم.
  - 2) الجهمية والقدرية والزنادقة والمتفلسفة، وهؤلاء هم رؤوس الضلالة، لأخذهم بمجذليات وفلسفات تنطعون في أخذها وترجمتها من أمم الضلال والشرك، ضربوا بكتاب الله لأجلها مما أدى إلى الخلط السقيم المودي لتحريف محكمه، وفهم مشابهه فهما سقيما.
- لقد ظهر هذا الفكر (التوفيقى) في ذروة المعتك والنزاع القائم بين أهل السنة والمتمثل في التيار السلفى بشتى أطرافه؛ الذي يقوم منهجه على التمسك بنصوص الوحيين النقلية، والذي تجمعهم خصومة شديد مع الطرف الآخر من أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى من أهل الأهواء والبدع، الذي قام منهجهم على الدلالات العقلية في جفاء تام للنصوص النقلية.
- وعندما رأى البعض هذا المعتك أرادوا أن يسلكوا طريقاً يكون على مقربة من الطرفين دون الميل لأحدهما، ويكون وسطاً بين الأطراف، فتمخض من ذلك المنهج؛ الفكر الموسوم بـ (التوفيقى). فعندها قرروا أن يأخذوا ببعض النصوص التأصيلية لأهل السنة، مع عدم الممانعة من الأخذ بطريقة أهل التأويل في بعض تلك النصوص كونهم كما زعموا أنها تخالف مدلول العقل صراحة!

1 المرجع السابق.

وكان بالمقابل أن أخذوا ببعض العقليات التي يقول بها الطرف الآخر ويدعو إليها، فتناولوا الأفكار الفلسفية اليونانية، وأخذوا عن البراهمة والصابئة، وتعلقوا بخرافات النصارى والمجوس، حتى أنهم أجروها مجرى التنزيل المقدس المعصوم، وجعلوا منها نداءً ومنافساً لهما! وبعثوا تلك الرمم الفكرية البالية لتشاطر هدى الله في عقول المسلمين وتقاسمه قلوبهم<sup>1</sup>. لقد تجلّى الفكر التوفيقي بوضوح في مسألة الإيمان، التي تعد من المسائل المهمة، وخاصة فيما يتعلق (بالعمل).

### ظهور أصحاب الفكر والتوفيقي والخلاف في مسألة (العمل) دائر بين طائفتين:

لما ظهر التوفيقيون، ودعوا إلى فكرهم التوفيقي، الذي أرادوا من خلاله الجمع بين المذاهب؛ بدأوا بالجهمية، فأخذوا عنهم أن محل الإيمان هو القلب وحده، وأن مجرد المعرفة توقع كامل الإيمان في القلب، ولا اعتبار لأي عمل حتى نطق الشاهدين، وغيرها من أركان الإسلام، وإنما جميع أعمال الإسلام والإيمان شروط ظاهرية؛ فقط لإجراء أحكام الإسلام الظاهرة لمن قالها.

وبالمقابل أخذوا من أهل السنة ما يتعلق بحكم الردة والمرتدين، وما يترتب على ذلك من ترك تلك الظواهر - كما زعموا - كلها أو بعض منها (أركان - واجبات)، وما يترتب على الفاعل من الوعيد. لذا نجد إن الواحد منهم حيناً تراه جهمياً في كتاباته وأطروحاته؛ لموافقته لمنهج الجهمية في طرحه، وتراه تارة أحد الفقهاء الجهابذة عندما يتحدث عن مسألة من مسائل الفقه؛ لما يورد من كلام أهل السنة، واختياراتهم الفقهية. ولذا نراه لا يخرجون عن طائفتين في هذه المقولة وهما:

**الأول:** المتمسكون بصريح النصوص القطعية من أن الإيمان قول وعمل، وبما أجمعت عليه القرون المفضلة.

**الثانية:** غلاة المرجئة، من الجهمية ومن شابههم: الذين لهم في الإيمان أقوال شاذة اتفق جمهور أهل السنة على شدوذه، ولم يعدّوه من الخلاف المعتبر، وهذا ما دفع بكثير من العلماء المعتبرين من أئمة أهل السنة بتنحيتهم من فرق المسلمين الاثني والسبعين، بل اعتبرهم أشد كفراً وضلالاً، ولا يقل ضررهم عن المجوس وعن اليهود والنصارى؛ وذلك لما ذهبوا إليه من مسائل تجرد الإيمان عن حقيقته، وتجعله في زاوية واحدة وهي المعرفة المجردة بالقلب؛ وعندها أصبح الإيمان لديهم: (أن من عرف الله بقلبه، فقد اكتمل إيمانه وتم، حتى إن لم يقيم بأي عمل).

1 وهذا هو الأصل الذي نشأت منه أكبر مشكلة منهجية يعاني منها هذا المنهج التركيبي، وهي ما أسموه (تعارض العقل وكيفية العمل عند ذلك)، وهو الذي هدمه شيخ الإسلام بكتابه: (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) وقد ذكر قانونهم؛ التعارض.

لا شك أن الدين هو ماجائنا في كتاب الله عز وجل وسنة المصطفى ﷺ، كما أنه ما خالف الوحيين فهو مردود على صاحبه، ومهما استحسنه الناس فهو قبيح.

وفي ظل إهمال المعرفة الشرعية المؤصلة، والتربية الإيمانية الحية، وغياب الرؤيا النقدية الصائبة؛ التي لديها القدرة على التمييز، والمحافظة على الهوية المستقلة، خاصة مع تواجد الكم الهائل من الضغوطات عبر الانفتاح العالمي الجديد، بات من الضروري أن تستقيم الموازنة في المواقف الشرعية؛ والتي أصبح من الصعب السيطرة عليها مع هذا الانفتاح، في مستنقع متباين الأطراف، يعجّ بالأفكار والتفافات والعقائد، بين ما هو سقيم وبين ما هو صحيح، عندها يجب على المرء أن يتمتع بالمعرفة ووالقدرة وسلامة الرؤيا. وهذا ما يؤكده النبي ﷺ لأصحابه في أحاديث الفتن. " إن جو الصراع الثقافي والديني الذي يسود المجتمع، والغلو والجفاء، والتوفيق بين المذاهب، والانغلاق والتقليد، هي من المبررات لظهور مثل هذه الأفكار، ولا شك أنه كلما اشتد الصراع، كثرت التناقضات والتحيزات.

ولهذا عند تحقيق الإيمان يجب فيه مطابقة دعوى المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهذه هي حقيقة المعرفة، كما يجب من تحقيق الاستسلام والانقياد لكل ما جاء في نصوص الوحيين من أوامر وزواجر، أما دعوى المعرفة مع ملازمة عمل الكفر، فلا شك أن تلك المعرفة ليست هي المعرفة الحقيقية المطلوبة التي تستلزم الإجلال لكتاب الله وتعالى / وسنة النبي ﷺ وعدم الاستخفاف بهما. يقول الدكتور سفر: " جعل بعض أهل العلم الاستسلام والانقياد الذي هو معنى الإسلام داخلا في معنى التصديق، وأطلق بعضهم اسم المترادف على الإسلام والإيمان. والأظهر أنهما متلازمان المفهوم، فلا يكون إيمان في الخارج شرعاً؛ بلا إسلام، ولا إسلام بلا إيمان. وأن التصديق قول للنفس غير المعرفة؛ لأن المفهوم منه لغة: نسبة الصدق إلى القائل؛ وهو فعل. والمعرفة من قبيل كيف المقابل لمقولة الفعل. فلزم خروج كل من الانقياد -الذي هو الإسلام- والمعرفة عن مفهوم التصديق وثبوت اعتبارهما شرعاً في الإيمان؛ إما على أنهما جزءان لمفهومه شرعاً أو شرطان لاعتباره شرعاً، وهو الأوجه"<sup>1</sup>.

كما يتضح عندهم أن هذا الإذعان ليس هو الإذعان المطلوب شرعاً؛ الامتثال من ترك المحذور، وفعل المأمور على ما جاء في نصوص الشرع، ومن ذلك حديث جبريل عليه السلام، عندما سأل النبي ﷺ: "والذي علق على آخره بقوله: (فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: نعم، وقال: فإذا فعلت ذلك فأنا

1 ينظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، (دار الكلمة، ط1، 1420 هـ) ج1، ص298.

مؤمن؟ قال: نعم"1، وعلى هذا: من يقول: بأنه من أهل الإسلام، أو يقول بكونه من أهل الإيمان، مع ترك العمل فقد حاد عن الفهم الحقيقي للحديث، وعانده"2.

ونرى اليوم أنه "ظهر دعاة استطاعوا أن ينتقلوا بالناس بالأفكار الدعوية والتربوية إلى مدارات جديدة ومختلفة، معتمدين على تقنيات حديثة، وأساليب مستحدثة، وانطلق أتباعهم نحو عمل اجتماعي شبابي لا يقول نحن اسلاميون، بل ينخرط فيه الجميع، متمسكون بالصلاة وغير متمسكين، ولم يجعلوا هدفهم التغير الكامل لهؤلاء الأفراد، ولكن دعوتهم قائمة فقط على أهداف بعينها؛ والتي في الغالب تتمركز في مفهوم التعاون مع الغير، في خواء تام لمفاهيم العبادات الأخرى، ومما يلاحظ على هؤلاء الأتباع وجود الهم للأسلام، لكن التعاطي والتعايش مع الحياة يظهر بشكل نمط الحياة الغربية، فهو جيل يأخذ ويتلقى ثقافته من الفضائيات ومواقع الانترنت، ويتمتع بقدر من المكانة الاجتماعية باعتبار الطبقة التي يعيش وينتمي إليها. يريد نشر الآراء التي تبناها، مستغلا الوسائل العصرية كالفصائيات والانترنت والصحافة والمجلات، وتتوفر له كافة وسائل الترفيه والمتعة، وليس لدى هذا الجيل إشكالية في التعايش مع المفهوم العلماني للدين! نظرا لمفهوم الإرجاء الشائع في أوساطه ولاختلاط المفاهيم في الأحكام الشرعية لديه، وهؤلاء في الغالب نتيجة فقهاء الرخص والتيسير والتسامح والتعايش مع الآخر، إلى آخر هذه الألفاظ"3.

والحق أن من أراد أن يقبل منه عمله أن يكون متمسك بما جاء عن النبي ﷺ، فهو سبيل النجاح والفلاح: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران 31-32]، كذلك يجعل لأهل العلم الموثوق بهم والذين من على نهج السلف الصالح مكانتهم وتقديرهم، ويتسم بسمتهم وهديتهم.

فهذا هو خلاصة القول في الفكر التوفيقي وبه نتوصل إلى نهاية هذه الدراسة، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، ومن كان فيها من زلل فمن نفسي والله ورسوله براء منه.

1 أخرجه الإمام أحمد في المسند: (5856)، وقال أحمد شاكر: أسناده صحيح، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد: (56/1)، (والطبراني: 13581).

2 ينظر: الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ج 1، ص 300، بتصرف.

3 الخضري، أنور، ظاهرة التدين الجديد، (جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط 1، 2008)، ص 16.

## الخلاصة:

وبعد أن وصلنا إلى نهاية هذا البحث المتواضع، والذي قد أبحرنا فيه بذكر بعض المسائل والقضايا، والتي بدأت بمسألة الإيمان والتي هي من المباحث المهمة التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة وبين المخالفين، وليتضح أن أهل السنة والجماعة هم الوسط بين الغلو والجفافة، ومن تدبر هذه المفاهيم، اتضح له ما فيها من الاشتباه والالتباس، وتبين له أن منهج أهل السنة والجماعة هو الجوهر الأصيل المستمد من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وهو الفهم الذي استنبطه أكابر النُّظَّار من العلماء والمحررين في هذه المسألة، التي حار فيها البعض، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

كما أننا المطايا بالكلام على مسألة الأفكار المنحرفة، وما يترتب عليها عند أهل السنة والجماعة، وأن الأصل فيها أنها غيبية، لا يتدخل العقل في استحداث مصدر لها، وإنما نتلقاها من مصدري التشريع، وهما القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وبمجرد أن يتدخل العقل في الاسترسال في الحكم على هذه المغيبات يكون بداية الضلال والتهيه عن الطريق المستقيم. وأن الخوض والبحث في هذه المسألة على غير طريق الوحيين؛ يعدّ من فضول العلم، إلا إذا حُشي من عدم المعرفة، أو أثيرت شبهة، أو أن يُعتقد في الله نقصاً، فعندها يجب التحقيق في ذلك والدفاع بالعلم والحجة، وهذا ما نراه اليوم واقعا.

وتعانق الكلام عند قضية الثورات الربيعية، والأسباب التي أدت لقيامها، وقد جاءت تلك الأسباب في محاور عدة، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو اجتماعي، وجاءت تحت كل محور من تلك المحاور عدة أسباب، كانت متشابهة في جميع دول الربيع العربي. وبيان أن الأهم في تلك الثورات هو استيقاظ الشعوب، ونفض غبار الذل والخوف من الأنظمة الدكتاتورية، وأنهم هم من يلعب الدور الأهم في تغيير الخارطة. ولكن الواقع الذي حلّ بالدول الربيعية بعد مضي سبع سنوات أضحى مؤلماً؛ لما حل بها من دمار وارتفاع نسبة البطالة، وزيادة الهجرة والفقر وغير ذلك من المآسين، غير أن كان لهذه الثورات بعض المحاسن والتي من أهمها المال الذي آلت إليه الأنظمة التي سقطت تحت تأثير الثورات، والتي تربعت عليه لعدة عقود، غير أنها لا زالت تحاول استعادة العرش البائد عن طريق أذنان تلك الأنظمة من الداخل والخارج، فتارة تخرج بوجه جديد تهدف من خلاله إلى إفشال تلك الثورات، بصناعة تحالفات ظاهرها فيه البراءة وباطنها فيه الإجرام والدمار، فنرى أن تلك الأنظمة قد صنعت تحالفاً مع جزء من ركائز الثورة، ممن يرفع شعار التسامح، في تناسٍ تام لما فعلته تلك الأنظمة؛ للقضاء على

الجزء الآخر منها. والبعض قد أساء إلى بلاده بعقد تحالفات مع جماعات أساءت للوطن والمواطن مثل التحالف الذي تم بين علي عبد الله صالح مع الجماعة الحوثية الراضية.

ورأينا جلياً أن الدول العظمى التي تدعي السلام والديمقراطية، ما هي إلا داعم للفساد، حارس للأنظمة الدكتاتورية، وأنها في المقام الأول والأخير تسعى للحفاظ على مصالحها تحت أي ستار كان، إلا أنها لم ترضى بالستار القائم على المنظومة الإسلامية، وما أدل على ذلك من تجاهلهم التام لما يقوم به الروافض في اليمن والعراق وسوريا. ولم يكن الغاية من ذلك هو القيام بإصدار الحكم حول مشروعيتها من عدمها، لأن هذا الموضوع قد نوقش كثيراً، ولكن الغاية هي عدم النظر إليها من جهة واحدة، بحيث نأخذ بأدلة وأقوال للعلماء من جهة، ونهمل أدلة وإجماع علماء من جهة أخرى، وأن أهل السنة وسط في ذلك بين حججة الإفراط، وحججة التفريط، فيما يتعلق بالخروج على الحاكم.

ثم خالطنا الشعور بضرورة الإشارة إلى بعض النتائج الغير متوقعة بعد هيجان الشارع العربي، وهو الهيمنة الإيرانية التي تسلطت على كثير من الدول الربيعية، مستغلة التباكي على آل البيت لكسب الدعم الشعبي الإسلامي، حتى إن الناظر ليرى أن إيران أصبحت هي المستفيد الحقيقي من تلكم الثورات، في ظل النزاع الحاد الجاثم على التيارات السنية، التي أتاحت المجال للمد الرافضي المجوسي، وما حال الحوثية بغائب عن أنظارنا. كما أشرت إلى حقيقة التيار الموسوم بداعش الذي يحمل فكر الخوارج في القتل والتكفير، والتنكيل بالمخالف.

وختاماً جاء الكلام عن الصراع والعقدي وسنة التدافع، ومدى التأمر الذي يعاني منه أهل الإسلام بوصم صبغة الإرهاب عليهم، وأنه قد أصبح لصيقاً بالمسلمين، مع التغاضي التام للحملات الإرهابية التي يقوم بها غير المسلمين تجاههم، أو حتى تجاه بعضهم البعض، مع الإشارة المهمة على حقيقة الإرهاب ومن هو الإرهابي؟ في ظل الحملة المشددة على الغلو والتطرف. ووقفت في الدراسة على مسألة التآمرات، وأوضح كيف يتم التعامل مع هذه المسألة، وأشرت إلى أن التوسع المبالغ فيه حول (نظرية المؤامرة)، وإلقاء الملامة عليها في كل شاردة وواردة تصاب بها الأمة المسلمة، يعدّ تهميشاً للواقع الذي تمر به الأمة من الداخل، وتعتبر رؤية أحادية مخالفة للتفكير الموضوعي، وتسطيحاً للأمر العلمية.

وجاء في عرض الدراسة الكلام عن قضية الخروج على الحاكم وما الذي يترتب على الحاكم تجاه رعيته، وما هي الصور التي يتم فيها الخروج على الحاكم عبر التاريخ؟ والنظر في قضية الخروج على الحاكم عند أهل السنة، والخوارج والزيدية.

وجاء الكلام في المبحث الأخير من الدراسة عن قضيتين مهمتين وهي قضية الفكر التكفيري والفكر التوفيقي، ومدى تأثيرهما على عقيدة المسلم، وكان التركيز على إنعاش الانحرافات الفكرية في الدول الربيعية، وبعض الأفكار التي استغلت واقعة الربيع العربي، فركبت على الطوفان، لتحقيق أهداف عقائدية؛ كان حالها قبل الربيع العربي خلف الكواليس، ولكن سرعان ما تأتي الفرصة المناسبة لأرباب تلك الأفكار فأظهروا ما كان مندرساً إلى الواقع، فظهرت هنا فرقة، وجماعة هناك، وفكر مارق بينهما، ولعل الأكثر إثارة من بين تلك الحركات والتنظيمات هي التي قامت في المناطق التي لا زال الربيع لم يقر ولم يسكن بسببها، وكان من أهمها هي ظاهرة الغلو والتطرف، وظاهرة التوفيق والتمبيع، وقد بينت ما يتعلق بهما من المسائل.

## وفي نهاية المطاف...

لا شك أن لكل بداية نهاية، وخير الكلام ما قل ودل، وخير العمل ما حسن آخره...

كاد الحبر أن يجفّ...، وشارف الورق على النفاذ...

وها هي سفينتنا تصل بنا إلى نهاية رحلتنا الجميلة، وقد تلاطمت بها الرياح لعامين متتابعين، لنصل

في نهاية المطاف بعون الله إلى مبتغانا...

وقد كانت رحلة ممزوجة بالجهد والمتعة، يغمرها الحرص بين إسراء العقل للارتقاء والمعرفة، ومعراج

الفكر للعتاء والبذل...

حملتُ فيها معي أسمى معاني الحب والإخاء، من أساتذة كرام، واخوة كالشموع أضاءوا لي الطريق؛

مشورة، وتوجيها، ونصيحة...

وفي نقطة الختام لا أقول إلا أن هذا هو جهد المقل ولا أدعي فيه الكمال، وكل عذري أني قد

بذلت قصارى جهدي فيه، وقد استعرضت فيه فكري، وحاورت فيه رأبي، وأحسب أني قد وفقت فيما

أدليت به، وتحسست التعبير عنه...

كما أتمنى أن أكون قد وفقت في دراستي، وأتيت فيها بكل ما هو مفيد من غير تطويل ممل، ولا

تقصير محل، ولعل من المناسب الاستشهاد بقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني: "إني رأيتُ أنه لا

يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو

قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على

جملة البشر<sup>1</sup>."

كما أذكر نفسي واخواني بقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، ولا شك أن هذا العمل هو جهد بشري قد يعتريه النقص،

والخطأ، فإن كنت أخطأت فلا يسعني إلا أن ألتمس المَعذرة من أساتذتي وقرائي، وإن كنت قد أصبت

وهذا ما أرجوه فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو حسبي وعليه اتكالي ومنه أستمد العون، وأطلب

التوفيق.

1 هذه المقولة اشتهرت عن العماد الأصفهاني، والصحيح أن قائلها هو القاضي الفاضل، قالها وهو يعتذر إلى العماد الأصفهاني عن كلام استدركه

عليه. ينظر: مصطفى الراقي، موقع الألوكة: [/HTTP://MAJLES.ALUKAH.NET/T62279](http://MAJLES.ALUKAH.NET/T62279)، 2010/7/29م.

## النتائج:

بيان حالة الربيع العربي، والأسباب التي أدت لاندلاعه، ومدى التحديات القائمة على التغيير.

- لا بد أن تعي الأمة أنه قبل أن تحرص على بناء دستور حديث، أن تحرص على بناء الشباب الصالح الذي يؤمن أن الإسلام دين شمولي متكامل صالح لكل زمان ومكان، وضرورة أن تعي الجماعات المنتسبة لأهل السنة، شمولية الإسلام واقعاً عملياً؛ وليس ادعاءً. لحصرهم الإسلام في زاوية واحدة كما يريدوا.
- استطاع شباب الثورات أن يجعلوا من هذه الثورات قضية أجبرت العالم كله إلى الالتفات إليها، ورأينا ما خلفته الثورات من رسالة بالغة الوضوح تحث الأنظمة العربية على المبادرة الفورية للإصلاحات.
- الطوائف المنحرفة من الخوارج العصريين (داعش)، والرافضة العصريين (الحوثية)، لم ترد لذلك المنهج الرائع الذي صاغه شباب الثورة من الانسجام بين جميع طبقات الشعوب، وجعلت تلك الثورات تسير بغير فوضوية. ولكن تلك التيارات المنحرفة أبت إلا الفوضوية.
- كل حر يريد التحرر من صنم الديكتاتورية، ولذا كانت تلك الثورات مطلب، ولهذا استطاعت الشعوب أن تكسر ذلك الصنم بإصرار وتمكنت من تغييره. ولذا كانت الأسباب متشابهة بين تلك الدول.
- الثورات العربية كانت ستنجح جميعها، ولكن الذي ساعد في مراوغتها؛ لعبة الأمم المتحدة التي وقفت عثرة في طريق التغيير. لكن الثورة كفكرة ومحو لأنظمة الاستبداد لم تفشل ومازالت مستمرة، وكإرادة تحول وبرنامج تغيير، فإنها بحاجة إلى مراجعة وتحليل، وتقييم متجرد؛ لتفادي الأخطاء. والذي يظن أن الثورات لم تحقق أهدافها، ينبغي عليه ألا يخلط بين (قيام الثورة، وقيام الدولة).
- هناك مسؤولية مشتركة (عربية وغربية) عن صنع (داعش) وغيرها من التنظيمات المتشددة، كأبرز صانعي العنف والإجرام والمتوحش، في اللحظة السياسية والتاريخية الراهنة. وتأتي المسؤولية بالدرجة الأولى على الحكومات التسلطية، التي تسببت إلى حد كبير في تفشي ظاهرة العنف في نفوس الشباب الغيور جراء الأعمال التعسفية والقمع التي تمارسها على الشباب المتدين لأدنى شبهة، والزج بهم في المعتقلات.

## دراسة في الكشف عن بعض التيارات المنحرفة فكرياً في العصر الحديث.

- حضر إلى ساحات الربيع العربي ائتلافات وأحزاب متشعبة كان الغالب على البعض منهم عدم الترابط والوثام، ولكن مع تداعيات الحدث تكونت تلك الائتلافات وترابطت. على اختلاف في المقاصد للوصول إلى السلطة عبر الطريقة التي تراها صواباً، مستغلة الأدلة الشرعية على تحريض الشعوب؛ والمطالبة بالخروج على الحكام، والعكس بالعكس. وأن ما يطلق عليه تجوزاً الإسلام السياسي يرى الوسيلة لمحاربة الفساد وإزاحة الحكام بالطرق الديمقراطية، أما التيارات الجهادية ترى أن تلك الوسائل غير مناسبة فسلخوا طريقاً مغايراً؛ برفع السلاح في سبيل تغيير الحكم. أما التيار الثالث فقد دافع عن الحكام واعتبر ذلك خروجاً، وأنه يخالف الشريعة، وعلى المسلمين السمع والطاعة، ووصفوا كلا الفريقين بخوارج العصر.
- التيارات المنحرفة فكرياً، تعتبر من الأمراض الخطيرة التي انتشرت وفتت في جسد الأمة الإسلامية، وعندما يهمل المرض ولم يعالج العلاج اللازم تكون النتيجة عكسية، ويتسبب في آثار يطول علاجها، وهذا ما كان واضحاً من تيار داعش والحوثية
- الربيع العربي قد لعب دوراً كبيراً في إنعاش تلك الأفكار المنحرفة التي لم تكن لتتمكن لولا أن الفرصة كانت مواتية لها مع الثورات. ولهذا ظلمت الثورات من أولئك الذين تسلقوا على أكتافها.
- ربط الجماعات الحديثة بماضيها كي يتسنى لمن لم يكن يدرك ذلك ممن انتسب لفرقة ما؛ معرفة الأصل الذي تحدرت منه تلك الفرق ف (داعش) هم من وافق الخوارج في العصر الحديث، وهو تنظيم مسلح كان في بداية أمره ينتهج الأفكار السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه؛ إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، كما يزعمون، لكنه واقعا نراه قد سفك الدماء واستباح الأموال، وغير ذلك من الممارسات التي تعتبر مخالفة لمقاصد الشريعة. و(الحوثية)، هم شيعة المعتقد والطريقة بلا نزاع، ورأينا بطلان دعواهم الزيدية، وإن ما نراه من الحوثيين في اليمن خير شاهد على انتماءهم إلى الرفضية، وذكر مدى الترابط بينها وبين دولة الكيان الفارسي الخوسي الشيعي (إيران).
- الأمة العربية لا زالت أضحوكة بين يدي أعدائها، ولا زال عدوها يتلاعب بما كيف شاء، فتارة بالتحريض بين المسلمين، وتارة بالشهوات واللهو، وتارة بالشبهات الفكرية. وأن الخلاف الطارئ على الأمة لا يخلو من حالات: إما بسبب شبهة طغت على نفس صاحبها. أو بسبب التأثر بأصحاب الديانات الفلسفية. أو بسبب أصحاب الهوى؛ الطامعين في الملك والزعامة.

## أثر التيارات المنحرفة فكرياً على الربيع العربي.

■ الأثر البالغ من التيارات المنحرفة على المجتمع الدولي، والذي كان لظهور تلك التيارات بمثابة إعطاء الضوء الأخضر للدول الكبرى لمحاربة الإسلام وهو ما أشرنا إليه بـ: (صراع الحضارات والأديان). وأن المشهد الأمريكي على المسرح الإسلامي: متضمن؛ استمرار المهازل. وأما سيناريو (الموت لأمريكا)، فهو ضحك بعض المسلمين؛ كون شعار الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل اقبعياً يثبت أمنناً وسلاماً لأمريكا وإسرائيل، وعداوة لأهل السنة.

■ أثر التيارات المنحرفة على المجتمع المسلم، والمتضمن في قضية الخروج على الحاكم، وكون مسألة الخروج على الحاكم تعدّ من أشد المسائل التي ورّثت الخلاف بين جماعة المسلمين، وبيان الفرق بين الخروج والتغيير. وأن للربيع العربي أثر في إنعاش الانحرافات الفكرية.

■ عرض موجز لفكر الغلو، الذي تناول في تكفير المجتمعات لمسائل يسوغ فيها الاجتهاد، فتراهم أصحاب هذا الفكر يكفر المجتمعات، ويحكمون على من خالفهم بالكفر والردة، ورميهم بالخيانة والعمالة للكفار، بالشُّبه، وبما ليس كفرًا أصلاً، كالتعامل مع الحكومات والأنظمة الأخرى واللقاء بمسؤوليها. كما يكفرون كل من يشارك في العمليات السياسية، والفكر المضاد لفكر الغلو هو الفكر التوفيقي، الذي أضع الدين؛ كونه يرى مصاهرة الآخرين ممن خالفوا الشرع، وموافقتهم فيما أرادوا مما قد علم من الدين بالضرورة، قد خاض العلماء فيه تحقيقاً وتصنيفاً. ولذا جاء كل واحد منهما نقيض للأخر، فالأول لا يقبل بأحد، ويشن العداوة للجميع، والثاني، يرى موافقة الجميع ولو على حساب الثوابت والأصول الشرعية، كلاهما مذموم، وقائم على فهم خاطئ للنصوص الشرعية.

## التوصيات:

### أولاً: ما يتعلق بالفرد المسلم.

- الحرص على مصدر التلقي، فيما يتعلق بأمور دينه، فلا ننعق بكل ما شرّعه الغرب، من قول هذا إرهابي، أو غير ذلك من الألفاظ التي انتشرت.
- هناك مسؤولية عظيمة على كل فرد من أفراد المسلمين؛ وهي الدب عن بيضة الإسلام، من كل فكر دخيل منحرف، بالتصدي له، وبيان خطره على المجتمع؛ لذا كان على كل فرد أن يدرك أن الدين ميراث سيد المرسلين، وهو أمانة في عنقه، فيحرص على هذه الميراث، وأداء الأمانة حق أداء.

### ثانياً: ما يتعلق بالمجتمع المسلم.

- إنشاء مراكز تعنى بالحوار الفكري، تتسم بالحيادية، ولا تتبع للجهات الأمنية.
- تفعيل دور رابطة علماء المسلمين تفعيلاً جاداً، بحيث تصبح سلطة تنفيذية، وصانعة قرار، وتكون بحق هي المرجعية الشرعية لجميع المسلمين. كما عليهم أن يسعوا لجمع كلمة المسلمين، لا لتفريقها تماشياً مع سياسات الدول. وأن يؤدوا المسؤولية التي عليهم لمرضات الله، لا ابتغاء مرضات السلطان.
- على ولاة أمر المسلمين أن يتعاملوا مع التيارات المنحرفة تعاملًا أنسانيًا، واحتوائهم قدر الإمكان، فهؤلاء الشباب هم كنز المستقبل للأمة الإسلامية، لا كما نسمع من بعض العلماء هداهم الله، من التحريض على القتل والحبس والتنكيل.

### ثالثاً: ما يتعلق بالمجتمع العالمي (الدولي).

- لا يصح التعامل مع الحوادث بميزانين، فما كان ضد المسلمين، أخذ صوتاً عالياً، وما كان على غير المسلمين يُعامل معه ببرود شديد، وكأن شيئاً لم يكن.
- إذا ليس لديه النية الصادقة للوقوف بجانب الشعوب المسلمة، فلا يكن عثرة في نهضتها وصلاحتها.
- على المجتمع الدولي أن يتعد عن المحاولات التي يقوم بها للنيل من الإسلام، والتي لا شك أن مآلها الفشل، لذا عليه أن يحاول التعامل مع المسلمين كأمة عظيمة لها كيانها.

وأخيراً أوصي بأن تستكمل هذه الرسالة؛ بتخصيص كل تيار، وعلاقته بفوضوية الثورات، وتغيير مسارها؛ بعد أن كادت ستكون أملاً للشعوب، كما أوصي بتخصيص دراسة مستقلة حول المهازل الدائرة على الأمة الإسلامية والتأمر عليها من قبل أعدائها. وتدعيم موضوع صراح الحضارات والعقائد.

## المراجع والمصادر:

القرآن الكريم.

- ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط10، 1997).
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1997).
- ابن الملقن، سرج الدين الشافعي، المعين على تفهم الأربعين، ت: دغش العجمي، (الكويت، مكتبة أهل الأثر، ط1، 2012).
- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم، ت: الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1994).
- ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، إثثار الحق على الخلق، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987).
- بن باز، ووجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، (السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، ط5، 1409هـ).
- ابن بطة، عبد الله بن محمد، الإبانة الكبرى، ت: رضا بن نعلان، (الرياض، دار الراجعية، للنشر، ط2، 1994).
- ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري، ت: عبد الله السهلي، (دار المنهاج للنشر، الرياض، ط1، 1426).
- ابن تيمية، الصارم المسلول، تحقيق محمد محي الدين، (السعودية، الحرس الوطني)، ج1، ص524.
- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام بن سعود، ط2، 1991).
- ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (المدينة، مجمع الملك فهد، ط1، 1995).
- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، 1986).
- ابن حبان محمد، صحيح ابن حبان، ت: الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1988).
- ابن خلدون، المقدمة، (دمشق، دار البلخي، ط1)، (ج1، ص480).
- ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، (مطبعة عالم الكتب، ط2، 1987).
- ابن عباد، صاحب، نصره مذاهب الزيدية، ت: ناجي حسن، (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1986).
- ابن عبد البر، التمهيد، ت: مصطفى العلوي والبكري، (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ).
- ابن عبد السلام، عز الدين، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1991).
- ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ت: التركي، (السعودية، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1997).
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد، السنن، (بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009).
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، الناشر: دار صادر، ط3، 1414هـ).
- ابو خصاص، محمد كريم، دراسة ترصد تشاؤم الأمريكيين من تحولات «الربيع العربي»، جريدة التجديد 24 أكتوبر 2012.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، ت: الأرنؤوط، (بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009).
- أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، (1996).
- أبو زيد، بكر، درء الفتنة عن أهل السنة، (الرياض، دار العاصمة، ط2، 1419هـ).
- أبو غضة، زكي السيد، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، (مصر، دار الوفاء، ط1، 1423هـ).
- أبو قتادة، عمر بن محمود، ثياب الخليفة، وقد كتبه في السجن [د.م.]، نخبة الفكر، (2014م).
- الأحمدي، عادل، الزهر والحجر؛ التمرد الشيعي في اليمن، (اليمن، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، ط1، 2006).
- أرسلان، شكيب، التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، ت: محمد عبده، (بيروت، دار ابن حزم، ط2، 1995).
- الازكوي، سرحان سعيد كتاب، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، (عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، 2013).

- الإسفرائيني، أبو المظفر طاهر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق، ت: الحوت، (لبنان، عالم الكتب، ط1، 1983).
- الإسفرائيني، أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977).
- الأسيوطي، شمس الدين، جواهر العقود، تحقيق: مسعد السعدني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996).
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، ت: فوية حسين محمود، (القاهرة، دار الأنصار، ط1، 1397).
- الأشعري، مقالات الإسلاميين، ت: نعيم زرزور، (لبنان، المكتبة العصرية، ط1، 2005).
- الأصبهاني، عبد الله بن محمد، أخلاق النبي وآدابه، ت: صالح الونيان، (السعودية، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط1، 1998).
- الأصفهاني، أبو نعيم أحمد، الإمامة والرد على الرافضة، ت: الفقيهي، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1994).
- الأكوع، إسماعيل بن علي، الزيدية، نشأتها ومعتقداتها، (صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط3، 2007).
- آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، رسالة في تحكيم القوانين والوضعية، (مكة، مطابع الثقافة، 1380 هـ).
- آل الشيخ، هيا، مكونات مفهوم الأمن الفكري وأصوله، (الرياض، جامعة الملك خالد، المؤتمر الوطني للأمن الفكري، 1430 هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1985).
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة: (الرياض، مكتبة المعارف للنشر، 1422 هـ-2002).
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع، (بيروت، المكتب الإسلامي).
- الألوسي، غاية الأماني، ت: آل زهوي، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 2001).
- الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ت: علي عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ).
- بارزي، تريتيا، حلف المصالح المشتركة؛ التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ت: أمين الأيوبي، (بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار البشائر، ط3، 1989).
- البدري، عبد الرزاق بن عبد المحسن، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، (الرياض، مكتبة دار القلم والكتاب، ط1، 1996).
- برادلي، جون آر، ما بعد الربيع العربي، ت: شيماء عبد الحكيم، (مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2013).
- برينتن، كرين، تشريح الثورة، ت: سمير الجلي، (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2009).
- البغدادي، أبو بكر أحمد الخطيب، المتفق والمفترق، (دمشق، دار القادري للطباعة والنشر، ط1، 1997).
- البهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ت: محمد عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003).
- البهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ت: عبد العلي حامد، (الرياض، مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي، ط1).
- التبريزي، محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح، ت: الالباني، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1985).
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، ت: أحمد شاكر (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1975).
- التفتازاني، مسعود عمر، شرح المقاصد، ت: عبد الرحمن عميرة، (بيروت، عالم الكتب، ط2، 1998).
- التونسي، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984).
- الجبوري، معزز، التفاعلات الدولية إزاء الأزمة السورية، (مجلة الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 5، مارس 2016).
- الجزار، عطاء عبد الغني، السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية، (رسالة ماجستير، تخصص الدبلوماسية والعلاقات الدولية، أكاديمية الإدارة والسياسة للدراسات العليا بالاشتراك مع جامعة الأقصى، 2015).
- جميل عطية، وصلاح عيسى، صك المؤامرة وعد بلفور 1917\_11\_2، (القاهرة، دار الفتى العربي، ط1، 1991).
- الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (السعودية، الندوة العالمية، ط4، 1420 هـ).

- الجوزية، ابن القيم، مدارج السالكين، تحقيق: محمد البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1996).
- الجويني أمام الحرمين، أبو المعالي لمع الأدلة، ت: فوقية حسين، (بيروت، دار الكتب، ط2، 1965).
- الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ت: محمد الكوثري، (القاهرة، المكتبة الأزهرية، 1992).
- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990).
- الحامدي، بشير، الحق في السلطة والثروة، قراءة في مسار ثورة الحرية والكرامة. (تونس، الحوار المتمدن، ط1، سبتمبر 2011).
- حرملي، جبران صالح، ثورات الربيع العربي، رؤية تحليلية في ضوء فروض نظرية الثورات، (الحوار المتمدن، ع: 4068-2013).
- حزب العمال التونسي، انتفاضة الخبز 3 جانفي 1984: الوقائع والاستباعات، (الحوار المتمدن-العدد: 832، 12/5/2004).
- حسن، فوزي، تطورات الأزمة اليمنية، مجلة أفق عربية، دورية محكمة (مصر، الهيئة العامة للاستعلامات، ع: 1، مارس، 2017).
- حسين، حامد بن محمد، فتح الله الحميد المجيد، تحقيق: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط1، 1996).
- الحمد، جواد، ندوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها"، (القاهرة، مركز الجزيرة للدراسات).
- الحنبلي، ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ت: شعيب الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط7، 2001).
- الحنبلي، ابن رجب، كشف الكربة في وصف أهل الغربية، ت: طلعت الحلواني، (الفاوق الحديثة، ط2، 2003).
- حنفي، حسن، الوحدة الثورية، (لندن، جريدة الزمان الدولية، عدد: 3848، 17 مارس 2011).
- الحوالي، سفر، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، رسالة دكتوراه، (القاهرة، دار الكلمة، ط1، 1999).
- الجزري، موفق، نظرة في الأزمة السورية وموقف الدول الكبرى منها، (مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الثامن، 2016).
- الخصري، أنور، ظاهرة التدين الجديد، (جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط1، 2008).
- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ت: عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417).
- الخطيب، أحمد معاذ، حالة الثورة السورية، قدمت هذه الورقة في ندوة "الإسلاميون والثورات العربية. تحديات الانتقال الديمقراطي وإعادة بناء الدولة" بالدوحة: (11 - 12) سبتمبر 2012، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 2012).
- الخطيب، معتز، "تنظيم الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعميقات الواقع، (قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 23 نوفمبر، 2014).
- الخلف، القاضي أبي يعلى، وكتابه مسائل الإيمان، ماجستير مقدمة ج الإسلامية بالمدينة، (الرياض، دار العاصمة، ط1، 1410هـ).
- خيس، كريم، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (القاهرة، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، 2014).
- الدارمي، محمد بن حبان، السنن، ت: حسين الداراني، (السعودية، دار المغني، ط1، 2000).
- الدارمي، محمد بن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، (بيروت، الكتب الثقافية، ط3، 1417هـ).
- الدمشقي، عبد الودود، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبدأوا أهلهم، (مصر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010).
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي النشار، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1402).
- رايدر، غاي، تكريس وتفعيل الحقوق في مرحلة التحولات: النتائج الإنمائية، (منظمة العفو الدولية، 2013/2/12).
- الكشبي، محمد بن عمر، رجال الكشبي، (بيروت، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط1، 2009).
- رحيمة، عزري، الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، (الجزائر، جامعة محمد خيضر، رسالة ماجستير قسم التاريخ، 2015).
- رضا، أحمد، معجم متن اللغة، "موسوعة لغوية حديثة"، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1958).
- رفعت، أحمد محمد، والبيطار، صالح بكر، الإرهاب الدولي، (باريس، مركز الدراسات العربي الأوروبي، ط1، 1998).
- رفعت، سعيد، إعصار التغيير، (م شتون عربية، فصلية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد، 145، ربيع 2011).
- روجر أوبن، الشباب في مواجهة المسنين، (الحياة، 10، آب، 2012).
- رينهارت بيتر، تكلمة المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمد النعيمي وجمال الخياط، (العراق، وزارة الثقافة، من 1979-2000).

- زايد، احمد، اركيولوجيا الثورة واعادة البعث للطبقة الوسطى، السياسة الدولية، (مصر، مؤسسة الاهرام، ع 42، ابريل 2011).
- زيد، على محمد، معتزلة اليمن، (بيروت، دار العودة، ط 1، 1981).
- الزين، حسن، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، مؤتمر أمريكا والعالم الإسلامي، المنعقد في الدوحة 10/2010/02. (بيروت، دار القلم، ط 1، 2013).
- السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ت: الطناحي والحلو، (السعودية، هجر للطباعة والنشر، ط 2، 1413هـ).
- سحاب، إلياس، ذاكرة مجزرة صبرا وشاتيلا، 1982، (بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 14، العدد: 55، 2003).
- السدحان، عبد الله بن ناصر، رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية، (الرياض، مكتبة العبيكان، 1417هـ).
- السقار، منقذ محمود، التكفير وضوابطه، (السعودية، رابطة العالم الإسلامي).
- السقاف، علوي، ومجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السننية DORAR.NET).
- سلام، القاسم، الإيمان، ت: الألباني، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، 2000).
- سليمان، سهام، الأزمة السورية في ظل تحولات التوازنات الإقليمية والدولية، (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر - غزة، عام 2015).
- السماك، محمد، الدين في القرار الأمريكي، (بيروت، دار النفائس، ط 1، 1424هـ).
- السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد، العلوم، ت: معوض وعبد الموجود، النوتي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1993).
- السمعاني، أبو المظفر منصور محمد، تفسير القرآن، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، (الرياض، دار الوطن، ط 1، 1997).
- سنغاس، ديبتر، الصدام داخل الحضارات، ت: علي مولد، (القاهرة، دار العين للنشر، ط 1، 2008).
- السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998).
- السيوطي، جلال الدين، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ت: الحويني، (الخبر، دار ابن عفان للنشر، ط 1، 1996).
- السيوطي، جلال الدين، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط 3، 1989).
- شارب، جين، من الدكتاتورية إلى الحرية، ترجمة: خالد عمر، (بوسطن، USA، ط 2، 2003).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، ت: مشهور آل سلمان، (القاهرة، دار ابن عفان، ط 1، 1997).
- الشاطبي، الأعتصام، ت: سعد آل حميد، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 1، 2008).
- الشجاع، عبد الرحمن، اليمن في صدر الإسلام، (دمشق، دار الفكر، ط 1، 1987).
- الشرحي، عادل مجاهد، الكتلة التاريخية لثورة الحرية والتغيير في اليمن من التشكل إلى التفكك، (ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط 1، 2013).
- الشريف، محمد موسى، جماعة الحوثيين، عقيدة فاسدة وتاريخ أسود، (موقع الدكتور محمد موسى الشريف، 31 JAN 2016).
- شليبي، علاء، الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، المؤتمر الدولي: الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي، (القاهرة، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ط 1، 2014).
- الشلهوب، فؤاد بن عبد العزيز، أصول الشيعة الامامية، (المكتبة العربية الكبرى، 1424).
- الشمري، صايف، رياح التغيير في العالم العربي؛ الثورة الليبية، (الكويت، مجلس الأمة، إدارة الدراسات والبحوث، أكتوبر/2012).
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أحمد فهيمي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1992).
- الشوكاني، محمد بن علي، السيل الجرار، (دار ابن حزم، ط 1).
- الشوكاني، محمد علي، نيل الأوطار، ت: عصام الدين الصبابطي، (مصر، دار الحديث، ط 1413هـ).

- الشيبياني، ابن أبي عاصم، السنة، ت: الألباني، (بيروت، المكتبة الإسلامية، ط1، 1400).
- الشيبياني، أحمد بن حنبل، أصول السنة، (الخرج، دار المنار، ط1، 1411هـ).
- الشيبياني، أحمد بن حنبل، المسند، ت: الأرنؤوط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001).
- الشيخ، عمرو، ومحمد النوي، حقيقة تنظيم الدولة داعش، (الجزائر، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط2، 2016).
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997).
- الصادق، علي، ماذا تعرف عن الحوثيين، (معلومات النشر غير معلومة تحسباً لأذى الحوثية، ط1، 2010).
- صحفيووا رويترز، الأمم المتحدة: عدد قتلى حرب اليمن 10 آلاف على الأقل، (رويترز، 30 آب أغسطس 2016).
- صحيفة الأهرام، القاهرة، عدد 5 ديسمبر 2001م.
- صحيفة الشرق الأوسط: حلقات من كتاب: (من بوعزيزي إلى داعش)، الاثنين - 02 فبراير 2015، العدد [13215].
- صديقي، العربي، الابن سرّ أبيه: "الجمهورية السُّلالية" .. (بيروت، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 25 نوفمبر 2009).
- صلاح، علي: لحظات حرجة في تاريخ اليمن، مقال منشور بموقع "مفكرة الإسلام" 14-8-2009.
- الصوفي، فيصل، من هم الحوثيون في اليمن: تقرير منشور بموقع "مايو نيو" بتاريخ 2 مارس سنة 2007.
- صيام، عماد، 25 يناير الثورة السلمية لشباب الطبقة الوسطى وتحديات المستقبل، نقلاً من دراسة: لربيع العربي، ثورة الخلاص من الاستبداد: دراسة حالات، (مصر، شرق الكتاب، ط1، 2012).
- طالب، أحسن مبارك، الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، (الرياض، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1426هـ).
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، (القاهرة، دار الحرمين ..).
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000).
- طحان، أحمد، عولمة الإرهاب، (بيروت، دار المعرفة، ط1، 2004).
- الطيب، مولود زيد، علم الاجتماع السياسي، (ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2007).
- الظاهري، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (القاهرة، مكتبة الخانجي ..).
- عامر، صلاح الدين، قانون التنظيم الدولي، النظرية العامة، (القاهرة، دار النهضة العربية، ط3، 1984م).
- عبد السلام، آية، أسباب قيام ثورات الربيع العربي، (برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، 28 نوفمبر، 2016).
- عبد الشافي، عصام، الثورات العربية، الأسباب والمسارات المآلات، نقلاً من الأمة واقع الإصلاح ومآلات التغيير، تقرير استراتيجي سنوي محكم، يصدر عن مجلة البيان، (الرياض، مجلة البيان، الإصدار التاسع، 1433هـ).
- عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، (الرياض، دار طيبة، ط1، 1984م).
- عتريسي، طلال، الثورات التي قد تغير وجه المنطقة، إصار التغيير، (مجلة شئون عربية، دورية تصدر عن الأمانة العامة للدول العربية، 145، أبريل 2011).
- العثيمين، محمد، شرح العقيدة الواسطية، ت: سعد الصميل، (السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط6، 1421 هـ).
- عزام، عبد الله، التآمر العالمي، (بيشاور، مركز الشهيد عزام الإعلامي، \*، ط1).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب، (المند مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ت: عبد الباقي والخطيب (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ).
- العشي، عبد الله، ثقافة العولمة بوصفها خطاباً متطرفاً (الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 2004).

- طوان، عبدالباري، الدولة الإسلامية؛ الجذور، التوحش، المستقبل، (بيروت، دار الساقي، ط1، 2015).
- العظيم آبادي، عون المعبود شرح أبي داود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415).
- علام، مصطفى، الثورات العربية، الأسباب والآلات، (لندن، مجلة البيان، تقرير (استراتيجي)، محكم يصدر سنويا، 9، 1433هـ).
- علق البخاري الجملة الأخيرة، وذكر الحافظ تحريجه كاملا. الفتح (48/1)، وهو في السنة لعبد الله ابن أحمد (98/1).
- علي بن الجحني، الانحراف الفكري ومسؤولية المجتمع، (أبها، جامعة الملك خالد، حولية كلية المعلمين، العدد 12، 1429هـ).
- عواجي، غالب، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، (مكة المكرمة، جامعة ام القرى، 1978).
- العواجي، غالب، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، (جدة، المكتبة العصرية، ط4، 2001).
- العودة، سلمان، أسئلة الثورة، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2012).
- عوض، طالب، الانتخابات الحرة وفقا للمعايير الدولية، المؤتمر الدولي: الديمقراطية والانتخابات في العالم العربي (دنيا الوطن، 2016/8/15)
- العيد، سليمان بن قاسم، وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، (الرياض، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 4، العدد 28، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ).
- عيسى، محمود، التنظيمات الإرهابية في الدول العربية وإجراءات مواجهتها، (م: آفاق عربية، الملف الأمني، ع، 1، مارس 2017).
- غ. ماكسيموف، الثورة المضادة والاتحاد السوفيتي، ت: مازن كم الماز، (مجلة الطليعة، المجلد 11، العدد 5، أكتوبر / نوفمبر، 1935) نقلا من قراءات نظرية، الثورات والسياسية - المفهوم والأبعاد، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، 17 أبريل 2016).
- غباري، محمد سلامة، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث؛ العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، (الإسكندرية، المكتب الجامعي، ط 2، 1989م).
- غباري، محمد سلامة، مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث؛ العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، (الإسكندرية، المكتب الجامعي، ط 2، 1989م).
- الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار ابن حزم، ط1، 2005).
- الغزالي، أبو حامد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ت: حمود بيجو، (...، ط1، 1992).
- الفارابي، أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1987).
- فريق الأزمات العربي، -مجموعة من الباحثين- الأزمة الليبية إلى أين؟ (الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، مارس / 2017).
- فهد، معن، الثورة السورية قصة البداية، (مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 22 / 07، 2014).
- فودة، سعيد، التحصيل في أصول الدين، مختصر خلاصة ما يرام من فن الكلام، للعلامة محمد الشافعي، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 2009).
- فودة، سعيد، الشعار في الاعتقاد، مختصر الاعتقاد للإمام البيهقي، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 2009).
- الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005).
- القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1996).
- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، ت: ديب مستو وأحمد السيد وبديوي ومحمود بزال، (دمشق، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط1، 1996).

- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ت: البردوني، وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964).
- القطان، مناع، وجوب تحكيم الشريعة، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1985م)،
- الفقاري، ناصر بن عبد الله، براءة الزيدية من الحوثية، مجلة البيان، العقيدة والشريعة؛ 6/10/2015، العدد: (337)
- الفقاري، ناصر بن عبد الله، مقال بعنوان من أهل السنة؟ مجلة البيان، العدد: (354)، 01/11/2016.
- الفقاري، ناصر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، من مقال بعنوان من أهل السنة؟ (مجلة البيان، العدد: 354).
- القليبي، سعيد، التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة السعودية، (جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2007هـ).
- كاتالينا مارتين، الثورة اليمنية، نقل الشهداء إلى المقبرة. من تقرير (اليمن: تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة /3 منظمة هود. ديسمبر 2011)؛ التقرير الذي أعدته الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان بالتعاون مع شركاؤها اليمينيون، مركز المعلومات والتأهيل، ومنتدى الشقائق العربي، والمنظمات الأعضاء في الشبكة اليمنية لحقوق الإنسان.
- كريم حسن، الربيع العربي، ثورات ضد الاستبداد، الشبكة العربية للدراسات الديمقراطية، (شرق الكتاب، ط1، 2013).
- كريم حسن، مقال: الربيع العربي وعملية الانتقال الى الديمقراطية، من كتاب الربيع العربي، ثورات الخلاص من الاستبداد، (الشبكة العربية لدراسة الديمقراطية، الطبعة العربية الأولى تموز 2)،
- كريمة، عدنان، صحيفة الحياة: (لندن، تاريخ النشر: الإثنين، 22 ديسمبر 2014).
- كسروي، أحمد، التشيع والشيعة، تحقيق: ناصر الفقاري وسلمان العودة، (لم يدون به الناشر، ط1، 1409 هـ - 1988
- كسنجر، هنري، النظام العالمي، ت: فاضل كتجر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2015) ص126.
- كلنتون، هيلاري، مذكرات. ترجمة، ميراي يونس، (بيروت، شركة المطبوعات، ط1، 2015).
- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ت: علي أكبر، (طهران، دار الكتب الإسلامية، ط4، 1365هـ).
- كوزموس، كاتالينا مارتين، الثورة اليمنية، تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة (الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان / مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، ط1، 2012).
- كيتشلي، نيل، كيف استخدم جنرالات مصر احتجاجات للقيام بانقلاب، (القاهرة، صحيفة العربي الجديد، 4 يوليو 2017).
- كيفن كونوللي، الربيع العربي: عشر نتائج غير متوقعة، (مراسل بي بي سي في الشرق الأوسط، القدس، 14 ديسمبر 2013).
- اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت: الغامدي، (الرياض، دار طيبة، ط8، 2003).
- اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية، رقم الفتوى: 2012 وتاريخ 14199/2/7هـ.
- اللجنة الدولية النقدية والمالية واللجنة الدولية المعنية بالتنمية، (واشنطن، أبريل، 2013).
- لوبون، غوستاف، روح الثورات، ترجمة: عادل زعيتير، (مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، ط3، 2013).
- الماتريدي، أبو منصور، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ت: مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005).
- مارك لينش، THE NEW ARAB WARS: UPRISINGS AND ANARCHY IN THE MIDDLE EAST، عرض
- رغدة البهي، (القاهرة، مؤسسة الأهرام، دورية متخصصة في الشؤون الدولية، 2016/12/18).
- المالكي، عبد الحفيظ بن عبد الله، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، أطروحة دكتوراه، الفلسفة في العلوم الأمنية، (الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006).

- الموارد، أبو الحسن علي، النكت والعيون، ت: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2007).
- المباركفوري، صفى الدين، تحفة الأحوذى، (بيروت، دار الكتب العلمية، لا يوجد تاريخ نشر)
- مترسكي، ألكندر، الحرب الأهلية في اليمن: صراع معقد وآفاق (الدوحة، م العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمبر، 2015).
- المجالي، نصر، هل كانت ثورة الخميني أمريكية، (لندن، وكالة إيلاف الإلكترونية، 03 يونيو 2016).
- مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية، (صنعاء-اليمن، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، 2008).
- محمد الزحيلي، الإسلام والشباب، (دمشق، دار القلم، ط1، 1414هـ).
- محمد، حامد، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، المؤلف، ت: بكر أبو زيد، (دار المؤيد، ط1 1417هـ).
- المحمود، محمود، توريث الحكم في بلاد المسلمين، (لبنان، مجلة الوعي، ع، 282-283، السنة 24، رجب وشعبان 1431هـ).
- المرتضى، أحمد بن يحيى، البحر الزخار، الجامع لمذاهب علماء الأمصار، (اليمن، دار الحكمة اليمنية، ط1، 1986).
- المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ت: إبراهيم، محمد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2007).
- معمر، علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، (مسقط، وزارة التراث والثقافة، ط3، 2000).
- معنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، (بيروت، منشورات الرضا، ط1، 2012).
- المقبلي، صالح بن مهدي، العلم الشامخ في إثار الحق على الأبناء والمشايخ، (مصر، ط1، 1328 هـ).
- مكي، يوسف، الربيع العربي: حضور الثورات وغياب الفلسفة، (ملتقى ابن خلدون للعلوم والفلسفة، 2012-03-23).
- المناعي شمسان، (ثورات الربيع العربي) الوجه الآخر لمشروع الشرق الأوسط، الثلاثاء 02 سبتمبر 2014 م، العدد [13062].
- المنذري، مختصر أبي داود، ت: حلاق، صبحي، (الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 2010).
- منصور، أحمد، توحش روسيا والنظام بعد القصف الأميركي، (صحيفة الوطن القطرية، 10، أبريل، 2017).
- منظمة العفو الدولية، تونس في خضم الثورة، (AMNESTY INTERNATIONAL LTD LONDON UK، ط1، 2011).
- موسى، إبراهيم محمد، خواطر تربوية، (صنعاء، دار الفكر المعاصر، للنشر والتوزيع، ط1، 2014).
- نخبة من الباحثين، باشراف عبد الوهاب بو حديبة، مختلف جوانب الثقافة العربية، الفرد والمجتمع في الإسلام، مطبوعات اليونسكو، (لبنان، درغام وأولاده، ط2، 2000).
- الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة في الأديان، (السعودية، دار الندوة العالمية، للطباعة والنشر، ط4، 1420هـ).
- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الصغرى، ت: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986).
- النعمانى، بسام عبد القادر، مائة عام على اتفاقية ساسي بيكو، (تونس، مركز جامعة الدول العربية، ط1، 2017).
- نعمة، أديب، الدولة الغنائمية والربيع العربي، (بيروت، دار الفارابي، ط1، 2014)، صحيفة الوطن، ع4807، 4 نوفمبر 2015.
- النووي، محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ).
- الهادي، يحيى بن الحسين، الأحكام في الحلال والحرام، ت: زيد المحطوري، (صنعاء، مكتبة بدر للطباعة، ط1، 2013).
- الهاشمي، هشام، عالم داعش من النشأة إلى إعلان الخلافة، (لندن، دار الحكمة، وبغداد، دار بابل، ط1، 2015).
- هالس، غريس، يد الله لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل، ت: السماك، (القاهرة، دار الشروق، 2000).
- هراس، محمد خليل، شرح العقيدة الواسطية، (الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط3، 1415 هـ).

الهرقي، محمد علي، مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر.. (الرياض، ج: محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 2004).  
الهماش، متعب بن شديد بن محمد، استراتيجية تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري،  
"المفاهيم والتحديات"، (الرياض، جامعة الملك سعود، 22 - 25 جماد الأول، 1430هـ).  
هنتنجنون، صامويل، "صدام الحضارات"، ت: الشايب، (نيويورك، نيويورك، سيمون & ششوستر، ط2، 1999).  
وحيد عبد المجيد، ثورة 25 يناير: قراءة أولى، (القاهرة: مركز الاهرام للنشر، 2011).  
الورجلاني، الدليل لأهل العقول، (المطبعة البارونية، 1887).  
ولد أباه، السيد، الثورات العربية الجديدة، المسار والمصير، (بيروت، جداول للنشر والتوزيع، ط1، 2011).  
اليوسي، الإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود، مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، تحقيق: د. حميد حماني،  
(الدار البيضاء، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، ط1، 2000).

FOR DISCUSSION OF CAUSES, SEE FOREIGN POLICY, REVOLUTION IN THE ARAB WORLD,  
.11 FEBRUARY 2011

### مواقع الشبكة العنكبوتية (الانترنت)

HTTP://WWW.DW.COM، المجتمع المدني، مفتاح نجاح الثورات، BENJAMIN R. BARBER UNI NEW YORK  
HTTP://ARABIC.CNN.COM. الثلاثاء، 19 أغسطس.  
HTTP://YEMEN-PRESS.COM/NEWS66195.HTML. الخميس، 21 يناير، 2016.  
HTTPS://ARABIC.CNN.COM/MIDDLEEAST/2015/06/05/ME-050615-MAQDISI-BAGDADI-  
ISIS#AUTOPLAY، نُشر يوم الجمعة، 05 يونيو/حزيران 2015.  
أبو الفضل، خالد، المصدر: أستراليا برووكاستينغ كورريشن (هيئة الإذاعة الأسترالية). 25 إبريل 2015،  
HTTP://WWW.NOONPOST.ORG/CONTENT/6398  
أحمد، فتحي، سياسة من لم يكن معنا فهو ضدنا، (فلسطين، مجلة دنيا الوطن، 28 أكتوبر 2009).  
HTTPS://PULPIT.ALWATANVOICE.COM  
أليسكو، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيان (الألكسو) بمناسبة اليوم العربي نحو الألفية 8 يناير 2017.  
HTTP://ALECSO.ORG/NEWSITE  
أمين، جلال، رد الاعتبار لنظرية المؤامرة، مدونة رحلة تفكير، 17/8/1434هـ، HTTP://WWW.REHLATTAFAKKOR.COM  
بشر، هاني، وعي الشعوب ووعي الأنظمة، مجلة عربي 21، HTTPS://ARABI21.COM، الأحد، 10 يونيو 2018  
تايلر، ليتا، اليمن، تحقيقات "مذبحة جمعة الكرامة" مخلة ومعيبة للغاية، (هيومن رايتس ووتش، سبتمبر 27، 2012)،  
HTTPS://WWW.HRW.ORG  
التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية 2016/2017، 22 شباط / فبراير 2017، WWW.AMNESTY.ORG  
التهامي، الولايات المتحدة والغرب مجاربون الإسلام لا الإرهاب، (الخميس 22 يناير، 2015)، عن موقع: HTTP://ELBADIL.COM  
التوبة، غازي، دور داعش وملالي إيران في تدمير الربيع العربي، 26/8/2015  
HTTP://WWW.ALJAZEERA.NET/KNOWLEDGEGATE/OPINIONS/2015/8/24  
ج. ج. لوريو، دليل الخليج، نقلا عن موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنوية DORAR.NET  
جميع، محمد، ثعابين اليمن، المكايذة، وصعود الحوثي، (الخليج الجديد، 15-06-2017)،  
HTTP://THENEWKHALIJ.ORG/AR/NODE/71387  
حجيري، محمد، الموت لأمریکا وشياطين أخرى، جريدة المدن الإلكترونية، الخميس 12/01/2017، ALMODON.COM  
الحليبي، فيصل بن سعود الانحراف وأسبابه، (خطبة جمعة 15/4/1425هـ) من موقع: HTTPS://SAAID.NET

الحمد، جواد، ندوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، ودور المراكز والمؤسسات البحثية في تشكل الشرق الأوسط الجديد، (مركز ستا التركي للدراسات والأبحاث، فرع القاهرة 2013/5/27)، ALJAZEERA.NET.

الحوالي، تخطيط أهداء الله للقضاء على الصحوة الإسلامية، الموقع الرسمي للدكتور سفر الحوالي: HTTP://WWW.ALHAWALI.COM.

الحوثي، حسين، ملزمة آيات من سورة المائدة، درس ١، ص ١٥. ألقاها بتاريخ: 13 / 1 / 2002، اليمن - صعدة، HTTP://WWW.AFLAKMOHAMMED.NET/?P=5028، 09 نوفمبر 2017.

حوى، أحمد سعيد، لقاء مع قناة حلب اليوم، 2017/04/12.

،HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/WATCH?V=K7LACGJUBT8

خالد محمد سعيد صبحي قاسم (وُلد يوم 27 يناير 1982 ومات يوم 6 يونيو 2010) شاب مصري من مدينة الإسكندرية، قتل بالضرب على يد أفراد من مخبري الشرطة المصرية. (قصة ثورة، HTTP://THAWRASTORY.COM)، 3 أغسطس، 2016.

الداودي، إبراهيم، دوة بعنوان "تقييم أداء الثورات العربية في عامها الثالث واستشراف مآلاتها، ودور المراكز والمؤسسات البحثية في تشكل الشرق الأوسط الجديد، (مركز ستا التركي للدراسات والأبحاث، فرع القاهرة 2013/5/27)، ALJAZEERA.NET.

الرميمة، أبو عمر، حقيقة شعار الموت لأمريكا الموت لإسرائيل، 28 سبتمبر 2013م: HTTP://ALBURHAN.COM.

الزامل، ماجد، ثورات الربيع العربي، الأسباب، الحوار المتمدن العدد: 4105، 27 / 5 / 2013، HTTP://WWW.ALHEWAR.ORG.

السلفي، عادل، جماعة الحوثي، (منديات كل السلفيين، 2012/10/14)، HTTP://WWW.KULALSALAFIYEN.COM/VB/SHOWTHREAD.PHP?T=42396

السيد النجار، الاقتصاد المصري ومعضلة الفقر في عهد مبارك، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2011/10/13) HTTP://STUDIES.ALJAZEERA.NET

شجاع، عادل، الحوثية المحمية من أمريكا، (أبابل، أنباء يمنية، 6 يونيو 2018). HTTPS://ABABIIL.NET.

الشيوخ، محمد، فلسفة ثورات الربيع العربي وأهدافها، مركز أفاق للدراسات والبحوث، 02/01/2013: AAFAQCENTER.COM.

صحيفة التحرير الإخبارية، 2016/06/29: HTTP://WWW.TAHRIRNEWS.COM.

صحيفة الرأي العام الإلكترونية: 2015 AUGUST 30: HTTP://WWW.RAIALYOUM.COM.

صحيفة غارديان البريطانية: الغرب لن يسمح للثورات العربية بالخروج عن سيطرته، / 2012/02/02، نقلا عن موقع: HTTP://WWW.AMMONNEWS.NET

صديقي، تونس: ثورة المواطنة "ثورة بلا رأس، 25 يوليو 2012، HTTP://WWW.DOHA.INSTITUTE.ORG.

طه، أحمد، ألف باء ثورة: هكذا تنجح الثورات في تحقيق أهدافها، 4 صفر 1438 هـ، HTTPS://TIPYAN.COM.

العدد 9522 الثلاثاء 5 مايو 2015 الموافق 16 رجب 1436 دولي الأيام، HTTP://WWW.ALAYAM.COM.

العقل، ناصر، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET.

علي، عبد الرحمن، حرب على الإرهاب أم قمع للحريات، (الإشترافي، إعلام من أجل الثورة، 20 سبتمبر 2013). HTTP://REVSOC.ME/POLITICS/HRB

العماني، فاضل، الأسباب العشرة للربيع العربي، 2 / 2 / 2014م، العدد 16932، HTTP://WWW.ALRIYADH.COM.

الفلسطيني، أبو قتادة، حكم إعاقة التحالف الدولي على قتال داعش والتنسيق معه، 10، 06، 2016، HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/WATCH?V=ON4BSXRIZRK

الكسجي، عبد الله، الكشف عن خيوط المؤامرة الكبرى للقضاء على الإسلام: HTTPS://DAWATALTAJDEED.WORDPRESS.COM.

لفلي سمايل، الثورة اليمنية، HTTP://WWW.LOVELY0SMILE.COM، تاريخ الإضافة، 2-7-1432 هـ.

لقاء مع قناة حلب اليوم، HTTPS://WWW.YOUTUBE.COM/WATCH?V=F-8YTTSGCKE، 2015/03/03،

مجموعة من الباحثين، اشراف علوي السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، (موقع: الدرر السنينة DORAR.NET)،

محمد، أحمد، مقال: الثورات العربية في سياق الربيع العربي والديمقراطية، 09 مايو 2015، HTTP://WWW.JADALIYYA.COM/.

المحمود، محمد، الفساد وضعف الوازع الديني، صحيفة الرياض السعودية، 17 نوفمبر 2016، WWW.ALRIYADH.COM.

ملكاوي، معاذ، أمريكا وإيران أعداء من ورق، حلفاء على الأرض، (قطر، مدونات الجزيرة، 2017/5/24).

[HTTP://BLOGS.ALJAZEERA.NET](http://blogs.aljazeera.net)

نصار، أحمد محي الدين، أسباب ضعف الوازع الديني، الإثنين 15 تشرين أول 2012م. SAIDACITY.NET، WWW.

نعوم، سركيس، مقال بعنوان: عوامل أربعة تُنجح الثورات أو تُفشلها، 8 كانون الثاني 2014،

[HTTPS://NEWSPAPER.ANNAHAR.COM](https://newspaper.annahar.com)

هويدي، فهمي، ليست نهاية الربيع العربي، ضمن مقالات ينشرها موقع CNN بالعربية بالتعاون مع صحيفة الشروق المصرية، 02 ديسمبر 2014.

[HTTPS://ARABIC.CNN.COM](https://arabic.cnn.com)

الوائي، ولطفة مملول، البطالة في الوطن العربي، (المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية، 15 يناير 2012 HRDISCUSSION.COM،

وثائق ويكيبيديا، موقع: [HTTPS://AR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI](https://ar.wikipedia.org/wiki)

محجي، ناصر، مواقف زيدية ضد الحوثيين، 1 أبريل 2013م، [HTTP://ALMASDARONLINE.COM/ARTICLE/43630](http://almasdaronline.com/article/43630)

العقل، ناصر، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، [HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET](http://www.islamweb.net).

حمدي، سمير، الثورات العربية، التعثر لا يعني الفشل، (العربي الجديد، 19 نوفمبر 2014)، [WWW.ALARABY.CO.UK](http://www.alaraby.co.uk).

الحليبي، فيصل بن سعود الانحراف وأسبابه، (خطبة جمعة 15/4/1425هـ) من موقع: [HTTPS.WWW.SAAID.NET](https://www.saaaid.net)

الحوالي، سفر، ظهور الفكر التوفيقي وتناحجه، من الموقع الرسمي للدكتور سفر الحوالي: [HTTP://WWW.ALHAWALI.COM](http://www.alhawali.com).

العقل، ناصر، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، [HTTP://WWW.ISLAMWEB.NET](http://www.islamweb.net)

هيئة كبار العلماء السعودية، داعش دسياسة على الإسلام صنعتها أيد خفية، (الرياض، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، 15 ذو الحجة 1436 هـ

الموافق 29 سبتمبر 2015). واس: [HTTP://WWW.WAS.SA/1403388](http://www.was.sa/1403388)

شرف الدين، يوزورجمهر، لماذا تخلت إيران عن المالكي في النهاية، موقع بي بي سي العربي، 13 أغسطس 2014،

[HTTP://WWW.BBC.CO.UK/ARABIC/MIDDLEEAST/2014/08/140813\\_IRAN\\_LET\\_MALIKI\\_GO](http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/08/140813_iran_let_maliki_go)

الحوالي، سفر، شرح رسالة تحكيم القوانين الوضعية، (موقع طريق الإسلام). [HTTPS://AR.ISLAMWAY.NET](https://ar.islamway.net)

**THEOLOGICAL DEVIATIONS AND THEIR IMPACT  
ON THE ARAB SPRING: AN ANALYTICAL  
AND CRITICAL STUDY ON YEMEN AND SYRIA**

**EBRAHIM MOHAMMED ABDO MOUSI**

**ACADEMY OF ISLAMIC STUDIES  
UNIVERSITY OF MALAYA  
KUALA LUMPUR**

**2018**